

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY

Islamabad - Pakistan
Faculty of Islamic Studies
(Usul-ud-Din)
Department of Tafseer & Quranic
Sciences

الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد - باكستان
كلية الدراسات الإسلامية
(أصول الدين)
قسم التفسير وعلوم القرآن

"ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)"

في تفسيره تفهيم القرآن"

(من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف)

— جمعاً ودراسة تقييمية —

بحث لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

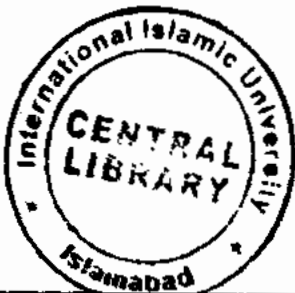
تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور سمیع الحق بن المفتي عبد الديان

إعداد الباحثة:

رابعة نور

رقم التسجيل: 130/FU-PhD TQS/F09



العام الجامعي: ٢٠١٧ - ٢٠١٨م

٢٩٧
K

Accession No TH-19428

Ph.D

٢٩٧ = ١٢٢٠٧

رات

- قرآن کریم - بحوث
- قرآن کریم - تفاسیر
- قرآن کریم - ترجیحات
- قرآن کریم - سور
- قرآن کریم - تفہیم القرآن
- قرآن کریم - أبو الأعلى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام آباد. باكستان

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

لقد تمت مناقشة هذا البحث المعنون بـ :

«ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره تفهيم القرآن»

(من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف)

جمعا ودراسة تقييمية


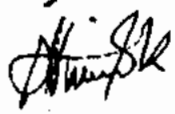

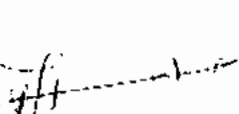
للباحثة : رابعة نور

رقم التسجيل : 130-FU/PHDTQS/F09

وذلك بتاريخ 03/ 07 /2018. وقد مُنحت درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز، والله نسأل أن

يوفقها لكل خير، وأن ينفع بها الإسلام وأهله.

أعضاء لجنة المناقشة. وتوقيعاتهم:

الرقم المسلسل	العضو	الاسم الكامل	التوقيع
١	المشرف	الدكتور سمیع الحق	
٢	المناقش الخارجي	الدكتور عبد الحميد عباسي	
٣	المناقش الخارجي	الدكتور رشيد احمد	
٤	المناقش الداخلي	الدكتور شاه جنيد هاشمي	

الإهداء...

- إلى من علّمني الصبر والكفاح، إلى من علّمني الجد والاجتهاد، إلى من علّمني السير نحو المجد والعلا، إلى والذي الكريم - حفظه الله ورعاه -.
- إلى شمعة ذابت لتتير الدروب، وعطاء يفيض بلا حدود، ورمز يجسد الكفاح والخلود؛ إلى أمي الغالية - حماها الله ورعاها -.
- إلى من ضحى بأغلى ما كان يملك في سبيل رفع كلمة التوحيد، شقيقي الغالي الشهيد - بإذن الله - محمد عمران - رحمه الله رحمة واسعة -.
- إلى العلماء والدعاة الذين هم مصابيح العلم وأنوار الهدى.

❖ إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع.

كلمة الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضا، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعبيده المجتبي، وعلي آلِه وأصحابه مصابيح الدجى، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

وبعد فانطلاقاً من قول الله تعالى: "وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"، وانطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ"، أتقدم بخالص الشكر، وجزيل الامتنان إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطنطاوي جبريل المشرف الأول لهذه الرسالة الذي كان قد شملني بعطفه وحنانه قبل علمه وإخلاصه، وأخذ بيدي إلى مسالك العلم والمعرفة، وطرق البحث والتحقيق، فجزاه الله عني خيراً، وجعل معرفته في ميزان حسناته يوم العرض عليه، وأمد في عمره، وبارك في صحته وصحة أهله.

ومن سعادتني أن شرفني الله -عز وجل- بإتمام هذا البحث تحت رعاية وإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور سمیع الحق -حفظه الله ورعاه- الذي لم يتوان في تقديم النصيح، والإرشاد، ومد يد العون والمساعدة طول فترة الانشغال بهذا البحث، فأشكره جزيل الشكر، وأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، ويجزل له المثوبة، ويبارك له في العمر والصحة.

ومن أسباب سعادتني أن أشكر كليتي كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) المتمثلة في عميدها، ورؤساء أقسامها، وأساتذتها المتخصصين في العلوم الإسلامية المتنوعة، وخاصة قسم التفسير وعلوم القرآن، وجميع أساتذته الذين أناروا لي دروب الحياة العلمية، وعلموني

١ سورة إبراهيم، الآية ٧.

٢ سنن الترمذي للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي: ٣٣٩٤، برقم (١٩٥٤)، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، قل الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

بعلمهم وإخلاصهم وتواضعهم، وأعضاء هيئة التدريس المحترمين، حيث احاطني الجميع بالعلم والعرفان، والتقدير والاحترام، فجزاهم الله خيرا، ورزقهم نعمة الصحة والعافية في المال والأهل والدين.

كما أشكر جامعتي العريقة التي أتحت لي فرصة التعلم، وفتحت لي أبواب الثقافة والمعرفة، حيث بها تعلمت، وفي أحضانها تربيت، ونهلت المعارف العذبة من مناهلها الصافية، وتعرفت فيها على أهل العلم الحقيقيين الذين آثروا العلم وأهله على ما سواهما، فأدام الله عليها العافية، وجعلها موئل التعلم والتنقف المطلوبين. كما لا أنسى في نهاية هذه الكلمة أن أشكر كل من قدّم لي عونا ومساعدة بأي شكل من الأشكال، وأخص بالذكر منهم: فضيلة الأستاذ الدكتور تاج أفسر رئيس قسم التفسير وعلومه بالكلية، الذي لم ييخل بشيء من وقته، وعلمه، وآرائه السديدة، إضافة إلى أنه يسرّ لي سبل الإجراءات الإدارية المتنوعة، والأستاذ البروفيسور أليف الدين الترابي -رحمه الله رحمة واسعة- والأستاذ الدكتور محمد الغزالي، رئيس تحرير مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد، والأستاذ الدكتور محمد قسيم منصور، الأستاذ السابق بالكلية، والأستاذ الدكتور نور محمد جمعة الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية، والأستاذة الدكتورة نورة زوي، الأستاذة المساعدة بالكلية، وأشقائي الغالين على قلبي وخاصة ياسر إلياس، وشقيقتي الغاليات، وأقول لهم جميعا: جزاكم الله عني خيرا الجزاء.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

المَقْنَنَةُ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

ويقول أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
رُؤُوسَهُمْ وَرَبَّهُم مِّنْهَا رَجَالًا كَثِيرًا وَنَسَلَهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَاللَّهُ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

ويقول أيضا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور
محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

التعريف بالموضوع

اخترت موضوع "ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره تفهيم القرآن (من
سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف) جمعا ودراسة تقييمية".

وقد تناول البحث:

- ١- ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره.
- ٢- عرض ودراسة ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي ثم التعليق، والدراسة النقدية إن
استدعى المقام ذلك.

١ سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

٢ سورة النساء، الآية ١.

٣ سورة الأحزاب، الآية ٧٠-٧١.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

إن القرآن الكريم حبل الله المتين، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تمل منه العلماء، ولا تمجده الأسماع، ولا يخلق على كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به هدى إلى صراط مستقيم.

إن الكثير من المفسرين قد تناولوا كتاب الله بالدرس والتبيين والتوضيح وإظهار جوانب الإعجاز فيه وتناولوا كل جوانبه من المسائل العقدية والفقهية والأخلاقية، وقد وقع اختياري على هذا الموضوع، وذلك نظرا لما يلي:

(١) أن مؤلفه كان عالما عاملا بعلمه، ومفكرا يقاوم الغزو الفكري، وداعية في ميدان الإصلاح، وكان قائداً لحركة إسلامية بارزة نشطة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، مما كان له أثره في فهمه الآيات وتفسيرها وربط معانيها بالواقع حسبما تعرض لها في تفسيره، ويتجلى ذلك في:

(أ) إبرازه لجوانب الإصلاح الشامل للعقائد والأخلاق والأسرة والمجتمع والاقتصاد والدولة.

(ب) رده على أفكار الفرق الضالة من القاديانية، ومنكري الحديث، وعلى الفلسفات الغربية خاصة وغيرها عامة وعلى الحركات الاستشراقية والتنصيرية.

(٢) أن مؤلفه كان لفكره ولحركته أثر جلي غير محدود في شبه القارة الهندية حيث تجاوزها إلى مناطق كثيرة في العالم عامة لاسيما العالم العربي.

(٣) أن تفسيره من أكثر التفاسير انتشارا بين الناطقين بالأردية علاوة على كتبه ورسائله في الموضوعات المختلفة ونظرا لأهميته فقد تمت ترجمته كاملا أو جزئيا إلى مختلف لغات العالم، مثل العربية والإنجليزية والبشتوية والفارسية والبنغالية وغيرها من اللغات.

(٤) لما امتاز به أسلوبه عن غيره من المفكرين والكتاب ومنهجه الذي سار عليه في الترجيح، ومن ذلك:

(أ) استخدامه لغة العصر، واختياره أسلوبا سهلا جديدا حسب متطلبات المثقف العادي.

- (ب) ذكر ما يبرز مواضيع السور ومضامينها وإلقائها في ذهن القارئ وربط أجزائها في وحدة موضوعية قبل البدء في تفسيرها، وسمي باللغة الأردية "ديباجة".
- (ج) تحقيقه التاريخي والجغرافي للقصص القرآنية وربطها بالواقع ونفس الأمر.
- (د) عدم التعصب المذهبي في المسائل العقدية والفقهية من العبادات والمعاملات.
- (٥) كون هذا الموضوع جديداً فيما أعلم فلم أفد على كتاب مكتوب، ولارسالة مطبوعة خصصت لهذا الموضوع.
- (٦) رغبتني في جمع ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره، وبيان قيمتها العلمية.
- (٧) ولخلفيتي السابقة عن هذا التفسير في رسالتي للمجستير (M.S Tafsir) بعنوان "تفسير تفهيم القرآن للشيخ أبي الأعلى المودودي ترجمة وتعليقاً لسورتي (الأنعام والأعراف)". وأملا في إتمام الرحلة العلمية التي بدأتها في المجستير.
- (٨) الوصول إلى الرأي الراجح من بين الأقوال المتنوعة، وذلك لأنه هو العمل بالعلم الصواب، ومن المعروف أنه لا يمكن الوصول إلى هذا العلم في المسائل الخفية إلا عن طريق عملية الترجيح، سيرا على منهج الاتباع الأحسن.
- (٩) مناقشة أقوال أهل العلم، وتناولها بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال عدد من المصادر والمراجع في الفنون والعلوم المتنوعة.
- (١٠) الوصول إلى العلوم المتنوعة التي تتعلق بدراسة الترجيحات والاختيارات.

الدراسات السابقة

يعتبر تفسير تفهيم القرآن موسوعة علمية، اهتم به الباحثون اهتماما بالغاً. وقد كان اهتمامهم به مركزاً حول منهجه، وترجمته، والتعليق عليه، وبيان الجانب الفقهي، والإصلاحي، والدعوي فيه.

وأما موضوع ترجيحاته في تفهيمه، فلم أوقف على من أفرد ببحث مستقل، ولم أحصل إلا على بعض الإشارات من بعض أهل العلم لا تروي غليلاً ولا تشفي غليلاً.

وفيما يلي بعض ما وقفت عليه من الرسائل الجامعية والكتيبات والمطبوعات حول المفسر وتفسيره:

١. التحقيق العلمي للاعتراضات الواردة على الإمام المودودي للعلامة المفتي محمد يوسف البنيري، الخريج من جامعة دار العلوم أمينية بالدهلي من تلامذة الشيخ المفتي كفايت الله رحمه الله (مولانا مودودي بر اعتراضات كا علمي جائزة)، إسلامك بليكيشنز، الأهلية المحدودة، ١٩٨٠م.

٢. الأستاذ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - ومنهجه في تفسير القرآن الكريم رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة (١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ) للبروفيسور أليف الدين الترابي، جامعة أم القرى، مكرمة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

٣. منهج المودودي في تفسير القرآن رسالة ماجستير محمد قسيم منصور، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، كلية أصول الدين، الجامعة العالية بإسلام آباد.

٤. تفسير تفهيم القرآن للشيخ أبي الأعلى المودودي ترجمة وتعليق "الجزءان الخامس عشر والسادس عشر"، بالإضافة إلى الديباجة والخاتمة، رسالة ماجستير للطالب أحمد قريشي سنة ٢٠٠٦م/٢٠٠٧م بالجامعة الإسلامية العالية بإسلام آباد، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.

٥. ترجمة سورتي النساء والمائدة رسالة ماجستير للطالب عارف متين، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالية، إسلام آباد.

٦. تفهيم القرآن، كتاب الثورة للبروفيسور خورشيد أحمد "نائب رئيس الجامعة الإسلامية" (تفهيم القرآن: إليك كتاب انقلاب)، منشورات.

٧. الاستعارات والتشبيهات في تفهيم القرآن للدكتور محمد جنيد (تفهيم القرآن كي تمثيلات وتشبيهات)، إسلامك بليكيشنز، الأهلية المحدودة، لاهور، ٢٠٠٦م.
٨. الأستاذ المودودي مفسراً للدكتور خالد علوي (سيد مودودي بحيث مفسراً)، الفيصل، اردو بازار، لاهور.

وهناك عدد آخر من مما كتب حول تفسير تفهيم القرآن الكريم، ومعظمه يدخل تحت باب الترجمة، والمنهج، والدعوة، وهو عبارة عن:

١. مقدمة التفسير باسم المبلغي الأساسية لفهم القرآن للشيخ خليل أحمد حامدي.
٢. المجلد الأول من سورة الفاتحة إلى سورة آل عمران لأحمد إدريس، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى ١٢٩٨هـ/١٩٧٧م.
٣. سورة الكهف ومريم، لأحمد إدريس، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
٤. سورة النور لمحمد عاصم الحداد، دار الشام، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥. سورة الأحزاب للشيخ خليل أحمد حامدي.
٦. الإمام أبو الأعلى المودودي حياته، دعوته، جهاده، للشيخ خليل أحمد الحامدي، دار العروبة، منصوره، لاهور، باكستان، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٧. أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي لحمدي بن صادق الجمال، الطبعة الأولى ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ دار المدني، الرياض.
٨. التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب لأبي الحسن الندوي.
٩. النقائص العلمية للاعتراضات على تفهيم القرآن للشيخ عامر عثمان (تفهيم القرآن بر اعتراضات كي علمي كمزوربان).

إشكالية البحث:

هي عبارة عن بعض التساؤلات التالية:

- هل للشيخ أبي الأعلى المودودي ترجيحات في الأقوال التفسيرية؟
- ما هي الموضوعات العلمية التي تناولها بالترجيح؟
- هل كل ما رجحه الشيخ أبو الأعلى يحسب له أم أن هناك ملأخذ تحسب عليه في هذه الترجيحات؟

إن كل هذه التساؤلات فرضت عليّ أن أنتقل من الناحية النظرية إلى الناحية العلمية والتطبيقية. وجعلتني أكثف قراءتي فيه وأصل إلى النتيجة المستهدفة والمنشودة.

منهج البحث:

كان منهج البحث في هذه الرسالة منهجاً تحليلياً مقارناً نقدياً.

خطوات البحث:

- أما الخطوات التي سرت عليها في كتابة هذا البحث، فتتلخص فيما يأتي:
- عرض الآية التي ورد ترجيح الإمام في تفسيرها، إن كان الحديث يدور في الآيات القرآنية وتفسيرها.
 - عرض نص الشيخ المودودي محلّ الدراسة مع وضع عنوان مناسب له يدلّ على مضمونه، ويحمل صيغة السؤال غالباً.
 - عرض المسألة وما ورد فيها من آراء مختلفة عند المفسرين في تفاسيرهم.
 - دراسة نص الترجيح مقارنة بالآراء المرجوحة والتعليق عليها مع بيان أدلة القول الراجح وبيان قاعدة الترجيح ما وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.
 - حاولت قدر الإمكان والاستطاعة أن أتناول الترجيحات الواضحة غير المبهمة، وما لا يحتاج إلى كبير عناء، وتأويل مستبعد.
 - اعتمدت في الوصول إلى العملية الترجيحية على ثلاثة أنواع من التفاسير:

١. الذي يذكر الأقوال والخلاف في تأويل المسألة المطلوبة دون بيان الراجح منها،
ووجه ترجيحه غالباً، كتفسير زاد السير لابن الجوزي.

٢. الذي يذكر الأقوال والخلاف مع بيان الراجح منها، كتفسير البيضاوي مثلاً.

٣. الذي يذكر الأقوال وخلاف المفسرين، مع بيان الراجح منها، وبيان وجه
ترجيحه، كتفسير الطبري، والقرطبي مثلاً.

• وضعت الكلام المنقول بنصه بين علامتي التنصيص هكذا " "، وعند التصرف
في كلماته أشير إلى ذلك في الهامش عقب الإحالة بلفظة "بتصرف" أو
"انظر". وإذا كان الكلام منقولاً بمعناه، أو مستفاداً بمضمونه، أو بتصرف كثير،
نحو تقديم وتأخير، وتغيير في بعض العبارات، فلا أضعه بين علامتي التنصيص
وإنما أصدر الإحالة بلفظة تدل على ذلك.

•X تعريف ما يحتاج إلى التعريف من القبائل والمدن والأماكن الغربية، والفرق
والجماعات غير المعروفة.

• شرحت الكلمات والعبارات التي تحتاج إلى توضيح والتي ترد في رسالتي.

• عزو الآيات القرآنية الواردة في رسالتي إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات.

• تخريج الأحاديث الواردة في رسالتي من مصادرها الأصلية وبيان درجتها: إن لم
تكن في الصحيحين.

• ترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة.

النسخة المعتمدة لتفهم القرآن في هذا البحث:

- المجلد الأول: من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الثاني: من سورة الأعراف إلى سورة الإسراء، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الثالث: من سورة الكهف إلى سورة الروم، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الرابع: من سورة لقمان إلى سورة الأحقاف، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الخامس: من سورة محمد إلى سورة الطلاق، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد السادس: من سورة التحريم إلى سورة الناس، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس، وبيانها كالتالي:

المقدمة وتحتوي على:

- التعريف بالموضوع.
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- إشكالية البحث.
- منهج البحث.
- خطوات البحث.
- خطة البحث.

التمهيد ويشتمل على:

- نبذة عن الشيخ المودودي.
- نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين.

الباب الأول:

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في أم الكتاب، والزهرابي:

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في أم الكتاب (الفاتحة).
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة البقرة.
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة آل عمران.

الباب الثاني:

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في سور النساء، والمائدة،
والأنعام، والأعراف:

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في سورة النساء
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة المائدة
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة الأنعام
- الفصل الرابع: ترجيحاته في سورة الأعراف

الخاتمة

وتشتمل على:

- نتائج البحث.
- التوصيات والمقترحات.

الفهارس

وتشمل:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث، والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيد:

ويشتمل على:

- نبذة عن الشيخ المودودي
- نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين

نبذة عن الشيخ المودودي:

بحكم أن البحث عن ترجيحات الشيخ الإمام فيحلوا لي أن أترجم له كنقطة انطلاق إلى محتويات البحث الأخرى، ومن المعلوم أن هناك محاولات متعددة ترجم أصحابها من خلالها للشيخ المودودي، وقد تراوحت بين الطول والقصر، وسأكتفي بعرض ترجمة موجزة له، وذلك للتعرف على شخصيته، والوقوف على أهم المراحل، والمنعطفات، والظروف التي مرّ عليها، وكان لها صدى في حياته المتعددة الجوانب.

والحق أن شخصية الشيخ المودودي ليست مغمورة، وإنما هي شخصية ذاع صيتها في الآفاق، فقد تحدث عنه جهابذة الفكر، وعمالقة القلم بلغات العالم المتعددة، فقد كتب عنه في اللغة العربية كل من:

١. البروفيسور أليف الدين الترابي^١ في رسالته للمجستير "الإمام أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن".
٢. الأستاذ خليل أحمد الحامدي^٢ في كتابه "الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته،

١ هو أليف الدين الترابي بن عالم الدين القرشي، المؤسس والمدير العام للمعهد العالمي للدراسات والبحوث الاستراتيجية بإسلام آباد (باكستان)، وكان نائباً لأمير الجماعة الإسلامية بولاية جامو كشمير الحرة، ورئيس تحرير مجلة كشمير المسلمة، وعضو مجلس الأمناء لمؤسسة القدس الشريف، وعضو الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كما أنه كان عضو الجمعية العمومية للمؤتمر العالمي للدفاع عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مؤلف لأكثر من (٢٠) كتاباً. (انظر: أئمة الفكر الإسلامي الحديث للبروفيسور أليف الدين الترابي، الصفحة الأخيرة، الطبعة الأولى، جمادى الثانية عام ١٤٣٦هـ / يونيو عام ٢٠١٠م).

٢. هو الشيخ خليل بن أحمد الحامدي، ولد عام ١٩٢٩م بقرية "حامد" الواقعة في محافظة "فيروزبور" الهندية، وحفظ القرآن الكريم في طفولته، ثم التحق بالدراسة الأعظمية في مدينة "كرنل" وتخرج فيها عام ١٩٤٥م، له

ودعوته، وجهاده".

٣. الدكتور محمد رجب البيومي^١ في كتابه "النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين".

٤. المستشار عبدالله العقيل^٢ في كتابه "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة".

وكتب عنه في اللغة الأردوية جمع من الأساتذة الكبار والمفكرين الأفاضل مثل:

١. الأستاذ علي سفيان آفاقي^٣ في كتابه "قائد تحريك اسلامي سيد أبو الأعلى المودودي" (الإمام أبو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية)!

عشرات من المؤلفات القيمة في اللغة الأردية والعربية، من آثاره: "الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة"، "بر الأمان"، و"المبادئ الأساسية لفهم القرآن"، ولقد وافته المنية عام ١٩٩٤م إثر حادث مروري بباكستان. (انظر: خليل أحمد الحامدي - موسوعة الإخوان المسلمين www.lkhwanWiki.com).

١ هو الدكتور محمد رجب البيومي، ولد عام ١٩٢٣م في الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة بمحافظة الدهلية بمصر. توفي عام ٢٠١١م. من مؤلفاته: "النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين". ونال عددا من الجوائز في ميادين العلم والأدب. (انظر: د/محمد رجب البيومي: لمحات من حياته وجوانب إبداعه - موسوعة الإخوان وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت).

٢ يعتبر المستشار عبد الله العقيل أحد قادة الإخوان المسلمين وواحد من مفكريها. ولد يوم الاثنين ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨م في مدينة الزبير من بلدة "حرمة" بمنطقة سدير بنجد، وألف عدة كتب منها: "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة"، و"صفحات من بطولات الإخوان في فلسطين"، و"كلحات مرتجلات في منية الإمام الشهيد حسن البنا". (انظر: موسوعة الإخوان وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت).

٣ ولد علي سفيان آفاقي سنة ١٩٣٣م في منطقة "بهوبل"، وانتقل في الرابعة عشر من عمره إلى باكستان واستقر به المقام في مدينة "لاهور"، له مجموعة من الكتب والمقالات منها: (يورب كي الف ليلة، طللمسات فرنك، ذرا انكلكستان تك، كمل باكمل، وموم كا آدمي)، بتاريخ ٢٧ يناير سنة ٢٠١٥م مساء الثلاثاء انتقل في مدينة "لاهور" إلى جوار ربه. (انظر: www.bbc.co.uk/Urdu - صفحة اول-BBCURDU و <https://www.flickr.com/people/4802779@N02> flickr-afaqi\photostream+https://www.flickr.com/people/4802779@N02

٤ لقد ادعى ناشر هذا الكتاب أنه أول من كتب عن الإمام المودودي وصار كتابه مرجعا مضيفا أن هذا الكتاب طبع لأول مرة في عام ١٩٥٣م عندما حكم عليه بالإعدام. ولما أراد جمع من الناس أن يتعرفوا على الإمام وجماعته؛ قام المؤلف بتحقيق أمنيته فجمع ما اتفق له من المعلومات السموعة والمرئية لديه بصنق وأمانة.

٢. الأستاذ محمد يوسف بهته^١ في كتابه "مولانا مودودي ابني اور دوسرون كي نظر مين" (الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين).

٣. الأستاذ نعيم صديقي^٢ في كتابه "المودودي".

٤. الأستاذ أسعد الجيلاني^٣ في ثلاثة كتبه: "مولانا مودودي سي ملى" (تفضلوا بزيارة الإمام المودودي). و"سيد مودودي دعوت و تحريك" (الإمام المودودي، فكره ودعوته)^٤. و"سيد مودودي بجن، جواني، برهابا" (الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة).

٥. السيدة حميراء^٥ في كتابها "شجرهائي سايه دار" (الأشجار الوارفة).

ولقد تكبد مشقة تعريب بعض تلك الكتب المؤلفة باللغة الأردية جمع من الأساتذة الأجلاء أمثال:

١. الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم^٦ حيث قام بتعريب كتاب "سيد مودودي

وما إن طبع الكتاب ونزل السوق؛ حتى انتهى عن آخره. (انظر: ص ٤ من الكتاب نفسه، سنة الطبعة: الحرم ١٤٣٢هـ/ديسمبر ٢٠١٠م، اذان سحر ببلي كيشنز، منصوره، لاهور).

١ لم أعثر على ترجمته حتى الآن.

٢ الشيخ نعيم صديقي (١٩١٦م - ٢٠٠٢م) يعتبر الشيخ من مشاهير أهل العلم والثقافة الذين خدموا الدولة دينيا واجتماعيا وثقافيا وأدبيا، ولد بقرية (خان بور) من منطقة (جكوال)، وأصبح أحد أعضاء هيئة تأسيس الجماعة سنة ١٩٤٦م، ومنذ تلك اللحظة ذاع صيته بين الناس. من مؤلفاته: "محسن انسانيت"، و"المودودي"، و"تعمير سيرت كي لوازم"، انتقل رحمه الله إلى جوار ربه ٢٥ من سبتمبر سنة ٢٠٠٢م. (انظر: خدمات نعيم صديقي العلميّة والأدبيّة للدكتور عبد الله شاه هاشمي (بالأردوية)، ص ١١، الطبعة الأولى، مايو سنة ٢٠١١م، الناشر: حكيم مروة وحيد سليمان، إداره مطبوعات سليمان، لاهور، بضعة حروف، الكاتب: انور سديد، ٢٤ يناير سنة ٢٠١١م).

٣ لم أعثر على ترجمته حتى الآن.

٤ هذا الكتاب في الأصل نسخة منقحة لكتاب "تفضلوا بزيارة الإمام المودودي" حسب تصريحات المؤلف في الكتاب نفسه. (انظر: ص ٢٧).

٥ كبرى بنات المودودي ولدت في ٢٢ من يوليو عام ١٩٤٠م بالهند. (انظر: الأشجار الوارفة للسيدة حميراء المودودي (بالأردوية)، ص ٣، الطبعة الرابعة، مارس ٢٠٠٦، منشورات، منصوره، لاهور)، وقد تشرفت بالتلمذ على أبيها من بين إخوتها وأخواتها حسب تصريحاتها في الكتاب نفسه. (انظر: ص ٧٥).

٦ لم أعثر على ترجمته حتى الآن.

دعوت وتحريك" لأسعد كيلاني وطبع بعنوان: (أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته).
٢. الدكتور نور محمد جمعة وقد ترجم كتاب السيدة حميرا "شجرهائي سايه دار"
إلى العربية بعنوان: (الأشجار الوارفة).

- ولقد خصصت بعض المجلات الأردنية بعض أعدادها للمؤلف وتفسيره، مثل:
- العدد الخاص مجلة "آئين الأسبوعية" الصادرة من مكتب آئين الأسبوعية،
لاهور، وذلك بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، المجلد ١١، العدد ٧، الصادر بتاريخ ١٥
من ديسمبر عام ١٩٧٢م.
 - "تذكرة سيد مودودي" في ثلاث مجلدات لخليل أحمد الحامدي، الصادرة من إداره
المعارف الإسلامية، منصوره، لاهور، الطبعة الأولى، إبريل ١٩٨٦م.
 - العديدين الخاصين مجلة "ترجمان القرآن الشهرية" لثوية المودودي (١٩٠٣-٢٠٠٣م)،
الصادرة من إداره ترجمان القرآن، منصوره، لاهور، المجلد ١٣٠، العدد ١٠، الصادر
بشهر اكتوبر عام ٢٠٠٣م، والمجلد ١٣٦، العدد ٥، الصادر لشهر مايو عام ٢٠٠٤م.
 - العدد الخاص مجلة "الدعوة الشهرية" الصادرة من أكاديمية الدعوة بالجامعة
الإسلامية العالمية، إسلام آباد، المجلد ١٠، العدد ٧-٩، الصادرة لشهر ديسمبر عام
٢٠٠٣م.
 - ومجلة "الشباب" الصادرة في عام ٢٠٠٧م بمعهد المودودي للدراسات الإسلامية،
لاهور.

وحاولت أن أستقري كل ما كتب عنه في هذا المجال، فوجدت أن معظم الكتابات
متشابهة مباحثها، ومتقاربة مطالبها، وإن تنوعت العناوين الواردة في تلك الكتب من
كاتب إلى كاتب آخر، كما وجدت أنها تراوحت بين الطول والقصر، والإطناب
والإيجاز.

١ أستاذ مساعد بقسم الدراسات الأدبية بكلية اللغة العربية بالإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام
آباد.

ترجمة الإمام المودودي :

ولادته ونشأته وحياته التعليمية:

ولد الإمام أبو الأعلى المودودي في ٣ من رجب عام ١٣٣١هـ الموافق ٢٥ من سبتمبر عام ١٩١٣م. وقد تنبأ أحد الأولياء لوالده قبل ثلاث سنوات من الولادة بولادته، ونصحه أن يسميه بأبي الأعلى، وهو اسم جده الأعلى شيخ فرع الأسرة المودودية، ولذلك قبل والده هذه النصيحة خاصة وأنه كان قد تأثر بالشيخ محي الدين. وبعد مولد الإمام بعام زهد والده في طلب الدنيا، وعاش لثلاث سنوات حياةً كلها زهد، ولما عاد بعدها إلى حياته العادية غلب عليه الطابع الديني، كما غلب على والدته أيضاً الطابع الديني، وفي هذه الأجواء النقية فتح الشيخ عينيه على الدنيا. وكان لكل ذلك أثر كبير في حياته حيث رسم على قلبه وعقله معالم دينية عميقة^١.

قضى الشيخ سنوات عمره الأولى في مدينة "أورنك آباد" بولاية "حيدر آباد الدكن"^٢، وتلقى علومه الابتدائية من والده الذي رباه تربية حسنة في جميع عاداته، وأخلاقه، فدرسه علوم اللغة العربية، والقرآن، والحديث، والفقه، واللغة الفارسية. يضاف إلى ذلك أنه حفظ المؤطا للإمام مالك بظهر الغيب^٣. وكان والده يرغب في أن يجعله عالماً مرموقاً، ولهذا ركز على تدريسه اللغة العربية مع اللغة الفارسية بالإضافة إلى الفقه والحديث، ولم تكن هناك رغبة في تدريس علوم اللغة الإنجليزية وما يتعلق بها، وقد اقتصر والده على الدراسة في البيت لفترة حتى تآخر دخوله المدرسة حفاظاً على الأخلاق واللغة، وتجنباً للصحبة السوء. وكان والده يتكلم باللهجة الرائجة آنذاك في دهلي. ولحرصه الشديد على تنشئة ولده على العلم الصحيح

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ترجمة: د/ سمير عبد الحميد إبراهيم، ص: ٢١ - ٢٢، الطبعة الرابعة، عام ١٩٧٨م، شركة الفيصل، لاهور.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٢٢.

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، و دعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحاملدي، ص ٦، اكتوبر عام ١٩٨٩م، دار العربية للدعوة الإسلامية، المنصورة، لاهور، باكستان.

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٦ - ٢٧.

٥ انظر: المصدر السابق، ص ٢٧.

واللغة السليمة كان يمنعه من استعمال كلمات دارجة حينما ترد على لسانه ويعلمه النطق السليم^١. وكان يلزمه معظم الأوقات بالإضافة إلى أوقات الدروس فكان يأخذ معه إلى مجالس أصدقائه العلمية. وفي الليل كان يهتم بتلقيه قصص الأنبياء والعظماء من رجال الدين، وحكايات التاريخ الإسلامي. وكان لهذا الاهتمام دور هام في تكون شخصيته^٢. كان لا يسمح له أن يرفع يده على الضعيف والمظلوم. وإذا عمل ذلك كان يؤدبه كما يحكي لنا الإمام: بأنه قدّر مرة أن ضرب ابن خادمه، فطلبه والده وجاء بهذا الطفل طالبا إليه أن يضربه كما ضربه^٣. وظل أبو الأعلى المودودي يدرس في البيت حتى السنة التاسعة وقرأ خلال هذه المدة الكتب الابتدائية في الصرف والنحو والأدب العربي والفقه^٤.

ثم أرسل إلى المدرسة الفوقانية^٥ بأورنك آباد بناء على مشورة أستاذه الشيخ نديم الله حسنين، والتحق بالمرحلة الرشيدية^٦ بأورنك آباد في التاسعة من عمره^٧. وكانت الدراسة في المرحلة المتوسطة والثانوية بالأردية بالإضافة إلى اللغة العربية، مع دراسة الفقه، والحديث، والمنطق كمواد إجبارية^٨. وفي عام ١٩١٤م اجتاز امتحان "المولوي"^٩ في هذه المدرسة في الحادية عشرة من عمره، وكان المنهج الدراسي يشمل: الصرف، والنحو، والأدب، والترجمة من الأردية إلى العربية، والعكس، والمنطق، والقوانين، والفقه، والفرائض، والعلوم العصرية، والجبر، والمقابلة، وإقليدس، والمساحة في الرياضيات، والأدب الإنجليزي، وقواعده والتعبير فيه، والترجمة

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٧.

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦.

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٨.

٥ سميت المدرسة العليا باسم مدرسة فوقانية آنذاك. (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٨).

٦ هي المتوسطة. (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٨).

٧ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٨.

٨ انظر: المصدر نفسه.

٩ يراد به الثانوية. (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٨).

إلى الأردنية منه. ثم انتقل والد الإمام المودودي من "اورنك آباد" إلى "حيدر آباد" مع عائلته بسبب ضعف وضعه المادي، وضمَّ ابنه إلى "دار العلوم" بحيدر آباد، وكان رئيسها آنذاك المعالم الكبير، ومفسر القرآن الشهير الشيخ حميد الدين الفراهي^١، والتحق بصف "المولوي العام" وهو يعلو الصف المولوي في المرتبة العلمية^٢. ولم يستطع والد الإمام المودودي البقاء في حيدر آباد طويلاً فانتقل إلى "بهوبهال" تاركاً ولده أبا الأعلى المودودي مع والدته في حيدر آباد لإكمال الدراسة.

وقد استمر أبو الأعلى في دراسته، وسكن في بيت يبعد عن دار العلوم خمسة عشر كيلو متراً، وكان يذهب إليها صباحاً، ويعود منها مساء مشياً على الأقدام وأحياناً كان لا يجد ما يأكله. ولم يمض على ذلك ستة أشهر حتى بلغه أن والده أصيب بالشلل الشديد، فترك أبو الأعلى الدراسة وذهب مع والدته إلى "بهوبهال"، وقام على خدمة والده باراً به إلى أن وافته المنية عام ١٣٣٩هـ الموافق عام ١٩٢٠م. وقد قرر الإمام المودودي أن يجعل قلمه وسيلة للرزق بعد إصابة والده بالشلل، وذلك عن طريق ميوله الأدبية التي وهبه الله إياها، وعن طريق ملكة الكتابة التي أصلقها بالمطالعة والقراءة، وعدم احترافه أي حرفة.

أسرته: ينتمي الإمام المودودي إلى أسرة حملت راية الدعوة والهداية منذ أكثر من ١٣٠٠ عام، ومن عظماء هذه الأسرة الشيخ أبو أحمد أبدال الجشتي المتوفى عام ٣٥٨هـ / ٩٦٥م من أولاد السيد حسن المثني بن الإمام الحسن رضي الله عنه. ومنها الشيخ قطب الدين المودودي الجشتي الابن

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٩، وعلوم القرآن لمولانا كوهر رحمان (بالأردنية) ج ٢، ص ٦١٩، الطبعة الثالثة، يناير عام ٢٠١٠م، مكتبة تفهيم القرآن، مردان.

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٧.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٤، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت. (وهو في الأصل الباب الأول لرسالته للحصول على درجة الماجستير من جامعة أم القرى بعنوان الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم).

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٧.

٥ انظر: المصدر نفسه.

٦ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٣٠.

• الأكبر للشيخ ناصر الدين أبي يوسف الذي كان شيخ الشيوخ لسلالة الفرقة الجشتية، وهو رأس الأسرة المودودية، وقد أقامت هذه الأسرة منطقة "جشت" قرب مدينة "هرات" بأفغانستان في القرن الثالث الهجري. وقد هاجر شيخ فرع الأسرة المودودية إلى الهند في زمان الاسكندر اللودهي في أواخر القرن التاسع الهجري، وكان شيخ هذا الفرع هو أبو الأعلى المودودي الجد الأعلى للإمام المودودي وأقام في "براس" القرية من "كرنال". وفي زمان "شاه عالم" انتقل إلى "دهلي" وسكنت الأسرة بصفة دائمية مدينة دهلي^١.

والده:

ولد والد الامام المودودي سيد أحمد حسن مودودي عام ١٢٦٦هـ الموافق عام ١٨٥٠م في دهلي بالهند وكان أحد طلبة جامعة "عليكوه" التي أنشأها سيد أحمد خان، وقد التحق بهذه الجامعة؛ لأن أمه كانت من أقارب سيد أحمد خان، ولكنه لم يكمل الدراسة في تلك الجامعة لكونها تدرّس الثقافة الإنجليزية الاستعمارية، وكان المسلمون يجاربون تلك الثقافة عامة، وعائلته خاصة، فيمتنعون أولادهم من الذهاب إلى معاهدها، ومن ثم ترك الجامعة، وذهب بعدها إلى مدينة "إله آباد" حيث درس الحماة، ثم عين معلما لولي العهد في ولاية "ديوكوه" وأقام هناك عدة سنوات، ثم ترك "ديوكوه" بعد وفاة ولي العهد في المؤامرة ضده، وعمل في الحماة في شتى المدن الهندية كمدينة (ميرت)، ومدينة (غازي آباد)، ومدينة (بلند شهر). وفي عام ١٣٦٤هـ الموافق عام ١٨٩٦م قديم والده إلى "أورنك آباد" من مدن ولاية "الدكن" للدفاع في قضية ما.

١ نقلا عن مجلة "المجتمع"، العدد: ١٨١٧، ص ٥٥، ٢٩ من شعبان - ٥ من رمضان عام ١٤٢٩هـ/٣٠ من أغسطس - ٥ من سبتمبر عام ٢٠٠٨م، "الأشجار الوارفة" بقلم: السيدة حميرا المودودي، ترجمة: د/ نور محمد جمعة. (يراجع: النص الأصلي "الأشجار الوارفة" للسيدة حميرا المودودي (بالأردوية)، ص ٨).

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٦-١٧، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحمادي، ص ٥.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨ - ١٩.

٤ انظر: المصدر السابق، ص ١٩، والإمام المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحمادي، ص ٦.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٩.

٦ الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين للأستاذ محمد يوسف بهته (بالأردوية)، ص ٢٧ - ٢٨، الطبعة

الثانية، مارس ١٩٨٤م، إدارة معارف إسلامي، منصوره، لاهور.

وهناك لازم الشيخ محي الدين خان قاضي القضاة، ومن أثر مصاحبته أنه كان يعمل في سبيل الله مع العمل بالحمالة.

وبعد أربع سنوات حينما كان عمر الإمام المودودي سنة واحدة ترك والده الحمالة وذاهبا في طلب الدنيا، وقام بتقسيم متاع البيت وسافر إلى دهلي، حيث أقام بقرية (عرب سراني)، وقام بزراعة قطعة من الأرض ليعيش عليها، وقضى معظم وقته في دراسة الدين وتدريسه، واستمر على ذلك ثلاث سنوات حتى طلبه شيخه مرة ثانية، ونصحه أن لا يترك الكسب بطريقة شرعية فعاد إلى الحمالة مرة ثانية. لكن بسبب صدقه وثبته من القضايا ابتعد عنه الناس، وقلت القضايا التي وكلت إليه، وتعرضت له المشاكل المادية، وجعلته يتجه إلى الدين بكله، فتغيرت أفكاره، وتغيرت طريقة حياته الاجتماعية. وظل يعمل بالحمالة في "أورنك آباد" حتى ١٣٣٣ عام هـ وانتقل بعده إلى "حيدر آباد" ثم اتجه إلى "بهوبل" بسبب صحته المتدهورة، وهناك دامه مرض الشلل إلى أن انتقل إلى ربه الأعلى عام ١٣٣٨ هـ الموافق عام ١٩١٧م.

بداية حياته الصحفية:

في عام ١٣٣٦ هـ الموافق عام ١٩١٨م دخل ميدان الصحافة مع شقيقه الأكبر أبي الخير المودودي الذي أصبح مديرا لتحرير جريدة "مدينة" بمدينة "بنجور" (الهند)، وكان عمره خمس عشرة سنة، إلا أنه لم يستمر لأكثر من شهر ونصف في هذا العمل، فقد أغلقتها الحكومة، ومنها انتقل إلى جريدة أسبوعية أخرى، تم أصبحت يوميا باسم "تاج" من "جبل بور" (الهند). ولكن لم تتمكن جريدة "تاج" من الاستمرار في صدورها لأكثر من شهر، فقد أغلقتها الحكومة أيضا. فانتقل من "جبل بور" إلى "بهوبل" ثم إلى "دهلي". وأجبرته الكتابة الصحفية على دراسة اللغة الإنجليزية، ولم تستمر فترة الدراسة هذه سوى أربعة أو خمسة أشهر إلى أن حصلت له فيها المقدرة على مطالعة في الإنجليزية، وفهم كتب التاريخ، والفلسفة، والسياسة، وعلم الاجتماع، والأديان، والحضارة وغيرها، ولم تصادفه أي صعوبة في فهم المقالات العلمية في هذه اللغة!

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٠ - ٢١.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١.

وقرر الإمام أن ينضم إلى حركة الخلافة مع عمله في مجال الصحافة في بداية حياته العملية عام ١٩١٨م، فواصل العمل فيها إلى نهاية عام ١٩٢٤م. وألف الإمام كتاب "النشاطات التبشيرية في تركيا"، وترجم كتاب "مجازر اليونانيين في سمرنا" من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الأردنية خلال فترة ١٩١٨م، ١٩٢٠م، وفي عام ١٩٢٠م ترك أخوه مهنة الصحافة في حين استدعاه صاحب جريدة "تاج" لإصدارها مرة أخرى، فأصدرها أسبوعياً ثم يومياً لولحه في السابعة عشر من عمره. هذا بالإضافة إلى أنه شارك هناك في السياسة عملياً بالعمل لحركة الخلافة. فأصبح يسجل افتتاحيات الجريدة بقلم من النار، يثير المشاعر ويذكي العواطف. وقبضت الحكومة على إحدى مقالاته لكنه نجح من بطش الحكومة؛ لأن صاحب الجريدة كان هو المسؤول عن التحرير، والطباعة، والنشر؛ لكنه لم يفرح بذلك وقرر ألا يكتب شيئاً بعدها إلا على مسؤوليته الشخصية. واحتكاكه بحركة الخلافة أتاح له فرصة الاتصال بالشخصيات الكبيرة، والزعماء السياسيين في الهند، فجاء إلى "دهلي" وفي عام ١٩٢١م قابل مفتي الديار الهندية الشيخ كفاية الله الدهلوي، والشيخ أحمد سعيد رئيس ومدير جمعية علماء الهند ففي هذا العام قررت جمعية العلماء بالهند إصدار جريدة (المسلم) من عاصمة البلاد، ووقع اختيارها على الإمام المودودي البالغ من عمره سبع عشرة سنة مديراً لتحريرها، واستمرت هذه الجريدة إلى عام ١٩٢٣م، وبقي الإمام يديرها حتى النهاية.

ومن الجدير بالذكر أن الفترة ما بين عام ١٩١٦م وعام ١٩٢١م كانت فترة اضطراب وقلق في حياته فقد توقف تعليمه فيها، ولكن بالإقامة في "دهلي" مديراً تحرير جريدة (المسلم) عام ١٩٢١م وجد الفرصة أن يتجه إلى إكمال تعليمه مرة أخرى، فإنه بجانب عمله في الجريدة درس كتب الأدب العربي، والتفسير، والحديث، والمنطق، والفلسفة على أيدي مجموعة من الأساتذة.

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٨.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٨.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٣٢.

٤ الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٨.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٣٢-٣٣.

٦ انظر: المصدر السابق، ص ٣٣، والإمام أبو الأعلى المودودي حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي،

وترك "دهلي" بعد إغلاق جريدة "المسلم" عام ١٩٢٣م، وانصرف إلى القراءة والمطالعة لسنة ونصف في "بهوبهال". عاد إلى "دهلي" مرة أخرى في أوائل عام ١٩٢٤م حيث أراد "محمد علي جوهر" أن يساعده في إخراج جريدة "همرد" إلا أن "الشيخ أحمد سعيد" أظهر نية إصدار جريدة باسم "الجمعية" تصدرها جمعية علماء الهند. فوافقه نظراً للروابط القديمة مع بعض، فأصدرها عام ١٩٢٥م حتى عام ١٩٢٨م بوحده. وبجانب عمله في الجريدة استمر في دراسة كتب العلوم المختلفة، وأكمل ما تبقى من دراسة الكتب العربية، وحاول تعلم اللغة الألمانية كذلك^١. وقد تعلم علوم المعاني، والبلاغة، والأدب العربي، والمنطق، والفلسفة، وعلم الكلام على يد الشيخ عبد السلام نيازي الذي لم يكن يبارى في الفلسفة والعلوم العقلية كالرياضيات والمنطق، وكان الشيخ رئيساً لدار العلوم الأمينية بدهلي في ذلك الوقت، وكان يجيد اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الإنجليزية واللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة السنسكريتية وعدة لغات أخرى، ومن الجدير بالذكر أنه كان يتلقى تلك الدروس قبل صلاة الفجر^٢. وكتب أول كتاب له باسم "الأخلاق الاجتماعية" وكان عمره عشرون سنة^٣. وفي عام ١٩٢٦م حصل على "سند الفراغة" - وهي شهادة ذاتية من المدرس لا من دار العلوم وكانت تعتبر أعلى رتبة - في العلوم العقلية، والأدبية، والبلاغة، والعلوم الأصلية، والفرعية من الشيخ محمد شريف الله خان سواتي المدرس بـ "دار العلوم فتح بوري" في دهلي. وفي العام التالي حصل من الشيخ إشفاق الرحمن الكاندهلوي المدرس في "المدرسة العربية العالية فتح بوري" في دهلي والمتخرج من "دار العلوم سهانپور" على "سند الفراغة" في

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٣٢-٣٤.

٢ نقلاً عن مجلة "المجتمع" العدد: ١٨١٧، ص ٥٥-٥٦، "الأشجار الوارفة" بقلم: السيدة حميرا المودودي، ترجمة: د/ نور محمد جمعة. (يراجع: النص الأصلي "الأشجار الوارفة" للسيدة حميرا المودودي (بالأردوية)، ص ٩-١٠)، وانظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الزباني، ص ١٢٦، وأيضاً: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٠.

٣ "سيد مودودي مه وسلك كي آنيني مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) ل محمد شاهد رفيع، مقل منشور في العدد الخاص مجلة "دعوة" الشهرية عن السيد المودودي (بالأردوية)، ص ١٤، الصادرة من أكاديمية الدعوة بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، المجلد ١٠، العدد ٧-٩، الصادر لشهر ديسمبر عام ٢٠٠٣م.

علوم الحديث، والفقه، والأدب وتدرسيها. وفي العام التالي حصل من الشيخ إشفاق الرحمن أيضاً على "سند الفراغة" في سماع وقرآنة الجامع الترمذي وموطأ الإمام مالك رحمهما الله. واستمر الإمام المودودي في دراسته حتى نهاية عام ١٩٢٨م، ولا يستثنى من ذلك سوى بضعة أشهر قضاها الإمام في مدينة (بهوبهان) بعد أن أغلقت جريدة (المسلم) في عام ١٩٢٣م، ولكنه خصص هذه المدة أيضاً لمطالعة أمهات الكتب في العلوم الدينية والعلوم الحديثة.^٢ ثم حينما قررت الجمعية إصدار جريدة (الجمعية) عام ١٩٢٤م اختير الإمام كذلك مديراً لها، واستمر فيها حتى نهاية عام ١٩٢٩م إلى أن قرر أن يترك مجال الصحافة؛ لأن المتحدث باسم جمعية علماء الهند قام بمؤالاة حزب المؤتمر عن طريق جريدة "الجمعية".^٣ كما قام بتأليف الكتاب (مصدر قوة المسلم) عام ١٩٢٥م، وكتاب "الجهاد في الإسلام" عام ١٩٢٨م.^٤ وقد كتب هذا الأخير رداً على اتهام وجهه الغاندي إلى الإسلام بأنه انتشر بالسيف، وقد قام "محمد علي جوهر" بتوجيه نداء إلى الشباب بالرد على هذا الاتهام، وهكذا كان هذا الكتاب تلبية لهذا النداء وردا على تحدي غاندي.^٥

وفي عام ١٩٢٨م بعد أن قرر الإمام أن يترك مجال الصحافة ليستعد لعمل الدعوة سافر إلى حيدر آباد الدكن حيث كان شقيقه الأكبر يشتغل في دار الترجمة العثمانية وأفرغ نفسه للمطالعة استعداداً لهذا العمل الجليل، وذلك من عام ١٩٢٨م إلى عام ١٩٣٢م. ومع أنه قضى معظم وقته في المطالعة تمكن من تأليف أو ترجمة بعض الكتب خلال هذه الفترة وذلك

١ مجلة "تذكرة سيد مودودي" لخليل أحمد الحامدي (بالأردوية)، ص ٩٤٤، الصادرة من إدارة المعارف الإسلامية، منصور، لاهور، الطبعة الأولى، إبريل ١٩٨٦، وعلوم القرآن لمولانا كوهن رحمن (بالأردوية)، ج ٢، ص ٦٢٠ - ٦٢٢.

٢ المصدر نفسه، وعلوم القرآن لمولانا كوهن رحمن (بالأردوية)، ج ٢، ص ٦٢٢.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٦.

٤ انظر: الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين لحمديوسف بهته (بالأردوية)، ص ٣٥.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٤.

٦ أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٨.

٧ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهانه للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٦.

٨ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٤.

ليكسب ما يعيش عليه. فأما الكتب التي ألفها خلال هذه المدة فهي: (تاريخ السلاجقة)، و (تاريخ الدكن). وأما الكتب التي نقلها إلى اللغة الأردية فهي: تاريخ ابن خلكان (الأجزاء المتعلقة بالفاطميين)، والأسفار الأربعة للشيخ صدر الدين الشيرازي في الفلسفة^١.

بداية حياته الدعوية:

في عام ١٩٣٢م تولى الإمام المودودي إدارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية التي كانت تصدر من مدينة حيدر آباد (الدكن) ٣، وبدأ يقدم فيها دعوته ورسائله بعزم جديد وأسلوب فريد، وكان شعارها "احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلّقوا فوق العالم"، وظل يصدرها حتى وفاته عام ١٩٧٩م، وما زالت تصدر إلى اليوم.

وألّف كتباً عديدة في من عام ١٩٣٢م إلى عام ١٩٣٧م منها:

- الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها.
- مسألة الجبر والقدر.
- نحن والحضارة الغربية.
- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.
- المفاهيم الإسلامية حول الدين والدولة في محكمة العقل.
- الرسول والرسالة.
- التنقيحات والتفهيمات.
- حقوق الزوجين.
- تحديد النسل في ميزان النقد.

١ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره. حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٨.
٢ انظر: المصدر نفسه، والإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين لمحمديوسف بهته (بالاردوية)، ص ٣٦.
٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٥، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٩.
٤ الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٩.
٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٥.
٦ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٣.

- مباني الإسلام 1.
- أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة.
- الحجاب.
- الربا 2.

وكان من المعجبين بمجلة الإمام المودودي ودعوته الفريدة الدكتور محمد إقبال فقبله واقترح عليه أن يهاجر من "حيدر آباد" إلى "بنجاب"، فوافقه الإمام وهاجر من حيدر آباد (الدكن) إلى "بنجاب" عام 1938م حيث أسس إدارة "دار الإسلام"، ووقف أرضاً أحد أصدقائه الدكتور محمد إقبال على خدمة الإسلام³، وبهذا تمكن من تحريك نشاطه ومساعيه بسرعة شديدة في سبيل حركته ودعوته الإسلاميتين⁴، وكان في نفس الوقت عرضت عليه الجامعة العثمانية أن يعمل أستاذاً بها براتب كبير، ولكنه رفض هذا العرض مع أن وضعه الاقتصادي كان يتطلب قبوله ذلك، خاصة وهو لم يكن يعرف شيئاً عن مصيره في بنجاب⁵، ولم يمض على هجرة الإمام إلا شهر ونصف حتى بلغه خبر وفاة الدكتور محمد إقبال فكبت في رثائه: "فقدت أكبر سند لي في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم"⁶، ومن الجدير بالذكر أن مشروع "دار الإسلام" قد انتشر في مجلة "ترجمان القرآن" قبل هجرة الإمام المودودي من حيدر آباد،

١ ترجم هذا الكتاب إلى ثلاثين لغة في العالم واهتمى به الكثيرون إلى الإسلام صدرت منه الملايين من النسخ. ووردت إلى المؤلف آلاف الرسائل من الذين قرأوا هذا الكتاب فأسلموا. ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب ألف في أسبوع بطلب من إدارة التربية والتعليم بحيدر آباد (الدكن) بوضع الكتاب في التربية الإسلامية للصف التاسع والعاشر. (انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص 25-26).

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص 425، و انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص 23.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص 63، 425-426، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص 29.

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص 63.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص 133، والمصدر السابق، ص 61.

٦ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص 29-30.

فقد بين الإمام فيه أن تكون قرية " دار الإسلام " قرية إسلامية نموذجية تقام فيها الحياة الفردية والاجتماعية على الأسس الإسلامية السامية فوجه الإمام دعوته لكل من يعجبه هذا المشروع ويرغب في الإقامة بـ " دار الإسلام " ١.

وارتحل الإمام إلى " لاهور " بعد حوالي ثلاثة أشهر من هجرته لما حصل بينه وبين صاحب الوقف من خلاف حول غايات هذا الوقف. ففي " لاهور " عرض عليه القائمون بالكلية الإسلامية أن يكون محاضراً بها، فقبل ذلك العرض ولكن كمحاضر الشرف وبقي سنة كاملة يلقي محاضراته في الكلية عن الإسلام ودعوته ٢.

الحياة السياسية في عصره :

إن شبه القارة الهندية في تلك الفترة كانت منقسمة إلى معسكرين كبيرين: معسكر موال لحزب المؤتمر الوطني بزعامة الغاندي ونهرو. هذا المعسكر كان يناهز بوحدته الشعب الهندي وكان يتبنى فكرة القومية الهندية. وبالتالي كان يجارب تقسيم البلاد إلى الهند وباكستان. ومعسكر آخر كان مواليا لحزب الرابطة المسلمة بقيادة محمد علي جناح الشهير بالقائد الأعظم. والسواد الأعظم من مسلمي الهند مع هذا المعسكر. وكان شعارهم القومية المسلمة وكان يطالب بإنشاء باكستان في المناطق التي يعيش فيها المسلمون بالأغلبية والإمام المودودي فند بكل صراحة نظرية القومية الهندية. وألف في ذلك كتابين : " المسلمون والصراع السياسي الحالي " (جزءين)، "ومسألة القومية" في فترة عام ١٩٣٧-١٩٣٨م. والإمام كان مؤيداً لفكرة إنشاء باكستان بعد التقسيم، ولكنه لم يرتح إلى قيادة معسكر التقسيم، لأن فكرة التقسيم لم تبين على أساس الإسلام، بل على أساس القومية المسلمة، وكان رأى الإمام أن هذه القيادة لا تستطيع إقامة دولة باكستان على أساس الإسلام. بل لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه وإنهم سيكونون أول من يجارب الإسلام في دولة باكستان الإسلامية ٣.

وفي عام ١٩٣٩م ألقى محاضرة بعنوان "الجهاد في سبيل الله" في قاعة بلدية لاهور، وأخرى عام ١٩٤٠م بعنوان "منهج جديد للتربية والتعليم" في دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو،

١ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٣٣.

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، دعوته، وجهاه للأستاذ خليل الحامدي، ص ٣٠.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤١-٤٢٦، والمصدر السابق، ص ٢٨-٣٩.

والثالثة فى عام ١٩٤١م بعنوان " معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها فى الإسلام " فى جامعة علي كره.

بداية حياته الحركية وتأسيس "الجماعة الإسلامية":

قضى الإمام فترة عام ١٩٣٩م - ١٩٤١م فى إيضاح ملامح الحركة الإسلامية أمام المسلمين، فكتب عدة كتب منها: "تجديد وإحياء الدين"، "كيف تقام الحكومة الإسلامية"، "بحث عن العبادات الإسلامية"، و"النظرية السياسية فى الإسلام"٢. ولما أحس الإمام أن فكره قد انتشر وأن مجموعة من الناس قد اقتنعوا بفكرته دعا عن طريق مجلته "ترجمان القرآن" لتجمعهم فى "لاهور" لتأسيس الجماعة الإسلامية فاجتمع ٧٥ شخصا، وأسسا الجماعة الإسلامية فى ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤١م الموافق ٢ من شعبان عام ١٣٦٠هـ وانتخب أميرا لها. وفى هذه الفترة أتم كتابه "المصطلحات الأربعة فى القرآن"٣.

لقد اعتقد الإمام أن الوصول إلى الهدف النبيل فى حياة المؤمن لا يتم إلا عن طريق الاسترشاد بهدى القرآن الكريم، ومن ثم عقد العزم على أن يقوم بتفسير القرآن الكريم تحت عنوان (تفهيم القرآن)، وذلك بعد ستة أشهر من تأسيس الجماعة الإسلامية فى فبراير عام ١٩٤٢م٤. وبدأ الإمام دعوته فى الهند عن طريق "ترجمان القرآن" وعقدت الجماعة الإسلامية اجتماعات دينية خالصة فى مختلف أنحاء الهند، وفى هذه الفترة كتب عدة كتب منها: "طريق الأمان"، و"دين الحق" و"الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية"، و"وجهة النظر الأخلاقية فى الإسلام"، و"شهادة الحق"٥.

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٣٠.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٦.

٣ انظر: المصدر السابق، ص ٤٢٦، و ٤٣ - ٤٥.

٤ انظر: "تفهيم القرآن كن حالات مي لكهي كني" (فى أي ظروف كتبت تفهيم القرآن)، خطبة للإمام المودودي منشورة فى العدد الخاص لمجلة "آئين الأسبوعية" بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، ص ١١٥، الصادرة من مكتب آئين الأسبوعية، لاهور، المجلد ١١، العدد ٧، الصادر بتاريخ ١٥ من ديسمبر عام ١٩٨٢م.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٧.

قيام باكستان وكفاح الإمام:

في أغسطس عام ١٩٤٧م قامت باكستان، وتوزع عمل الجماعة في القطرين : الهندي، والباكستاني، وصار لكل منهما نظام ومنهج مستقل، يقوم كل منهما على الدور الموكل إليه. وبعد التقسيم مباشرة ظهرت حالة من الفساد خاصة في البنجاب الشرقي بأكمله، وظهرت قضية المهاجرين المسلمين الذين طردهم الهنالك، وانتقل الإمام المودودي مع زملائه من "دار السلام" إلى "لاهور" حيث أسس مقر الجماعة ومركزها وحيث يتم إصدار مجلة "ترجمان القرآن" أيضا. واستدعى الإمام المودودي رجال الجماعة الإسلامية بباكستان وكلفهم بالمشاركة في خدمات الدعم، والمساعدة الخيرية في معسكرات المهاجرين. وبدأ يعمل على إيقاظ الشعور السياسي لدى الناس، وإعداد زمرة صلحة للقيام بإقامة دولة الإسلام في المنطقة، وأهم المحاور التي دار الحديث حولها في هذه الفترة كانت عبارة عن:

- النظام الاجتماعي في الإسلام.
- القانون الإسلامي.
- الدستور الإسلامي.
- الدولة الإسلامية.

وقام المودودي بالقاء محاضرات مستمرة يشرح فيها النقاط السابقة ويحيب على أسئلة السائلين، حتى اتضحت فكرة الدولة الإسلامية لدى العامة والخاصة.^٢

ومن الأعمال الكبيرة التي قام بها الإمام المودودي هو جهاده الطويل لإقامة دولة الإسلام في باكستان. حيث لقي في سبيله عدیدا من الغن والشعب، وكان على يقين أن الخوض في هذا الميدان يعني سلوك طريق محفوف بالأشواك. كما كان يعرف أن هذا هو سبيل المؤمن الصادق الراض لكل طاغية واستبداده، إذ لا يجتمع في قلب المؤمن: الإيمان بالله إلهها واحدا، وحاكما مشرعا واحدا مع الإقرار بمن سواه مصدرا للتشريع. فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه^٣.

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٤٠.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٧٣ - ٧٥، و ٤٢٧.

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٥٣.

ومن المعروف أن زمامة السلطة في باكستان كانت بيد طبقة متفرجة تثير الشبهات حول الإسلام، وصلاحيته كنظام للدولة بعد قيام باكستان بشهور، على الرغم من أن الأمر كان مقررا مسبقا أن يكون الإسلام هو منهج دولة باكستان؛ ولذا بدأ الإمام المودودي بجهاده في وضع قواعد الدولة، فألقى محاضرتين في فترتي يناير، وفبراير من العام ١٩٤٨م في كلية الحقوق بـلاهور أمام رجال القانون تحت عنوان "القانون الإسلامي، وطرق تنفيذه في باكستان". ثم أعد بحوثا أخرى لإعداد الجو الفكري المؤيد للإسلام "كحقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية". و"مقتضيات الحرية والإسلام"، و"لماذا ندعو إلى النظام الإسلامي؟"، وكل - تلك البحوث يضمها كتابه: "الدولة الإسلامية" ١.

وفي شهر مارس عام ١٩٤٨م ألقى خطابا للشعب في اجتماع عام بكراتشي، وقدم أربع نقاط تحت عنوان "المطالبة بالنظام الإسلامي" :

١. باكستان هي ملك لله فقط وعلى الحكومة الباكستانية أن تقيم نظاما يرضي الله.
 ٢. يجب القضاء على القوانين التي تخالف الشريعة الإسلامية، ولا يتم إجراء أي قانون مستقبلا يكون مخالفا للشريعة الإسلامية.
 ٣. القانون الأساسي لباكستان هو الشريعة الإسلامية.
 ٤. أن تقوم الحكومة الباكستانية بتحديد سلطاتها طبقا لحدود الشريعة ٢.
- وفي مارس عام ١٩٤٨م ازداد الضغط على الحكومة من قبل الجماعة الإسلامية في قضية المطالبة بالنظام الإسلامي، ففي ٤ من أكتوبر عام ١٩٤٨م حين عجزت الحكومة على الرد على "المطالب الإسلامية" أُلقت القبض لأول مرة على الإمام المودودي، وعلى قادة الجماعة الإسلامية المؤسسين، إلا أن حركة المطالبة بالنظام الإسلامي استمرت ٣. وفي هذه الفترة كتب الإمام المودودي:

- نظام الحياة الإسلامي.
- وسائل تنفيذ القانون الإسلامي في باكستان.

١ انظر : المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥٥ .

٢ انظر : أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٤٢٨ .

٣ انظر: المصدر السابق، ص ٤٢٩ .

• حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية.

• كتاب الربا.

• مسألة ملكية الأرض.

• المجلد الأول من تفسيره: " تفهيم القرآن " ١ .

وفي ١٢ من مارس عام ١٩٤٩م نشطت حركة المطالبة بتطبيق الإسلام بتعاون شعبي كبير لدرجة أن الحكومة أجبرت على الموافقة على "قرار الأهداف" الذي يحدد الوجهة الصحيحة لباكستان^٢. وملخصه: "إن الحاكمة في باكستان لله - سبحانه وتعالى-، وأن الحكومة ملزمة بتطبيق ما يريده الحاكم الأعلى وهو الله". ولا يزال هذا القرار يعتبر أساس الدولة الباكستانية. ومن الجدير بالذكر أن مشروع القرار عرض على الإمام في السجن بطريقة سرية لأخذ الموافقة^٣. وفي ٢٨ من مايو عام ١٩٥٠م أطلق سراح الإمام وزملائه، بعدما قضوا في السجن عشرين شهرا إلا خمسة أيام^٤.

وفي سبتمبر عام ١٩٥٠م أصدرت الحكومة توصيات لمبادئ الدولة، وكانت تنافي روح الإسلام، بل كانت مناقضة لروح قرار الأهداف في الوقت ذاته، فأصدر الإمام استنكاره بكل قوة، وأبدى ملاحظاته على التوصيات في احتفال شعبي بمدينة "لاهور" فاضطرت الحكومة لسحبها، مطالبة العلماء بالاتفاق على ترتيب مسودة دستور إسلامي، ظنا منها أن العلماء في باكستان لا يمكنهم الاتفاق على دستور واحد، إلا أن العلماء فاجؤوها حيث اجتمع ٣١ عالما ممن يمثلون كل الأحزاب الدينية في باكستان. وفي ٢١ من يناير عام ١٩٥١م اتفقوا على ٢٢ نقطة دستورية بمدينة كراتشي، وكان للإمام دوره البارز في هذا الاجتماع^٥.

١ انظر: المصدر نفسه، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٥٦ .

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٩ .

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٥٧ .

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٠ .

٥ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٥٧ .

٦ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦، والمصدر السابق، ص ٥٨ .

وفي ١٠ من نوفمبر عام ١٩٥١م عقدت الجماعة الإسلامية مؤتمرها العام على مستوى البلد، وألقى الإمام في ذلك المؤتمر خطبا احتوت على عدة موضوعات، مثل: "ماضي المسلمين وحاضرهم"، و"برنامج العمل في المستقبل"، و"القضايا الداخلية والخارجية للبلاد"١. وفي نفس الفترة أَلَفَ الإمام كتابه المعروف: (أسس الدستور الإسلامي في القرآن)، رداً على التحدي الذي تقدم به الحامي الشهير السيد بروهي، والذي كان مؤداه: "من يبين لي أن في القرآن دستورا إسلاميا فأكافئه بخمسة آلاف روبية"، وبعد أن قرأه الحامي اقتنع بأن القرآن كتاب هداية في جميع نواحي الحياة، وأن فيه دستورا إسلاميا تقام عليه الدولة في العصر الحديث، ليس هذا فحسب بل قدم السيد بروهي فيما بعد في الجمعية التأسيسية مشروعاً دستورياً تبنى فيه أسسا للدستور الإسلامي، يضاف إلى ذلك أن الإمام ألقى بهذا الصدد محاضرة في كراتشي بعنوان "تدوين الدستور الإسلامي"٢.

وفي شهر مايو لعام ١٩٥٢م عقد مؤتمر جميع الأحزاب بكراتشي من أجل التخاذ قرار باعتبار القاديانيين أقلية غير مسلمة٣، وذلك بعدما حدثت في مقاطعة بنجاب اضطرابات عنيفة بينهم وبين المسلمين قتل فيها المئات من المسلمين، وأَلَفَ الإمام المودودي في هذه الظروف الكتيب الشهير باسم (المسألة القاديانية)، ولقد كشف الإمام فيها عن عقائد هذه النحلة، ومؤامراتها الرهيبة ضد المسلمين. فلتخذ حاكم باكستان "السيد غلام محمد" من تلك الاضطرابات مبررا لإعلان الحكم العرقي في بنجاب، وكذلك لإلغاء الجمعية التأسيسية مع دستورها الجديد. ثم ألقى القبض على الكثيرين من المسلمين وعلى الإمام المودودي للمرة الثانية بتهمة تأليف الكتيب المذكور٤.

وفي ١١ من مايو عام ١٩٥٣م حكمت المحكمة عليه بالإعدام بسبب الكتيب المذكور، وقد سمع هذا القرار بوجه باسم وقلب متفتح. وأخبر بأنه لا يحق له أن يدير قضية ضد حكم المحكمة العسكرية ولكن يمكن له أن يقدم الاسترحام خلال الأسبوع، فاحمر وجهه وأجاب بمتنهي

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦ - ٤٣٣ .

٢ انظر : أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٥٩ .

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٣ .

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٢ - ٦٣ .

الرزانة : " لا أسترحم أحداً لأن أحكام الموت، والحياة لا تتخذ في الأرض وإنما تصدر من السماء، فإن كان السماء قررت موتي فلا يستطيع أحد إنقاذي منه. وإن لم تكن اتخذت القرار بالموت فلا يستطيع أحد أن يضرني ولو قيد شعرة " ١. ثم توجه الإمام إلى معارفه قائلاً: " لا يُقدّم أحد منكم الاسترحام، لا والدتي، ولا أخي، ولا زوجتي، ولا أحد من أولادي، وأرجو كذلك من زملاء الدعوة أن لا يقدموا لأجلي الاسترحام " ٢.

وظهر رد الفعل في صورة برقيات الاستنكار من سائر أنحاء العالم الإسلامي، تستنكر وتطلب من الحكومة سحب هذا الحكم على الفور، وكان من الذين أرسلوا برقيات الاستنكار من العالم الإسلامي العلامة حسن المضيبي مرشد الإخوان المسلمين في مصر، والعلامة نور المشايخ المجددي، والعلامة نور المشايخ ملاشور بازار من أفغانستان، وعلماء الجزائر، والشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين الأعظم ورئيس المؤتمر الإسلامي، والشيخ أجد الزهاوي إمام أهل السنة والجماعة في العراق، وآية الله محمد الخالص مجتهد الشيعة الأعظم في العراق، والمسلمون المقيمون في إنجلترا، وقام الشعب السوري بالظاهرات أمام سفارة باكستان، كما انتشرت المقالات الخاصة في الصحف الإسلامية^٣. ومن الجدير بالذكر أن برقيات الاستنكار من الدول غير المسلمة أيضاً وصلت، وهكذا اضطرت الحكومة إلى أن تغير حكم الإعدام إلى حكم

١ انظر: "جب صاحب تفهيم القرآن كو سزائي موت كا حكم سنيا كيا" (حينما وصله الحكم بإعدامه) للسيد طفيل محمد، مقل منشور في العدد الخاص مجلة "آئين الأسبوعية" بمناسبة اكمال تفهيم القرآن، ص ١٨٦ - ١٨٧، والمصدر السابق، ص ٦٣.

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٣.

٣ انظر: الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردوية)، ص ١١٦ - ١١٨، الطبعة الخامسة مايو عام ١٩٨٧م، إداره ترجمان القرآن، منصوره، لاهور .

٤ انظر: " جب صاحب تفهيم القرآن كو سزائي موت كا حكم سنيا كيا" (حينما وصله الحكم بإعدامه) للسيد طفيل محمد، مقل منشور في العدد الخاص مجلة "آئين الأسبوعية" بمناسبة اكمال تفهيم القرآن، ص

السجن المؤبد. وفي عام ١٩٥٥م قامت المحكمة العليا باصدار حكم العفو عن الإمام المودودي وزملائه بعد خمسة وعشرين شهرا من الاعتقال.

واستمرت الجهود من أجل إعداد الدستور الإسلامي إلى أن استبشر الشعب الباكستاني بصدور دستور إسلامي جديد بتاريخ ٢٣ من مارس عام ١٩٥٦م، والذي قبلته كافة الجماعات بباكستان، وقبلته الجماعة الإسلامية مع بعض التعديلات، وقال الإمام المودودي في تصريح له: "نبدأ اليوم حياة جديدة، حياة شعب حر قد قرر بلسان ممثليه أن الحاكمية في باكستان لله - عز وجل - وأن السلطة أمانة من الله في عنقه، لا يزاولها إلا في حدود وضعها الله ورسوله، فلحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله".

وفي يونيو عام ١٩٥٦م تلقى الإمام المودودي دعوة من قبل مؤتمر العالم الإسلامي بدمشق لحضور جلسات المؤتمر هناك، فسافر إلى سوريا لحضور المؤتمر، والتقى بزعماء الحركات الإسلامية من أقطار العالم، وانتخب رئيساً لهيئة التبليغ والدعوة الإسلامية لمؤتمر العالم الإسلامي.

ولكن لم ينق الشعب الباكستاني حلاوة الدستور الإسلامي بعد إلى أن قام الجنرال أيوب خان رئيس أركان الجيش بالانقلاب العسكري في ٨ من أكتوبر عام ١٩٥٨م، وألغى البرلمان

-
- ١ انظر: الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردوية)، ص ١١٦ - ١١٨.
 - ٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٤، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٤.
 - ٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٥، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٥.
 - ٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٥.
 - ٥ انظر: أبو الأعلى المودودي صفحات من حياته، وجهاده لأحمد إدريس، ص ٦٨، نقلا عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٥.
 - ٦ " سيد مودودي مه وسال كي آئيني مي " (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) لمحمد شاهد رفيع، مقلد منشور في العدد الخاص مجلة "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٧.

وطويت صحف الدستور، وأدخلت البلاد في دوامة من الحن والمتاعب الجديدة^١. وأوقف كل ما يكون بصلة مع النظام الجمهوري وألغى جميع الأحزاب السياسية لأربع سنوات كاملة، واضطر القائمون على الدعوة إلى القيام بالدعوة الفردية، وظل الإمام المودودي يواصل مسيرته الجهادية^٢.

كان عهد أيوب خان فترة خصبة لأعداء الإسلام حيث إنهم وجدوا الجو مناسباً فباضوا وأفرخوا، وخاصة فئة منكري السنة المعروفة بالفئة البرونزية التي رفعت رأسها، وازدهرت تحت رعاية فائقة من الحكم العسكري، وأصبحت تثير البلبلة الفكرية حول السنة النبوية، وتصدر كتباً ومجلات مضللة تقوم أجهزة الحكومة على توزيعها. فالإمام لم يتحمل هذا التضليل السنوي من الحكومة، ونزل إلى الميدان، وتناول أضراباً هذه الفئة الضالة، وأكاديبها واحدة بعد الأخرى في مجلته، ودحضها علمياً وتاريخياً وعقلياً دحضاً قضى على الفئة نهائياً. ويحتوي كتابه "مكانة السنة في التشريع" على تفاصيل هذه المعارك الفكرية التي خاضها الإمام مع تلك الفئة الضالة، والتي كانت سبباً في إرسال الإمام ثلاث مرات إلى السجن في العهد العسكري حيث تعرض للقهْر والظلم^٣.

الرحلة إلى أرض القرآن

وفي ٣ من نوفمبر عام ١٩٥٩م قام الإمام المودودي برحلة امتدت من ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩م إلى ٥ من فبراير عام ١٩٦٠م إلى أرض القرآن ليشاهد الأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وكتب السيرة، وذلك ليتمكن من فهم الآيات التي ورد فيها ذكر هذه الأماكن فهماً دقيقاً ومن ثم

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٥ .

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

٣ انظر: المصدر السابق، ص ٤٣٦ .

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٦ - ٦٧ .

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٣٨ .

يتمكن من تفسيرها وتفهمها بخرائط هذه الأماكن وصورها كما هي موضحة في تفسيره اليوم. وشاهد الإمام خلالها الأماكن التي تقع في الحجاز، والأردن، والشام، ومصر والكويت، غير أنه لم يزر العراق؛ لأنها آنذاك كانت تعيش حالة سياسية متوترة ولم يكن لمثل الإمام صاحب العقل الراجح أن يوقع نفسه في مظان التهلكة المحتملة^١

عضوية مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :

وفي عام ١٩٦١م تلقى الإمام المودودي الدعوة من قبل حكومة المملكة العربية السعودية ليعرض عليها مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وسافر الإمام إلى الرياض في ديسمبر عام ١٩٦١م وعرض المشروع على القائمين بالجامعة وناقش الموضوع معهم حتى تم الاتفاق على المنهج الدراسي والتربوي في الجامعة واختير الإمام عضواً لمجلس الجامعة^٢.

عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي :

وفي عام ١٩٦٢م تلقى الإمام المودودي دعوة أخرى من قبل حكومة المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وفي ١٨ من مايو عام ١٩٦٢م سافر الإمام إلى المملكة العربية السعودية لحضور ذلك المؤتمر وألقى فيه محاضرة بعنوان "العدالة الاجتماعية في الإسلام" ثم قرر المؤتمر تأسيس رابطة العالم الإسلامي لمواجهة التحديات والمؤامرات التي يواجهها الإسلام واختير الإمام عضواً للمجلس التأسيسي للرابطة^٣.

١ انظر: الرحلة إلى أرض القرآن للأستاذ محمد عاصم الحداد (بالأردنية)، الفيصل، اردو بلزار، لاهور .

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٩.

٣ انظر: سيد أبو الأعلى المودودي للشودري عبد الرحمن عبد، ص ٢٩٣، نقلا عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٧ .

٤ انظر: المصدر السابق، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، نقلا عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

وفي عام ١٩٦٣م أعلن أيوب خان دستوراً جديداً للرئاسة يخالف الإسلام، فانتقده الإمام بالنقد الشديد، وأبرز بكل جرأة نواحيه الخطيرة التي أريد بها توطيد دعائم النظام الدكتاتوري في باكستان. وأبلغ صدهاء إلى أقاصي البلاد فاهتزت به أركان العرش العسكري. حيث لم يدم بعده أكثر من خمس سنوات، حيث انهار هذا الصنم عام ١٩٦٩م.^١

وفي أكتوبر عام ١٩٦٣م أقامت الجماعة الإسلامية اجتماعها العام على الرغم من أن الحكومة لم يعجبها ذلك، فمنعت فيه استخدام مكبر الصوت فأخذت الجماعة طريقة قديمة للتبليغ وهي طريقة المكبرين فقام الإمام المودودي ليلقي خطابه الافتتاحي وكان الإمام المودودي يلقي خطابه كلمة كلمة وكان المكبرون يتناولونها متتابعين ويبلغونها إلى آخر الصفوف^٢ وبينما كان الإمام في خطابه إذ هجم عليه المشاغبون تحت إشراف من الشرطة فأخذوا يندسون في السرائق ثم فتحوا النيران وأطلق أحدهم الرصاص على الإمام، ولكن الله أنقذه منه، واستشهد العضو "الله بحش"، ويومها قال كلمته الحكيمة الشهيرة: "إن الحركة الإسلامية مثلها كمثل الماء الجاري، فإذا وجد صخرة في طريقه لا يحطم عليها رأسه، وإنما ينعطف بطبيعته يمينا أو يساراً ليتابع جريانه، ويترك الصخرة وراءه، تعض أناملها من الغيظ، وهكذا كل مكر سوف يبور، والله خير الماكرين"^٣.

وحين اقترحت الجماعة الإسلامية تسمية البلاد باسم "جمهورية باكستان الإسلامية"، ونادت بضرورة حصول الأفراد على الحرية وذلك في محضر طويل بلغ طوله ٩ أميل وقع عليه الشعب، وقدم إلى البرلمان، وتضمن أيضا الحقوق الأساسية في الدستور. فغضب الحاكم

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦ .

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٨ .

٣ انظر: المصدر نفسه.

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٨ - ٦٩ .

٥ انظر: المصدر السابق، ص ٦٩ .

وأصدر قراراً يحظر نشاط الجماعة بموجب قانون صنعه الإنجليز عام ١٩٠٨م، وألقي القبض على الإمام وعلى جميع أعضاء مجلس الشورى للمرة الثالثة في ٦ من يناير عام ١٩٦٤م. ولكن اعتبرت المحكمة العليا عمل الحظر والاعتقال غير قانونيين، وتم رفع الحظر المفروض على نشاط الجماعة وأطلق سراح المسجونين في أكتوبر عام ١٩٦٤م. وأثناء قيامه في السجن أكمل جزءاً كبيراً من تفهيم القرآن^٢. وكان الإفراج عن قادة الجماعة في الوقت الذي حان فيه موعد الانتخابات العامة لرئاسة جمهورية باكستان الإسلامية، وقد اتفقت الأحزاب السياسية المعارضة فيما بينها على ترشيح السيدة فاطمة جناح لتلك الانتخابات، وذلك لكونها شخصية بارزة كشيخة القائد محمد علي جناح مؤسس باكستان، فاضطر مجلس الشورى للجماعة الإسلامية إلى الموافقة على ذلك القرار، وذلك لأنه لم يبق هناك أي طريق لإنقاذ البلاد من النظام الدكتاتوري العسكري الذي قد أخضع وسائل الدولة لنشر المنكرات في البلاد. وأجريت الانتخابات في ٢ يناير عام ١٩٦٥م وقد استخدم أيوب خان وسائل الدولة خلال حملته الانتخابية، فضلاً عن الغش والتزوير، فاضطرت اللجنة الانتخابية أن تعلن عن النتائج المزورة التي تنص على فوز أيوب خان وفشل فاطمة جناح. ولكن تمكنت الجماعة خلال حملتها الانتخابية أن تبلغ رسالتها السامية إلى الشعب.

موقفه الحاسم من قضية كشمير المسلمة:

كان الاستعمار الهندي يراقب الفرصة المناسبة بغتتها للهجوم على جمهورية باكستان الإسلامية ففي ٦ سبتمبر عام ١٩٦٥م اعتدى على باكستان وذلك لأن باكستان كانت تؤيد جهاد

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦ - ٤٣٧، و ١٤٠.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٤٣٧.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٤١.

٤ انظر: سيد أبو الأعلى المودودي للشودري عبد الرحمن عبد، ص ٣٤٩، نقلاً عن أبو الأعلى المودودي عصره،

حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٢ - ١٥٣.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٣.

مسلمي كشمير لتحرير بلادهم من الاستعمار الهندوسي، فأصدر الأستاذ المودودي بياناً قال فيه: إن باكستان بصفتها دار الإسلام فرض على كل مسلم فيها أن يصد العدو حتى آخر قطرة من دمه^١، فقررت أحزاب المعارضة القيام بتأييد الدولة لمقاومة ذلك الهجوم، فاستدعى أيوب خان قادة المعارضة لمقابلته ليشاورهم في ذلك الأمر فقابلوه فاتفقوا معه على خطة مقاومة الهجوم الاستعماري^٢، وفي ذلك الوقت تناسى الإمام كل أنواع الظلم والاعتداءات التي وقعت عليه وعلى زملائه من قبل الدكتاتور محمد أيوب خان، فقام هو وجماعته بخدمات جليلة، إضافة إلى أنه ألقى عدة خطابات بين يدي الشعب ومن الإذاعة في موضوع الجهاد ومتطلباته^٣، ووضح فيها أن سبيل الخلاص من الهناكة الجيابة، ووسيلة النجاة الوحيدة التي بإمكانها أن يأخذ بأيدي المضطهدين من مسلمي كشمير المحتلة إلى بر الأمان هي: الجهاد في سبيل الله^٤. وقام بمساعدة مهاجري الحرب^٥ ويقول البروفيسور أليف الدين الترابي: "وإني لأحد أولئك الشهود العيان للخدمات التي قامت بها الجماعة فأقيمت حوالي عشرة مراكز في شتى مدن كشمير الحرة لتوزيع التبرعات على هؤلاء اللاجئين كما أنشئت عدة "مستشفيات" لعلاجهم"^٦. وقد زار الإمام معسكرات المهجرين الكشميريين بنفسه، وذلك ليصفي إلى ما يحملونه من الأخبار المأساوية، والحكايات المفعمة بثقافة الظلم، والاستبداد التي تمارسها قوات الاحتلال الهندوسية في حق إخواننا من أهل كشمير المحترقة^٧. يضاف إلى ذلك أنه ألف كتيبه الشهير (القضية

١ مجلة "إشيا الأسبوعية" (لاهور) عدد ١٥/٩/١٩٦٥م، نقلا عن أبوالأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٣.

٢ انظر: سيد أبو الأعلى المودودي للشودري عبد الرحمن عبد، ص ٣٥٢، نقلا عن أبوالأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٣.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٧، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالاردوية)، ص ١٥١ - ١٥٢.

٤ انظر: القضية الكشميرية للإمام المودودي (بالاردوية)، ص ٨٩، و ٩٨، بدون تاريخ الطبع ومكان الطبع.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٧.

٦ انظر: أبوالأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٣ - ١٥٤.

٧ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٧، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالاردوية)، ص ١٥٢.

الكشميرية) لتوضيح هذه المسألة^١ ووزعت منه خمس وعشرون ألف نسخة باللغة العربية، وعشرون ألف نسخة باللغة الإنجليزية بين الحجاج في موسم الحج لعام ١٩٦٦م، وقد ترجم إلى اللغة التركية، الفرنسية، والسواحلية^٢.

وفي رمضان عام ١٣٨٦هـ الموافق يناير عام ١٩٦٧م أقي القبض على الإمام للمرة الرابعة، وذلك حين خالف الحاكم العسكري أيوب خان في تحديد يوم عيد الفطر المبارك، فقد كان الحاكم أعلن التعيد به قبل يومه الذي كان يوافق يوم الجمعة المبارك، وذلك لتجنب الخرافة التي كان يعتنقها والتي كانت تقول: إن حلول العيد يوم الجمعة وإلقاء الخطبتين (خطبة العيد وخطبة الجمعة) في يوم واحد أمر ينذر بانتهاك الحكم القائم. ولكن الإمام أصر على أن العيد أمر يثبت بالهلال، ولا علاقة له بأمر آخر مهما كان نوعه، فاعتقل لمدة شهرين، ثم أطلقت المحكمة العليا سراحه^٣. وفي ١٥ من سبتمبر عام ١٩٦٩م سافر الإمام المودودي إلى الرباط بالمغرب ليحضر مؤتمر التعليم الإسلامي العالمي الذي عقد بجامعة القرويين بفاس، وقرأ مقالا عن أهداف المقررات في الجامعات الإسلامية^٤.

وفي أول يونيو عام ١٩٧٠م أعلن أحد قادة اليساريين السيد بهاشاني أنه سيبدأ الحركة المباشرة للنظام الشيوعي فدعا الإمام المودودي الشعب لانهقاد مسيرات في يوم "عظمة الإسلام" في ٣٦ من مايو عام ١٩٧٠م أي قبل موعد بهاشاني بيوم واحد، وكان هدف تلك المسيرات الكبرى إبراز القوة الشعبية لمقاومة الشيوعية والمطالبة بتطبيق النظام الإسلامي. وقد الله أن وافقت أكثر الأحزاب السياسية على إقامة ذلك اليوم، وفي ٣٦ مايو عام ١٩٧٠م خرج

١ الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردوية)، ص ١١٣.

٢ انظر: "سيد مودودي مه وسال كي آئيني مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) لمحمد شاهد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص لمجلة "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٨.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٧، وانظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاه للأستاذ خليل الحامدي، ص ٧٠.

٤ انظر: "سيد مودودي مه وسال كي آئيني مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) لمحمد شاهد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص لمجلة "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٨.

الآلاف من الناس إلى شوارع المدن بباكستان في مسيرات ضخمة يرددون كلمة التوحيد، ويقال إنها كانت أكبر مسيرة في تاريخ لاهور.

إكمال تفسيره (تفهيم القرآن):

وفي ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٩٢هـ الموافق ٧ يونيو عام ١٩٧٢م تمكن الإمام المودودي من إكمال تفسيره (تفهيم القرآن) في مدة ثلاثين عاماً وأربعة أشهر. وفي ٤ من نوفمبر عام ١٩٧٢م اعتزل من إمامة الجماعة الإسلامية بعد واحد وثلاثين عاماً من الكفاح الطويل، وذلك لأسباب صحية، وانصرف إلى البحث، والكتابة، وبدأ بتأليف كتابه "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم".^١ واختير الأستاذ طفيل محمد أميراً للجماعة الإسلامية.

وفي ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٧٤م الموافق ٢٨ من رمضان المبارك عام ١٣٩٣هـ يوم الجمعة تشرف الإمام بوضع حجر أساس المسجد، وذلك في مقر الجماعة الجديد المسمى بـ " المنصورة " بـلاهور. وفي مايو عام ١٩٧٤م الموافق ١٠ من ربيع الثاني عام ١٣٩٣هـ لقب الإمام بـ " إمام المسلمين " في جلسة رابطة العالم الإسلامي. ومن الجدير بالذكر أن جهاد الإمام المودودي في مجال الدعوة وخدمة الإسلام لم يكن مقصوراً على شبه القارة الباكهنديّة فحسب، بل قد توسعت دائرته إلى البلاد الإسلامية كلها، وتقديراً لجهاده الطويل، وكفاحه المديد مُنح جائزة الملك فيصل العالمية الأولى لخدمة الإسلام والمسلمين عام ١٩٧٨م الموافق عام ١٣٩٩هـ. وكانت عبارة عن مائتي ألف

١ انظر: الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردوية)، ص ١٥٨.

٢ انظر: تفهيم القرآن للإمام المودودي، الخاتمة، ج ٦، ص ٥٧٥، الطبعة الخامسة يوليو ٢٠١٢م، الأهلية المحدودة ترجمان القرآن، لاهور.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٩.

٤ المودودي لنعيم صديقي (بالأردوية)، ص ٣٥٩، الطبعة السادسة عام ٢٠٠٦م، الفيصل، أردوبازار، لاهور.

٥ انظر: المصدر السابق، ص ٣٦١.

٦ " سيد مودودي مه وسل كي أنبي مي " (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) محمد شامد رفيع، مقل منشور في العدد الخاص لمجلة " دعوة الشهرية " عن السيد المودودي، ص ١٨.

٧ انظر: قرار هيئة جائزة الملك فيصل العالمية الصادرة في ٢ ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ نقلاً عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٦١ - ١٦٢.

ريال سعودي، وميدالية ذهبية قرر الإمام منحهما لمجمع المعارف الإسلامية بمنصورة (لاهور) لتصرف في مشاريعه الإسلامية.

المرض والوفاة :

وفي ٢٦ من مايو عام ١٩٧٩م بعدما اشتد عليه المرض قرر أن يسافر لعلاج إلى أمريكا حيث كان ابنه الدكتور أحمد فاروق المودودي طبيياً في مدينة (بوفالو: Buffalo) ٢. هناك أجريت له عملية لقرحة المعلة بعد شهر، مما كان سبباً في نوبة قلبية شديدة فشل على إثرها كبده، وكيلته الرحيطة، ولشدة ما كان يجد أعني عليه. وفي ٢٢ من سبتمبر عام ١٩٧٩م تعرض لنوبة قلبية جديدة كانت سبباً في وفاته، وانتقاله من دار البوار، إلى دار القرار مليباً نداء ربه الرحيم^٣، وذلك بعدما عمّر ٧٦ عاماً كلها جد واجتهاد، ونضال وكفاح، وخدمة لا تعرف إلى الدعة والراحة سبيلاً.

وفي ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٧٩م أقيمت عليه الجنازة الأخيرة في ملعب/ ميدان القذافي بلاهور^٤ أمها الشيخ يوسف القرضاوي، وشارك فيها الأستاذ سيف الإسلام حسن البناء من مصر، وعبد العزيز العلي المطوع من الكويت، وسعيد حوى من سوريا، وعبد الله عقيل سليمان العقيل من السعودية، وجمع غفير من أنحاء العالم الإسلامي، فكانت جنازة مهيبة، وحشداً هائلاً، وموكباً عظيماً يدل على مكانة الرجل، وتقدير الناس له، والوفاء لجهده وجهاد في سبيل الإسلام، وتبليغ رسالته، والدفاع عن قضايا المسلمين، والتصدي لأعداء الإسلام، من الصهاينة والصلبيين، والشيوعيين، والعلمانيين، والمنحرفين، والهدامين الذين يكيدون للإسلام

١ انظر: مجمع المعارف الإسلامية للأستاذ خليل الخامدي، ص ٧، نقلاً عن أبوالاعلى المودودي عصره حياته دعوته مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٦٢.

٢ انظر: الأشجار الوارفة للسيدة حميرا المودودي، ص ٩٥.

٣ انظر: المودودي لتعميم صديقي (بالأردوية)، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

٤ " سيد مودودي مه وسأل كي آئني مي " (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) لمحمد شاهد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص لمجلة " دعوة الشهرية " عن السيد المودودي، ص ١٩.

والمسلمين^١. ودفن -رحمه الله- في جانب من منزله بلاهور. وقد أقيمت صلاة الجنازة عليه اثنتي عشرة مرة في بقلو، ونيويورك، ولندن، وكراشي، ولاهور^٢. وقد صُلي عليه صلاة الغائب في المملكة العربية السعودية في الحرمين الشريفين وفي سائر المساجد في المملكة، وكذلك في بعض البلاد الإسلامية الأخرى^٣.

وما تقدم نستطيع أن نستخلص أن الإمام المودودي -رحمه الله- هو عملاق الفكر الإسلامي المعاصر ومجدد القرن الرابع عشر الهجري^٤ ومؤسس الجماعة الإسلامية وأول من فاز بجائزة الملك فيصل العالمية وصاحب فكرة إنشاء "الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة" وعضو مجلس الجامعة نفسها كما كان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة^٥. وكانت شخصيته تمثل ثورة في ديلجير^٦ الظلام، ثورة إيجابية بناءة تسعى لتربية رجال يقدرون على حمل الأمانة التي عجزت عنها السموات والأرض والجبال الراسيات، وتأسيس جيل لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإنشاء حزب صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

فعبقرية قلمه سطرت له مجدا انطلق منه ليتخطى حدود المكان ويتجاوز قيود الزمان ومؤلفاته تتجاوز المائة والأربعين كتاباً، ورسائله ومقالاته تتجاوز الألف وتُرجم أكثرها إلى

١ انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٥٧، الطبعة الثامنة عام ١٤٢٩هـ/عام ٢٠٠٨م، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢ انظر: "سيد مودودي مه وسل كي آئيني مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) ل محمد شاهد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص ل مجلة "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٩.

٣ انظر: أبوالأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٦٢.

٤ انظر: عملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي، مقال من إعداد: نور محمد جمعة أستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ومنشور على موقع: صيد الخزانة www.saaaid.net/aldawah1316.htm

٥ انظر: مجلة "المجتمع" العدد: ١٨١٧، ص ٥٧.

٦ جمع ديجور، وهو الظلام (لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي: ٢٧٨/٤، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت).

معظم لغات العالم. يقول البروفيسور أليف الدين الترابي: "...إن العديد من تأليفات الأستاذ قد ترجمت إلى أكثر من خمس وثلاثين لغة من لغات العالم الحية وتنتشر وتوزع هذه الكتب في العالم من شرقه إلى غربه" ٢ فأصبحت ينابيع تجدد وعطاء فكريا ودعويا لرجل كافح ليرفع دعوته من مرحلة التنظير الفكري إلى مجال التطبيق العملي للتشريع الإسلامي حكما وقيادة.

وقد كان بمثابة الأب الروحي لكثير من كبار قادة الفكر الإسلامي فكتابه "المصطلحات الأربعة" أحدث ثورة في فكر شهيد الإسلام سيد قطب^٣ الذي أصبح وكأنه نسخة مصرية للمودودي الهندي وقد كان يعبر كل بلغته عن الفكرة الواحدة في آن واحد وكأن كلا منهما يلهم الآخر بمكنون صدره من خلال أثير الهواء إذ الأرواح جنود مجندة. وها هو المودودي وقد قرأ كتاب "معالم في الطريق" لمؤلفه سيد قطب في ليلة واحدة بمكة المكرمة يقول: إن ما ورد في هذا الكتاب هو نفس ما أراه بل كأني أنا الذي ألفته فقد عبر عن أفكاره بدقة ولا عجب فمصدر أفكاره وأفكاره واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

١ انظر: المصدر السابق و"الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبدالباقي، مقال منشور في مجلة "الشباب"، ص ٥، الصادر في عام ٢٠٠٧م، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للنور محمد جمعة.

٢ أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته، ص ٢١.

٣ والسيد قطب هو: سيد قطب بن إبراهيم، كاتب وأديب، ومفكر إسلامي مصري، عضو سابق في جماعة الإخوان المسلمين، ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في الجماعة، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين، ولد في قرية (موشا) في أسبوط سنة ١٩٠٦م، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، وبعد انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين اتهم بالتآمر على نظام الحكم، وصدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة ١٩٦٦م. يعتبر السيد قطب من أكثر الشخصيات تأثيرا في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية خمسينيات القرن الماضي، كتبه متداولة مطبوعة منها: "في ظلال القرآن"، و"التصوير الفني في القرآن"، و"المستقبل لهذا الدين"، و"معالم في الطريق". (انظر: الأعلام لخبر الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ١٤٧/٣-١٤٨، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، وموسوعة ويكيديا الحرة، وموسوعة الإخوان المسلمين على الإنترنت).

٤ راجع: من أعلام الدعوة الحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٤٨، و"الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبدالباقي، ص ٥، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للنور محمد جمعة.

لقد اتسم الشيخ رحمه الله بمجموعة من السمات حيث كان داعية الحق ومتحدث الإسلام ومنظر الحياة وأديبا خطيبا وقائدا سياسيا ومديرا ناجحا وكانت شخصيته بالغة الأهمية من كل النواحي السياسية والتاريخية والعلمية والأدبية يضاف إلى ذلك سيرته الحسنة وسلوكه الطيب - الأمر الذي يضفي عليها قيمة متفردة في زمانه!

ومن الصعوبة بمكان أن تُعنون شخصيته بعنوان معين؛ لأنه كان في آن واحد مؤلفا عظيما وأديبا باهرا وعالم دين ذا تجربة حركية وداعية ثائرا وقائدا سياسيا ومصالحا اجتماعيا ومجاهدا جريئا إلى مستوى أن خبر حكم إعدامه لم يجرؤ له ساكنا ولم يُقلق له بالاً كما أنه كان ممن لا يخافون في الله لومة لائم يقول الأستاذ "نعيم صديقي" بعد ذكر صفات الشيخ المتعددة: "إلا أن رأيي الشخصي أن نعتبره مفكرا ثائرا وبذلك نستطيع أن لجمع جوانب متعددة تحت عنوان موحد"^١.

وكان الشيخ رحمه الله يُعلن ثورته على كل موازين المجتمع المنغلقة ومعاييره التاريخية المختومة وعلى أوضاع الاجتماع العتيقة المهللة. وفي مقابل ذلك كان يفكر في ترويح الموازين البديلة والمعايير الأخرى والأوضاع المثلى. وكلما ترفض شخصية ما علما موجودا ويبدأ في تخطيط عالم جديد فإننا نعتبر ذلك الشخص المفكر الثائر^٢.

١ انظر: المودودي لنعيم صديقي (بالأردنية)، ص ١٨ .

٢ المصدر السابق، ص ١١ .

٣ راجع: كتاب تفضلوا بزيارة الإمام المودودي للأستاذ سعد جيلاني (بالأردنية)، ص ٣٣-٣٣ الطبعة الأولى فبراير عام ١٩٦٢م، آزاد بك دبو، سركوها (مغربي باكستان) ، وفتاوى المودودي "رسائل ومسانل" للإمام الجليل أبي الأعلى المودودي، الجزء الأول، ترجمة وتحقيق: محمد علي غوري، ص ٩، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ عام ١٩٩٤م، المركز العربي للخدمات، أردوبازار، لاهور، باكستان .

٤ انظر: الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين لمحمد يوسف بهته (بالأردنية)، ص ٢٤٥.

٥ انظر: كتاب إحياء الدين والإمام المودودي لخليل الرحمن جشتي (بالأردنية)، ص ١٠، الطبعة الأولى يوليو عام ٢٠٠٤م، منشورات، منصوره، لاهور .

٦ انظر: المودودي لنعيم صديقي (بالأردنية)، ص ١١٦.

٧ انظر: المصدر السابق، ص ١١٧ - ١١٨ .

ثناء العلماء والمفكرين عليه:

سأحاول في الأسطر القادمة أن أنقل الكلمات التي سجلتها أفلام بعض العلماء الأفاضل، والمفكرين البارزين، فممن أثنى عليه:

شهيد الإسلام سيد قطب

كان الشهيد سيد قطب يحلو له دائما أن يسمي المودودي بـ "المسلم العظيم" ١ .

العلامة الفيلسوف محمد إقبال

يقول الشاعر الإسلامي الكبير العلامة الفيلسوف محمد إقبال اللاهوري - رحمه الله - عن الإيمان المودودي : "إن هذا الشيخ يعرض دين الرسول صلى الله عليه وسلم بقلم مداده الدم" ٢ . "إن هذا الشيخ يعرض دين الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقلم مؤيد من الرسول - صلى الله عليه وسلم - إن شاء الله" ٣ . وكان ينصح دائما الشباب المسلمين باقتناء كتابه "الجهاد في الإسلام" وثنى عليه ٤ .

الأستاذ عمر التلمساني:

ويقول الأستاذ العلامة عمر التلمساني المرشد العام الثالث لحركة الإخوان المسلمين مقارنا بين الإمام حسن البنا الشهيد، والإمام أبي الأعلى المودودي - رحمهما الله - وبين منهجيهما في الدعوة الإسلامية قائلا : "إنهما بحق إماما الجيل الظاهران المتفردان، إنهما استمدا كل معلوماتهما، ومناهجهما وأساليبهما، ووسائلهما في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - من القرآن الكريم، وسنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - دون أخذ من هذا الفيلسوف، أو استمداد من ذلك الكتاب، فجاءت مدرستهما بعيدة كل البعد عما قد يعيب الدعوة الإسلامية بلبي فهم أو تفكير لا صلة له

١ من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٤٤ .

٢ الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبدالباقي، ص ٨، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للنور محمد جمعة.

٣ الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٨ .

٤ انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٤٤ .

بالإسلام"١. والناظر إلى ما لاقاه البنا من عنت وتهجم وإيذاء يرى نفس الشيء بالنسبة للإمام المودودي وكأنهما على ميعاد"٢.

الشيخ أبو الحسن الندوي

يقول الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبو الحسن الندوي في رثائه الحار للعلامة المودودي -رحمه الله- : "إنني لا أعرف رجلا أثر في الجيل الإسلامي الجديد، فكريا وعمليا مثل تأثير الراحل العظيم، فقد كان السيد جمال الدين الأفغاني من أقوى الشخصيات الإسلامية التي نبغت في القرن الماضي، وأكثرها نفوذا في عقول الشباب المثقف، وسيطرة بل سحرا عليها، وتأثيرا في الاتجاهات والأساليب الأدبية والكتابية والخطابية، حتى كان صانع جيل، ومفتتح عهد، ولكن الحق يقال: إن سيطرته العقلية والنفسية كانت محصورة في السخط على الأوضاع السياسية القائمة والاستعمار الأجنبي، وفي إثارة الأنفة والنخوة في الشعوب الإسلامية المحكومة في بلادها، والعمل للجامعة، دون فكر منسقة، أو دعوة واعية إيجابية، تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة، والنقد والتحليل العلميين للحضارة الغربية المادية، وقيمها وموازينها، مع شدة حنق هذا النابغة وتلميذه العملاق الشيخ محمد عبده على الأعمم الغربية التي قادت الحملة والزحف على العالم الإسلامي، وفي مقدمتها الشعب الإنجليزي والحكومة البريطانية، وكانت دعوة سلبية أكثر منها إيجابية. ولكن الأستاذ أبا المودودي رحمه الله قد قامت دعوته على أسس علمية، أعمق وأمتن من الأسس التي تقوم عليها دعوات سياسية، وردود فعل للاستعمار الأجنبي، وكانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية، وفلسفتها في الحياة وتحليلها تحليلا علميا، قلما يوجد له نظير في الزمن القريب، وقد عرض الإسلام ونظم حياته وأوضاع حضارته وحكمه وصياغته للمجتمع والحياة، وقيادته للركب البشري والمسيرة الإنسانية في أسلوب علمي رصين، وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف، وتملأ الفراغ

١ انظر: مجلة الدعوة المصرية، العدد الصادر في أول ذي الحجة عام ١٣٩٩ هـ ص ٤، نقلا عن أبا الأعلى

المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ٦-٧.

٢ الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبدالباقي، ص ٨، وعملاق

الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي)، للنور محمد جمعة.

الذي كان يوجد في الأدب الإسلامي من زمن طويل"١. "ومن مآثره الخالدة .. أنه حارب "مركب النقص" في نفوس الشباب الإسلامي فيما يتصل بالعقائد والأخلاق ونظام الحياة الإسلامية.. وكان لكتاباتة فضل كبير لإعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء الشباب بصلاحية الإسلام لمسيرة العصر الحديث"٢.

الدكتور يوسف القرضاوي:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي عن الإمام المودودي وعن سمات فكره:

"... هو في الواقع طبيب اجتماعي، ينفذ بعين بصيرته إلى حقيقة أدواء الأمة، ولا يكتفي بالنظر إلى الأعراض، دون أن يتعمق في معرفة الأسباب، والغوص إلى الأعماق، فإذا عرف حقيقة المرض لم يجعل دواءه مجرد مراهم تعالج السطح الخارجي، دون اجتثاث الجرثومة الداخلية، أو تصف مسكنات تخفف الألم برهة من الزمن، ولا تستأصل الداء من جذوره، وكان المودودي هنا طبيبا نطاسيا لأمته، عرف حقيقة دائها وجرثومتها الأصلية" وحدد الشيخ القرضاوي سمات الفكر المودودي في نقاط ثلاث وهي: الالتزام بالإسلام كل الإسلام، المعاصرة، المواجهة. ورأى ميزته في "أنه لم يكن مجرد مفكر أكاديمي، أو مصلح نظري، يعيش في برج عاجي أو في صومعة منعزلة، يفرغ فكره الإصلاحي على الورق، ثم لا يتحمل تبعه بعد ذلك، لقد كان للمودودي بجوار رسالته الفكرية العظيمة؛ رسالة علمية أخرى لا تقل عظمة عن الأولى، وهي: أن يحول فكره إلى حركة؛ وحركة إيجابية بناءة، تعمل على تأليف الرجال بعد تأليف الكتب والرسائل".

ومما أعجب به القرضاوي أيضا في الإمام المودودي إدراكه لفقه الأولويات، هذا الفقه الذي يغفل عنه كثير من الدعاة، يقول الشيخ: "والإمام أبو الأعلى المودودي كانت الأولوية عنده لمحاربة الجاهلية الحديثة، وردد الناس إلى الدين والعبادة بمعناها الشامل، والخضوع لـ "حاكمية الله" وحده، ورفض حاكمية المخلوقين، أيا كانت منزلتهم أو وظيفتهم، مفكرين أو قادة

١ انظر: مجلة الاعتصام، العدد ١٢، (ذو الحجة، سنة ١٣٩٩هـ)، نقلا عن النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي: ٥١٠/١ - ٥١١، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت.

٢ الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث لفصيح الله عبد الباقي، ص ٨، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) لنور محمد جمعة.

سياسيين، وإنشاء حركة إسلامية متميزة، ترفض فكرة الغرب في المدنية والاقتصاد والسياسة وحياة الفرد والأسرة والمجتمع، وتتخذ منهجاً خاصاً في الانقلاب أو التغيير، وظهر له في ذلك كتب ورسائل جمة، عبرت عن فلسفته في الدعوة إلى الإسلام وتجديده، وقامت جماعته لتبنيها ونشرها" (١). كما أن العلامة الدكتور يوسف القرضاوي يذكر العلامة المودودي مثنياً عليه الشناء العطر فيقول: "المفكر المجيد، صاحب النظر العميق، والتحليل الدقيق ناقد الحضارة الغربية على بصيرة، والداعي إلى نظام الإسلام عن بينة، صاحب الكتب والرسائل التي ترجمت إلى عشرات اللغات، الذي وقف في وجه دعاة التغريب، وأعداء السنة من القاديانيين، والمرترقة من الخرافيين، والقبوريين. مؤسس كبرى الجماعات الإسلامية في شبه القارة الهندية: العلامة أبو الأعلى المودودي الذي اتفقت أصول دعوته مع أصول دعوة حسن البنا، وإن لم يلتقيا، وإنما التقى أبناء المدرستين وتعاونوا في مجالات شتى، وخصوصاً في أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى" (٢).

الشيخ محمد رجب البيومي:

يقول الدكتور محمد رجب البيومي عن الإمام المودودي وعن مواقفه الإيمانية:
 "وموقف الإمام المودودي من الماركسية أشهر من أن يشار إليه، فقد كتب عنها ما صار سلاحاً باتراً لدى كل كاتب إسلامي، لأن علم المودودي الموسوعي، وعقله المبلور، وفكره المسننط ونظره العميق إلى شتى حركات الانقلاب في الكتلة الشرقية، مما جعله يضع النقاط على الحروف، والحق أن مفكراً كبيراً من طراز المودودي، يجب أن لا تخلو مكتبة في بيت كل مسلم من مؤلفاته، إذ يعطي المسلم ما لا يجده عند سواه، وكأنه في إعطائه الفسيح الزاخر مؤيد بروح الله" (٣).

١ راجع: الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث " لفصيح الله عبدالباقي، ص ٨-٩، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للنور محمد جمعة.

٢ انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٥٢.

٣ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي: ٥٢٢/٨.

المستشار عبد الله العقيل:

يقول المستشار عبد الله العقيل حفظه الله عن شخصية الإمام المودودي: "إن العلامة المودودي علم من أعلام الإسلام المعاصرين، ومفكر من مفكريه، وداعية من دعائه، أتاه الله الحكمة وبعد النظر، والعمق في الفهم، والصبر على العلم، والتأمل في الواقع، والدراسة الميدانية للأفكار الرائجة. والأوضاع السائدة، والتتبع لمصادر المعرفة، وتمييزها وتوثيقها، والنقد الموضوعي لحضارة الغرب، بأخذ الصالح منها وطرح غير النافع، وتقديم الإسلام حلاً لمشكلات الحياة في جميع جوانبها، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، وأتبعه بالبرامج العملية التي تصوغ الأخ المسلم وفق منهج الإسلام الحق"^١.

العلامة الشيخ بشير الإبراهيمي الجزائري:

يقول العلامة بشير الإبراهيمي الجزائري: "كان الإمام المودودي شخصية قلما اتفق لي أن رأيت مثلها، فقد كان رزق من المواهب العديدة ما يندر وجودها لشخصية واحدة"^٢.

عبد الماجد الدرايا آبادي:

وكان الشيخ عبد الماجد دريا آبادي يقول: "إن الله - عز وجل - شرح صدره لمواجهة فتن العصر الراهنة. وما فاض به قلمه بخصوص الجماعات الداعية للحق يعتبر فطرات الحياة الناهضة. وتعتبر شخصيته من هذه الناحية بين طبقات العلماء رفيعة المستوى وعالية الرتبة. وكان بحق مفكر الأمة"^٣.

الأستاذ طفيل محمد:

يقول الأستاذ طفيل محمد الساعد الأيمن للإمام المودودي وأمير الجماعة الإسلامية السابق (٨٧- ١٩٧٢ م): "لقد وجدته طوال الأعمار التي رافقته فيها مثلاً نابضاً بالنشاط والحيوية للدعوة الإسلامية المعاصرة"^٤.

١ من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٤٧- ٤٨.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٧٨، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٢٣٦.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٧٩، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٢٣٦.

٤ انظر: "الإمام المودودي رحمه الله (بالأردنية) للسيد طفيل محمد، مقل منشور في العدد الخاص لمجلة "ترجمان القرآن الشهرية" لثوية المودودي، ص ٣٩، الصادر لشهر مايو عام ٢٠٠٤م.

الأستاذ سيد سليمان الندوي:

يقول الأستاذ سيد سليمان الندوي: "إن العالم كله يعرف المكانة العلمية للمودودي. ولا شك في أنه مفكر الإسلام في هذا العصر، وعالم دين له مكانة عالية، قام بمحاربة الإلحاد القادم من أوروبا، وكان كالسد المنيع أمام طوفانه الذي طغى على الهند. عالم فاضل درس القرآن والحديث دراسة عميقة مكنته من أن يناقش جميع مشاكل العصر الحاضر على ضوءها بمنتهى الاطمئنان، وهذا هو السبب الذي يجعل الملحددين، والدهريين يرتعدون منه، ويهربون أمام أدلته، وحججه القوية، إن مسلمي الهند ومسلمي العالم السلامي ينتظرون من المودودي الكثير والكثير".^١

الأستاذ ملك غلام علي:

يقول الأستاذ ملك غلام علي: "أحسست بعد أن قضيت مع المودودي عدة أشهر أن حياته كتاب مفتوح، وبعد أن بقيت في خدمته فترة أحسست بكل وضوح أن باطنه أوضح من ظاهره، وأنه في خلوته أطيب منه في جلوته، فقلبه مملوء بالعواطف العميقة، والمحبة للإسلام، والأخوة الإنسانية". ← المصدر ؟

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨٢.

الشيخ أمين أحسن إصلاحي ١:

يقول الشيخ أمين أحسن إصلاحي: "إنني أعتبر المودودي رجلا عظيما جدا، فقل أن يولد مثله، لم أكن أعتقد أبدا أن الله سوف يهبه هذه السعادة ليشنق في يوم من الأيام، وهو يكافح في سبيل الله، لقد اختاره الله من بين آلاف الموجودين ليضعه في هذا المقام العظيم".

الأستاذ نعيم صديقي:

يقول الأستاذ نعيم صديقي: "بعد قراءة كتب المودودي يغرق الإنسان في الخيرة، والدهشة، كيف قام هذا الرجل رغم مشاغله وأعماله بإنتاج هذا العمل العلمي، وهذا الأدب القيم الضخم، إن هذا الأدب الذي أنتجه المودودي بشكل دائرة المعارف إسلامية" ٤٣.

١ هو: أمين أحسن الإصلاحي: ولد في ١٩٠٤م/١٣٢١هـ إحدى قرى منطقة "مبهور" الهندية. ودرس في إحدى مدارسها الشهيرة المسماة بـ "الإصلاح". وبعد التخرج عين مدرسا فيها سنة ١٩٢٥م. واستمرت استفادته من الشيخ الفراهي. وبعد وفاة شيخه تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن الباركفوري علم الحديث. وفي هذه الأثناء توثقت روابطه بالشيخ المودودي. وسنة ١٩٤١م حين تأسست الجماعة كان أحد شركائها، ثم انشغل في مهمة التأليف والكتابة والدعوة فيها. وسنة ١٩٥٧م عزل الجماعة بعد سبعة عشر عاما. وبعده بدأ بكتابة تفسير القرآن الكريم تحت عنوان "تدبر القرآن"، وأكمله في سنة ١٩٨٠م بعد ثلاث وعشرين عاما. ثم فتح إدارة تحت مسمى "تدبر القرآن والحديث"، وذلك لدراسة (لتقديم) التفسير وأصوله، والحديث ومبادئه. وقد كتب حوالي عشرين مؤلفا يضاف إليه ترجمته الأردوية لتفسير شيخه الفراهي المسمى بـ "نظام القرآن" التي كانت تطبع في رسالته المسمى بـ "الإصلاح"، وقد طبعت تحت عنوان "تفاسير الفراهي". وقد مات في ١٩٩٧م/١٤١٧هـ بمدينة "لاهور". (انظر: تفسير تدبر القرآن "دراسة نقدية" للحافظ افتخار-بزم اردو lib.bazmeurdu.net وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت (بالأردوية)).

٢ أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨٣ - ١٨٤.

٣ المصدر السابق، ص ١٨٤.

٤ وهناك غير هؤلاء من علماء الأمة ومفكرها ممن أدل بدلو الثناء عليه من أمثال: الشيخ قاري محمد طيب الأستاذ بندوة العلماء، والأستاذ مناظر أحسن الجيلاني، والأستاذ محمد منظور نعماني، والأستاذ الفريد سميت، المؤلف المشهور ذي المكانة العالية من غير المسلمين، والأستاذ أغا شورش الكشميري، والدكتور محمد عطاء الرحمن، والأستاذ محمد عثمان، والدكتور محمد يسين الزبيري، والشيخ سلطان أحمد اللكهنوي، ومولانا عبد القدوس البهاري، والأستاذ عامر العثماني، والأستاذ سيد حسن رياض، وغيرهم من رجال العلم، والأدب.

نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

لقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأنعم به عليها؛ ولذا تقبله المسلمون قبولاً حسناً فأقبلوا عليه دراسة وتعلماً وفهماً وتدبراً وتفسيراً، ومن هنا كان نشأة عدد من العلوم التي وقفها أصحابها لخدمة النصّ القرآنيّ، فكان علم التفسير في مقدّمة العلوم التي قدّمت خدمات جنيبة في سبيل تأويل الآيات الكريمة وتفسير معانيها في مختلف الأزمنة والأمكنة، ولم يكن ليُقدّم على هذا العلم الجليل إلا أصحابه المؤهلون وأربابه الموفقون، ففسروه وحاولوا أن يقربوا المفاهيم الصحيحة والمرادات السليمة للقرآن من أمة الإسلام، ومما نشأ لخدمة النصّ القرآنيّ ما سمي في صفحات التاريخ بـ "علوم القرآن" الذي استهدف أصحابه من وضعه أن يلقوا أضواء كاشفة على ما يكون عوناً لقارئ القرآن الكريم وتفسيره، ليسير على هدى وبصيرة، وأن لا يضلّ عن صراط الهدى المستقيم. وكان أحد الفنون التي ينبغي أن يتعلّمه المفسر ما يسمّى بعلم "قواعد التفسير" الذي يبصر المفسر على مواطن الصواب ويتخذ بيده إلى مواضع الحقائق القرآنيّة الحقيقيّة، ذلك العلم الذي تفرّع عنه ما يسمّى الآن بـ "قواعد الترجيح عند المفسرين"، والذي يميّز الأقوال الراجحة من الأقوال المرجوحة في المسائل الخلافية، ويعين المفسر على معرفة القول الأصوب من غيره والرأي الأنسب بالأخذ.

وقواعد الترجيح مركب إضافي مكون من كلمتين:

(١) قواعد

(٢) الترجيح.

وقبل تعريف هذا المركب لابد أولاً من معرفة كل جزء من أجزائه على حدة، من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي. ثم يتبعه تعريف هذا المركب.

(١) تعريف القواعد

والصحافة. (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨٠ - ١٨٩، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني، ص: ٢٣٧).

القواعد لغة:

جمع قاعدة وهي أساس (أصل) الشيء وأسفله الذي يبني عليه غيره، والقاعدة هي الأصل لما فوقها. وقواعد البيت أو البناء أساسه، وورد هذا المعنى في التنزيل: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"١، و قوله سبحانه: "قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ"٢. والقواعد: أساطين البناء التي تعمده، وقواعد المودج: خشباته الأربعة المعترضة في أسفله تجري مجرى قواعد البناء، والقاعد من النخل الذي يناله اليد، وقعدت الفسيلة إذا صار لها جذع٣، وقال أبو عبيد: قواعد السحاب: القواعد هي أصولها المعترضة في أفلق السماء واحسبها مشبهة بقواعد البيت وهي حيطانه٤، قال ذلك في تفسيره لغريب قوله صلى الله عليه وسلم - حين سأل عن سحاب مرت فقل: "كيف ترون قواعدها وبواسقتها"، وقال ابن الأثير: أراد بالقواعد ما اعترض منها وسفل، تشبيها بقواعد البناء.

١ سورة البقرة، الآية ١٢٧.

٢ سورة النحل، الآية ٢٦.

٣ انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي: ١٣٧/١ وما بعدها، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: ٥٢٥/٢، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت، ومعجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: ١٠٨/٥، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر، والمفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٦٧٩/١، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية/دمشق بيروت، ولسان العرب لابن منظور: ٣٦١/٣، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي: ٧٢٨/١، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار): ٧٤٨/٢، دار الدعوة.

٤ غريب الحديث: ١٠٤/٣، المحقق: محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٥ النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨٧/٤، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

وتستعمل في الأمور الحسّية والمعنويّة على السواء، كقواعد العلم. وقاعدة الباب هي الأصل الذي تبني عليه غيره^١.

القواعد اصطلاحاً: عرّفت القاعدة في الاصطلاح بتعاريف كثيرة، منها:

(١) هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها^٢.

(٢) هي قضية كلية منطبقة على جميع أجزائها^٣.

(٣) هي قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمّى فروعاً، واستخراجها منها تفرّيعاً كقولنا: كلّ إجماع حقّ.

(٤) هي حكم أغلبيّ ينطبق على معظم جزئياته^٤.

ذكر حسين الحربي التعريف الأول والرابع وقال:

"وفي نظري - والله أعلم - أنّ الخلاف بين الحدين صوريّ، إذ كلّ منهما يقرّر أنّ لكلّ قاعدة مستثنيات لا تدخل تحت حكم القاعدة. فمن جعل القاعدة كلياً، نظر إلى هذه الجزئيات المخرّجة

١ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية لحسين بن علي بن حسين الحربي: ٣٦-٣٧، راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ مناع القطان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، وقواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد بن عثمان السبت: ٢٢/٨، دار ابن عفاان.

٢ قواعد التفسير للسبت: ٢٢/٨.

٣ الأشباه والنظائر لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: ١٧/٨، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية. وانظر أيضاً: شرح الكوكب المثير لثقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي: ٣٠/٨، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة العبيكان، والمعجم الوسيط: ٧٤٨/٢.

٤ كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: ٧٧/٨، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، وانظر أيضاً: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر العاروقي الحنفي التهانوي: ١٢٩٥/٢، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

٥ الكليات لأبي البقاء: ٧٢٨/٨.

٦ المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقاء: ٩٦٥/٢، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار القلم، دمشق.

من القاعدة على أنها لا تدخل تحت حكم القاعدة أصلاً. فجعل حكمها كلياً باعتبار ما بقي تحت حكمها من جزئيات. ومن جعل حكمها أغلياً اعتبر هذه الجزئيات المخرجة على أنها تحت صورة القاعدة أصلاً، وإنما أخرجت بدليل، فصار حكم القاعدة منتفياً عنها مع كونها كانت من جزئيات القاعدة، وبما أن هذه الجزئيات المخرجة قليلة بالنسبة لما يندرج تحت القاعدة من جزئيات صار حكم القاعدة أغلياً.

ولعل التعريف الثاني - حكم أغلي ينطبق على معظم الجزئيات - أقرب إلى الناحية الواقعية في الصورة المختلف عليها، وهي الجزئيات المستثناة، فهي في الأصل تدخل تحت القاعدة وإنما خرجت لاعتبار معين. فهذا تعريف القاعدة بمدلولها العام فتشمل كل ما يطلق عليه قاعدة في العلوم كافة كالقاعدة الأصولية "الأمر يقتضي الوجوب"، والقاعدة النحوية "الفاعل مرفوع"، والقاعدة الفقهية "لا ضرر ولا ضرار" والقاعدة الترجيحية "القول بالتأسيس مقدم على القول بالتأكيد"، وغيرها من القواعد^١. ويقول خالد السبت في هذا الصدد: "ذكر أهل العلم للقاعدة في الاصطلاح تعاريف متعددة - وكثيرة منها متقارب - أذكر منها ما أظنه أكثر دقة وأدل على المقصود، فأقول: هي حكم كلي يُتعارف به على أحكام جزئياته"^٢.

٢ تعريف الترجيح

الترجيح لغة: من رجع الشيء راجحاً أي: جعله فاضلاً غالباً زائداً، ويطلق على إعتقاد الرجحان مجازاً وقول راجح ورأي مرجوح، ورجح الشيء بينه: إذا أثقله على غيره، ورجح الميزان: إذا مال، وأرجحه: إذا أثقله حتى مل، ورجح في مجلسه أي: ثقل فلم يخف^٣.

الترجيح اصطلاحاً:

وقد عرف الترجيح في الاصطلاح بتعاريف كثيرة، منها:

(١) "تقوية أحد الطريقتين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر"^٤.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين، ص ٣٨.

٢ قواعد التفسير: ٢٣١.

٣ انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٨٧٤، والصحاح للجوهري: ٣٦٤/١، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٨٩٢، ولسان العرب لابن منظور: ٤٤٢/٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: ١٥١/١، ومعجم الرسيط:

٣٢٩/١.

(٢) "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ليعمل بها".^١

(٣) "إثبات مرتبة في إحدى الدليلين على الآخر".^٢

(٤) "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل".^٣

والمراد بالترجيح في التفسير: "تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه".^٤

قواعد الترجيح:

وفي ضوء ما تقدم يمكنني الجمع بين كلمتي المركب، وتعريفهما (قواعد الترجيح) بأنّها: "ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله".^٥

إنّ المتتبع للتفسير القرآني كثيرا ما يجد الأقوال المختلفة والآراء المتنوعة في كلمات القرآن وآياته، فيختلط عليه القول الخطأ بالصواب والغلث بالسمين والحق بالباطل؛ من هنا كانت الحاجة ماسة إلى بيان القواعد والأصول الترجيحية التي يتوصل بها إلى أرجح الأقوال من بين الأقوال المختلفة والآراء المتنوعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^٦ مبينا سبب تأليف مقدمته في

١ المحصول في علم الأصول لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ٣٩٧/٥، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة.

٢ نهاية السؤل شرح منهاج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبي محمد، جمل الدين: ٣٧٤/١، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣ التعريفات للجرجاني: ٥٧١.

٤ شرح الكوكب المنير لابن النجار: ٦١٧/٤.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٥/١.

٦ المصدر السابق: ٣٩١.

^٦ هو: شيخ الإسلام تقي الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي الإمام العلامة الفقيه المجتهد الناقد المفسر البارع الأصولي، ولد في ٦٦١هـ، اشتغل بالعلوم منذ صغره، فدرس وأفتى وفاق الأقران قبل العشرين، وقد امتحن وأذى مرارا، مات في ٧٢٨هـ وهو معتقل بقلعة الشام. من تصانيفه: "كتاب السياسة الشرعية"، و"كتاب اقتضاء الصراط المستقيم"، و"كتاب الرد على طوائف الشيعة". (انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي

أصول التفسير: " فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية، تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل؛ فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح والحق المبين".^١

ومع أهمية هذا الموضوع لم يفرد أحد من العلماء المتقدمين هذه القواعد بالتصنيف، والتأليف، بل ذكروها في ثنايا تفاسيرهم^٢ أو في مقدماتها، أو في كتب علوم القرآن، إلا أن بعض المعاصرين أفردوها بالتأليف مثل حسين بن علي الحربي حيث ألف كتاب باسم: "قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية"، وخالد بن عثمان السبت ألف كتابه باسم: "قواعد التفسير جمعاً ودراسة" -حفظهما الله-.

وفيما يلي عرض لبعض القواعد والأصول الترجيحية التي بواسطتها يتوصل إلى أصح الأقوال، ويحلو لي أن أقسمها على ثلاثة اعتبارات رئيسية:

(أ) القواعد الترجيحية المتعلقة بالنص القرآني.

(ب) القواعد الترجيحية المتعلقة بالسنن والآثار والقرآن.

(ج) القواعد الترجيحية المتعلقة بلغة العرب.

الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: ١٦٧١ وما بعدها، المحقق: مراقبة/محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، مجلس نائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، وطبقات المفسرين محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الناووي المالكي: ٤٦٨ وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبع. (راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر).

١ مقدمة في أصول التفسير: ٧٨، الطبعة ١٤٩٠هـ/١٩٧٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٢ من هؤلاء إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري الذي حاز قصب السبق فيها، حيث استخدم القواعد الترجيحية في ثنايا تفسيره.

٣ مثلاً: الإمام ابن جزري ذكر في مقلمة تفسيره اثني عشر وجهاً من وجوه الترجيح. (انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزري الكلبي الغرناطي: ١٩٨، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت).

١) القواعد الترجيحية المتعلقة بالنص القرآني:

١) ما يتعلق بإحكامه ونسخه:

القاعدة:

لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله تعالى إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في الآية القرآنية بين نسخها وعدمها فأصح الأقوال منها القول بعدمها إلا إذا ثبت التصريح بنسخها، أو انتفى حكمها من كل وجه، أو امتنع الجمع بينهما، أو الانتفاء في بعض الأوجه دون بعض كالتخصيص والتقييد ونحوه^٢.
فالأصل عدم النسخ وبقاء الحكم إلا إذا ثبت النسخ بالدليل الواضح الظاهر، ولا يثبت مع الاحتمال^٣.

ومثل ذلك ما قاله الإمام الطبري^٤ في قوله تعالى: "لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"^٥: "وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال: إنها محكمة، وليست بمسوخة". وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا بنفيه بآخر، هو له ناف من كل وجوه، وليس في قوله جل وعز: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ".

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٧٨.

٢ انظر: المصدر السابق: ٧٨.

٣ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٧٤، وقواعد التفسير للسبت: ٧٢٨، و٧٣٣.

^٤ هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن أبو جعفر الطبري، الإمام، المجتهد، العلم، رأس المفسرين على الإطلاق، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ولد بأمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، له التصانيف البديعة، منها: "تفسير القرآن"، و"تهذيب الآثار"، و"تاريخ الأمم والملوك"، مت سنة عشر وثلاثمائة. (انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١١٠/٢ وما بعدها، وطبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي: ٤٨١ وما بعدها، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، السعودية. وسير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: ٢٦٧/١٤ وما بعدها، حقه: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة).

٥ سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

نفى الحكم الذي أعلم عباده بقوله: "أَوْ تُخَفُّوهُ يُخَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ". لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة، ولا مؤاخنة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه".^١

ويقول أيضا في قوله تعالى: "وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا"^٢: "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال،" هذه الآية محكمة غير منسوخة، وإنما عنى بها الوصية لأولي قربي الموصي وعنى باليتامى والمساكين: أن يقال لهم قول معروف". وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره، أن شيئا من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر، أو منسوخ بحكم آخر، إلا والحكمان اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ ناف كل واحد منهما صاحبه، غيرُ جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه، وإن كان جائزا صرفه إلى غير النسخ أو تقول بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ، حجة يجب التسليم لها".^٣

وهكذا رجح الإمام الطبري قولاً واحداً من بين الأقوال التفسيرية المختلفة بناء على هذه القاعدة.

ويدخل تحت هذه القاعدة القواعد التالية:

إذا وقع التعارض بين احتمال النسخ واحتمال التخصيص، فالتخصيص أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والإضمار، فالإضمار أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والاشتراك، فلاشتركاً أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والحجاز، فالحجاز أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والنقل، فالنقل أولى.^٤

(٢) ومنها ما يتعلق بقراءته ورسمه :

القاعدة الأولى: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردّها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة.

١ جامع البيان في تأويل القرآن: ١١٧/٦، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

٢ سورة النساء، الآية ٦.

٣ جامع البيان: ١٢/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٨٥/١.

والمعنى إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردّها ولا ردّ معناها بل يجب قبولها وقبول معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة. وتنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات.

ووضع ثلاثة شروط لصحة القراءة وثبوتها، وإن اختلف شرط (ركن) منها فأطلق عليها: ضعيفة أو شاذة أو باطلة.

والشروط هي: (١) صحة السند. (٢) موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. (٣) موافقة العربية ولو بوجه!

فلا يجوز ردّ القراءة الثابتة أو الطعن فيها، أو ردّ معناها، بل يلزم قبولها، ومن فعل ذلك فلا يلتفت إليه.

ومثل ذلك ما أورده الإمام القرطبي^١: في قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"^٢:

"اختلف العلماء أيما أبلغ: ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر. ذكرهما الترمذي، ف قيل: "ملك" أعم وأبلغ من "مالك" إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه، حتى لا يتصرف إلا

١ المصدر السابق: ٨٩/١

٢ انظر: المصدر السابق: ٨٩/١

٣ قواعد التفسير للسبت: ٨٧/١

٤ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٩٠/١-٩١، وقواعد التفسير للسبت: ٨٤/١

٥ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٩٧/١، وقواعد التفسير للسبت: ٩٤/١

^٦ هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح بن عبد الله الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي الإمام العلامة صاحب التفسير المشهور المسمى بـ "الجامع لأحكام القرآن" الذي سارت به الركبان، متفنن في العلم متبحر فيه، تصانيفه تليق على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله، توفي في ٦٧١هـ من تصانيفه: "شرح الأسماء الحسنى"، و"التذكار في فضل الأذكار"، و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة". (انظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصقلي: ٨٧/٢، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث، بيروت، وطبقات المفسرين للداودي: ٦٩٢-٧٠، وطبقات المفسرين للآدنه وي: ٢٤٧-٢٤٧).

٧ سورة الفاتحة، الآية ٤.

عَنْ تَدْبِيرِ الْمَلِكِ، قَالَ أَبُو عَبِيَّةَ وَالْمَبْرَدُ وَقِيلَ: "مَالِكٌ" أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ، إِذْ إِلَيْهِ إِجْرَاءُ فَوَائِنِ الشَّرْعِ، ثُمَّ عِنْدَهُ زِيَادَةُ التَّمَلُّكِ".^١

ثم يقول: "قلت: وَقَدْ احْتَجَّ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّ مَالِكًا أَبْلَغُ لِأَنَّ فِيهِ زِيَادَةَ حَرْفٍ، فَلِقَارِيهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ زِيَادَةً عَمَّنْ قَرَأَ مَلِكًا. قلت: هَذَا نَظَرٌ إِلَى الصَّيْغَةِ لَا إِلَى الْمَعْنَى، وَقَدْ ثَبَّتَتِ الْقِرَاءَةُ يَمَلِكُ، وَفِيهِ مِنَ الْمَعْنَى مَا لَيْسَ فِي مَالِكٍ، عَلَى مَا بَيَّنَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^٢

ويقول العلامة الألوسي^٣ بعد ذكر القراءات المختلفة في قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ":
"والتواتر منها قراءة مالك وملك ...".^٤

ثم يقول: "وعندي لا ثمرة للخلاف والقراءتان فرسا رهان ولا فرق بين المالك والملك صفتين لله تعالى كما قاله السمين ولا التفت إلى من قال إنهما كحاذر وحذر ومتى أردت ترجيح أحد الوصفين تعارضت لدي الأدلة وسدت على الباب الآثار وانقلب إليّ بصر البصيرة خاسئا وهو حسير إلا أنني أقرأ كالكسائي مالك لأحظى بزيادة عشر حسنات ولأن فيه إشارة واضحة إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث إنه مالك فوق الطمع بالملك من حيث إنه ملك فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الإنسان منه رأسا برأس ومن المالك يرجى ما هو فوق ذلك فالقراءة به أرفق بالمذنبين مثلي وأنسب بما قبله".^٥

١ الجامع لأحكام القرآن: ١٤٠/١، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢ المصدر السابق: ١٤١/١.

٣ هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. شهاب الدين. أبو إسماعيل: مفسر، محدث، أديب، من المجددين،

(١٢١٧ - ١٢٧٠هـ/ ١٨٠٢ - ١٨٥٤م) من أهل بغداد مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد مجتهدا. مفتي بغداد،

وتولى التدريس أيضا. من مصنفاته: "روح المعاني" في التفسير، و"نشوة الشمول في السفر إلى اسلابول"

رحلته إلى الأستانة، و"نشوة المدام في العود إلى دار السلام". (انظر: الأعلام للزركلي: ١٧٦/٧، والموسوعة

العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غزيل: ١٦٦٤/٢، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطبع).

٤ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨٥/١، المحقق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٥ المصدر السابق: ٨٧/١.

ومن هنا لم يردّ الإمامان الجليلان: القرطبي، والألوسي القراءة الثابتة، ولم يطعنا فيها، كما لم يردّا معناها وفقاً للقاعدة.

القاعدة الثانية: اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير الآية القرآنية بناء على اختلاف القراءتين أو القراءات الواردة فيها، فحمل القراءتين أو القراءات على القول الذي يجمع القراءات في الآية على معنى واحد أولى بتفسير الآية. وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، فالقراءة بمنزلة آية مستقلة^٢.

فإن أمكن الجمع بمقتضى القراءتين فالجمع أولى من اختلافها^٣.

ومثال ذلك ما أورده الإمام ابن كثير^٤ في قوله: "وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ" في قوله تعالى: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"^٥: "وَمِنَ الْقُرْآنِ مَنْ قَرَأَ: "وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ"، وَكِلَا الْقُرْآنَيْنِ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ"^٦.

هكذا حمل الإمام ابن كثير القراءتين على القول الذي يجمع القراءتين في الآية على معنى واحد.

القاعدة الثالثة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة^٧.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٠٠/٨.

٢ انظر: المصدر السابق: ١٠٠/٨.

٣ انظر: المصدر السابق: ١٠١/٨.

^٤ هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء القرشي البصريّ الدمشقي الشافعي، ولد في دمشق سنة ٧٠١هـ إمام حافظ، محدث متقن، مفسر نقاد، ومفت بارع، أخذ الكثير عن شيخه ابن تيمية وامتنح وأذى بسبب اتباعه في كثير من آرائه، توفي في سنة ٧٧٤هـ من مصنفاته: "تفسير القرآن العظيم"، و "البداية والنهاية"، و "منقب الإمام الشافعي". (انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١١١/٨ وما بعده) وطبقات المفسرين للأدنه ري: ٢٦٠/٨-٢٦١).

٥ سورة البقرة، الآية ٩.

٦ تفسير القرآن العظيم: ١٧٧/٨، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٠٤/٨.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير الآية القرآنية بناء على اختلاف معنى القراءتين أو القراءات متواترة كانت أو شاذة، الواردة في الآية ولا يمكن حمل معنى القراءة الشاذة على معنى القراءة المتواترة فحمل القراءتين على معنى القراءة المتواترة أولى^١.

ومثال ذلك ما أورده القاضي ابن عطية^٢ في قوله: "فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا" في قوله تعالى: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"^٣: "واحتج عطاء بما في مصحف ابن مسعود "أَنْ لَأ يَطُوفَ بِهِمَا" وهي قراءة خالفت مصاحف الإسلام، وقد أنكرتها عائشة رضي الله عنها في قولها

١ انظر: المصدر نفسه.

٢ هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الغرناطي القاضي الإمام العلامة شيخ المفسرين، كان عالماً بالتفسير والفقه العربية، كما كانت له يد في الإنشاء والنظم والنثر، ألف تفسيره المسمى بـ "المرر الوجيز" فلحن فيه وأبدع، ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤١هـ أو ٥٤٢هـ من مؤلفاته: "برنامج"، و"المجموع". (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٥٨٧/١٩-٥٨٨، وطبقات المفسرين للداودي: ٢٦٥/١ وما بعدها).

٣ سورة البقرة، الآية ١٥٨.

^٤ هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر نساءه، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة قبل الهجرة بستين أو ثلاث سنين، وهي بنت ست أو سبع، ودخل بها بالمدينة، وهي بنت تسع، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم -وحي وهو في لحاف امرأة من نساءه غيرها، كانت من أفقه الناس، وأحسنهم رأياً في العامة، نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وروى عنها عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة والتابعين، توفيت سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: ١٨١/٤ وما بعدها، المحقق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الجليل، بيروت، وأسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: ١٨٧١ وما بعدها، عام النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت، والإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: ٢٣١/٨ وما بعدها، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت).

لعروة حين قال لها "أرأيت قول الله: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فما نرى على أحد شيئا ألا يطوف بهما" قالت: "يا عروة كلا لو كان ذلك لقال: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا".

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه- يريد به ابن عطية-: "وأیضا فإن ما في مصحف ابن مسعود يرجع إلى معنى أن يطوف وتكون "لا" زائدة صلة في الكلام، كقوله: "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ"١١".

ويقول الإمام القرطبي: "فإن قيل: فَقَدْ رَوَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ" فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا" وهي قراءة ابن مسعود، وَيُرْوَى أَنَّهَا فِي مُصْحَفِ أَبِي كَذَلِك، وَيُرْوَى عَنْ أَنَسٍ مِثْلُ هَذَا. وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافٌ مَا فِي الْمُصْحَفِ، وَلَا يَتْرُكُ مَا قَدْ ثَبَتَ فِي الْمُصْحَفِ إِلَى قِرَاءَةٍ لَا يُدْرَى أَصَحَّتْ أَمْ لَا، وَكَانَ عَطَاءٌ يُكْثِرُ الْإِرْسَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ. وَالرُّوَايَةُ فِي هَذَا عَنْ أَنَسٍ قَدْ قِيلَ إِنَّهَا نَبِيَتْ بِأَمْضُوبَةٍ، أَوْ تَكُونُ "لَا" زَائِدَةً لِلتَّوَكِيدِ"١٢.

ويقول العلامة الألوسي: "وقرأ ابن مسعود وأبي- أن لا يطوف- ولا تصلح أن تكون ناصرة للقول الأول لأنها شاذة لا عمل بها مع ما يعارضها ولاحتمال أن "لا" زائدة كما يقتضيه السياق"١٣.

هكذا استعمل هؤلاء الأئمة المفسرون هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال المفسرين.

القاعدة الرابعة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف

له١٤.

١ سورة الأعراف، الآية ١٢.

٢ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٣٠/٨. احقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٣ هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري البصري، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد المكثرين من الرواية عنه، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، أقام بالمدينة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وشهد الفتوح، مات بالبصرة سنة ٩١هـ أو ٩٢هـ أو ٩٣هـ (انظر: الاستيعاب لابن عبد البر النمري القرطبي: ١٠٩/١ وما بعدها، وأسد الغابة لابن الأثير: ١٥١/١-١٥٢، والإصابة لابن حجر: ٢٧٥/١ وما بعدها).

٤ الجامع لأحكام القرآن: ١٨٢/٨.

٥ روح المعاني: ٤٢٥/١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية أو لفظة قرآنية أو في إعرابها على أقوال مختلفة، وكان القول منها موافقا لرسم المصحف والآخر مخالفا له، فأولى الأقوال بتفسير الآية وإعرابها الذي يوافق الرسم العثماني الذي أجمع عليه الصحابة.

ومثال ذلك ما ذكره الإمام القرطبي في قوله سبحانه "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى" ٣: "وَقَوْلُهُ فَلَا: لِلنَّفْيِ لَا لِلنَّهْيِ. وَقِيلَ: لِلنَّهْيِ، وَإِنَّمَا أُثْبِتَ الْيَاءُ لِأَنَّ رُءُوسَ الَّتِي عَلَى ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى: لَا تَغْفُلْ عَنْ قِرَاءَتِهِ وَتَكَرَّرِهِ فَتَنْسَاهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْسِيكَ بِرَفْعِ تِلَاوَتِهِ لِلْمَصْلَحَةِ. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُخْتَارُ، لِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مِنَ النَّهْيِ لَا يَكَادُ يَكُونُ إِلَّا مُؤَقَّتًا مَعْلُومًا. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْيَاءَ مُثَبَّتَةٌ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ، وَعَلَيْهَا الْقُرْءُ" ٤.

والقول بأن "لا" للنفي هو الراجح؛ لأنه مكتوب في المصحف بإثبات الألف المقصورة، وإن دخلت الفعل المضارع على "لا" الناهية فجزمته، وإن كان في آخره حرف علة حذف. وهنا حرف علة غير محذوف، فثبت أن "لا" هنا غير ناهية.

وهكذا اعتمد الإمام القرطبي على هذه القاعدة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية.

٢) ومنها ما يتعلق بسياقه أو معهود استعماله:

القاعدة الأولى: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية أو جملة على عدة أقوال، فمنهم من يحملها على القول الذي يجعلها داخلة في سياق^٥ الآيات، ومنهم من يحملها على القول الذي يخرجها عن

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١١٠/٨.

٢ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، ص ١٠٣، تقديم محمد بن صالح الفوزان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن الجوزي، الدمام.

٣ سورة الأعلى، الآية ٦.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ١٩٢٠.

٥ انظر: فصول في أصول التفسير للطيار، ص ١٠٣.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٥/٨.

٧ والسياق: هو ما قبل الكلام وما بعده (مما سبقه ولحقه). انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٥/٨-١٢٦.

سليق الآيات، فحملها على القول الذي يجعلها داخلة في سياق الآيات أولى به من الخروج عنها؛ لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق إلا أن يدلّ الدليل (خبر صحيح متصل السند أو إجماع أهل التأويل) على منع هذا القول أو تصحيح غيره. فالسياق يعين على ترجيح أحد المعاني؛ لأنه أولى وأقرب المعاني مع أنّ غيره من الأقوال محتملة، وقد اهتم كثير من المفسرين بهذه القاعدة في ترجيح الأقوال وردّها.

يقول الإمام ابن جزّي^١ أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يشهد بصحة القول ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده"^٢.

ومثال ذلك ما ذكره الإمام الطبري في قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"^٣ من الأقوال المختلفة في قوله تعالى: "ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" ثم أتبعه بقوله: "وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحداً. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ)، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك"^٤.

١ انظر: المصدر السابق: ١٢٥/٨، وفصول في أصول التفسير للطبار، ص ١٠١.

٢ هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزّي الكلبي الغرناطي (أبو القاسم) كان عالماً في فنون العربية والفقه والأصول والأدب والحديث والتفسير، تقدم خطيباً ببلده على حدائث سنة فاتفقوا على فضله. من مصنفاته: "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم"، و"المختصر البارع في قراءة نافع"، و"الفوائد العامة في لحن العلة"، و"الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار". توفي شهيداً عام إحدى وأربعين وسبعمئة. (انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٨٧/٥-٨٩، وطبقات المفسرين للداودي: ٨٥/٢-٨٧).

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٤ سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

٥ جامع البيان: ٢٩٧/١٣-٢٩٧.

وهكذا استدلل الإمام الطبري بهذه القاعدة على صحة ترجيحه لقول واحد من بين الأقوال التفسيرية المتعددة.

القاعدة الثانية: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^١.

والمعنى: أن الأصل في نصوص الوحي (القرآن والسنة) أن تحمل على ظواهرها، وتفسر حسب مقتضى ظاهر الألفاظ المتبادر إلى الذهن من المعاني، ولا يجوز العدول بألفاظهما عن ظواهرهما إلا بدليل واضح عقليا كان أو سمعيا؛ وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة مراد المتكلم إلا ألفاظه وكلماته؛ ولأن الحكم للظاهر حتى يتبين ما سواه^٢.

ونصر ابن جزري على هذه القاعدة في مقدمة تفسيره قائلا: "أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه"^٣.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الطبري في قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"^٤ بعد ذكر الأقوال المختلفة في "الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ": "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن التوراة يحكم بها مسلمو الأنبياء لليهود، والرَبَّانِيُّونَ من خلقه والأحبار. وقد يجوز أن يكون عني بذلك ابنا سوريا وغيرهما، غير أنه قد دخل في ظاهر التنزيل مسلمو الأنبياء وكل ربَّاني وحبر. ولا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه معنيٌّ به خاص من الربانيين والأحبار، ولا قامت بذلك حجة يجب التسليم لها. فكل رباني وحبر داخل في الآية بظاهر التنزيل"^٥.

وقد القاضي ابن عطية بعد ذكر الأقوال في قوله تعالى "الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ": "وفي هذا نظر - أن يراد بهما ابنا سوريا -، والرواية الصحيحة أن ابني سوريا وغيرهم جحدوا أمر الرجم ابن

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ١٣٧/١.

٢ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ١٣٧/١، وقواعد التفسير للسبب: ٨٤٣/٢.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٤ سورة المائدة، الآية ٤٤.

٥ جامع البيان: ٣٤٢/١.

عطية وفضحهم فيه عبد الله بن سلام، وإنما اللفظ عام في كل حبر مستقيم فيما مضى من الزمان، وأما في مدة محمد صلى الله عليه وسلم فلو وجد لأسلم فلم يسم حبراً ولا ربانياً". وهكذا رجح الإمامين الجليلين: الطبري، وابن عطية بهذه القاعدة.

القاعدة الثالثة: حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، أو جملة، أو لفظة فأصوب الأقوال بتأويل الآية هو القول الموافق لاستعمال القرآن وطريقته في غير موضع النزاع، سواء في الألفاظ المفردة، أو في التراكيب، وسواء أكان ذلك في الاستعمال. استعمالاً أغلياً أو كلياً. فطريقة القرآن ومعهود استعماله ترجح قولاً وترد القول الآخر.

ومثال ذلك ما قاله الإمام الطبري في قوله تعالى: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ"^١: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقل بعضهم: معناه: فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجومًا متفرقة". وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم... وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم... وقال آخرون: بل معنى ذلك: بانتشار النجوم عند قيام الساعة... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعول، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به"^٢.

ويقول العلامة ابن القيم: "وقد اختلف في النجوم التي أقسم بمواقعها فقليل هي آيات القرآن ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وقول

١ المحرر الوجيز: ١٩٥/٢-١٩٦.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٧٢/٨.

٣ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٧٢/٨، وقواعد التفسير للسبت: ٧٩٧/٢، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٢.

٤ سورة الرافعة، الآية ٧٥.

٥ جامع البيان: ١٤٧/٢٣.

٦ المصدر السابق: ١٤٨/٢٣.

سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة وقيل النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها هذا قول أبي عبيدة وغيره وقيل مواقعها انتشارها وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن ومن حجة هذا القول أن لفظ مواقع تقتضيه فإنه مفاعل من الوقوع وهو السقوط فلكل نجم موقع وجمعها مواقع ومن حجة قول من قال هي مساقطها عند الغروب أن الرب تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ} وقال {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} وقال {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} ويرجح هذا القول أيضاً أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب كقوله تعالى {وَإِذْ بَارَأَ النُّجُومَ} وقوله {وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ}.

ومن هنا ذكر الإمام الطبري والعلامة ابن القيم أغلب من معاني القرآن الكريم/من أسلوب القرآن الكريم، ومعهود استعماله وجه من وجوه الترجيح القول من بين الأقوال الأخرى. وهو: أن المراد بالمواقع هو: "مساقط النجوم عند الغروب"؛ لأن النجوم يراد به الكواكب في القرآن.

ب) القواعد الترجيحية المتعلقة بالسنن والآثار والقرآن.

١) ما يتعلق بالسنن.

القاعدة الأولى: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

والمعنى: قد نجد في تفسير بعض الآيات تفسيراً للنبي صلى الله عليه وسلم - وأقوالاً أخرى، فإذا ثبت الحديث وساق في تفسير الآية وبيانها، فيجب تقديمه وحمل الآية عليه ولا يصار إلى غيره؛ إذ هو أعلم الناس بتفسير كلام الله - عز وجل -، فهو الشارح الأول للقرآن الكريم. وهذا

١ سورة التكويد، الآية ١٥-١٦.

٢ سورة النجم، الآية ١.

٣ سورة المعارج، الآية ٤٠.

٤ سورة الطور، الآية ٤٩.

٥ سورة النحل، الآية ١٢.

٦ التبيان في أقسام القرآن: ٢١٩/١-٢٢٠، المحقق: محمد حامد النقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٩١/١.

من مهام رسالته، قال تعالى: "...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"^١. فلا حاجة إلى قول أحد بعد قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم^٢.
ومثال ذلك ما ذكره الإمام الطبري في قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"^٣. من القولين في المراد بالظلم:

(١) الشرك والمعنى: ولم يخلطوا إيمانهم بشرك. فالآية على الخصوص.

(٢) فعل جميع ما نهى الله عنه وترك جميع ما أمر الله بفعله. والمعنى: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم. فالآية على العموم^٤.

ثم يقول: "وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قل: الظلم الذي ذكره الله تعالى ذكره في هذا الموضع، هو الشرك"^٥.

هكذا رجح الإمام الطبري القول الأول بناء على هذه القاعدة، وهو أن المراد بـ "ظلم" هنا: "الشرك".

القاعدة الثانية: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^٦.

١ سورة النحل، الآية ٤٤.

٢ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٩١/١، وقواعد التفسير للسبت: ١٤٩/١.

٣ سورة الأنعام، الآية ٨٢.

٤ انظر: جامع البيان: ٤٩٤/١١ وما بعدها.

٥ المصدر السابق: ٥٠٣/١١-٥٠٤.

٦ قل الإمام البخاري: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سَلِيمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ: {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَيُّهَا لَمْ يَظْلِمُوا؟ فَنَزَلَتْ: {إِنَّ الشُّرْكَ} [لقمان: ١٣] لَظْلَمٌ عَظِيمٌ" (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: ٥٧٦، برقم: (٤٦٢٩)، كتاب التفسير، باب {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢]، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ومتن مرتبط بشرح فتح الباري لابن رجب ولابن حجر، مع الكتاب: شرح وتعليق د/مصطفى ديب البغا، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه).

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية على عدة أقوال، فالقول الذي يؤيده خبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - مقدم على ما سواه^١.

ومثال ذلك ما ذكره القاضي ابن عطية في قوله تعالى: "إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"^٢ ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية هي في صدقة التطوع... قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه - يريد به ابن عطية -: ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في المسجد إلا المكتوبة، وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عرضة لذلك... وقيل المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع به، فكان الإخفاء فيهما أفضل في مدة النبي عليه السلام، ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك فاستحسن العلماء إظهار الفرض لئلا يظن بأحد المنع. ثم يقول: وهذا القول مخالف للآثار"^٣.

ويقول الإمام ابن كثير في هذه الآية: "وَالْأَصْلُ أَنَّ الْإِسْرَارَ أَفْضَلُ، لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ مَعْلَقٌ بِالمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ"^٤.

هكذا اعتمد الإمامين الجليلين: ابن عطية، وابن كثير على هذه القاعدة في الترجيح.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٠٦/١.

٢ انظر: مصدر السابق، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٦.

٣ سورة البقرة، الآية ٢٧١.

٤ المحرر الوجيز: ٣٦٥/١.

٥ صحيح البخاري: ١٣٣/١، برقم: (٦٦٠)، كتاب الأذان، باب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَّلِ الْمَسْجِدَ وَالْمَسْنَدَ الصَّحِيحَ الْمُخْتَصِرَ بِنَقْلِ الْعَدَلِ عَنِ الْعَدَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُسْلِمِ بْنِ أَحْجَاجِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَشِيرِيِّ النِّسَابُورِيِّ: ٧١٥/٢، برقم: (١٠٣٦)، كتاب الزكاة، باب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦ تفسير القرآن العظيم: ٧٠٧/١-٧٠٢.

القاعدة الثالثة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو مردود.

والمعنى: كل تفسير يخالف دليلاً قطعي الثبوت والدلالة من القرآن أو السنة أو إجماع الأمة، أو ظني الثبوت قطعي الدلالة منها المقترن بوصف يقويه ويصححه فهو مردود.

ومثال ذلك ما نقل القاضي ابن عطية في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" قول مقاتل وقال: "وحكى النقاش عن مقاتل: "أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه". قال: "والقرآن يرد على هذا القول".

ثم يقول: "وقال قوم: سجود الملائكة كان مرتين، والإجماع يرد هذا".
هكذا رد القاضي ابن عطية على قول مقاتل؛ لأن القرآن، والإجماع يرد عليه.

القاعدة الرابعة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر غيبية لا دليل عليها من

القرآن والسنة.

والمعنى: لا يصح حمل الآية على الإجهادات أو التفصيلات أو الأخبار الإسرائيلية التي لا دليل عليها من القرآن والسنة إلى معرفة الأمور الغيبية كأمر بدء الخلق وأخبار الأمم السابقة وأمر البعث ونحوها.

مثال ذلك ما ذكره القاضي ابن عطية في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"^١ بعد ذكر الروايات الإسرائيلية في تعين الشجرة التي أكل منها آدم وحواء -عليهما السلام-: "وليس في شيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢١٤٩.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ سورة البقرة، الآية ٣٤.

٤ المحرر الوجيز: ١٢٤/٨.

٥ المصدر نفسه.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٣٥٩.

٧ انظر: المصدر السابق.

٨ سورة البقرة، الآية ٣٥.

هو إليها وعصى في الأكل منها، وفي حظره تعالى على آدم الشجرة ما يدل على أن سكنه في الجنة لا يدوم، لأن المخلد لا يحظر عليه شيء، ولا يؤمر ولا ينهى^١.
هكذا فسّر القاضي ابن عطية الآية الكريمة وفقاً للقاعدة.

٢) ما يتعلق بالأثار.

القاعدة الأولى: إذا صح سبب نزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية على أقوال، فأولى الأقوال القول الذي يوافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية؛ ولأن له حكم المرفوع.^٢
ومثال ذلك ما ذكر الإمام القرطبي في "وليس اليرُّ يأنُّ تأتوا البيوت من ظهورها" في قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْيَرُّ يَأْنُ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْيَرُّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^٣. (١) كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا وَعَادُوا لَا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَإِنْ رَجَعُوا لِحَاجَةٍ إِلَى بُيُوتِهِمْ بَعْدَ الْإِحْرَامِ يَتَسَنَّمُونَ ظَهْرَ بُيُوتِهِمْ عَلَى الْجِدْرَانِ، وَكَانُوا يَرُونَ هَذَا مِنَ النَّسِكِ وَالْبِرِّ، لِثَلَا يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حَائِلٌ. فَرَدَّ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِمْ. فَعَلَى هَذَا يَرَادُ بِالْبُيُوتِ وَبِالْإِتْيَانِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةَ، وَهِيَ: الْبُيُوتُ الْمَعْرُوفَةُ، وَبِالْإِتْيَانِ الْمَجْئُ إِلَىهَا. (٢) هُوَ ضَرْبٌ مِثْلُ، وَالْمَعْنَى لَيْسَ الْيَرُّ أَنْ تَسْأَلُوا الْجُهَالَ، وَلَكِنَّ الْيَرُّ التَّقْوَى، وَاسْأَلُوا الْعُلَمَاءَ، وَعَلَى هَذَا يَرَادُ بِالْبُيُوتِ وَبِالْإِتْيَانِ الْمَعْنَى الْمَجَازِي. (٣) هُوَ مِثْلُ فِي جِمَاعِ النِّسَاءِ، وَأَنْتَهُمْ أُمُرُوا بِإِتْيَانِهِنَّ فِي قُبُلِهِنَّ لَأَفِي دُبُرِهِنَّ، وَعَلَى هَذَا يَرَادُ بِالْبُيُوتِ النِّسَاءِ، وَبِالْإِتْيَانِ إِتْيَانَهُنَّ فِي الْقُبُلِ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمَجَازِي.^٤

ثم يقول: "قُلْتُ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ - كان الأنصار إذا رجعوا من الحج إلى بيوتهم لا يدخلون من أبوابها بل يدخلونها من ظهورها - أصحُّ هذه الأقوال، لما رواه البراءة قل: كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا

١ المحرر الوجيز: ١٢٨/١.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٤٧/١.

٣ انظر: المصدر نفسه.

٤ انظر: قواعد التفسير للسبت: ٥٤/١.

٥ سورة البقرة، الآية ١٨٩.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٤/٢ وما بعدها.

حَجُّوا فَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا. قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: "وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا" وَهَذَا نَصٌّ فِي الْبُيُوتِ حَقِيقَةً. وَأَمَّا تِلْكَ الْأَقْوَالُ فَتُؤَخَذُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ لَا مِنَ الْآيَةِ، فَتَأْمَلُهُ".

هكذا رجح الإمام القرطبي القول الذي يوافق سبب النزول الصريح بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الثانية: إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية، فيرجح القول الذي وافق تاريخ نزول الآية، والقول الذي يخالف تاريخ نزولها، فهو قول ضعيف عند مخالفة تاريخ نزول الآية المختلف فيه، أو مردود عند مخالفة تاريخ نزول الآية المتفق عليه.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الطبري القولين في: "يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ" في قوله تعالى: "سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذُرُوءًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا".

(١) أي: يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية، بأن جعل الله غنائم خيبر لهم دون غيرهم، عوضاً من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً. هذا هو المراد بهذا الكلام. قاله مجاهد^٥ وقتادة، وعليه عامة أهل التأويل.

١ خرجه البخاري ومسلم. (أخرجه البخاري: ٢٦٦، برقم: ٤٥١٢)، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب قوله {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة: ١٨٩]، ومسلم: ٣٣٩٤، برقم: (٣٠٢٦)، كتاب التفسير.

٢ المصدر السابق: ٣٤٦٢ بتصرف يسير.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٥٨/١.

٤ يراد بها مرحلة زمنية معينة... أو حادثة معينة... أو القبلية أو البعدية بالنسبة لسورة أخرى... قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٦٠/١.

٥ انظر: المصدر السابق.

٦ سورة الفتح، الآية ١٥.

٧ ومجاهد هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب، أخذ عن ابن عباس القرآن والتفسير والفقه، حتى قرأ

(٢) أي: يريدون أن يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم - في غزوة، وقد قل الله تبارك وتعالى (فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا). فهذا هو كلام الله. قاله ابن زيد!

ثم يقول: "وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له، لأن قول الله عز وجل (فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) إنما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ، وَعُنِيَ بِهِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى تَبُوكَ لَغْزْوِ الرُّومِ، وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِمِغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَبُوكَ كَانَتْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ أَيْضًا، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا مَعْنِيًا بِقَوْلِ اللَّهِ (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وَهُوَ خَبْرٌ عَنِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ شَخَّصَ مَعْتَمِرًا يَرِيدُ الْبَيْتَ، فَصَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَغَزْوَةِ تَبُوكَ لَمْ تَكُنْ كَانَتْ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا كَانَ أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ: (فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا). فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في ذلك: ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بينا".^٢

وضعف ابن جزى قول ابن زيد قائلا: "وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة".^٣

ورد عليه أبو حيان الأندلسي: "وهذا لا يصح، لأن هذه الآية نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك في آخر عمره. وهذه السورة نزلت عام الحديبية، وأيضاً فقد غزت مزينة".

علي ابن عباس القرآن ثلاث عرضات، وصاحب ابن عمرمة كثيرة، قل قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد توفي سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/٤٤٩ وما بعدها، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/٣٠٥ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأذنه وي: ١/١١).

١ سورة التوبة. الآية ٨٣

٢ انظر: جامع البيان: ٢٢/٢١٥ وما بعدها.

٣ جمع البيان: ٢٢/٢١٧.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٨٧٢.

^٤ هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره، ولغوي، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، برع في التفسير، والعربية، والقراءات، والأدب، والتاريخ،

وَجَهِيئَةُ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفَضَّلَهُمْ بَعْدَ عَلِيٍّ تَمِيمٍ وَعَظْفَانَ وَغَيْرِهِمْ
مِنَ الْعَرَبِ".^١

وهكذا صحح هؤلاء الأئمة المفسرون قولاً، وضعفوا آخر بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الثالثة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٢.

والمعنى: ترجح فهم السلف وأقوالهم في التفسير؛ لأنها هي المعتمدة والحجة دون أقوال من خالفهم من أهل الأهواء والبدع وغيرهم^٣.

ونص ابن جزي على هذه القاعدة بقوله: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لدعاء الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- له: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ"^٤.

اتفق أهل عصره على تقديمه وإمامته، حيث أخذ عنه أكابر عصره، صنف التصانيف السائرة منها: "البحر المحيط في التفسير"، و"إنحاف الأريب بما في القرآن من الغريب"، و"تجريد أحكام سيبويه". (انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢٨٧/٢ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٧٩/١ وما بعدها).

١ البحر المحيط في التفسير: ٤٨٩/٩، اعحقق: صدقي محمد جميل، الطبعة ١٤٢٠هـ، دار الفكر، بيروت.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧٨.

٣ انظر: المصدر نفسه، وقواعد التفسير للسبت: ٢٠٦/١.

٤ وما قيل بعدم جواز إحداث قول مخالف لأقوال السلف في تفسير الآية، فالمراد به عدم جواز إحداث قول من قبيل خلاف التضاد الذي يخرج الآية عما قاله السلف. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٠/١، وقواعد التفسير للسبت: ٢٠٠/١.

٥ هذه الرواية أخرجها الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتٍ مِيمُونَةً فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا، فَقَالَتْ لَهُ مِيمُونَةٌ: وَضَعْتَ لَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَضُوءًا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ"، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرَجْ لَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ عَلَى تَصْحِيحِهِ. (المستدرک علی الصحیحین: ٦١٥/٣، برقم: ٦٢٨٠)، ذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الطبري من القولين في: "لَتَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ" في قوله تعالى: "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ"^١:

(١) إنما العصبه تثقل بها.

(٢) نَوَّءُهَا بِالْعُصْبَةِ: أَنْ تَثْقُلَهَا؛ وَالْمَعْنَى: إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوُءُ الْعُصْبَةَ: أَي: تَمِيلُنَّ بِثِقَلِهَا.

ثم يقول: "وهذا القول الآخر في تأويل قوله: (لَتَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ) أولى بالصواب من الأقوال الأخر، لمعنيين: أحدهما: أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل. والثاني: أن الآثار التي ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت، وإن قول من قال: معنى ذلك: ما إن العصبه لتنوء بمفاتحه. إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه: ما إن العصبه لتنهض بمفاتحه؛ وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه، على نحو ما فيه، إذا وجه إلى أن معناه: إن مفاتحه تثقل العصبه وتميلها، لأنه قد تنهض العصبه بالقليل من المفاتح وبالكثير. وإنما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك، وإذا أريد به الخبر عن كثرته، كان لا شك أن الذي قاله من ذكرنا قوله، من أن معناه: لتنوء العصبه بمفاتحه، قول لا معنى له، هذا مع خلافه تأويل السلف في ذلك"^٢.

هكذا رجح الإمام الطبري قولاً بناء على ما تقتضي به هذه القاعدة.

القاعدة الرابعة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذاً.

والمعنى: إذا قام مفسر بتفسير آية من كتاب الله يخالف فيه عامة المفسرين، ولا دليل على ترجيح قوله دلالة واضحة قوية فيعدّ قوله شاذاً، ويقدم قول عامة المفسرين؛ لأنهم أقرب إلى الحق وأبعد عن الخطأ.

ونص الإمام ابن جزري على هذه القاعدة: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فيدّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".

١ سورة القصص، الآية ٧٦.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٢٠/١٩ - ٢٢١.

٣ المصدر السابق: ٢٢٢/١٩.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٥ انظر: المصدر نفسه.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون من القولين في قوله: "قِرَّةٌ خَاسِيَيْنِ"، في قوله تعالى: "وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَّةً خَاسِيَيْنِ"^١.

(١) مسخ الله المعتدين في السبت مسخاً حقيقياً صورياً، هذا قول جمهور المفسرين.^٢

(٢) مسخهم الله مسخاً معنوياً لا صورياً، حيث مسخت قلوبهم فقط. هذا قول مجاهد.^٣

يرد الإمام الطبري على قول الإمام مجاهد قائلاً: "وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف. وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم: (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)، وأن الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم، وأنهم عبدوا العجل، فجعل توبتهم قتل أنفسهم، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم: (أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)^٤ فابتلاهم بالتيه. فسواء قاتل قال: هم لم يسسخهم قردة، وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير - وآخر قال: لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم - من الخلاف على أنبيائهم، والنكل والعقوبات التي أحلها الله بهم. ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقر بآخر منه، سئل البرهان على قوله، وعورض - فيما أنكر من ذلك - بما أقر به، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح. هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه. وكفى دليلاً على فساد قول إجماعها على تحطته"^٥.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٢ سورة البقرة، الآية ٦٥.

٣ انظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ٧٤/١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الكتاب العربي، بيروت، وتفسير القرطبي: ٤٤٣/١، والبحر المحيظ لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، والتحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ل محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: ٥٤٤/١، سنة النشر ١٩٨٤هـ الدار التونسية للنشر، تونس.

٤ انظر: تفسير ابن عطية: ١٦١/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٧٤/١، وتفسير القرطبي: ٤٤٣/١.

٥ سورة النساء، الآية ١٥٣.

٦ سورة المائدة، الآية: ٢٤.

٧ جامع البيان: ١٧٣/٢.

ويقول الإمام القرطبي: "وَرُوِيَ عَنِ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ إِنَّمَا مَسِخَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَطُّ، وَرَدَّتْ أَفْهَامُهُمْ كَأَفْهَامِ الْفِرَّةِ، وَلَمْ يَقْلُ غَيْرُهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ فِيمَا أَعْلَمُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^١

وهكذا اعتبر الإمامين الجليلين: الطبري، والقرطبي القول الثاني من شذوذ الإمام مجاهد، ومن ثم ردّ عليه وفقاً للقاعدة.

(٣) ما يتعلق بالقرآن.

القاعدة الأولى: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.^٢

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية على أقوال أحدها له قرينة في السياق، فأولى الأقوال بتفسير الآية الذي تؤيده قرينة في السياق.^٣

ومثل ذلك ما قاله الإمام القرطبي في قوله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"^٤: اختلف في القائل له "كَمْ لَبِثْتَ"، فقيل: الله عز وجل، ولم يقل له إن كنت صادقاً كما قال للملائكة على ما تقدم. وقيل: سمع هاتفاً من السماء يقول له ذلك. وقيل: خاطبه جبريل. وقيل: نبي. وقيل: رجل مؤمن ممن شاهدته من قومه عند موته وعمر إلى حين إحيائه فقال له: كَمْ لَبِثْتَ. قلتُ (القائل هو الإمام القرطبي): وَاللَّظْهَرُ أَنَّ الْقَائِلَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، لِقَوْلِهِ "وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا". وَاللَّهُ أَعْلَمُ"^٥.

وهكذا رجح الإمام القرطبي القول الذي تؤيده قرائن في السياق على ما خالفه وفقاً لهذه القاعدة.

^١ الجلع لأحكام القرآن: ٤٤٣/١.

^٢ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٩٩/١.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

^٥ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٧/٣.

القاعدة الثانية : القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدِمَ ذلك^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله على أقوال مختلفة، والقول منها يؤيده آية، أو آيات أخرى، أو قراءة متواترة في الآية نفسها؛ لأنها بمنزلة الآية، فحمل الآية عليه أولى؛ لأنها أصح الأقوال لتأييد القرآن له، ويدخل تحت هذه القاعدة أيضا القول الذي تركه الآيات. قد اهتمّ المفسرون سلفا وخلفا بهذه القاعدة، وعدّها من أحسن طرق التفسير وأجلّها، واستعملها في ترجيح الأقوال، وتضعيفها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختُصِر من مكان فقد بسّط في موضع آخر".^٢ ونص الإمام ابن جزري على هذه القاعدة ووضعه في القواعد الترجيحية قائلا: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^٣

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون في الملائكة الذين أمروا بالسجود في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^٤. قولين: (١) أنهم جميع الملائكة. (٢) أنهم ملائكة الأرض.

يقول الإمام البغوي^٥ بعد ذكر هذين القولين: "وَأَلْصَحُّ أَنَّهُ مَعَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"^٦.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٢/١.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ مقدمة في أصول التفسير: ٣٩١.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٢/١-١٣.

٥ سورة البقرة، الآية ٣٤.

٦ هو: الإمام، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، الملقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان زاهدا ورعا قانعا فقيها محدثا. من مصنفاته: "شرح السنة" و"معالم التنزيل" وهو التفسير المشهور بتفسير البغوي، و"المصابيح"، وكتاب "التهذيب" في المذهب، و"الجمع بين الصحيحين"، و"الأربعين حديثا". وكانت وفاته بمرو الروز (خراسان) سنة ست عشرة وخمس مائة، ودفن بجانب شيخه القاضي حسين. انظر: (سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٣٩/١٩) وما بعدها.

وهكذا رجح الإمام البغوي قولاً بناء على هذه القاعدة (تفسير القرآن بالقرآن). وردّ شيخ الإسلام ابن تيمية على سؤال في هذا الصدد قائلاً: "بل أسجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن في قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"^{٣٠}، فهذه ثلاث صيغ مقررة للعموم وللإستغراق، فإن قوله: "الْمَلَائِكَةُ" يقتضي جميع الملائكة، فإن اسم الجمع المعروف بالألف واللام يقتضي العموم كقوله: (رب الملائكة والروح) فهو رب جميع الملائكة. الثاني: "كُلُّهُمْ"، وهذا من أبلغ العموم. الثالث: قوله: "أَجْمَعُونَ" وهذا تأكيد للعموم. فمن قال: إنه لم يسجد له جميع الملائكة، بل ملائكة الأرض، فقد رد القرآن بالكذب والبهتان".^{٣١}

القاعدة الثالثة: كل قول طعن في عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومقام الرسالة فهو

مردود.

والمعنى: أن يذكر قول كوجه في تفسير الآية؛ لكنه يطعن في عصمة النبوة ومقام النبوة ومنزلتها فهو مردود.

ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري خلاف أهل التأويل في قوله: "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" في قوله تعالى: "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَآتَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"^{٣٢} على الأقوال التالية:

وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: ٧٥٧-٧٧، المحقق: د/ محمود محمد الطناحي، و د/ عبد الفتاح محمد الحلوة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ هجر، طبقات المفسرين للأذنة وي: ١٥٧١-١٦٠.

١ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٢ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: ١٠٤/١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: لأول ١٤٣٠هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٤ مجموع فتاوى: ٣٤٥/٤-٣٤٦.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٢٨/١.

٦ المصدر السابق: ٣٢٨/١-٣٢٩.

٧ سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(١) فظن أن لن نضيق عليه بالعقوبة كما قال الله جل ثناؤه (وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ).^٧

(٢) فظن أن الله تعالى يعجز عن عقوبته لا يقدر عليه.

(٣) ذلك على معنى الاستفهام، والمعنى: أظن أن لن نقدر عليه، قاله ابن زيد؟^٨

ثم يقول: "وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عني به: فظن يونس أن لن نجسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك، وأما ما قاله ابن زيد، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حلجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد، كان معلوماً أنه ليس به وإذا فسد هذان الوجهان، صح الثالث وهو ما قلنا".^٩

وهكذا رجح الإمام الطبري قولاً وردّ آخر؛ لأجل طعنه في عصمة الأنبياء، ومقام رسالتهم اعتماداً على هذه القاعدة.

ج) القواعد الترجيحية المتعلقة بلغة العرب.

(١) ما يتعلق باستعمال العرب للألفاظ والمباني.

القاعدة الأولى: كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردّ على قائله.^{١٠}

والمعنى: كل تفسير خرج بمعاني كتاب الله عمّا تدلّ عليه ألفاظه وسياقه، ولم يدلّ اللفظ على هذا المعنى بأيّ نوع من أنواع الدلالة فهو مردود، وليس من تفسير كتاب الله تعالى في شيء؛

١ سورة الطلاق، الآية ٧.

٢ انظر: جامع البيان: ٥١٤/١٨-٥١٥.

٣ سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٤٩/٢.

لأنّ الألفاظ هي قوالب المعاني وبها يستدلّ على مراد المتكلم، فالغاء دلالتها إبطال للغة التخاطب وفائدته^١.

ومثال ذلك ما ذكر الإمام القرطبي في قوله: "بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ" في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"^٢: "قَالَ بَعْضُ أَرْيَابِ الْمَعَانِي عِجْلُ كُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسُهُ فَمَنْ أَسْقَطَهُ وَخَالَفَ مَرَادَهُ فَقَدْ بَرِيَ مِنْ ظُلْمِهِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ هُنَا عِجْلٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَبْدُوهُ كَمَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ"^٣.

هكذا ردّ الإمام القرطبي على هذا التفسير الباطني، وكذلك يرّد كلّ تفسير باطني لا تدلّ عليه ألفاظ القرآن بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الثانية: ليس كل ما ثبت في اللغة حمل آيات التنزيل عليها^٤.

والمعنى: لا يكفي ثبوت المعنى للكلمة المفسرة وصحتها في اللغة، بل لا بد من مراعاة السياق القرآني وأسباب النزول والقرائن الحافظة بالخطاب وقت نزول القرآن؛ وذلك لأنّ الإعتماد على مجرد اللغة يهمل غرض المتكلم به - سبحانه وتعالى - من كلامه، ولكل كلمة معنى في سياق قد لا يصلح في سياق آخر^٥.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون قولين في قوله: "مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ" في قوله تعالى: "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهِيَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ"^٦:

(١) يعيسى ابن مريم.

(٢) بكتاب من الله^١.

١ انظر: المصدر نفسه.

٢ سورة البقرة، الآية ٥٤.

٣ الجفيع لأحكام القرآن: ٤٠١/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٣٦٢/١.

٥ انظر: المصدر نفسه.

٦ سورة آل عمران، الآية ٣٩.

يقول الإمام الطبري بعد إيراد القول الأول في تفسيره: "وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة، أن معنى قوله: "مصدقًا بكلمة من الله"، بكتاب من الله، من قول العرب: "أنشدني فلان كلمة كذا"، يراد به: قصيدة كذا، جهلا منه بتأويل "الكلمة"، واجترأ على ترجمة القرآن برأيه".^٢

هكذا رد الإمام الطبري على القول الثاني وفقا للقاعدة.

القاعدة الثالثة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر.^٤

والمعنى: يجب أن يحمل معاني كتاب الله تعالى على الأغلب والأفصح والأشهر، المعروف عند العرب، دون الشاذ والضعيف والمنكر، ويحمل أيضا على المعاني والعبادات والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، دون ما حدث واستجد بعد التنزيل؛ وذلك لأن القرآن الكريم نزل بأفصح اللغات، وأشهرها، فلا يجوز العدول في تفسيره عن ذلك كله، إلا أن يدل الدليل على خلافه. ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري عدة أقوال في قوله: "وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ" في قوله تعالى: "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ".^١

(١) يراد به إخراج الأشياء الحية من النطفة الميتة، ويخرج النطفة الميتة من الأشياء الحية".

(٢) يراد به إخراج النخلة من النواة، والنواة من النخلة، والسنبل من الحب، والحب من السنبل، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض".

(٣) يراد به إخراج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن".^١

١ انظر: تفسير القرطبي: ٧٧/٤.

٢ يريد به أبا عبيدة؛ لأنه ذكر هذا القول الثاني في كتابه مجاز القرآن. انظر: (انظر: ٩١/٨ في مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، المحقق: محمد فواد سزكين. الطبعة ١٣٨١هـ مكتبة الخالجي، القاهرة).

٣ جامع البيان: ٣٧٣/٦ - ٣٧٤.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٣٦٩٢.

٥ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٠، وقواعد التفسير للسبت: ٢١٧/٨.

٦ سورة آل عمران، الآية ٢٧.

ثم قال: "وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب، تأويلٌ من قال: "يخرج الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء من النطف الميته، وذلك إخراج الحيّ من الميت، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء، وذلك إخراج الميت من الحيّ". وذلك أن كل حيّ فارقه شيء من جسده، فذلك الذي فارقه منه ميت. فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه، ثم ينشئ الله منها إنساناً حياً وبهائم وأنعاماً أحياءً. وكذلك حكم كل شيء حيّ زايله شيء منه، فالذي زايله منه ميت. وذلك هو نظير قوله: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)^١. وأما تأويل من تأوله بمعنى الحبة من السنبل، والسنبل من الحبة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فإن ذلك، وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام. وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال"^٢. وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام.

وهكذا رجح الإمام الطبري قولاً وردت أقوالاً أخرى بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الرابعة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^٣.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، فمنهم من يحملها على الحقيقة ومنهم من يحملها على المجاز، فأصوب الأقوال حملها على الحقيقة، إلا أن يدلّ الدليل على امتناعها؛ لأنّ الحقيقة هي الأصل في الكلام، ويجب حمل النصوص عليها إلا إذا دلّ الدليل على غيرها. ونص ابن جزري على هذه القاعدة أثناء كلامه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "تقديم الحقيقة على المجاز، فإنّ الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين"^٤.

١ انظر: جامع البيان: ٣٠٤/٦ وما بعدها.

٢ سورة البقرة، الآية ٢٨.

٣ المصدر السابق: ٣٠٩/٦.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٨٧/٢.

٥ المصدر نفسه.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

ومثال ذلك ما ذكر ابن جزري قولين في قوله: "أَمَاتَ وَأَحْيَا" في قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا":^١

(١) يراد به الحياة المعروفة والموت المعروف.

(٢) يراد به الإيمان والكفر.

ثم يقول: "والأول أرجح، لأنه حقيقة"^٢. من هنا رجح ابن جزري الحقيقة على المجاز.

القاعدة الخامسة: إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية.

والمعنى: إذا دار تفسير الآية بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي، ولا دليل لتعيين أحدهما، فيقدم المعنى الشرعي؛ لأن القرآن الكريم نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة، إلا أن يدلّ الدليل على تقديم المعنى اللغوي.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون قولين في المراد بـ "السجود" في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^٣:

(١) هو الخضوع والتذلل والانقياد، وهذا هو الجانب اللغوي للسجود.

(٢) هو وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة كالسجود المعتاد في الصلاة، سجود

تحية وتكرمة لآدم وطاعة لله لا سجود عبادة. وهذا هو المعنى الاصطلاحي والشرعي

للسجود.

١ سورة النجم، الآية ٤٤.

٢ انظر: تفسير ابن جزري: ٣٢٠/٢.

٣ المصدر نفسه.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٤٠١/١.

٥ انظر: المصدر نفسه، وأصول في التفسير لمحمد الصالح العثيمين، ص ٣٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٧م، دار ابن الجوزي، الدمام، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١٠٦.

٦ سورة البقرة، الآية ٣٤.

٧ انظر: تفسير ابن عطية: ١٢٤/١، ومفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ٤٢٧/٢، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ دار إحياء

التراث العربي، بيروت: وتفسير الألوسي: ٣٣٠/١، وغيرهم.

يرد الإمام الرازي^١ على القول الأول فيقول: "وأما القول الثالث^٢ فضعيف أيضاً لأن السجود لما شك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك لأن الأصل عدم التغيير".^٣

ويقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: "واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفائهم على أنه لم يكن سجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع، وعلى هذا قيل: كان ذلك السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى، وكان آدم كالقيلة لنا".^٤

وهكذا رجح المفسرون المعنى الشرعي للسجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض على المعنى اللغوي الذي هو الخضوع والإنقياد وفقاً للقاعدة.

القاعدة السادسة: إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية.^٥

والمعنى: إذا اختلف في كلام الشارع بين الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية، ولا دليل على تعيين أحدهما، فالأرجح حمل تفسير الآية على الحقيقة العرفية، حيث يقيد ذلك بعرف النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن يدلّ الدليل على ترجيح المعنى اللغوي.^٦

١ انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/٢، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/٨، وغيرهم.

٢ هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي العلامة فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري الطبرستاني الرازي، ابن خطيب الري الشافعي المفسر المتكلم الأصولي صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة. من مصنفاته: "التفسير الكبير"، و"البرهان في قراءة القرآن"، و"عيون الحكمة فلسفة". وقد كانت وفاته في يوم: انظر بهراة سنة ست وستمانه. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/٥٠٠-٥٠١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٨/٨١، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٢١٣/٨-٢١٤).

٣ وهو الإنقياد والخضوع.

٤ التفسير الكبير: ٤٢٧/٢.

٥ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/٨.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٤١٢/٨.

٧ وذلك إذا لا يمكن حل الآية على المعنى الشرعي فنلجأ إلى المعنى العرفي.

ومثل ذلك ما ذكر المفسرون في قوله: "وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ" في قوله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"^١، عدة أقوال:

١) المقصودون بهذا الصنف: الغزاة.^٢ أو المقصود بهم: الحجيج. (٣٣) أو المقصود بهم طلبه العلم.^٣

يقول الإمام البغوي: "وَلَا يُعْطَى شَيْءٌ مِنْهُ فِي الْحَجِّ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَقَالَ قَوْمٌ: يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ سَهْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى الْحَجِّ. وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ"^٤.

ويقول القاضي ابن العربي:^٥ "قَالَ مَالِكٌ: سُبُلُ اللَّهِ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنِّي لَأَعْلَمُ خِلَافًا فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِسَبِيلِ اللَّهِ هَاهُنَا الْغَزْوُ مِنْ جُمْلَةِ سَبِيلِ اللَّهِ. إِنَّمَا مَا يُؤْتَى عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ فَإِنَّهُمَا قَالَا: إِنَّهُ الْحَجُّ. وَالَّذِي يَصِحُّ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمَا أَنَّ الْحَجَّ مِنْ جُمْلَةِ السُّبُلِ مَعَ الْغَزْوِ؛ لِأَنَّهُ طَرِيقٌ يَرَى فَأَعْطِيَ مِنْهُ بِاسْمِ السَّبِيلِ، وَهَذَا يُحِلُّ عَقْدَ الْبَلَابِ، وَيَحْرُمُ قَانُونَ الشَّرِيعَةِ، وَيَنْشُرُ سَبْلَكَ النَّظْرَ، وَمَا جَاءَ قَطُّ بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ فِي الْحَجِّ أَكْثَرَ"^٦.

١ انظر: المصدر السابق، وقواعد التفسير للسبت: ١٥٢/٨.

٢ سورة التوبة، الآية ٦٠.

٣ ذكره أكثر المفسرين ورجحه، انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري: ٣٦٩/٤، وتفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بللاوردي: ٣٧٧/٢، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، وزاد المسير لابن الجوزي: ٢٧٧/٢.

٤ انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٩/٤، وتفسير الألوسي: ٣٣/٥.

٥ معالم التنزيل: ٣٦٢/٨.

٦ هو: الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٦٨م، صنف وجمع وبرع في العلوم وهو أحد من بلغ رتبة الإجتهد، توفي سنة ٥٤٣هـ. من مؤلفاته: "أحكام القرآن"، و"أمهات المسائل"، و"نزعة الناظر". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩٧/٢٠ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ١٨٠/٨-١٨١).

٧ أحكام القرآن: ٥٣٣/٢، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ويقول رشيد رضا: "اتَّفَقَتِ الْمَذَاهِبُ عَلَى أَنَّ الْعَزَاةَ وَالْمُرَايَطِينَ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِهَذَا الصَّنْفِ مِنْ مُسْتَحَقِّي الصَّدَقَاتِ، إِمَّا وَحَدَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَإِمَّا مَعَ غَيْرِهِمْ مِمَّا يَشْمَلُهُ عُمُومُ الْإِضَافَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".^١

وإنَّ إطلاقَ لفظ "في سبيل الله" على الغزو والجهاد كان شائعاً في الاستعمال عند نزول القرآن، فكان عرفاً.

هكذا رجَّح هؤلاء المفسرون المعنى العرفي على المعنى اللغوي في تفسير الآية الكريمة وفقاً لهذا القاعدة.

القاعدة السابعة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية، فمنهم من يحملها على التقدير ويرى الحاجة إليه، ومنهم من يحملها على عدم التقدير، ويرى عدم الاحتياج إلى التقدير، ويفهم الخطاب دونه، فيقدم حل الآية على عدم التقدير؛ لموافقتها الأصل.

ونص بهذه القاعدة ابن جزى أيضاً حيث يقول: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار.

ومن أمثله ما ذكره المفسرون في قوله: "وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ" في قوله تعالى: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلْعَجَمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" عدة أقوال كالتالي:

(١) وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَبْتَدَأٌ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْ خبره.

(٢) وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ عطف على الموصول الأول في قوله: " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً".^١

١ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٤٣٦/١٠، سنة النشر: ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٤١٧/٢.

٣ المصدر السابق: ٤٢١/٢.

٤ انظر: نفس المصدر السابق، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١٢٠.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

(٢) وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَبْتَدَأَ، خبره محذوف، والتقدير: هو أي القرآن في آذَانِهِمْ وَقُرْ.

يقول العلامة أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَبْتَدَأَ، وفي آذَانِهِمْ وَقُرْ هُوَ مَوْضِعُ الْخَبَرِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هُوَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ هَدَى وَشَفَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، أَخْبَرَ أَنَّهُ وَقُرْ وَصَمَّمَ فِي آذَانِهِمْ، أَيِ الْكَافِرِينَ، وَلَا يُضْطَرُّ إِلَى إِضْمَارِ هُوَ، فَالْكَلَامُ تَامٌ دُونَهُ أَخْبَرَ أَنَّ فِي آذَانِهِمْ صَمَّمَ عَن سَمَاعِهِمْ. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِمْ عَمَى، يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِبْصَارِ حِكْمَتِهِ وَالنَّظَرِ فِي مَعَانِيهِ وَالتَّقْرِيرِ لِآيَاتِهِ، وَجَاءَ بِلَفْظِ عَلَيْهِمْ الدَّالَّةُ عَلَى اسْتِيلَاءِ الْعَمَى عَلَيْهِمْ، وَجَاءَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّامِ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، وَكَوْنُ وَالَّذِينَ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَالتَّقْدِيرُ: وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَقُرْ فِي آذَانِهِمْ إِعْرَابٌ مُتْكَلِّفٌ، وَهُوَ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ، وَفِيهِ مَذَاهِبٌ كَثِيرَةٌ فِي النَّحْوِ، وَالْمَشْهُورُ مَنَعُ ذَلِكَ".

وعلى هذا الراجع هو القول الأول؛ لأنه سالم من الإضمار والتقدير، كما صرح بذلك الإمام أبو حيان الأندلسي.

القاعدة الثامنة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير.

١ سورة فصلت، الآية ٤٤.

٢ انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله: ٢٠٣/٤، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: ٧٣/٥، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، وتفسير الألوسي: ٣٨١/٢.

٣ هو: العلامة، كبير المعتزلة، محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، الأديب، المفسر، الحنفي، صاحب "الكشاف". يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانا. ولد في رجب، سنة سبع وستين وأربع مائة بزخشر (خوارزم). كان واسع العلم، رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. له التصانيف البديعة، منها: "الفاوق" في غريب الحديث، و"ربيع الأبرار"، و"أساس البلاغة"، و"المنهاج" في الأصول، و"المفصل" في النحو. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥١/٢٠ وما بعدها، وطبقات المفسرين للدوايني: ٣٦٤/٢ وما بعدها، طبقات المفسرين للادنه وي: ١٧٣-١٧٢).

٤ البحر المحيط: ٣٣/٩.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٤٥١/٢.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله - عز وجل -، فمنهم من يدعي التقديم في الآية والتأخير فيها، ومنهم من يدعي إبقاء الكلام على ترتيبها، فأولى الأقوال بتفسير الآية إبقائها على ترتيبها؛ لأنه هو الأصل في الكلام، ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل صريح وقرينة جلية^١.

ونص ابن جزى على هذه القاعدة في مقدمة تفسيره قائلاً: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل الدليل على التقديم والتأخير^٢.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون قولين في تأويل قوله تعالى: "وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ"^٣.

(١) إن "أحوى" صفة لـ "غثاء"، أي: أن الله - عز وجل - أخرج المرعى أخضر ثم جعله يابسا أسودا.

(٢) إن "أحوى" حل من "المرعى"، أي: أن الله - عز وجل - أخرج أسودا من شدة الخضرة، وعلى هذا تقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء^٤.

يقول الإمام الطبري معلقا على القول الثاني: "وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدت خضرته من النبات، قد تسميه العرب أسود، غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه، أو تأخيره، فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير"^٥.

ويعلق الإمام ابن جزى على القول الثاني قائلاً: "وفي هذا القول تكلف"^٦.

وهكذا رجح الإمامين الطبري، وابن جزى القول الأول؛ لأنه سالم من التقديم والتأخير/إبقائه على ترتيبه، على ما قالت به هذه القاعدة.

١ انظر: المصدر، وفصول في أصول التفسير للطبار، ص ١٠٩.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٨.

٣ سورة الأعلى، الآية ٤-٥.

٤ انظر: الكشاف للزجاجي: ٧٣٧/٤، وتفسير البيضاوي: ٣٠٥/٥، وتفسير ابن جزى: ٤٧٤/٢.

٥ جامع البيان: ٣٧٠/٢٤.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٧٤/٢.

القاعدة التاسعة: لا ينبغي حمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح^١.

والمعنى: إذ اختلف المفسرون في تفسير آية، وكان خلافهم يدور بين حمل الآية على القلب أو عدمه، فالأولى حمها على عدم القلب؛ لموافقته لظاهر الآية، ولا يجوز أن ينتقل عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه؛ ولأنه هو الأصل^٢.

ومثال ذلك ما ذكر القاضي ابن عطية في قوله: "فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ" في قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"^٣ قولين:

(١) إن الله - عز وجل - هدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم - للتصديق بجميع الكتب السماوية.

(٢) إن الله هدى المؤمنين للحق في جميع ما اختلف فيه أهل الكتابين^٤.

ثم يقول: "وقال الفراء: في الكلام قلب... وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه... وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يخرج على وجهه ووصفه، لأن قوله فهدى يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتم المعنى في قوله فيه، وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه"^٥.

ذكر أبو حيان الأندلسي تعليق القاضي ابن عطية على قول الفراء وقال عنه: "وَهُوَ حَسَنٌ"^٦. وهكذا رد القاضي ابن عطية على ادعاء القلب في الآية، ووافق الإمام أبو حيان الأندلسي في ذلك، وهذا ما ترجحه هذه القاعدة.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريبي: ٤٦١/٢.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ سورة البقرة، الآية ٢١٣.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٢٨٦/١-٢٨٧.

٥ المصدر السابق: ٢٨٧.

٦ البحر المحیط: ٣٧٠/٢.

القاعدة العاشرة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد، فحملة على التأسيس أولى^١.

والمعنى: إذا احتمل اللفظ أو الجملة من كتاب الله تعالى أن يقع تأكيدا لما سبق، أو يقع مؤسسا مفيدا لمعنى جديد لم يسبق، فحملة على التأسيس (فائدة جديدة) أولى من حملة على التأكيد (الإعادة)، إلا إذا تعذر حملة على التأسيس؛ ولأنه هو الأصل في الكلام^٢.

ومثال ذلك ما في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ"^٣.

من اختلاف المفسرين في الضمير المحذوف الذي هو فاعل "عَلِمَ"

(١) إِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ"، أَي: كُلُّ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.

(٢) إِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى قَوْلِهِ: "كُلُّ"، أَي: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.

يقول الإمام الشنقيطي بعد ذكر هذين القولين: "وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ -القول الثاني- فَفَرَّقَهُ تَعَالَى وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ تَأْسِيسٌ لَّا تَأْكِيدٌ، أَمَا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ، أَي: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ صَلَاتَهُ يَكُونُ قَوْلُهُ: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ كَالْتَكْرَارِ مَعَ ذَلِكَ، فَيَكُونُ مِنْ قِبَلِ التَّوَكِيدِ اللَّفْظِيِّ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْمُقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ أَنَّ الْحَمْلَ عَلَى التَّأْسِيسِ أَرْجَحُ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى التَّوَكِيدِ"^٤.

وهكذا رجح الإمام الشنقيطي القول الثاني الذي يحمل الكلام على التأسيس دون التأكيد وفقا للقاعدة.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحبري: ٤٧٣/٢.

٢ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٧.

٣ سورة النور، الآية ٤١.

٤ انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: ٥٥١/٥، عام النشر: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان.

٥ أضواء البيان: ٥٥٢/٥.

القاعدة الحادية عشرة: حمل اللفظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، فمنهم من يقول بترادف بعض ألفاظها تأكيداً للمعنى المذكور، ومنهم من يقول بالتباين بين معانيها، فأرجح القولين في ذلك قول من يقول بتباينها؛ لموافقته الأصل؛ ولإفادته فائدة جديدة، وأما القول بترادفها فهو لن يحمل معنى جديداً إلا أنه سيكون تأكيداً لما سبق، وعلماء الترجيح يرون أن التأسيس أولى من التأكيد.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون قولين في قوله "الْبِرُّ وَالتَّقْوَى" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"^٢:

(١) هما لفظان مترادفان في المعنى، وكرر باختلاف اللفظ تأكيداً ومبالغة، إذ كل بر تقوى وكل تقوى بر^٣.

(٢) هما لفظان متباينان في المعنى، فالبر يستخدم في الأمور، والتقوى يستخدم في المنهيات، أو البر أعم يتناول الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يتقرب به إلى الله تعالى، والتقوى تختص بالواجبات وترك المحرمات^٤.

يقول الإمام الطبري في الآية: "وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضاً "على البر"، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به "والتقوى"، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه"^٥.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٤٨١/٢.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ سورة المائدة، الآية ٢.

٤ انظر: تفسير ابن عطية: ٢٢٨/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٨٢.

٥ انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٩.

٦ انظر: تفسير ابن عطية: ٢٢٨/١، وتفسير ابن جزي: ٢٢٠/١.

٧ جامع البيان: ٤٩٠/٩.

ويقول الإمام ابن جزى: "والفرق بين البرّ والتقوى أن البرّ عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات فالبرّ أعمّ من التقوى".^١

فأولى القولين في هذا القول الثاني، وهذا ما تقرّره هذه القاعدة. أي "البرّ" و"التقوى" هما لفظان متباينان في المعنى، وبينهما فرق في المعنى؛ وذلك لإفادة فائدة جديدة. وأما على القول الأول ف"التقوى" يكون مؤكداً لـ "البرّ"، وهذا لا يفيد فائدة جديدة.

القاعدة الثانية عشرة: إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فعمله على التأصيل أولى.^٢

والمعنى: إذا احتمل اللفظ من كتاب الله تعالى الزيادة والتأصيل، ودار خلاف المفسرين بين حملها على الزيادة والتأصيل (عدم الزيادة)، فمنهم من حملها على الزيادة وأصل المعنى يتم بدونها، ومنهم من حملها على التأصيل (عدم الزيادة)، وأصل المعنى لا يتم بدونها، فالأولى حملها على التأصيل (عدم الزيادة)؛ لأنه هو الأصل، ولا يعدل عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه؛ ولأن التأسيس أولى من التأكيد.

ومثال ذلك ما اختلف في تأويل "الواو" التي في قوله تعالى: "أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"^٣؛ فمنهم من يقول: هي زائدة تجعل مع حروف الإستفهام، وهي مثل "الفاء" في قوله تعالى: "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ"^٤، ومنهم من يقول: هي حرف عطف.

يقول الإمام الطبري بعد ذكر القولين: "والصواب في ذلك عندي من القولة أنها "واو" عطف، أدخلت عليها "الف" الاستفهام، كأنه قال جل ثناؤه: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٠٨.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٤٩٥/٢.

٣ انظر: المصدر نفسه.

٤ سورة البقرة، الآية ١٠٠.

٥ سورة البقرة، الآية ٨٧.

٦ انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩٢-٤٠٠، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥١٨١.

خَدُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا^١، وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم. ثم أدخل "ألف" الاستفهام على "وكلما" فقال: "قالوا سمعنا وعصينا، أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم". وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له، فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن "الواو" و"الفاء" من قوله: (أو كلما) و (أفكلما) زائدتان لا معنى لهما^٢.

وهذا القول رجحه أبو حيان الأندلسي في تفسيره حيث يقول: "وَهُوَ الصَّحِيحُ"^٣. وهكذا رجَّح الإمام الطبري، والإمام أبو حيان الأندلسي القول الثاني القائل بعدم الزيادة (التأصيل) بناء على القاعدة المذكورة.

القاعدة الثالثة عشرة: القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية^٤.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية على عدة أقوال، فالقول الذي يتفق مع تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى الأقوال بتفسير الآية؛ لأنَّ التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرغة منها، وبهما يستعين في ترجيح الأقوال وتضعيفها.

وذكر ابن جزى هذه القاعدة أيضا في وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره، فيقول: "أن يدلَّ على صحَّة كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق"^٥. ومثل ذلك ما اختلف المفسرون في معنى "الإمام" في قوله تعالى: "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسِ بِأَسْمَائِهِمْ"^٦ على عدة أقوال، منها: (١) يراد به كتاب أعمال كل إنسان. (٢) يراد به نبيهم. (٣) يراد

١ سورة البقرة، الآية ٩٣.

٢ جامع البيان: ٤٠٠/٢.

٣ البحر المحيط: ٥١٨/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريبي: ٥١٧/٢.

٥ انظر: نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١٠٧.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

٧ سورة الإسراء، الآية ٨١.

به كتابهم الذي أنزل على نبيهم. ٤) يراد به إمام عصرهم الذي كان يأتهم به من نبي أو غيره. ٥) يراد به أمهاتهم، على أن الإمام جمع أم.

رد المفسرون على هذا القول الأخير وتردّه هذه القاعدة أيضاً؛ وذلك أن "أم" لا تجمع على "إمام"، بل تجمع على "أمهات".^١

يردّ الزمخشري على القول الأخير قائلاً: "ومن بدع التفسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته؟"^٢

يقول السمين الحلبي بعد ذكر ردّ الإمام الزمخشري: "قلت: وهو معذور لأن "أم" لا يُجمع على "إمام"، وهذا قولٌ من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب".^٣

ويقول الإمام القرطبي في معرض ردّه على القول الأخير: "قلت: وفي هذا القول نظر، فإن في الحديث الصحيح عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يُرفع لكل غدير لواء، فيقول: "هذه غدره فلان بن فلان". فقوله: "هذه غدره فلان ابن فلان" دليل على أن الناس يُدعون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وهذا يرُدُّ على من قال: إنما يُدعون بأسماء أمهاتهم لأن في ذلك سترًا على آبائهم. والله أعلم".^٤

١ انظر لهذه الأقوال: تفسير الطبري: ٥٠٢/١٧، وفتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني

اليميني: ٢٩٢/٣، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

٢ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٢٠/٢.

٣ الكشاف: ٦٨٢/٢.

٤ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣٩٠/٧. المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٥ خرجه البخاري ومسلم. (صحيح البخاري: ٤١/٨، برقم: ٦١٧٧)، باب ما يُدعى الناس بأبائهم، كتاب الأدب،

وصحيح مسلم: ١٣٥٩/٣، برقم: (١٧٣٥)، باب تحريم القدر، كتاب الجهاد والسير، واللفظ لمسلم).

٦ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٧/١٠-٢٩٨ بتصرف يسير.

ويقول الإمام الشنقيطي: " وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِإِمَامِهِمْ كَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ "أُمَّهَاتُهُمْ" أَيْ يُقَالُ: يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانَةٍ - قَوْلٌ بَاطِلٌ بِلَا شَكٍّ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: "يُرْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءٌ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ".^١

والأرجح هو القول الأول؛ لقوليه تعالى: " وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ "١. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ" أَيْ: يَقْرَؤُهُ وَيُحِبُّ قِرَاءَتَهُ مِنَ الْفَرْحِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ" إِلَى أَنْ قَالَ: "وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَةَ"^٢.

ومن هنا رد هؤلاء الأئمة المفسرون على القول الأخير المخالف مع تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها ورجحوا القول الأول المتفق مع تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها على مقتضى القاعدة.

القاعدة الرابعة عشرة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى بين حملها على عموم ألفاظها وتخصيصها على بعض أفرادها، فالصحيح هو حملها على العموم ما لم يرد ما يخصصه.^٣
وعد ابن جزى هذه القاعدة في وجوه الترجيح التي ذكرها في تفسيره فيقول: "تقديم العمومي على الخصوصي، فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على تخصيصه".^٤

١ أضواء البيان: ١٧٧٣.

٢ سورة يس، الآية ١٢.

٣ سورة الحاقة، الآيات ١٩-٢٦.

٤ انظر: تفسير ابن كثير: ٩٩/٥.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٢٧/٢.

٦ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ٩٩، وقواعد التفسير للسبت: ٥٩٩/٢.

٧ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري عدة أقوال في تأويل "لَهُوَ الْحَدِيثُ" في قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرَ عِلْمَ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"^١، كالتالي:

(١) هو الغناء والاستماع له.

(٢) هو الطبل.

(٣) هو الشرك.^٢

ثم يقول: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عمّ بقوله: "لَهُوَ الْحَدِيثُ" ولم يخصص بعضا دون بعض. فذلك على عمومته حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك".^٣

ويقول الإمام ابن جزري بعد ذكر الأقوال في الآية: "ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه لو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف"^٤.

ومن هنا رجّح الإمام الطبري، والإمام ابن جزري حمل الآية على عموم ألفاظها دون تخصيصها على بعض أفرادها بناء على القاعدة.

القاعدة الخامسة عشرة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^٥.

والمعنى: إذا صحّ سبب نزول للآية، وتكون ألفاظ الآية عامّة، واختلف المفسرون فيها، فمنهم من يخصصها على سبب نزولها، ومنهم من يحملها على عموم ألفاظها، فالأولى هو حملها على عموم ألفاظها، ولم يخصصها على سبب نزولها، ما لم يرد الدليل على تخصيص ألفاظها.

١ سورة لقمان، الآية ٦.

٢ انظر: جامع البيان: ١٣٧/٢٠ وما بعدها.

٣ المصدر السابق: ١٣٠:٢٠.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٧/٢.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحبري: ٥٤٥/٢.

٦ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطبار، ص ٩٩، وقواعد التفسير للسبت: ٥٩٣/٢.

ومثل ذلك ما قاله الإمام أبو حيان الأندلسي بعد ذكر الأقوال المختلفة في سبب نزول قوله تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"^١: "وظاهرُ الآيةِ العمومُ في كُلِّ مانعٍ وفي كُلِّ مسجدٍ، والعمومُ وإن كان سببُ نزولِهِ خاصًا، فالعبرةُ به لا بخصوصِ السببِ"^٢.

ومن هنا لم يخصص الإمام أبو حيان الأندلسي ألفاظ الآية على سبب نزولها، بل حملها على عموم ألفاظها وفقا للقاعدة.

القاعدة السادسة عشرة: إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيدا أو مطلقا فإنه يحمل على إطلاقه^٣.

والمعنى: إذا ورد لفظ في نصوص الوحي مطلقا غير مقيد بقيد أو شرط، فالأصل إبقاء المطلق على إطلاقه، ولا يجوز تقييده، بل يفسره على إطلاقه وإبهامه. إلا إذا وجد دليل التقييد. وقد نص ابن جزري على هذه القاعدة في مقنمة تفسيره أثناء ذكر الوجوه الترجيحية قائلا: "تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد"^٤.

ومثاله ما اختلف المفسرون في وجوب قضاء تتابع الأيام التي ذكرت في قوله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"^٥، على قولين:

(١) يجب التتابع فيها.

(٢) لا يجب التتابع فيها، بل هي محمول على الاستحباب^٦.

١ سورة البقرة، الآية ١١٤.

٢ البحر المحيط: ٥٧٧/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٥٥٥/٢.

٤ انظر: المصدر نفسه، وقواعد التفسير للنسب: ٦٢١/٢.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٦ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٧ انظر: تفسير القرطبي: ٢٨١/٢-٢٨٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٤/١.

فالقول الأول هو الراجح؛ لأنه ليس في الآية ما يدل على تقييد أيام بتتابع، بل الآية مطلقة في وجوب صيام عدة أيام أفطرت، ولا يجوز تقييد المطلق على التقييد إلا لدليل، وهذا ما ترجحه هذه القاعدة.

ويرجح الإمام ابن كثير القول الأول قائلا: "وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَعَلَيْهِ بُنِيَ الدَّلِيلُ؛ لِأَنَّ التَّتَابُعَ إِنَّمَا وَجِبَ فِي الشَّهْرِ لِضُرُورَةِ آدَائِهِ فِي الشَّهْرِ، فَأَمَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ رَمَضَانَ فَالْمَرَادُ صِيَامَ أَيَّامٍ عِدَّةٍ مَا أَفْطَرَ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: "فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ" ثُمَّ قَالَ: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ".^١

وهذا ما رجحه الإمام الشوكاني^٢ قائلا: "وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ التَّتَابُعِ فِي الْقَضَاءِ"^٣.

القاعدة السابعة عشرة: الأصل في الأوامر أنها للوجوب وفي النواهي أنها للتحريم.

والمعنى: إذا وردت صيغة أمر في نصوص الوحي مجردة عن القرآئن، فإنها تقتضي الوجوب (تحمل على الوجوب)، وكذلك إذا وردت صيغة نهي مجردة عن القرآئن، فإنها تقتضي التحريم (تحمل على التحريم)، إلا إذا دل الدليل بخلافه.

ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري اختلاف المفسرين في معنى قوله: "وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ يَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ

١ تفسير القرآن العظيم: ٥٠٤/١.

^٢ هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الصنعاني الشوكاني الحنبلي: فقيه مجتهد. ولد سنة ١١٧٣هـ بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات جاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. توفي سنة ١٢٥٠هـ له ١١٤ مؤلفا، منها "فتح القدير" في التفسير، خمسة مجلدات، و"نبأ الأوطار من أسرار منتقى الأخبار"، و"البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع". (انظر: الأعلام للزركلي: ٢٩٧/٦، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البيهقي البغدادي: ٧٧٥/١، عام ١٩٥١م، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان).

٣ فتح القدير: ٢٠٨/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٥٦٧/٢.

٥ انظر: المصدر نفسه، وقواعد التفسير للسبب: ٤٧٥/١.

كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ
اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَنْحَسِ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ
هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ
الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ
وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ": هل الأمر بالإشهاد للوجوب عند المبايعه أم ندب
هو؟ على قولين:

(١) هو ندب.

(٢) هو واجب.

ثم يقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الإشهاد على كل مبيع ومُشترى، حق واجب وفرض لازم، لما قد بينا: من أن كل أمرٍ لله ففرض، إلا ما قامت حُجته من الوجه الذي يجب التسليم له بأنه ندب وإرشاد".

ومن هنا رجح الإمام الطبري القول الثاني وفقا للقاعدة؛ ولأن الأمر مجرد عن القرائن يفتضي الوجوب إلا أن يدل الدليل على أنه ندب وإرشاد، ولا دليل هنا على أن الأمر للندب والإرشاد هنا.

(٢) منها: ما يتعلق بمرجع الضمير:

القاعدة الأولى: إذا أمكن حمل الضمير على غير الشأن فلا ينبغي الحمل عليه.

والمعنى: قد يختلف المفسرون في ضمير ما، فمنهم من يقول: هو ضمير الشأن والقصة، ومنهم من يقول: ليس هو ضمير الشأن والقصة. فأولى الأقوال بتفسير الآية حملها على غير ضمير

١ سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

٢ انظر: جامع البيان: ٨٣/٦-٨٤.

٣ المصدر السابق: ٨٤/٦-٨٥.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢/٥٨٥.

الشأن، إذا كان له وجه صحيح في العربية وفي السياق، ولا يحمل الآية على ضمير الشأن إلا إذا لم يجد للضمير محمل صحيح غير الشأن؛ لمخالفته للقياس^١.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون قولين في "إنه" في قوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ"^٢:

(١) الضمير في "إنه" يكون للشيطان.

(٢) أو يكون للشأن^٣.

القول الأول هو الراجح بناء على القاعدة؛ ولأنه إذا أمكن حمل تفسير الآية على غير الشأن فلا داعي حملها عليه.

يقول أبو حيان الاندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي إِنَّهُ عَائِدٌ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَقَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ: وَالضَّمِيرُ فِي إِنَّهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْحَدِيثُ انْتَهَى، وَلَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَى هَذَا"^٤.

القاعدة الثانية: إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر^٥.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في إعادة الضمير إلى مذكور أو إعادته إلى مقدر؛ واحتمل الضمير الأمرين لأجل السياق، فالأولى إعادته إلى المذكور من إعادته إلى مقدر؛ لأن إعادة الضمير إلى المقدر مع إمكان إعادته إلى المذكور فيه إخراج للآية عن نظمها دون موجب^٦.

ومثال ذلك ما قاله الإمام الشنقيطي بعد إيراد الوجهين التاليين في عائد الضمير في "موته" في قوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"^٧:

١ انظر: المصدر نفسه.

٢ سورة الأعراف- الآية ٢٧.

٣ انظر: الكشاف للزمخشري: ٩٧٢، والبحر المحيط: ٣٣/٥، وتفسير الألوسي: ٣٤٤/٤.

٤ البحر المحيط: ٣٣/٥.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٩٣/١.

٦ المصدر نفسه.

٧ سورة النساء، الآية ١٥٩.

(١) الضمير راجع إلى عيسى -عليه السلام- أي ليؤمننَّ به قَبْلَ مَوْتِ عَيْسَى. على هذا القول مفسر الضمير المذكور مصرح في قوله تعالى: " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ! "

(٢) الضمير عائد إلى الكتابي، أي: ليؤمنن به الكتابي قبل موت الكتابي. على هذا القول مفسر الضمير مقدر، تقديره: ما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته.

" فَإِنْ قِيلَ قَدْ ذَهَبَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى أَنْ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: (قَبْلَ مَوْتِهِ) رَاجِعٌ إِلَى الْكِتَابِيِّ، أَيْ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ الْكِتَابِيُّ قَبْلَ مَوْتِ الْكِتَابِيِّ. فَالْجَوَابُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَى عَيْسَى، يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ، دُونَ الْقَوْلِ الْآخَرِ! "

ثم بدأ بذكر مرجحات هذا القول فيقول: " مِنْ مُرْجِحَاتِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الصَّحِيحِ، فَمُفَسِّرُ الضَّمِيرِ مَلْفُوظٌ مُصْرَحٌ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ. " وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرَ فَمُفَسِّرُ الضَّمِيرِ لَيْسَ مَذْكُورًا فِي الْآيَةِ أَصْلًا، بَلْ هُوَ مُقَدَّرٌ، تَقْدِيرُهُ: مَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، أَيْ مَوْتِ أَحَدِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّرِ. وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنْ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ أُرْجِحَ وَأَوْلَى مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ! "

وهكذا فالقول الأول هو الأول بالأخذ والاتباع من القول الثاني؛ وذلك لأن الضمير فيه راجع إلى المذكور، وأما القول الثاني فالضمير فيه راجع إلى المقدر.

القاعدة الثالثة: توحيد مرجع الضمير في السياق الواحد أولى من تفريقها.

والمعنى: إذا جاءت ضمائر متعددة في سياق قرآني واحد واحتملت في رجوعها إلى مرجع واحد كما احتملت توزيعها على مراجع متعددة، فالأولى رجوعها إلى مرجع واحد لانسجام النظم واتساق السياق وقوة الإعجاز؛ لأن في توزيعها لى أكثر من مرجع تفكيكا للنظم.

١ سورة النساء، الآية ١٥٧.

٢ أضواء البيان: ١٢٩٧.

٣ المصدر السابق: ١٣٠/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٦١٣/٢.

٥ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٩، وقواعد التفسير للسبت: ٤١٤/٨.

المثال: اختلف المفسرون في عائد الضمائر الثلاثة في "تُعَزَّرُوهُ" و"تُوقَّرُوهُ" و"تُسَبَّحُوهُ" في قوله تعالى: "لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" كالآتي:

(١) هذه الضمائر كلها لله - سبحانه وتعالى.

(٢) الضمير في "تُعَزَّرُوهُ" و"تُوَقِّرُوهُ" للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي "تُسَبَّحُوهُ" لله - سبحانه وتعالى -^١.

فأولى القولين بتفسير الآية القول الأول، وهو القول بتوحيد مرجع الضمائر؛ ولأن فيه رعاية للنظم، والسلامة من تفكيكه.

يقول الزمخشري: "والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله: تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن فرق الضمائر فقد أبعده"^٢.

ويقول أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمَائِرَ عَائِدَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى".^٣

ويقول العلامة الألوسي: "ولا يخفى أن الأولى كون الضميرين فيما تقدم لله تعالى أيضا لثلا يلزم فك الضمائر من غير ضرورة"^٤.

القاعدة الرابعة: الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه.^٥

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في عائد ضمير في القرآن الكريم، فأرجح الأقوال إعادته إلى أقرب مذكور من إعادته إلى البعيد؛ لأنه هو الأصل.^٦

ومثال ذلك ما اختلف المفسرون في عائد ضمير "حَبِيبٍ" في قوله تعالى: "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حَبِيبٍ"^٧ على عدة أقوال:

(١) إنَّ الضمير راجع فيه إلى المال. أي: أخرج المال في حل محبته له.

١ سورة الفتح، الآية ٩.

٢ انظر: تفسير ابن جزى: ٢٨٧/٨، والبحر المحيظ لأبي حيان الأندلسي: ٤٨٦/٩، وتفسير الألوسي: ٢٥١/١٣.

٣ الكشاف: ٣٣٥/٤.

٤ البحر المحيظ: ٤٨٧/٩.

٥ روح المعاني: ٢٥١/١٣.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٦٢١/٢.

٧ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير، ص ١١٨، وقواعد التفسير للسبت: ٤١٢/٨.

٨ سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) الضمير فيه راجع إلى الله تعالى. أي: أعطى المال لله تعالى. (٣) الضمير فيه راجع إلى الإيتاء.
أولى الأقوال بتفسير الآية القول الأول؛ لرجوع الضمير فيه إلى أقرب مذكور، وهو المال، وهذا ما ترجحه هذه القاعدة.

يقول أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي حُبِّهِ عَائِدٌ عَلَى الْمَالِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَذْكُورٍ،
وَمِنْ قَوَاعِدِ النُّحَوِيِّينَ أَنَّ الضَّمِيرَ لَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِ الْأَقْرَبِ إِلَّا بِدَلِيلٍ"^١.
وهذا هو رجحه ابن جزى، وابن كثير.

١ انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٣٥/٢-١٣٦، وتفسير الشوكاني: ١٩٩/١.

٢ البحر المحيط: ١٣٥/٢-١٣٦.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٨/١، وتفسير القرآن العظيم: ٤٨٦.

الباب الأول:

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في أم الكتاب، والزهراوين:

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في أم الكتاب (الفاتحة).
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة البقرة.
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة آل عمران.

□

الفصل الأول

ترجيحات سورة الفاتحة

امسألة:

لماذا سميت سورة الفاتحة بهذا الاسم " الفاتحة "؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "سميت الفاتحة بهذا الاسم لغرضها، ففاتحة الشيء أوله وفاتحة الكتاب تعني بدايته، وبعبارة أخرى الفاتحة ضرب من الديباجة والاستهلال".^١

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الآنف الذكر يتضح بجلاء أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير تسعة أسباب وعلل أخرى للمفسرين في تسمية هذه السورة بهذا الاسم، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

السبب الأول: لأن القراءة القرآنية تفتتح بها نطقاً، كما أن الكتابة أيضاً تفتتح بها خطأ، وبذلك كانت هي في بداية القرآن في الترتيب المعهود، وتبوات مقام الاستهلال والديباجة. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، والثعلبي^٣، وابن عطية^٤، وغيرهم^٥.

١ تفهيم القرآن: ٤٢/١.

٢ انظر: جامع البيان: ١٠٧/١.

٣ انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٢٧/١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. المراجعة والتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. والثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، كان عالماً بارعاً في العربية، وحافظاً موثقاً، كان أوحد زمانه في علم القرآن، من تصانيفه: تفسير القرآن، و"العرائس في قصص الأنبياء-عليهم السلام-"، و"ربيع الذاكرين". مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٣٥/١٧ وما بعدها، وطبقات المفسرين للداودي: ٦٧/١ وما بعدها. وطبقات المفسرين للأدنه وي: ١٠٦/١).

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٦٥/١.

٥ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٧/١، والتفسير الكبير للرازي: ١٥٦/١، وتفسير القرطبي: ١١٧/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحيحي أبي الحسن، المعروف بلخازن: ١٥/١، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت. وتفسير ابن كثير: ١٠٧/١، والتفسير المظهري للقاضي محمد ثناء الله المظهري: ٢/١، المحقق: غلام نبي التونسي، الطبعة: ١٤١٢هـ مكتبة الرشيدية، باكستان، وتفسير الشوكاني: ١٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٦-٣٧، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٨/١، والجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي: ٣٠/١، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، وأم الكتاب (تفسير سورة الفاتحة)، (بالأردنية)، لأبي

السبب الثاني: لأنها تفتتح بها الصلوات.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والثعلبي^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

السبب الثالث: لأنها تفتتح بها القراءة والتعليم لدى الناشئة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الثعلبي، والرازي، والألوسي^٥. ولقد رد العلامة أبو السعود^٦ على هذا السبب قائلاً: " ... لأن اعتبار المبدئية من حيث التعليم يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثيثة ولا ريب في أن الترتيب التعليمي ليس على نسق الترتيب المعهود"^٧. والعلامة الألوسي أيضاً رد على هذا السبب حيث يقول: " لأن المبدئية من حيث التعليم تستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثيثة ولا ريب في أن الترتيب التعليمي ليس كالترتيب المعهود"^٨.

الكلام آزاد، ص: ١٥، يوليو ١٩٧٥م، إسلامي أكاديمي، أردو بازار، لاهور. وتدير القرآن (بالأردوية)، أمين أحسن إصلاحی: ٥٣/١، نوفمبر ٢٠٠٩م/ ذي قعدة ١٤٣٠هـ فاران فاؤنڈیشن، لاهور، باكستان، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي: ١٢/١، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٧، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي: ٥٤/١، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر، دمشق.

١ انظر: جامع البيان: ١٠٧/١.

٢ انظر: الكشف والبيان: ١٢٦/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦/١.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٧/١، وتفسير الخازن: ١٥/١، وتفسير ابن كثير: ١٠١/١، وتفسير الألوسي: ٣٧-٣٧/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١٢/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٤/١.

٥ انظر على التوالي: الكشف والبيان: ١٢٦/١، والتفسير الكبير: ١٥٦/١، وروح المعاني: ٣٧-٣٧/١.

٦ انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: ٧/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المفسر، المقفي، الشاعر، ولد سنة ست وتسعين وثمانمائة، من مصنفاته: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم" في التفسير، و"الحاشية على تفسير الكشاف" بلغها إلى آخر سورة الفتح، و"تحفة الطلاب" في المناظرة، وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة. (انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٣٩٨-٣٩٩، والأعلام للزركلي: ٥٩/٧).

٧ انظر: المصدر السابق: ٨/١ بتصرف.

٨ انظر: روح المعاني: ٣٦-٣٧/١ بتصرف.

السبب الرابع: لأنها أول سورة نزلت.

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: الثعلبي^١، وإسماعيل حقي^٢، والمراغي^٣. وذكره الشوكاني^٤ ومحمد صديق خان^٥ والصابوني^٦ -رحمهم الله- و ردوا عليه، وذكره بصيغة

١ انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٢٦/١.

٢ انظر: روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبي الفداء: ١٠/٨، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

وإسماعيل حقي هو: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي مستعرب، ولد في آيدوس (Aidos)، وسكن القسطنطينية، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوتني. ملت سنة ١١٣٧هـ مصنفاته في العربية والتركية. فمن العربية "روح البيان في تفسير القرآن" أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، و"الرسالة الخليلية" في التصوف، و"الأربعون حديثاً". (انظر: الأعلام للزركلي: ٣٣٦، وهدية العارفين: ٢١٩/١).

٣ انظر: تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: ٢٣/١، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤ انظر: فتح القدير: ١٧٨.

٥ انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي: ٣٦/١، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، عام النشر: ١٤١٢هـ/١٩٩٢، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.

هو: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: عالم، أمير، مشارك في أنواع من العلوم، من رجل النهضة الإسلامية المجددين. ولد في قنوج (بأهند) سنة ١٢٤٨هـ ونشأ فيها وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوبل طلباً للمعيشة، ففاز بثروة وافرة. توفي سنة ١٣٠٧هـ له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية. منها بالعربية: "فتح البيان في مقاصد القرآن" في عشرة أجزاء، في التفسير، و"حسن الأسوة في ما ثبت عن نبيه ورسوله في النسوة"، و"أجدد العلوم". (انظر: الأعلام للزركلي: ١٦٧/١ - ١٦٨، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة: ٩٠/١٠، دمشق، مكتبة المثني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع).

٦ انظر: صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني: ١٨/١، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الصابوني، القاهرة.

والصابوني هو: محمد علي الصابوني، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، المتخصصين في علم التفسير، صاحب "صفوة التفاسير". اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ليكون شخصية العام الإسلامية لعام ٢٠٠٧م، لجهوده في خدمة الإسلام من خلال العديد من الكتب وخصه تفسير القرآن. ولد الشيخ في مدينة حلب (السورية) عام ١٩٣٠م، تلقى تعليمه المبكر على يد والده، فحفظ القرآن، وتعلم علوم

التمريض: الرازي^١، وأبو حفص سراج الدين^٢، ونظام الدين النيسابوري^٣، وغيرهم^٤. ولقد رد العلامة أبو السعود قائلاً: "لأن اعتبار المبدئية من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثيثة ولا ريب في أن الترتيب النزولي ليس على نسق الترتيب

اللغة العربية والفرائض وعلوم الدين، كما تلقى تعليمه الابتدائي في المدارس الثانوية في حلب، وأتم دراسة التخصص بحصوله على شهادة العالمية في القضاء الشرعي عام ١٩٥٤م من الأزهر. بعد إنهاء الدراسة قام بمهنة التدريس في ثانويات حلب (سوريا) أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية، وبكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، وكلية التربية. ثم عينته جامعة أم القرى باحثاً علمياً في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. كما قام بعد ذلك بالعمل في رابطة العالم الإسلامي كمستشار في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من كتبه: "الموارث في الشريعة الإسلامية"، و"من كنوز السنة"، و"روائع البيضا في تفسير آيات الأحكام". (انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت. والموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الانترنت).

١ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦٨.

٢ انظر: اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن علف الحنبلي الدمشقي النعماني: ١٦٠/١، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وأبو حفص سراج الدين هو: عمر بن علي بن علف الحنبلي الدمشقي النعماني أبو حفص سراج الدين الإمام العالم الفاضل المفسر. من تصانيفه: اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن، وهو من أحسن التفاسير في نحو عشرة مجلدات، كان مشهوراً مشحوناً بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير. مات سنة ثمانين وثمان مائة. (انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٤١٧٨-٤١٩، والأعلام للزركلي: ٥٧/٥، ومعجم المؤلفين لكحالة: ٣٠٠/٧).

٣ انظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي نيسابوري: ٨٢/١ المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية. بيروت.

ونظام الدين النيسابوري هو: حسن بن محمد ابن القمي النيسابوري، نظام الدين وكان يعرف بنظام الأعرج: مفسر، له اشتغل بالحكمة والرياضيات. أصله من بلدة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. توفي سنة ٨٥٠هـ من مصنفاته: "غرائب القرآن ورجائب الفرقان" في التفسير في ثلاثة مجلدات، يعرف بتفسير النيسابوري، و"لب التأويل" و"شرح الشافية" في الصرف، يعرف بشرح النظام. (طبقات المفسرين للأدنه وي: ٤٢٠/٨، والأعلام للزركلي: ٢١٦٢).

٤ ينظر: تفسير أبي السعود: ٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٦٨-٣٧، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٣٢٨-١٣٣.

المعهد^١، والعلامة الألوسي أيضاً رد على هذا السبب فيقول: "لأن المبدئية من حيث النزول تستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثية ولا ريب في أن الترتيب النزولي ليس كالترتيب المعهد^٢، وذكره الإمام المفتي محمد شفيع^٣ - رحمه الله -، وقال: "إنها أول سورة نزلت كاملة ولعلها سميت لذلك بفتح الكتاب"^٤.

السبب الخامس: لأن الحمد فاتحة كل كلام، وذكره الإمام الرازي - رحمه الله - أيضاً، لكن بصيغة التمريض. وذكره الإمام إسماعيل حقي - رحمه الله - أيضاً .

السبب السادس: لأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ وقد ورد هذا السبب عند الإمام إسماعيل حقي، والعلامة الألوسي - رحمهما الله -^٥، وعلق العلامة الألوسي - رحمه الله - عليه قائلاً: "ويحتاج إلى نقل وإن صححنا أن ترتيب القرآن الذي في مصاحفنا كما في اللوح فلربما كتب التالي ثم كتب المتلو وغلبة الظن أمر آخر"^٦.

١ انظر: إرشاد العقل السليم: ٨١ بتصرف.

٢ انظر: روح المعاني: ٣٦/٨ - ٣٧ بتصرف.

٣ هو: محمد شفيع بن ياسين الديوبندي العثماني الحنفي. ولد سنة ١٣٦٤هـ/١٨٩٧م. عالم مسلم، من أهل باكستان. تخرج في دار العلوم ديوبند سنة ١٣٣٥ هـ أخذ عن أنور شاه الكشميري، وعزيز الرحمن الديوبندي، وشبير أحمد العثماني. دَرس بعدها في دار العلوم ديوبند لمدة ٢٦ سنة. هاجر إلى باكستان بدعوة من الشيخ شبير أحمد عثماني، وبعد ما هاجر إلى باكستان شارك في تقنين الدستور الوطني، ومهد الطريق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلد واستقر في كراتشي وأسس بها دار العلوم كراتشي، كما كان مفتياً أيضاً. من مؤلفاته العربية: "أحكام القرآن"، و"توزيع الثورة في الإسلام"، و"نفحات في فضل اللغة العربية"، و"هداية المهتدين في آية خاتم النبيين". توفي سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م. (انظر: محمد شفيع الديوبندي، موقع المعرفة www.marefa.org، وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الإنترنت (بالعربية والأردوية).

٤ انظر: معارف القرآن (بالأردوية): ٧٢/٨، اشاعت مكر، ٢٠٠١م، سروسز بك، جي ايج كيو.

٥ انظر: التفسير الكبير: ١٥٧/٨.

٦ انظر: روح البيان: ١٠/٨.

٧ انظر: المصدر نفسه، وروح المعاني: ٣٧/٨ - ٣٧.

٨ روح المعاني: ٣٧/٨.

السبب السابع: لأن بها يَستفتح المبتدئ بعد ختمه القرآن. وهو مما ذكره الإمام مكي بن أبي طالب - رحمه الله -^١.

السبب الثامن: لأنها فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا، وأبواب الجنان في الآخرة. وورد ذكر هذا السبب عند الإمام إسماعيل حقي - رحمه الله - في تفسيره لهذه السورة المباركة!

السبب التاسع: لأن انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها. وهو أيضا مما انفرد بذكره الإمام إسماعيل حقي - رحمه الله -^٢.

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أسباب ذكرها المفسرون لتسمية الفاتحة بهذا الاسم سببا واحدا، ولم يول الأسباب الأخرى اهتماما كبيرا مما يدل على أن السبب الذي ذكره راجح عنده على الأسباب الأخرى، وهو أنها سميت بـ " الفاتحة " لأنها أول القرآن وبدايته (براعة استهلاله وديباجته)، فيقول: " سميت الفاتحة بهذا الاسم لغرضها، ففاتحة الشيء أوله وفاتحة الكتاب تعني بدايته، وبعبارة أخرى الفاتحة ضرب من الديباجة والاستهلال"، وقد وافق بذلك مجموعة كبيرة من المفسرين الذين ذهبوا إلى اختيار السبب ذاته، كأمثال الأئمة المفسرين: الماوردي،^٣ والسمعاني،^٤ والبغوي، وغيرهم.^٥

١ انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمال من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي: ٧٩١، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨، جامعة الشارقة.

ومكي بن أبي طالب هو: العلامة المقرئ، أبو محمد مكي بن أبي طالب هموش بن محمد بن مختار، النيسي القيرواني، ثم القرطبي، صاحب التصانيف. ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاث مائة. وهو من أهل انتبحر في القراءات والعربية، حسن الفهم، والخلق جيد الدين، والعقل، من تصانيفه: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، و"التبصرة في القراءات"، و"الموجز في القراءات"، توفي في المحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مائة. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/٥٩١-٥٩٢، وطبقات المفسرين للداودي: ٣٣٢/٢، طبقات المفسرين للأدنه وي: ١١٤/١-١١٥).

٢ روح البيان: ١٠/١.

٣ المصدر نفسه.

٤ هو: الإمام الجليل العلامة أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف. كان حافظا للمذهب عظيم القدر متقدما عند السلطان وولي القضاء ببلدان شتى. كان

من وجوه الفقهاء الشافعيين. درس بالبصرة وبغداد سنين، له المصنفات الكثيرة في كل فن من الفقه والتفسير والأصول والأدب. من مصنفاته: "تفسير القرآن" سماه: "النكت"، و"أدب الدنيا والدين" و"الأحكام السلطانية" و"قانون الوزارة وسياسة الملك" و"الإقناع" مختصر في المذهب. مات سنة خمسين وأربع مائة. انظر: (سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦٤/١٨ وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٢٦٧/٥ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ١١٩١-١٢٠).

١ تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي: ٣٦/٨، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعودية.

والسمعاني هو: الإمام الجليل العلم الزاهد الورع العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي كان، ثم الشافعي. ولد سنة ست وعشرين وأربع مائة. تفقه بأبيه الذي كان من أئمة الحنفية، وصار من فحول أهل النظر، وأخذ يطالع كتب الحديث، وحج ورجع، وتحوّل شافعيًا. من مصنفاته: "تفسير القرآن"، و"القواطع" في أصول الفقه. و"البرهان" في الخلاف، و"الأمالي" في الحديث، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، كما كان شوكا في أعين المخالفين، توفي سنة تسع وثمانين وأربع مائة. (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١٤/١٩ وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٣٣٥/٥ وما بعدها).

٢ انظر: معالم التنزيل: ٧٠/٨.

٣ ينظر: تفسير ابن عطية: ٦٥/١، وإيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبي القاسم، نجم الدين: ٦٢/٨، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الغرب الإسلامي، بيروت، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٧/٨، وتفسير القرآن لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي النمشي، الملقب بسلطان العلماء: ٨٧/٨، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٥٧/٨، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وأسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص ٧٣، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار الاعتصام، وتناسق الدرر في تناسب السور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٦١، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وتفسير أبي السعود: ٧/٨، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٢/٨، وتفسير السوكاني: ١٧/٨، وتفسير الألوسي: ٣٧١-٣٧، وفتح البيان محمد صديق خان، ٣٦/٨، ومحاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي: ٢٢٣/٨، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٧/٨، وتفسير المراغي: ٢٢/٨، والجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي: ٣٠/٨، وأم الكتاب لأبي

الأدلة: الإمام المودودي - رحمه الله - كان محققاً في ترجيحه هذا القول (والله تعالى أعلم).

وذلك بالاستناد إلى أسس علمية محكمة، لأن القول الذي رجحه :

(١) وافق عليه جماعة كبيرة من المفسرين . يقول الإمام ابن جزى الكلبي أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^١ ويقول الإمام محمد عزة دروزة: "وقد قل كثير من المفسرين إنها براءة استهلال رائعة للقرآن".^٢

الكلام آزاد (بالأردوية)، ص ١٥، وتفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لعبد الحميد الفراهي، ص ٨٥-٨٦، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، المطبعة الحميدية. ودلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، ص: ٩٣، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ المطبعة الحميدية، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٩١، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ دار الجبل الجديد، بيروت، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٣٢/١-١٣٣، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كانهلوي (بالأردوية): ٤/١، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، مكتبة عثمانية، بيت الحمد، جامعة أشرفية، لاهور، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ١٩١، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ دار الإرشاد للشئون الخيرية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، و(دار ابن كثير، دمشق، بيروت، والتفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، لمحمد عزة دروزة: ٢٨٥/١، ٢٨٧، الطبعة، ١٣٨٣هـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردوية): ١٠/١، راجعه: عبد الوكيل علوي، إشراف: د/حبيب الرحمن كيلاني، الطبعة الثالثة، سبتمبر ٢٠٠٢م، مكتبة السلام، لاهور، وتدبر القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردوية): ٥٣/١، وصفوة التفسير للصابوني: ١٨/١، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري: ٩/١، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، بإشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ١/١، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٢ هو: محمد عزة (وتنطق عزّت) بن. عبد الهادي دروزة (١٨٧٧-١٩٨٤م) مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي فلسطيني ولد في نابلس (١١ من شوال ١٣٠٥هـ/٢٧ من يونيو ١٨٨٧م) وتوفي في دمشق يوم الخميس (٢٨ من شوال ١٤٠٤هـ/٢٦ من يوليو ١٩٨٤م). إضافة إلى نضاله السياسي، كان أديباً ومؤرخاً وصحفيّاً ومترجماً ومفسراً للقرآن. ترك دروزة أكثر من خمسين كتاباً في علوم شتى تتعلق بالعروبة والإسلام والتاريخ العام. منها: "التفسير الحديث"، و"القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها"، و"الوحدة العربية"، و"الندستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة"، و"القرآن والمرأة". (انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت، والموقع الرسمي للمكتبة الشاملة).

٣ التفسير الحديث: ٢٨٥/١.

(٢) وهو تفسير قريب للغة والمعنى المتبادر إلى الذهن. يقول الإمام ابن جزري الكلبي أيضا عن هذا الجانب: "أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه".^١ ويقول الإمام ابن فارس: "الْفَاءُ وَالْتَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلُ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْإِغْلَاقِ. يُقَالُ: فَتَحْتُ الْبَابَ وَغَيْرَهُ فَتَحًا... وَفَوَاتِحُ الْقُرْآنِ: أَوَائِلُ السُّورِ. وَبَابُ فَتْحٍ، أَيْ وَاسِعٌ مَفْتُوحٌ"^٣.

ويقول الإمام الراغب الأصفهاني: الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه...

والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم، وهو إزالة الغم، وذلك ضروب: أحدها: في الأمور الدنيوية كغم يفرج، وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه...

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٢ هو: الإمام العلامة، اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، الشافعي، ثم المالكي، اللغوي، صاحب كتاب "المجمل". وكان رأساً في الأدب، بصيراً بفقهاء مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري، فتوفي فيها سنة خمس وتسعين وثلاث مائة، وإليها نسبته. من مصنفاته: "مقاييس اللغة"، و"جامع التأويل" في تفسير القرآن، و"متخير الألفاظ" و"ذم الخطأ في الشعر"، و"أوجز السير لخير البشر" في ٨ صفحات، وغير ذلك، وله شعر حسن. (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠٣/١٧ وما بعدها، والأعلام للزركلي: ١٩٣/١، ومعجم المؤلفين لكحالة: ٤٠٣-٤١).

٣ معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/٤٦٩-٤٧٠ باختصار.

٤ هو: العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني (أو الأصفهاني)، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف. أديب من الحكماء العلماء، من أذكياء المتكلمين، من أهل (أصبهان)، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. واختلف في سنة وفاته، وقل الذهبي: لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وقل الداودي: كان في أوائل المائة الخامسة. وفي الأعلام للزركلي ذكرت وفاته: في سنة ٥٠٢ هـ، له تصانيف تدل على تحقيقه وسعة دائرته في العلوم وتمكنه منها، أذكر بعضها منها: "المفردات في غريب القرآن"، و"أفانين البلاغة"، و"الذريعة إلى مكارم الشريعة"، وغير ذلك. انظر: (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢٠/٨-١٢١، والوافي بالوفيات للصفدي: ٢٩/١٣، وطبقات المفسرين للداودي: ٣٢٩/٢، والأعلام للزركلي: ٢٥٥/٢).

والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فَتَحَ من العلم بابا مغلقا... وفَاتِحَهُ كلُّ شيء؛ مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وبه سُمِّي فاتحة الكتاب¹.
ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف
والمنكر"².

١ المفردات في غريب القرآن: ٦٢١/٨ باختصار.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٦٩٢.

مسألة

هل سورة الفاتحة مكية أم مدنية؟ وهل هي أول سورة نزلت كاملة؟ وما رقم نزولها؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "الفاتحة من بين أول ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وتجربنا عدد من الأحاديث الصحيحة أنها أول سورة كاملة نزلت على النبي - عليه الصلاة والسلام - وكانت قد نزلت عليه من قبل بضعة آيات هن أجزاء من سورة العلق والمزمل والمدثر".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الآنف الذكر يتضح أنه يشير في هذا النص إلى الثلاث مسائل التالية:

الأولى: إن سورة الفاتحة مكية. وقد يتضح من كلامه أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أن المتبع في التفسير والكتب المصنفة في علوم القرآن يجد أربعة أقوال للمفسرين في نزول هذه السورة، وهي بالاختصار على النحو التالي:

القول الأول: إن سورة الفاتحة مكية، بل هي من أوائل ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو المروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، وعدد من الصحابة.^٢

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن تيمية^٣، وابن عطية^٤، وابن الجوزي^٥، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٤٢٨.

٢ انظر: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: ١٥٨، وتفسير الثعلبي: ٨٩٨-٩٠، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٧، وتفسير ابن كثير: ١٠١٨، وتفسير الألوسي: ٣٥٨.

٣ انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني: ١٩٠/١٧-١٩١، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع بأمر الخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، تحت إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٦٥/٨.

٥ انظر: زاد المسير: ١٧/٨.

القول الثاني: إن سورة الفاتحة سورة مدنية. وهو المروي عن مجاهد^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٢، والرازي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم^٥. ولقد ذكر بعض المفسرين أمثال: مكي بن أبي طالب^٦، وابن عطية^٧، والنسفي^٨، وغيرهم^٩ هذا القول بصيغة التمريض.

وابن الجوزي هو: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الإمام العلامة حافظ العراق وواعظ الأفاق صاحب التصانيف المشهورة في العلوم المختلفة من التفسير والحديث والفقه والوعظ والتاريخ والطب وغيرها. ولد سنة ٥٠٩هـ أو ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ من مؤلفاته: "زاد المسير"، و"تليس إبليس"، و"صيد الخواصر"، و"الموضوعات". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٦٥/٢١ وما بعدها، والوافي بالوفيات للصفدي: ١٠٩٦٨ وما بعدها. وضفت المفسرين للداودي: ٢٧٥/١ وما بعدها).

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٥٩/١-١٦٠، وتفسير القرطبي: ١١٥/١-١١٦، وتفسير البيضاوي: ٢٥٩، وتفسير ابن جزى: ٤٤/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩/١، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٢/١، وتفسير الشوكاني: ١٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٥/١، وتدبر القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردوية): ٥٥/١.

٢ انظر: بحر العلوم للسمرقندي: ١٥/١، والتفسير الثعلبي: ٩٠/١، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٥/١.

٣ انظر: زاد المسير: ١٧/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٥٩/١-١٦٠.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٥/١-١١٦.

٦ ينظر: تفسير ابن جزى: ٤٤/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩/١، وتفسير الشوكاني: ١٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٥/١.

٧ الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧٧/١-٧٩.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٦٥/١.

٩ انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي: ٢٥/١، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكلم الطيب، بيروت.

والنسفي هو: عبد الله بن أحمد بن محمود، حافظ الدين، أبو البركات، النسفي، فقيه حنفي، مفسر، توفي في سنة ٧١٠هـ من مصنفاته: "مدارك التنزيل" في تفسير القرآن، و"كنز الدقائق" في الفقه، و"المنار" في أصول الفقه. (انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٦٣/١، والأعلام للزركلي: ٦٧/٤).

إلا أن عددا من المفسرين ردّ على هذا القول كأمثال: ابن تيمية، والثعلبي، وأبو حفص سراج الدين، وغيرهم.^٢

يقول الإمام ابن تيمية بعد ما رجح القول الأول بأدلته: "وكذلك قول من قال: الفاتحة لم تنزل إلا بالمدينة غلط بلا ريب. ولو لم تكن معنا أدلة صحيحة تدلنا على ذلك لكان من قال: إنها مكية معه زيادة علم".^٣

ويقول الإمام الثعلبي: "وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكورة من مجاهد لأنه تفرّد بها، والعلماء على خلافه".^٤

ويقول الإمام أبو حفص سراج الدين: "قل الحسين بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه هفوة مجاهد لأن العلماء على خلافه".^٥

القول الثالث: إن سورة الفاتحة مكية مدنية: أي نزلت مرتين، مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين تحوّلت القبلة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٦، والبيضاوي^٧، والشوكاني^٨.

١ ينظر: تفسير الخازن: ١٥/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠١/٨، وتفسير النيسابوري: ٥٩١، والجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ١٦١/٨، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ٣٦/٨، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٢٨٧/٨-٢٨٨، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٤٥/٩، عام ١٤٠٥هـ مؤسسة سجل العرب، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١١/٨.

٢ ينظر: تفسير الألوسي: ٣٥/٨، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٩/٨، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي: ٢/٨.

٣ مجموع فتاوى لابن تيمية: ١٩١/١٧.

٤ تفسير الثعلبي: ٨٩/٨.

٥ اللباب: ١٦٦/٨.

٦ انظر: التفسير الكبير: ١٥٩/٨-١٦٠.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ٢٥/٨.

٨ هو: الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي، صاحب التصانيف البديعة المشهورة منها: "مختصر الكشاف" في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، و"الغاية القصوى" في دراية الفتوى، و"شرح مختصر ابن الحاجب"

ولقد ذكر بعض المفسرين أمثال: السمعاني^١، والبغوي^٢، والزخشي^٣، وآخرون^٤ هذا القول بصيغة التمريض.

كما رد عليه الآخرون أمثال: محمد رشيد رضا، وأبو زهرة، ومحمد عزة دروزة. يقول الإمام محمد رشيد رضا: "وقال بعضهم: إنها نزلت مرتين، مرة بمكة عند فرضية الصلاة، وأخرى بالمدينة حين حولت القبلة، وكان صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين وليس بشيء"^٥.

ويقول الإمام أبو زهرة: "...ولا نحسب ثمة حاجة للتكرار فإنها متى نزلت كانت واجبة التلاوة على أنها جزء من القرآن ولا حاجة إلى تكرار نزولها"^٦. ويقول الإمام محمد عزة دروزة: "...أما رواية نزولها مرتين مرة في مكة وأخرى في المدينة، فنحن نتوقف فيها لأننا لم نر حكمة ظاهرة لذلك"^٧.

(أقول: "إن نزول الفاتحة مرتين يحتاج إلى دليل. ولا دليل عليه - فيما أعلم -").

القول الرابع: إن نصف هذه السورة نزلت بمكة ونصفها نزلت بالمدينة.

في الأصول، وكتاب "المنهاج" في أصول الفقه، وشرحه أيضا، وكتاب "الإيضاح" في أصول الدين، و"شرح الكافية" في النحو، و"شرح المطالع" في المنطق. كان إماما مبرزا نظارا صلحا متعبدا زاهدا، ولي قضاء القضاة بشيراز. توفي بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة. (انظر: الرافي بالوفيات للصفدي: ٢٠٧١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١٥٧/٨-١٥٨، وطبقات المفسرين للأذنه وي: ٢٥٤/١-٢٥٥).

^١ انظر: فتح القدير: ١٧١.

^٢ انظر: تفسير القرآن: ٣٧١.

^٣ انظر: معالم التنزيل: ٧٠٨.

^٤ انظر: الكشاف: ١٨.

^٥ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٥/٨-١١٦، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩١، وتفسير ابن كثير: ١٠٧/٨.

وتفسير أبي السعود: ٨١، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ٣٦/٨، وزهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: ٤٨٨، دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١٧١.

^٦ تفسير المنار: ٢٩١.

^٧ زهرة التفاسير: ٤٨١.

^٨ التفسير الحديث: ٢٨٧١.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الألوسي^١.

ولقد ذكر بعض المفسرين أمثال: القرطبي، وابن كثير، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري -رحمهم الله^٢ - هذا القول بصيغة التمرىض.

كما رد عليه الآخرون أمثال: ابن كثير والألوسي، وخالد بن عثمان السبتي.

يقول الإمام ابن كثير: "وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة، وهو غريب جدا، نقله القرطبي عنه"^٣.

ويقول العلامة الألوسي: "وقيل بعضها مكى وبعضها مدني ولا يخفى ضعفه"^٤.

ويقول خالد بن عثمان السبتي: "زعم بعضهم أن نصف سورة الفاتحة نزل بالمدينة لوجود (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وهذه دعوى ساقطة لا تستحق الرد"^٥.

(أقول: "إن هذا القول 'قائل بنزول نصفها بمكة ونصفها الآخر بالمدينة لا دليل عليه - فيما أعلم -").

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون لنزول الفاتحة بمكة، ولم يول الأسباب الأخرى اهتماما كبيرا مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده على الأقوال الأخرى، وهو: "أنها نزلت بمكة".

١ انظر: روح المعاني: ٣٥/١.

^٢ هو: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري: مؤرخ، محقق، باحث من أهل طنطا، ولد بطنطا وتخرج بدار العلوم، اشتغل بدار الكتب المصرية، وعين مديراً لإدارة إحياء التراث فمراقبا عاما لشؤون مجلس النواب والشيخ، عمل مدرسا للعربية بمعهد الدراسات الإسلامية بمرين ثم كان مستشارا للمؤسسة الثقافية بوزارة الثقافة المصرية. ألف "الموسوعة القرآنية المبسرة" و"تاريخ القرآن"، و"رسالة الشاعر"، وغير ذلك. (انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، وويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

٣ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ١١٥٨-١١٦، وتفسير القرآن العظيم: ١٠١/٨، والموسوعة القرآنية: ٤٥/٩.

٤ تفسير القرآن العظيم: ١٠١/٨.

٥ روح المعاني: ٣٥/١.

٦ قواعد التفسير: ٧٩/١.

وقد وافق على ذلك مجموعة كبيرة من المفسرين الذين ذهبوا إلى اختيار القول نفسه، كأمثال الأئمة المفسرين: ابن تيمية، والثعلبي، والبيهقي، وغيرهم.

^١ انظر: مجموع فتاوى: ١٩٠/١٧-١٩١.

^٢ انظر: الكشف والبيان: ٨٩١.

^٣ انظر: معالم التنزيل: ٧٠/٨.

^٤ ينظر: الكشف للزمخشري: ١/٨، وتفسير ابن عطية: ٦٥/٨، والتفسير الكبير للرازي: ١٥٩١-١٦٠، وتفسير القرطبي: ١١٥/٨-١١٦، وتفسير البيضاوي: ٢٥/٨، وتفسير الخازن: ١٥/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩١، وتفسير ابن كثير: ١٠١/٨، واللباب لأبي حفص سراج الدين: ١٦٥/٨-١٦٧، وتفسير النيسابوري: ٥٩١، وتفسير الثعالبي: ١٦١/٨، والدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ١٠٨-١١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع. وتفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد الغني، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ٢/٨، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ الطبع، وقطف الأزهار في كشف الأسرار لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص ١٠٨، تحقيق ودراسة: د/أحمد بن محمد الحمادي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر. وتفسير أبي السعود: ٨/٨، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي الصوفي: ٥٢/٨، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، عام ١٤١٩هـ الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي: ٢٦١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ٣٧/٨، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نوي الجاوي البتني إقليم، التناري بلدا: ٨/٨، المحقق: محمد أمين الصناوي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية، بيروت، وتفسير القاسمي: ٢٢٤/٨، ودلائل النظام للفراهي، ص ٩٢، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٣٧/٨، وتفسير المراغي: ٢٤/٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: ٣٩/٨، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٢١/٨، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ دار الشروق، القاهرة، وتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: ١٧/٨، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع، وتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٩/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٣٥/٨، وزهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة: ٤٨/٨، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيع: ٧٣/٨، وبيان المعاني لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي المعاني: ١١٤/٨، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٥م، مطبعة الترقى، دمشق، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهنوي: ٢/٨، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش: ١٩/٨، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٢٨٧/٨-٢٨٨، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٤٥/٩، وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني: ١٢/٨، وتدبر

الأدلة (على أن سورة الفاتحة مكية):

هو المروي عن علي، وابن عباس، وقتادة، وأبي العالية وأكثر الصحابة.
يقول العلامة الألوسي: "وهي مكية لنص العلماء والرواية عن ابن عباس، ولها حكم المرفوع... ثم يقول: والأقوى الاستدلال بالنقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي والتنزيل..."

ما ورد في سورة الحجر من قوله تعالى "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي"^٣، والمراد بـ "السبع المثاني": "الفاتحة"، كما ورد في الأحاديث^٤. وسورة الحجر مكية بإجماع العلماء، والله - سبحانه وتعالى - يمين فيها على حبيبه - صلى الله عليه وسلم - بأن منحه السبع المثاني؛ "الفاتحة"، ولا يمكن أن يتم ذكر هذا المن على الرسول إلا بعد وجوده، ونزوله المسبق على سورة الحجر نفسها، خاصة وأن السور السبع الطوال نزلت بعد سورة الحجر بزمن، فلم يبق للمراد بـ (السبع المثاني) إلا احتمال واحد، وهو أن يكون سورة الفاتحة.

القرآن لأمين أحسن إصلاحه (بالأردوية): ٥٥/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١١/١، وصفوة التفسير للصابوني: ١٧/١، وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري: ٩/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٣/١.
١ انظر: بحر العلوم للسمرقندي: ١٥/١، وتفسير الثعلبي: ٨٩/١-٩٠، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٠٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٥/١.
٢ روح المعاني: ٣٥/١.

٣ سورة الحجر، الآية ٨٧

٤ منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد بن المعلّى، قال: مرّ بي النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّى ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟" فَقُلْتُ: كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قِيلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَرْتُهُ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتَهُ". (صحيح البخاري ٨١/١ برقم: ٤٧٠٣)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي". وما رواه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ" (صحيح البخاري: ٨١/١ برقم: ٤٧٠٤)، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ". وما صححه الإمام الترمذي عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي" (سنن الترمذي: ٢٩٧/٥، برقم: ٣٦٢٤)، باب "ومن سورة الحجر"، وقل الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

يقول الإمام الشوكاني: "وَمِمَّا يُقَوِّي كَوْنَ السَّبْعِ الْمَثَانِي هِيَ؛ الْفَاتِحَةُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَأَكْثَرَ السَّبْعِ الطُّوَالَ مَدْيَنِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُ أَقْسَامِهِ، وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ إِبْتَاءَ السَّبْعِ عَلَى نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ".^١

١- ولا خلاف في أن فرض الصلاة كان بمكة، ولم يثبت أنها كانت قط في الإسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين.^٢ يدل على هذا قوله عليه السلام: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)^٣. وهذا خبر عن الحكم، لا عن الابتداء، والله أعلم.^٤ ومحال أن تفرض الصلوات، ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها.^٥ كما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ" (ثلاثاً) غير تمام.^٦ والخدج النقص. فغير جائز أن تفرض علينا الصلوات، ولا ينزل ما يزيل عنها النقص.^٧

٢- وينك على مكيتها وأنها من أوائل ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ما ورد في الحديث الذي رواه ابن إسحاق والبيهقي بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيجَةَ إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً وَقَدْ وَاللَّهِ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْرًا فَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ بِكَ فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُؤَيِّ الأمانة، وتصل الرَّحِمَ، وَتَصَلُّقُ الْحَدِيثِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ خَدِيجَةَ حَدِيثَهُ لَهُ وَقَالَتْ يَا عَتِيقُ اذْهَبْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ

١ فتح القدير: ٣/ ١٧٠-١٧١.

٢ انظر: تفسير الثعلبي: ٩٠/١، وتفسير ابن عطية: ٦٥/١، وتفسير البغوي: ٧٠/١، وتفسير البيضاوي: ٢٥/١.

٣ فقد روى الشيخان عن عبادة بن الصامت: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ" (صحيح البخاري: ١٥١/١-١٥٢، برقم: ٧٥٦)، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للتمام والتعميم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر. وما يُجهرُ فيها وما يُخافتُ، وصحيح مسلم: ٢٩٥/١، برقم: (٣٩٤). كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يُحسِنِ الفاتحة، ولا أمكنه تعلُّمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

٤ تفسير القرطبي: ١١٥/١.

٥ انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧/١.

٦ صحيح مسلم: ٢٩٦/١، برقم: (٣٩٥)، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يُحسِنِ الفاتحة، ولا أمكنه تعلُّمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

٧ انظر: المصدر السابق: ٧٨-٧١.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِي، فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ، فَقَالَ: وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟
 قَالَ: خَدِيجَةُ، فَاَنْطَلَقْنَا إِلَيْهِ، فَقَصَا عَلَيْهِ، فَقَالَ إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نِدَاءَ خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا
 مُحَمَّدُ، فَاَنْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِذَا أَتَاكَ فَاتَّبِعْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ انْتَبِهِي
 فَأَخْبِرْنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَتَّى
 بَلَغَ "وَلَا الضَّالِّينَ". قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَأَتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ أَبْشِرْ، ثُمَّ أَبْشِرْ.
 فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ مُوسَى، وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ،
 وَأَنَّكَ سَوْفَ تُؤَمَّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا وَلَيْسَ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ لِتُجَاهِدَنَّ مَعَكَ، فَلَمَّا تُوْفِي وَرَقَةَ،
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْقِسَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الْخَرِيرِ، لِأَنَّهُ
 آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي - يَعْنِي وَرَقَةَ!.

يقول الإمام البيهقي: فهنا متقطع. فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما
 نزلت عليه، اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر. والله أعلم!

٣- هو قول جمهور المفسرين. لقد وافق الإمام المودودي بهذا الترجيح جماعة كبيرة من
 المفسرين (الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم). يقول الإمام ابن جزى الكلبي أثناء كلامه عن
 وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره فقال: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن
 كثرة القائلين بالقول يقضي ترجيحه" ٥. ويقول الإمام البغوي: هي مكية على قول الأكثرين ١.

١ سيرة ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار المظلي بالولاء، المدني، ص ١٣٢-١٣٣، تحقيق: سهيل زكار،
 الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م، دار الفكر، بيروت، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد بن
 الحسين بن علي بن موسى الخسروجري الخراساني، أبو بكر البيهقي: ١٥٨٢-١٥٩، باب أول سورة نزلت
 من القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ واللفظ للبيهقي

٣ دلائل النبوة للبيهقي: ١٥٩٢.

٤ وقد أورده ابن كثير في "البداية والنهاية": ١٤/٣-١٥ عن طريق البيهقي، وقال: "وهو مرسل، وفيه غرابة
 وهو كون الفاتحة أول ما نزل". (المحقق: علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي،
 قام بفهرسته: عبد الرحمن الشامي). ويقول الإمام السيوطي: "هذا مرسل رجاله ثقات". (الإتقان في علوم
 القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٩٤/١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عام
 ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

ويقول الإمام ابن جزري: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما". الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له بقوله: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ" ٣ ٤. يضاف إلى ذلك أنه هو المروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: " نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَّةَ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ " ٥. وله حكم المرفوع.

٤- إنها مكية معه زيادة علم.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

إنما يعرف المكي والمدني بنقل من شاهدوا التنزيل. ٧.

تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شافئ.

القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك. ٩.

الثانية: إن سورة الفاتحة أول سورة نزلت كاملة. ويشير الإمام المودودي إلى أن رأيه مبني على الأحاديث الصحيحة. فيتضح من كلامه أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير وكتب علوم القرآن أربعة أقوال أخرى للمفسرين في أول ما نزل من القرآن، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي :

١ معالم التنزيل: ٧٠/٨ (وانظر: فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي: ١٥٩/٨، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩).

٢ وقول الصحابة في سبب النزول له حكم المرفوع كما نبه على هذا الإمام الحاكم (انظر: معرفة علوم الحديث: ٢٠/٨، المحقق: السيد معظم حسين، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت).

٣ سبق تخريجه.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/٨.

٥ أخرجه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ص ٢٢، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦ سبق شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية بهذا الاستدلال من بين المفسرين -فيما أعلم-.

٧ قواعد التفسير للسبت، ص ٧٧.

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ص ٢٨٨.

٩ المصدر السابق، ص ٣٢٢.

القول الأول: أول ما نزل من القرآن الآيات الخمس الأولى من سورة "اقرأ".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والقاضي أبي بكر الباقلائي^٢، والواحدي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: أول ما نزل من القرآن سورة "المدثر".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والقاضي أبي بكر الباقلائي^٢، والواحدي^٣، وغيرهم^٤.

ولقد رد الإمام الخازن^٥ هذا القول قائلاً: "وقول من قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ضعيف لا يعتد به"^٦. ورد عليه الإمام عبد القادر بن ملا حويش فيقول: "ومن

١ انظر: جامع البيان: ٥١٩/٢٤.

٢ انظر: الانتصار للقرآن: ٢٤٠/٨، تحقيق: د محمد عصام القضاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار الفتح، عمان، دار ابن حزم، بيروت.

٣ انظر: أسباب النزول، ص ١٢.

٤ ينظر: تفسير ابن عطية: ٣٩٢/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ٤٦٦/٤، والتفسير الكبير للرازي: ٢١٥/٣٢، وتفسير القرطبي: ١١٥/٨، وتفسير ابن جزى: ١٢/٨، ٤٩٦/٢، والبرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: ٢٠٦/١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان، وبنفس ترقيم الصفحات)، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، ٤٣٧/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩١/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٠٠/١٠، وتفسير الشوكاني: ٥٧٠/٥، وتفسير الألوسي: ٤٠٠/١٥، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شهبة: ١١٠/١، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة السنة، القاهرة، وعلوم القرآن لجوهر رحمن: ١٢٧-١٢٩.

٥ انظر: جامع البيان: ٨٧/٣٢.

٦ انظر: الانتصار للقرآن: ٢٣٩/٨.

٧ انظر: أسباب النزول، ص ١٤.

٨ ينظر: تفسير ابن عطية: ٣٩٢/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٢/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٦٩٦/٣٠، وتفسير القرطبي: ١١٥/٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٦/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٢/١، وتفسير الشوكاني: ٣٨٧/٥، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد أبي شهبة: ١١٢/٨.

قال إن المدثر أول سورة نزلت أراد أنه بعد فترة الوحي أولية إضافية لا مطلقة، ومن أراد الأولية المطلقة فلا برهان له بها، وقد صرح الزهري بضعفه وعدم الاعتداد به^٢.

وذكره بصيغة التمريض: الإمام الزمخشري، والإمام البيضاوي، والإمام ابن جزى^٣.

القول الثالث: أول ما نزل من القرآن "الفاتحة".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القاضي أبي بكر الباقلائي^٤، والواحدي^٥، والرازي^٦، وغيرهم^٧.

ولقد رد العلامة الألوسي على هذا القول حيث يقول: "وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر"^٨. ورد عليه العلامة الطاهر بن عاشور^٩ قائلا: "وقيل

واخترن هو: علي بن محمد بن إبراهيم علاء الدين البغدادي المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ/١٢٨٠م وتوفي بحلب سنة ٧٤٦هـ/١٢٤٦م. له تصانيف، منها "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، و"عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام" في فروع الشافعية، و"مقبول المنقول" الجزء السابع منه، وهو في عشر مجلدات، في الحديث. (طبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٦٧/١-٢٦٨، والأعلام للزركلي: ٥/٥).

٢ لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٦٧/٤-٣٦٢.

٣ بيان المعاني: ١٠٣/١.

٤ انظر على التوالي: الكشاف: ٦٤٤/٤، وأنوار التنزيل: ٢٥٩/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٢/١.

٥ انظر: الانتصار للقرآن: ٢٤٧/١.

٦ انظر: أسباب النزول، ص ١٤.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٢١٥/٣٢.

٨ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٥/١، وتفسير ابن جزى: ١٢/١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/١، والإنتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٤/١، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد أبي شهبة: ١١٥/١.

٩ تفسير الألوسي: ٤٠٠/١٥.

١٠ والطاهر بن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور: (١٢٩٦ - ١٣٩٣هـ/ ١٨٧٩ - ١٩٧٣م): رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، ومن أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. من أشهر مصنفاته: "التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، ومقاصد الشريعة الإسلامية" و "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام". (انظر: الأعلام للزركلي: ١٧٤/١).

لأنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِمَا ثَبَّتَ فِي "الصَّحِيحِ"، وَاسْتَفَاضَ أَنَّ أَوَّلَ مَا أُنزِلَ سُورَةُ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَدَّدَ فِيهِ".^١

القول الرابع: أول ما نزل من القرآن "بسم الله الرحمن الرحيم".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والسيوطي، والألوسي، ومحمد بن محمد أبو شهبه.^٢

يقول الإمام السيوطي: "وعندي أن هذا لا يعدّ قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق".^٣

التعليق: إن أكثر المفسرين سلفاً وخلفاً يرجحون القول الأول لحديث عائشة، غير أن الزمخشري، ومحمد رشيد رضا يرجحان القول الثالث.

١ سورة العلق، الآية ١.

٢ التحرير والتنوير: ١٣٢/٨.

٣ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٣/٨، والإتقان في علوم القرآن: ٩٥/٨، وروح المعاني: ٤٠٠/١٥، والمدخل لدراسة القرآن: ١١٦/٨.

٤ الإتقان في علوم القرآن: ٩٥/٨.

٥ ينظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤. وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٧/٣، وتفسير الثعلبي: ٢٤٢/١٠، وتفسير السمعاني: ٢٥٥/٨، وتفسير البغوي: ٢٧٧/٥، وتفسير ابن عطية: ٣٩٢/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ٤٦٧/٤، وتفسير ابن جزي: ١٢/٨، ٤٩٦/٨، وتفسير الخازن: ٣٦١/٤-٣٦٢، و٤٤٦، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٦/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، ٤٣٧/٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي: ١٥٣/٢٢، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩١/٨، وتفسير أبي السعود: ٥٤٩، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٠٠/١٠، وتفسير الشوكاني: ٥٧٠/٥، وتفسير الألوسي: ٤٠٠/١٥، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٣٩٣٥/٨، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١٦٣٣/٨٦، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٣٥/٨، وزهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة: ٥٥/٨، والتفسير الواضح محمد محمود الخجلزي: ٨٨٣/٣، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيع (بالأردوية): ٧٢/٨، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي (بالأردوية): ٢/٨، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد أبي شهبه: ١١٠/٨، والتفسير الحديث محمد عزة دروزة: ١٧٩/١، وإعراب القرآن وبيانه لحي الدين درويش: ٢٠/٨، وعلوم القرآن لجوهر رحمن (بالأردوية): ١٢٧-١٢٩، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٤٥٢/١٥، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٣/٨.

١ وهو حديث طويل رواه البخارى بسنده عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التَّعبُد - اللَّيالي ذوات العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ. وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَاتَّخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَاتَّخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَاتَّخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجِفُ فَوَاقَهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبِيرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِوِزْقَةِ بِنْتِ تُوَيْلِ بْنِ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا فَذَعَمَنِي، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِّي ابْنَ أُخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةَ: يَا ابْنَ أُخِي مَاذَا تَرَى؟ فَخَبَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةَ: هَذَا النَّاسُ الَّذِي تَزَلُّ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَوْ مُخْرِجِي هُمْ "، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يَدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشُبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوفِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ (صحيح البخارى: ٧٨، برقم: ٣)، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ومسلم بسنده عن عائشة أنها قالت: كان أول ما بُدئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التَّعبُد - اللَّيالي أولات العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَاتَّخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَاتَّخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَاتَّخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٢] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَجِفُ بِوَابِرَةٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي»، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: " أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي " وَأَخْبَرَهَا الْخَبِيرَ، قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبَشِرُ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِوِزْقَةِ بِنْتِ تُوَيْلِ بْنِ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ

يقول الإمام الزمخشري: "عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت. وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم".^١

ويقول الإمام رشيد رضا: "وأما الأستاذ الإمام فقد رجح أنها أول ما نزل على الإطلاق، ولم يستثن قوله تعالى: " (اقرأ باسم ربك) " ونزع في الاستدلال على ذلك منزعا غريبا في حكمته القرآن وفقه الدين فقال ما مثاله. ومن آية ذلك: أن السنة الإلهية في هذا الكون - سواء أكان كون إيجاب أو كون تشريع - أن يظهر سبحانه الشيء مجملا ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدريجا، وما مثل الهدايات الإلهية إلا مثل البذرة والشجرة العظيمة، فهي في بدايتها مادة حية تحتوي على جميع أصولها ثم تنمو بالتدريج حتى تسبق فروعها بعد أن تعظم دوحتها ثم تجود عليك بثمرها. والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن، وكل ما فيه تفصيل للأصول التي وضعت فيها".^٢

والمفسرون القائلون بالقول الثاني يستدلون برواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه.^٣

أخي أيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم، يا ليتني فيها جذع، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجي هم؟" قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا"، (صحيح مسلم: ١٣٩١-١٤١، برقم: ١٦٠)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

١ قال ابن حجر: "والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول وأما الذي نُسب إليه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول". (فتح الباري لابن حجر: ٧١٤/٨).

٢ الكشاف: ٧٥/٤.

٣ تفسير المنار: ٢٩١-٣٠.

٤ رواه البخاري بسنده عن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: {يا أيها المدثر} [المدثر: ١] فقلت: أتيت أنه: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق: ١]، فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاورت في حراء، فلما قضيت جواربي هبطت، فاستبطنت الوادي فتوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دُرُونِي، وصَبُوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، وأنزل علي: {يا أيها

والمفسرون القائلون بالقول الثالث يستدلون برواية الإمام البيهقي^١.

الْمُدَّثَرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ [المدثر: ٢] ". (صحيح البخاري: ١٦٢/٦، برقم: (٤٩٢٤)، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المدثر).

ومسلم بسنده عن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " جاورت بجراة شهرًا، فلما قضيت جواربي نزلت فاستبطنت بطن الوابي، فتوديت فنظرت أنامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدًا، ثم توديت فنظرت فلم أر أحدًا، ثم توديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: ذروني، فذرّوني، فصبوا علي ماء، فأترن الله عز وجل: {يا أيها المدثر قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَيَبَايِكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٢] ". (صحيح مسلم: ١٤٤/١، برقم: (١٦١)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

١ روى البيهقي بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شريحيل " أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فو الله إنك لتؤتي الأمانة، أو تصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكرت خديجة حديثه له وقالت يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ أبو بكر بيده، فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إلي، فقصا علي، فقال إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد، يا محمد، فانطلق هاربًا في الأرض، فقال: لا تفعل فإذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول ثم انبئي فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد قل: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى تبلغ، ولا الضالين قل لا إله إلا الله، فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشير، ثم أبشير، فأنا أشهد أنك النبي بشرى به ابن مريم، وأنت على مثل ناسوس موسى، وأنت نبي مرسل، وأنت سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركنت ذلك للجهاد معك، فلما توفي ورقة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد رأيت القس في الجنة عليه يباب الحرير، يأتته آمن بي وصدقني - يعني ورقة. (دلائل النبوة: ١٥٨٢-١٥٩). يقول الإمام البيهقي: فهذا منقطع، فإن كلاً محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه، اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر، والله أعلم (المصدر السابق: ١٥٩٢). وقد أورده ابن كثير في " البداية والنهاية ": ٣/ ١٤-١٥ عن طريق البيهقي، وقال: " وهو مرسل، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل ".

ويقول محمد بن محمد أبو شهبة: " ويجب عن هذا القول: بأنه حديث مرسل، وإن كان رجاله ثقات فلا يعارض حديث عائشة المرفوع، فالراجع هو الأول ". (المدخل لدراسة القرآن: ١١٥/١). ثم يقول: " وليس فيه التخصيص على أن الفاتحة أول ما نزلت، فيجوز على فرض صحة هذا المرسل أن تكون من أوائل ما نزل، وإلى هذا ذهب البيهقي قال: وإن كان - أي المرسل - محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت

وَمِنْ جَمْعِ بَيْنِ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلِينَ: الْوَاحِدِي، وَالْحَازِنُ، وَالزَّرْكَشِيُّ، وَغَيْرِهِمْ.^٤
هؤلاء يوفقون بين القولين الأولين في أول ما نزل من القرآن. فيقولون: إن أول ما نزل من
القرآن على الإطلاق الآيات الخمس الأولى من سورة "اقرأ" لحديث عائشة الأنف الذكر. وإن
أول ما نزل بعد فترة الوحي "يا أيها المدثر" لحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.^٥

عليه "اقرأ" و "المدثر". والظاهر أن الفاتحة من أوائل السور نزولا كما يفهم ذلك من صنيع المرتبين
للسور، على حسب نزولها. (المصدر السابق: ١١٥/٨-١١٦).

١ انظر: أسباب النزول، ص ١٥.

٢ انظر: معالم التنزيل: ٣٦١/٤-٣٦٢، ٤٤٦.

٣ انظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٠٧٨.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٨. وفتح الباري لابن حجر: ٦٧٧/٨، وتفسير الألوسي: ٤٠٠/١٥، وتفسير الطاهر
بن عاشور: ٥٧٢٩، وبيان المعاني لعبد القادر ملا حويش: ١٠٣/٨، والمدخل لدراسة القرآن لمحمد بن محمد أبي
شبهة: ١١٣/٨، وعلوم القرآن للشيخ جوهر رحمن (بالأردوية): ١٢٩/٨-١٣٣، وصفوة التفسير للصابوني: ٤٤٩/٣.

٥ حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه: (رواه البخارى عن سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله
الأنصاري، قال: وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: "بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء،
فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعيت منه، فرجعت
فقلت: زملوني زملوني" فأنزل الله تعالى: {يا أيها المدثر. قم فأنذر} [المدثر: ٢] إلى [ص: ٨] قوله {والرجز
فاهجر} [المدثر: ٥]. فحمي الوحي وتتابع.. (صحيح البخارى: ٧/١، برقم: ٤)، باب بدء الوحي إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم). ورواه مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله الأنصاري، وكان
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يحدث عن فترة الوحي - قال في حديثه -: "بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي. فإذا
الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"فجئت منه فرقا، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني. فأنزل الله تبارك وتعالى: {يا أيها المدثر قم
فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز والرجز} [المدثر: ٣] فاهجر - وهي الأوتان -" قال: "ثم تتابع
الوحي"، (صحيح مسلم: ١٤٣/٨، برقم: ١٦١). كتاب الإيمان. باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم).

٦ يقول الشيخ جوهر رحمن بعد ما رجح القول الأول: يظهر من الحديث الذي يرويه الشيخان أن أول ما
نزل هو الآيات الخمس الأولى من "سورة المدثر"، ولكن ورد ذكر نزولها بعد الفترة في الأسانيد والطرق
الأخرى لهذا الحديث، ولم يرد فيها ذكر ابتداء البعثة قبل الفترة، ويتضح بجلاء من الحديث التالي الذي رواه
الشيخان أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الأولى من "سورة المدثر":

الحديث رواه البخارى بسنده عن ابي سلمة قال: سألتُ جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ أيُّ القرآنِ أنزلَ أوّلُ؟ فقال: {يا أيّها المدثر} [المدثر: ١] فقلتُ: أنثيتُ أنه: {اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١]، فقال: لا أخبرُك إنَّما قالَ رسولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ رسولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جاورتُ في جِراءٍ، فلَمَّا قَضَيْتُ جِوارِي هَبَطْتُ، فَاسْتَبَطَنْتُ الوادِيَّ فَتَوَدَّيْتُ فَتَنظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فإِذَا هُوَ جالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: ذَرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ ماءً بارِداً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ: {يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ} [المدثر: ٢] ". (صحيح البخاري: ١٦٢/١، برقم: ٤٩٢٤)، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المدثر).

ومسلم بسنده عن ابي سلمة قال: سألتُ جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ أيُّ القرآنِ أنزلَ قَبْلُ؟ قال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، فَقُلْتُ: أو اقرأ؟ قال جابر: أ حَدَّثْتُكُمْ ما حَدَّثَنَا رسولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: " جاورتُ بِجِراءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ بَطْنَ الوادِي، فَتَوَدَّيْتُ فَتَنظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمَّ أَرَّ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَتَنظَرْتُ فَلَمَّ أَرَّ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَارْفَعْتُ رَأْسِي، فإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَيَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذْتَنِي رَجْفَةً شَدِيدَةً، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: ذَرُونِي فَذَرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ ماءً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ وَبَيْنَاكَ فَطَهْرٌ} [المدثر: ٢] ". (صحيح مسلم: ١٤٤٨، برقم: ١٦١)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

في هذا الحديث الذي يرويه أبو سلمة بن عبد الرحمن قل جابر في جوابه بصورة واضحة إن أول ما نزل من القرآن "المدثر". وحين رد عليه أبو سلمة بقوله: "اقرأ باسم ربك"، فأجابه جابر بن عبد الله إني أخبرك بما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الحديث.

ومن هنا يظهر بين رواية عائشة المذكورة ورواية جابر هذه تعارض في الظاهر يحتاج إلى أن يُرفع. ومن المسلم به عند المحدثين في قضية رفع التعارض أو التوفيق بين الروايات أن يُبحث عن الروايات الأخرى المتعلقة بالموضوع ثم يُرفع الإبهام و التعارض في ضوء (شرح الحديث بالحديث)، وأن يُستخرج التطابق قدر الإمكان بين الروايات. وفي ضوء هذا الأصل حين تتبعت طرق روايات جابر وأسانيدها ومتونها وعباراتها في البخاري وحده توصلت أنها رويت بشمانية أسانيد. وقد ورد في البخاري ذكر فترة الوحي في ستة طرق، ولم يرد ذكرها في طريقتين. وردت رواية جابر بن عبد الله التي يرويها مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الإيمان بخمسة أسانيد ثلاثة منها في نزول سورة المدثر بعد الفترة، واثنان منها في ذكر نزولها بعد الفترة.

في الروايات الثلاثة عشرة وردت الصراحة في تسعة منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدتُ اسم جابر بن عبد الله عن بدء نزول الوحي بعد الفترة. يتضح منها قرينة تدلُّ أن الرواية بقي منهم ذكر (الفترة) في الروايات الأربعة المتبقية، لأن الرواية التي يرويها تسعة من الرواية بلفظ لا يرويها أربعة آخرون منهم، فإن هذا الأمر يُحمل إما على الاختصار أو الوهم والنسيان. لذلك ينبغي أن تُفهم هذه الروايات الأربعة بنفس المفهوم الذي ورد في الروايات التسعة السابقة، وذلك استناداً لأصل (شرح الحديث بالحديث). بمعنى أن الوحي بدأ من جديد بعد فترته بالآيات الخمس الأولى من سورة "المدثر". (يا أيها المدثر...). وأما ما

وكما تدل عليه ألفاظ حديث جابر رضى الله عنه: " وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ إِلَى أَنْ قَالَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ " فتبين أن ذلك بعد فترة الوحي، و" فَإِذَا الْمَلَأْتُ الْمَلَأْتُ الَّذِي جَاءَنِي بِجَرَاءٍ ثُمَّ قَالَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"، يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

والإمام المودودي رجح القول الأول، كما حاول الجمع بين القولين الأولين، وبين الأقوال الثلاثة الأولى أيضا (كما يظهر من عباراته).^٤

ومن جمع بين الأقوال الثلاثة الأولى: ثناء الله المظهري، والطاهر بن عاشور، ومحمد أبو زهرة، وغيرهم.^٥

يتعلق بما قاله جابر بن عبد الله في جواب أبي سلمة، فإنه لا يُنكر أولية "سورة اقرأ" في النزول، وإنما يتحدث عن بدء نزول الوحي بعد انقطاع الوحي بسورة "المدثر". والروايات الأخرى لهذا الحديث أيضا تُنصُّ على هذا. وليس فيها بيانٌ لحادثة غار حراء؛ لذلك المراد بأولوية "المدثر" هو بعد الفترة (انقطاع الوحي)، وأما المراد بأولوية "اقرأ باسم ربك"، فإنها أولوية حقيقية أى بدء نزول الوحي لأول مرة على حقيقته. أما ما ورد في رواية جابر بن عبد الله من ذكر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء فإن ابن حجر أوله (وجهه) بإقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء حتى في زمن الفترة وانقطاع الوحي (قلت - القائل هو الشيخ جوهر رحمان - وهذا لا يتعارض مع الروايات التي تُنصُّ على أولوية "اقرأ باسم ربك" على الحقيقة). (علوم القرآن: ١٢٩/١ وما بعدها).

١ انظر: تفسير الخازن: ٣٦٧/٤-٣٦٢، والمدخل لدراسة القرآن محمد بن محمد أبي شهبة: ١١٣/١-١١٤.

٢ انظر: تفهيم القرآن: ٣٣٩٢/١.

٣ المصدر السابق: ١٣٨/٦.

٤ نفس المصدر السابق: ٤٢/٨.

٥ انظر: التفسير المظهري: ٣٠١/٢٠.

وثناء الله المظهري هو: محمد ثناء الله الهندي الفاني فتي النقشبندي الحنفي المظهري، المتوفى سنة ٢١٦هـ من آثاره: "التفسير المظهري". (انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد الأمين بن مير سليم الباباني البغدادي: ٣٥٣/٢-٣٥٤، عام ١٩٥١م، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة: ١٤٤/٩، دمشق، مكتبة المتنبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع).

٦ انظر: التحرير والتنوير: ١٣٥/١.

وقد وافق الإمام المودودي في رأيه عددا من المفسرين منهم: ثناء الله المظهري^٢، ومحمد أبو زهرة^٣،
 ومحمد محمود الحجازي^٤، وغيرهم^٥. وهو "إن سورة الفاتحة هي أول سورة نزلت كاملة".
 وهؤلاء يوفقون بين الأقوال الثلاثة الأولى في أول ما نزل من القرآن. فيقولون: إن أول ما نزل
 من القرآن على الإطلاق الآيات الخمس الأولى من سورة "اقرأ" لحديث عائشة. وأول ما نزل
 بعد فترة الوحي "بأيها المدثر" لحديث جابر بن عبد الله. وأول سورة نزلت بكمالها "الفاتحة"
 لحديث البيهقي. فأولية الآيات الخمس الأولى من "اقرأ" محمولة على الإطلاق، وبقيّة السورة
 نزلت بعد ذلك، وأولية "سورة المدثر" أولية إضافية أي محمولة على أنها أول ما نزل بعد فترة
 الوحي، وأولية "سورة الفاتحة" أولية إضافية أيضا أي محمولة على أنه أول سورة نزلت
 كاملة (دفعه واحدة)^٦.

١ انظر: زهرة التفاسير: ٥٥/١.

٢ ينظر: التفسير الواضح محمد محمود الحجازي: ٨٣٣/٣، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيع (بالأردوية): ٧٢/١،
 ومعارف القرآن محمد إدريس كاندهلوي (بالأردوية): ٣/١-٤، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٢٨٥/١،
 وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش: ٢٠/١، وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردوية): ١٢/١،
 والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٤٥٣/١٥.

٣ انظر: التفسير المظهري: ٣٠١/٢٠.

٤ انظر: زهرة التفاسير: ٥٥/١.

٥ انظر: التفسير الواضح: ٨٣٣/٣.

٦ ينظر: معارف القرآن للمفتي محمد شفيع (بالأردوية): ٧٢/١، ومعارف القرآن لمحمد إدريس
 كاندهلوي (بالأردوية): ٣/١-٤، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٢٨٥/١، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين
 درويش: ٢٠/١، وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردوية): ١٢/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٤٥٣/١٥.

٧ وهناك قول شاذ ذكره السيوطي (الإتقان في علوم القرآن: ٩٣/١)، ورجحه، وذكره الألوسي (٤٠٠/١٥) أيضا،
 وهو: أن سورة المدثر هي أول سورة نزلت كاملة. ولقد ذكر السيوطي هذا الجواب بين الأجوبة التي أجاب بها
 القائلون بالأول عن حديث جابر رضي الله عنه. (الإتقان في علوم القرآن: ٩٣/١-٩٤). ويقول محمد بن
 محمد أبي شعبة بعد نقل جواب الإمام السيوطي في الإتقان في علوم القرآن: "أقول هذا الجواب غير مسلم،
 فقد ذكرت آنفا رواية الصحيحين عن جابر، وفيها "فأنزل الله يا أيها المدثر (١) إلى وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)".
 (المدخل لدراسة القرآن: ١١٤/١). ثم يقول: "فكيف يدعي مدع، أو يقول قائل: إن المدثر أول سورة نزلت
 بتمامها! فالحق أنه لا يصلح أن يكون جوابا. ولذلك لما تعرض الحافظ ابن حجر في "الفتح" للتوفيق بين

التعليق: أرى ما يراه جمهور المفسرين من أن سورة "الفاتحة" من أوائل القرآن نزولاً، ولا يختلفون في كونها نزلت كاملة وغير منجمة.

الأدلة:

١. رواية البيهقي السابقة^١. وهذا هو رأي الإمام المودودي كما هو ظاهر.
٢. هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام الواحدي: "...فعند الأكثرين هي مكية من أوائل ما نزل من القرآن^٢. ويقول الإمام ابن جزى الكلبي أثناء كلامه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"^٣.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

- تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.

الثالثة: مما يظهر هي الرابعة في الترتيب النزولي عند الإمام المودودي (والله أعلم). أي "وكانت قد نزلت عليه من قبل بضع آيات من أجزاء من سورة العلق، والمزمل، والمدثر". ومن خلال عرض كلامه يتضح أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، وهو أن الفاتحة في الترتيب النزولي تأتي في المركز الرابع إلا أنني وجدت خلال تبعمي للتفسير والكتب المصنفة في علوم القرآن خمسة أقوال أخرى للمفسرين في رقم نزول هذه السورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: هي السورة الأولى في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القاضي أبي بكر الباقلاني^٤، والواحدي^٥، والرازي^٦، وغيرهم^٧.

الحديثين - حديث عائشة، وحديث جابر - لم يذكر هذا الوجه، وإنما ذكره صاحب الإتيان^٨. (المصدر السابق: ١١٤/٨)

١ انظر: (ص ١٤٣-١٤٤)، فإني ناقشت هذا الأمر بالتفصيل المبين هناك.

٢ أسباب النزول، ص ٢١.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/٨.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ص ٢٨٨.

٥ انظر: الإتيان للقرآن: ٢٤١/٨.

ولقد رد العلامة الألوسي على هذا القول حيث يقول: "وأما قول من قال من المفسرين؛ أن أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر"^١. وكما رد عليه الطاهر بن عاشور قائلاً: "وَقِيلَ لِأَنَّهَا أَوْلُ مَا نَزَلَ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِمَا ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" وَاسْتَفَاضَ أَنَّ أَوْلَ مَا أُنزِلَ سُورَةُ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ [العلق: ١] ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَرَكَّدَ فِيهِ"^٢.
 إن الزمخشري، ومحمد رشيد رضا يرجحان هذا القول الأول^٣.

القول الثاني: هي السورة الثانية في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: محمد إدريس الكاندهلوي^٤. فإنه يستدل برواية البيهقي.

القول الثالث: هي السورة الثالثة في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: ثناء الله المظهري^٥، والطاهر بن عاشور^٦. ومحمد بن محمد أبي شهبه^٧.

القول الرابع: هي السورة الرابعة في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: المفتي محمد شفيع^٨. وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي كما يظهر من عبارته.

١ انظر: أسباب النزول، ص ١٤.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٢١٥/٣٣.

٣ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٥/١، وتفسير ابن جزى: ١٢/١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٧/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٤/٨، والمدخل لدراسة القرآن الكريم محمد بن محمد أبي شهبه: ١١٥/١.

٤ روح المعاني: ٤٠٠/١٥.

٥ التحرير والتنوير: ١٣٢/١.

٦ انظر: الكشاف: ٧٧٥/٤، وتفسير المنار: ٢٩١-٣٠.

٧ انظر: معارف القرآن: ٣/٨-٤.

٨ انظر: التفسير المظهري: ٣٠٠/١٠-٣٠١.

٩ انظر: التحرير والتنوير: ١٣٥/١.

١٠ انظر: المدخل لدراسة القرآن: ١١٥/٨.

١١ انظر: معارف القرآن: ٧٢/٨.

القول الخامس؛ هي السورة الخامسة في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: الشوكاني^١، ومحمد عزة دروزة^٢، وعبد القادر بن ملا حويش^٣، وغيرهم^٤. ويستدلون برواية جابر بن عبد الله عن ترتيب نزول السور القرآنية. فإن الفاتحة تأتي الخامسة في ترتيب النزول عنده^٥.



١ انظر: فتح القدير: ٣٦٧/٥.

٢ انظر: التفسير الحديث: ١٧/٨.

٣ انظر: بيان المعاني: ١١٤/٨.

٤ ينظر: تيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردوية): ١٢/٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٣/٨.

٥ يقول الإمام السيوطي بعد ذكر ترتيب نزول السور عند جابر بن عبد الله: "قُلْتُ: هَذَا سِيَاقٌ غَرِيبٌ وَفِي هَذَا التَّرْتِيبِ نَظَرٌ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ اعْتَمَدَ الْبُرْهَانُ الْجَعْفَرِيُّ عَلَى هَذَا النَّظَرِ فِي فَصِيحَتِهِ الَّتِي سَمَّاهَا تَقْرِيبُ الْمُأْمُولِ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ". (الإتقان في علوم القرآن: ٩٦٨-٩٧).

مسألة

ما موضوع سورة الفاتحة، وما مدى علاقتها بالقرآن؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "هذه السورة في حقيقة الأمر تضرع ودعاء إلى الله - سبحانه وتعالى- يُعلّمه رب العالمين لمن أراد أن يتدبر كتابه. وقد وضعت في أول الكتاب لتقول للقارئ: إنك إن كنت تريد أن تستفيد من القرآن فعليك أن تقدم هذا الدعاء بين يدي الله... ثم يقول: "وإذا نظرنا إلى موضوع الفاتحة وفكرتها بان لنا... أن العلاقة بينهما هي علاقة الدعاء بالاستجابة، فالفاتحة ضراعة من العبد، والقرآن استجابة من المولى لضراعة العبد. العبد يتوسل إلى ربه أن يهديه، والرب يضع أمام عبده القرآن كله استجابة لدعائه وكأنه تعالى يقول له: "هذه هي الهداية التي سألتني إياها".

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الأنف الذكر يتضح أنه ركز في المسألة على القول المذكور، إلا أن استعراض التفسير القرآنية والكتب المصنفة في علوم القرآن الكريم أثبت لي أن مؤلفيها ذكروا في هذه المسألة قولين، أذكرهما فيما يلي باختصار:

القول الأول: أسلوب هذه السورة أسلوب دعائي، والعلاقة بينها وبين القرآن علاقة الدعاء بالاستجابة، حيث لما سأل عباده المخلصون في الفاتحة الهداية إلى الصراط المستقيم، فأرشدتهم إلى أن الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو في هذا الكتاب .
ومن ذكر هذا القول من المفسرين بتعبيرات مختلفة وأساليب متنوعة: الزجاج، وابن أبي زمنين، وابن عطية، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن للإمام المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران بتصرف سير، تعريب: أحمد إدريس، ص ٣٣، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار القلم، الكويت.

٢ المصدر نفسه. بتصرف سير.

٣ انظر: معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج: ٥٤/١، المحقق: عبد الجليل عبه شلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت.

والزجاج هو: الإمام نحوي زمانه، إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، البغدادي، مصنف كتاب "معاني القرآن"، كان يخرط الزجاج، ثم ملك إلى النحو، فلزم المبرّد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحته وعلمه، وكان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد. من

القول الثاني: العلاقة بينها وبين القرآن علاقة الإجمال والتفصيل، حيث اشتملت سورة الفاتحة على مقاصد القرآن الكريم إجمالاً، وسائر القرآن الكريم ورد تفصيلاً لهذه المقاصد (المطالب).

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

تصانيفه: "الإنسان وأعضاؤه"، و"الفرس"، و"العروض"، و"الاشتقاق"، و"فعلت وأفعلت"، و"ما ينصرف وما لا ينصرف"، وغير ذلك. مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وسئل عن سنه عند الوفاة فعقد سبعين. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٦٠/١٤، وطبقات المفسرين للداودي: ٩١ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأذنه وي: ٥٢/٨).

١ انظر: تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي: ١١٩/٨، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنتز، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٨٩/٨

٣ ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٦٩/٨، تحقيق ودراسة: د/محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كلية الآداب، جامعة طنطا، والتفسير الكبير للرازي: ١٥٩/٨، وتفسير البيضاوي: ٢٥/٨، وتفسير القرآن الكريم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: ٢٧/٨ - ٢٨، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار ومكتبة الهلال، بيروت، وتفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبي عبد الله: ١٠٢/٨، المحقق: د. حسن المناعي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٩١/٨، وتفسير الألوسي: ٤٠/٨، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٢٦/٨، وتدبر القرآن لأمين الإصلاحي (بالأردنية): ٥٣/٨، و٧٠، وتفسير الشعراوي (أخواض) لمحمد متولي الشعراوي: ٩٠/٨، ليس على الكتاب الأصل (المطبوع) أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره. غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م، مطابع أخبار اليوم.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦/٨.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٢/٨ - ١١٣.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ٢٥/٨.

٧ ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الفرناطي: ١٨٧، دراسة وتحقيق: محمد شعباني، عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، وتفسير ابن جزري: ٤٧/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٢/٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١٧/٨، ونظم الدرر للبقاعي: ٢٦/٨، ومعترك الأقران للسيوطي: ٥٨/٨، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ص ٧٣، وتناسق الدرر للسيوطي، ص ٦١.

ولقد جمع الإمام المفتي محمد شفيع، والإمام أمين أحسن إصلاححي -رحمهما الله- بين القولين.

يقول الإمام المفتي محمد شفيع: "سورة الفاتحة هي بمثابة المتن، وسائر القرآن شرح له، والدليل على ذلك ما ورد في الروايات الصحيحة من أسماء هذه السورة، كـ "أم القرآن"، و"أم الكتاب" و"القرآن العظيم"، كما أنّ هذه السورة دعاء جيء به في مفتاح القرآن الكريم، وذكر سائر القرآن جوابا واستجابة له، ومن ثمّ عقيبتها سورة البقرة التي تشتمل على كلمات "ذلك الكتاب" لتكون هي والسور التي بعدها في القرآن كلّ جوابا على الدعاء الذي قُدّم بين يدي رب العالمين"^١.

ويقول الإمام أمين أحسن إصلاححي: "أسلوب هذه السورة أسلوب دعائي"^٢. ثم يقول: "اعتبرت هذه السورة مقدمة للقرآن الكريم لأسباب ثلاثة:
أولا: هذه السورة عنوان مبدء الشريعة والدين.

ثانيا: لو استقرت مطالب القرآن الكريم لاختصرت واجتمعت في ثلاثة موضوعات رئيسية: التوحيد، والرسالة، والآخرة. والفاتحة تحتوي عليها إجمالا، وذكر تفصيلها في سائر القرآن الكريم.

ثالثا: اشتملت السورة على الدعاء الذي بواسطته انتقلت الأمة من ظلمات الجهل إلى نور القرآن"^٣.

(أقول: "والدعاء لا يكون إلا في مفتاح الكلام ومستهلّه").

التعليق: ومما يظهر من القراءة في الدراسة المذكورة أنّ "الإمام المفتي شفيع"، و"الإمام أمين أحسن إصلاححي"-رحمهما الله- في تفسيريهما يتفقان في إيراد الرأيين وذكر القولين إلا

وقطف الأزهار للسيوطي، ص ١٠١، وتفسير نظام القرآن للفراهي. ص ٨٥ - ٨٦، ودلائل النظام للفراهي، ص ٩٣، وأم الكتاب لأبي الكلام آزاد(بالأردوية)، ص ١٧. وفي ضلال القرآن للسيد قطب: ٣٦١، وتدبر القرآن لأمين أحسن إصلاححي(بالأردوية): ٧٠/١.

١ انظر: معارف القرآن: ٧٣/١-٧٣.

٢ انظر: تدبر القرآن: ٥٣/١.

٣ انظر: المصدر السابق: ٦٩١ - ٧٠.

أن ألفاظهما اختلفت وعبارتهما تنوعت غير أنها في آخر المطاف ترمي نحو مرمى واحد
وهدف متحد، وهو الجمع بين القولين.

ومن جمع بين القولين من المفسرين: الثعلبي^١، والرازي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم.

كما يظهر أيضا أن المفسرين اختلفوا في ذكر أسباب سورة الفاتحة وكونها في مستهل
القرآن، فنظر بعضهم كأمثال المفسرين: الإمام المفتي محمد شفيح، والإمام المودودي، والإمام أمين
أحسن إصلاححي إلى صياغة آياتها وانتظام كلماتها وظاهر أسلوبها، فوجدوا أنها دعاء خالص
يبتدئ بذكر الحمد والثناء على البارئ سبحانه ليُعقَّبَهُ تضرُّع وطلب يقَدِّمه عباد الله العاجزون
بين يدي معبودهم القادر على كل شيء، ولما ورد في الروايات الصحيحة من الأسماء التي تدل
على هذا الجانب كسورة الدعاء والسؤال، وتعليم المسألة. وهو دعاء يحتوي على طلب مضب
الخير الدينية والدينية، فنظرا لهذا الجانب ذهب هؤلاء المفسرون إلى أن هذه السورة دعاء
وسائر القرآن الكريم جواب، واستجابة له.

ونظر الآخرون إلى محتوى هذه السورة ومضمونها وما تشتمل عليه من المطالب المهمة
فوجدوها في هذه السورة المذكورة بإجمال كالتوحيد، والرسالة، والآخرة مثلا، فذهبوا إلى القول
بأن هذه السورة إجمال للمطالب القرآنية، أما سائر القرآن فإنه تفسير له وشرح عليه، وتفصيل
لما فيه من الإجمال.

يُضاف إلى ذلك ما وجدوه مما يؤيد هذا القول من أسماء هذه السورة في الروايات
الصحيحة كأم القرآن، وأم الكتاب والقرآن العظيم، فقد روى البخاري^٤ في صحيحه عن أبي

^١ انظر: الكشف والبيان: ١٢٩/١.

^٢ انظر: التفسير الكبير: ١٥٩/١.

^٣ انظر: أنوار التنزيل: ٢٥/١.

^٤ ينظر: تفسير النيسابوري: ٨٣/١، والإنتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٩١/١، و ١٣٩/٤، وتفسير أبي السعود:
٨/١، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي: ١٠/٨، والبحر المديد لابن عجيبة: ٥٢/١، وتفسير الألوسي: ٤٠٦. وفي
ظلال القرآن للسيد قطب: ٢٦/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم بونس الخطيب: ٢٠/٨، ومعارف
القرآن للمفتي محمد شفيح: ٧٣/١ - ٧٣. والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٢٩٠/٨، وتدبر القرآن لأمين أحسن
إصلاححي: ٥٣/١، و ٧٠، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٣/١.

سَعِيدُ بْنُ الْمُعَلَّى، قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّى ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟" فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَعَلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ" فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَرْتُهُ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ، وَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي".^١

١ هو: شيخ الإسلام، إمام الحفاظ حبر الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري صاحب "الجامع الصحيح" المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وكان رأساً في الذكاء، والعلم، والورع، والعبادة. صنف وحدث وما في وجهه شعرة، وقد قام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مائة ألف حديث. اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها، قل ابن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري". توفي ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. من مؤلفاته: "الضعفاء" في رجال الحديث، و"خلق أفعال العباد"، و"الأدب المفرد". (انظر: طبقات علماء الحديث للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي: ٢٤٣/٢ وما بعدها، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، وتذكرة الحفاظ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: ١٠٤/٢-١٠٥، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، والأعلام للزركلي: ٣٣٦-٣٤).

٢ هو: أبو سعيد بن المعلى الأنصاري، اختلف في اسمه، وأصح ما قيل - والله أعلم في اسمه - الحارث بن نفيح بن المعلى بن لوزان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري الزرقني. أمه أميمة بنت قرط بن خنساء، من بني سلمة. له صحبة، يعد في أهل الحجاز. روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين. وفاته سنة أربع وسبعين، وقيل سنة ثلاث، قالوا: وعاش أربعاً وستين سنة. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري القرطبي: ١٦٦٩/٤-١٦٧٠، وأسد الغابة لابن الأثير: ١٤٢/٥، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ١٤٧٧).

٣ صحيح البخاري: ٨٧٦، برقم: (٤٧٠٣)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني".

٤ هو: أبو هريرة الدوسي، عبد الرحمن بن صخر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، والأصح عبد الرحمن بن صخر. وقد غلبت عليه كنيته (وهو المشهور بكنيته)، أسلم عام خير. فقدم المدينة، وسكن الصفة، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي. وكان أحفظ من روى الحديث في

ومن ثمّ لا يعتبر هذا الاختلاف اختلاف تضاد، وإنما هو اختلاف تنوع يُثري الفهم،
ويفتح آفاقاً مختلفة لأفهام بشرية متنوّعة جبلها الله عليها.
ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها".^٢

عصره. وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً. توفي سنة سبع وخمسين، وقيل غير ذلك. (انظر:
الاستيعاب لابن عبد البر: ١٧٧/٤ وما بعدها، وأسد الغابة لابن الأثير: ٣٥٧/٣، والإصابة لابن حجر: ٣٤٨٧
وما بعدها).

١ سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي
السجستاني: ٥٨٦٢، برقم: (١٤٥٧)، باب "فاتحة الكتاب"، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي،
الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م، دار الرسالة العالمية. يقول: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي: "إسناده
صحيح". وسنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي: ٢٩٧/٥، برقم: (٣٦٢٤)، باب "ومن سورة الحجر"، وقل الإمام
الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

٢ قواعد التفسير للسبت: ٨٠٧/٢.

الآية:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

مسألة

ما نوع "ال" في قوله تعالى " الْحَمْدُ لِلَّهِ "؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: " ليس الأمر أن الحمد لله ، بل حقيقة الأمر أن الحمد لله فقط، دون غيره ممن سواه، وقد قطع بهذا المعنى دابر عبادة المخلوقات، وكشف الغطاء عنها، فما من حسن وجمال بأي شكل كان إلا وكان مصدره ذات الله تعالى. وما صفات الحسن والكمال في مخلوقات الله من الإنسان، والملائكة، والمعبودات، والنجوم، إلا هبة ربانية، وليست مهارات مكتسبة. فالذي يستحق أن نعبده ونشكره. ومحقق. ولا نستغني عنه فهو خالق الخاسن؛ وليس المتصف بها".

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتضح أن "ال" في " الْحَمْدُ " في قوله تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " يفيد معنى الحصر، وقصر الحمد في ذات الله سبحانه وتعالى دون سواه، فهو يرى أن معنى الآية هو أن من يستحق الحمد على وجه اليقين هو الله سبحانه وتعالى فقط دون غيره، وأن كل معاني الحمد والمدح مهما كانت أسبابها والوسائل إليها فهي في نهاية المطاف ثابتة لله وحده دون غيره في مخلوقاته؛ لأنه هو مصدر كل محمده، ومنبع كل ممدحة. وهذا هو الرأي الذي رجحه الإمام المودودي رحمه الله، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أقوال متعددة للمفسرين في "ال" الداخلة على "حمد"، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: أن التعريف فيها يفيد الاستغراق. أي أن جميع أجناس المحامد في الحقيقة كلها لله تعالى، فهو المستحق لجميع المحامد والكمالات؛ إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وله الحمد في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة. وأن حمد غيره لا اعتداد به، لأن الخالق

والمنعم هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^١، والرازي^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم^٤.

ولقد رد بعض المفسرين على هذا القول من أمثال: الزمخشري، والألوسي^٥، والظاهر بن عاشور^٦، يقول الإمام الزمخشري: "والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم"^٧.

القول الثاني: أنه يفيد العهد، أي ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو؟، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري^٨، والبيضاوي^٩، وأبو حيان الأندلسي^{١٠}، وغيرهم^{١١}.

ولقد رد العلامة النسفي على هذا القول الثاني قائلاً: "والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافاً للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسألة خلق الأفعال"^{١٢}.

القول الثالث: أن "ال" التعريف قام بأداء معنى الماهية للحمد، أي أن ماهية الحمد حق الله تعالى، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^{١٣}، وأبو حيان الأندلسي^{١٤}.

١ انظر: المحرر الوجيز: ٦٦/١.

٢ انظر: التفسير الكبير: ١٩٢/١.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣٣/١/٨.

٤ ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٧/١، وتفسير النسفي: ٢٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٤/١، وتفسير ابن كثير: ١٣٦/١، وتفسير الشوكاني: ٢٣/١، وأضواء البيان للشنقيطي: ٥/٨، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيق: ٧٩/١-٨٠.

٥ هو نقل قول الزمخشري، انظر: روح المعاني: ٧٤/١.

٦ هو نقل قول الزمخشري أيضاً، انظر: التحرير والتنوير: ١٦٠/٨.

٧ الكشاف: ١٠/٨.

٨ انظر: المصدر السابق: ٩/١-١٠.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ٢٧/١.

١٠ انظر: البحر المحيط: ٣٤/١.

١١ ينظر: تفسير أبي السعود: ١٢/٨، وتفسير الألوسي: ٧٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٥٩/١، ومعرف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي: ١٠/٨.

١٢ مدارك التنزيل: ٢٩/١-٣٠.

١٣ انظر: التفسير الكبير: ١٩٢/١.

القول الرابع: يذكر بعض المفسرين أن "ال" في "الحمد" يفيد معنى الحصر، وقصر الحمد في ذات الله سبحانه وتعالى، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: محمد صديق خان، وطنطاوي^٣.

التعليق: يلاحظ بعد استقراء آراء المفسرين في تفاسيرهم في مسألة "ال" الداخلة على "الحمد" أن كل رأي من تلك الآراء ذهب مذهباً يتفق مع ما يراه صاحبه من المعنى المنسوب في الآية الكريمة؛ ولذا فمثلاً: أراد القائلون بالاستغراق أن يُلْمُوا شتات الحمد وأجزاء بحيث لا تبقى صفة من صفات الحمد إلا وهي يجب أن تكون داخلة في تعريفهم وثابتة لله تعالى. وهكذا كان للقائلين بالعهد هدف يهدفون إليه، وكذا هو موقف الفريق الثالث أيضاً، إلا أن المعنى الذي وقع عليه اختيار الإمام المودودي من الحصر والقصر فكان أجمع للمعاني الأخرى التي اختارها أصحاب التفاسير المختلفة، كما أنه كان أشمل لكل تلك المعاني من الاستغراق والعهد والماهية التي تخدم في آخر الأمر معنى القصر الذي يقصر الحمد بكل أنواعه على الله تعالى. والذي تتقوى دلالة بلام الجارة الداخلة على اسم الجلالة في قوله: "الله". - والله تعالى أعلم، فيقول: "ليس الأمر أن الحمد لله، بل حقيقة الأمر أن الحمد لله فقط، دون غيره ممن سواه، وقد قطع بهذا المعنى دابر عبادة المخلوقات، وكشف الغطاء عنها، فما من حسن وجمال بأي شكل كان إلا وكان مصدره ذات الله تعالى. وما صفات الحسن والكمال في مخلوقات الله من الإنسان، والملائكة، والمعبودات، والنجوم، إلا هبة ربانية، وليست مهارات مكتسبة. فالذي يستحق أن نعبده ونشكره، ونحفده، ولا نستغني عنه فهو خالق المحاسن؛ وليس المتصف بها".

١ انظر: البحر المحيط: ٣٤/١.

٢ انظر: فتح البيان: ٤٢/١، والوسيط: ١٧/١.

٣ وطنطاوي هو: الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي، ولد في سوهاج (مصر) عام ١٩٢٨م، تعلم وحفظ القرآن الكريم في الإسكندرية، عمل عميداً لكلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم عين مفتياً للديار المصرية، وبعدها عين شيخاً للأزهر، توفي في عام ٢٠١٠م. من مؤلفاته: "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، و"بنو إسرائيل في القرآن والسنة"، و"معاملات البنوك وأحكامها الشرعية". (انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الانترنت، والموقع الرسمي للشاملة على الانترنت، ووفاء سيد طنطاوي-شيخ الأزهر- الجزيرة. نت).

الآية:

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (٧)

مسألة

ما موقع "غير" الإعرابي في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ولا نقصد بالذين أنعمت عليهم من يتنعم بنعمك في الحياة الدنيا، وهو في حقيقة الأمر مستحق لغضبك، وضالّ عن طريق الفلاح والسعادة، وإنما نقصد بهم من نال شرف الإنعام الحقيقي المتأصل الذي لا يتأتى إلا عن طريق الهداية، والرضوان، والمختلف تماما عن ذلك الإنعام العرضي الذي وهب قديما لأمثال فرعون، وحمود، وقارون، ومُنح حديثا للظنّين. والعصاة، والضالّين".

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أن "غير" في قوله تعالى "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" صفة لـ "الَّذِينَ"، فهو يرى أنّ معنى الآية هو أننا نسألك الهداية إلى صراط الذين نالوا شرف الإنعام الحقيقي بسبب الهداية، غير مستحق لغضبك، وضالّ عن طريق الهداية، ولا نسألك صراط الذين وهبوا الإنعام العرضي في الحياة الدنيا قديما وحديثا، واستحقوا غضبك، وضلّوا عن طريق الهداية، أي أننا صراط الذين جمعوا بين النعمتين: نعمة الإيمان، ونعمة السلامة من الغضب، والضلال. وهذا هو الرأي الذي رجحه الإمام المودودي -رحمه الله-، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أن المفسرين ذكروا قولين في "غَيْرِ" في الآية المذكورة، أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: قراءة اخفض في "غير"، وهي على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إن "غير" هنا صفة لا بدل. والمعنى: أنهم جمعوا بين النعمتين: نعمة الإيمان، ونعمة السلامة من الغضب والضلال.

ومن ذكر هذا الوجه من المفسرين: الفراء النحوي^١، والطبري^٢، وأبو جعفر النحاس^٣، وغيرهم^٤.
ولقد رد الإمام محمود بن أبي الحسن النيسابوري^٥، والإمام ابن جزري^٦ على هذا القول.
فهم يقولون: إن كون كلمة "غير" نعتاً من "الذين" يبعد، لأن كلمة "الذين" معرفة، وكلمة
"غير" نكرة، لا يتعرف وإن أضيفت إلى المعارف، فكيف يصح أن توصف معرفة بالنكرة؟
أجاب المنسرون عن هذا الاعتراض بجوابين:

(١) لم يقصد بـ "الذين" قوم بأعيانهم، بل أريد بهم الجنس، ولم يقصد بـ "غير" معين أيضاً.
وهي في الكلام بمنزلة قولك: "لا أمر بالصديق غير الكاذب". كأنك تريد لا أمر إلا بمن يصدق
ولا يكذب.

(٢) تعرّف "غير" بـ الإضافة إذ وقعت بين الضدين، فنلغضوب عليهم والضالين خلاف
المنعم عليهم، فليس في "غير" الإبهام التي يأتي عليه أن يتعرف. كقولك: "الحي غير الميت"،
و"الساكن غير المتحرك"^٧.

١ انظر: معاني القرآن: ٧/١، المحقق: أحمد يوسف النجاشي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشليبي،
الطبعة الأولى، دار المصرية، مصر، بدون تاريخ الطبع.

٢ انظر: جامع البيان: ١٨٤/١.

٣ انظر: إعراب القرآن: ٢١/٨، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ
منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلبي بن
عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ٣٠٧-٣٠٧هـ، المحقق:
محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والكشاف
للزنجشري: ١٦٧، وتفسير ابن عطية: ٧٧١، وتفسير القرطبي: ١٥٠٨-١٥١، وتفسير البيضاوي: ٣٧١، والبحر
الحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٠/١، وتفسير ابن كثير: ١٤٠٨، وتفسير أبي السعود: ١٧١-١٩، وتفسير
الشوكاني: ٢٩/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٩٥/١.

٥ انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٦١/١.

٦ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٦٧١.

٧ يراجع للمزيد من التفصيل: معاني القرآن للفراء النحوي: ٧/١، وتفسير الطبري: ١٨٠/١-١٨١، والكشاف
للزنجشري: ١٦٧-١٧، وتفسير القرطبي: ١٥١/١، وتفسير البيضاوي: ٣٧١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:
٥٠/٨.

الوجه الثاني: إن "غير" هنا بدل من "الذين" لا صفة والمعنى: "المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال".

ومن ذكر هذا الوجه من المفسرين: أبو جعفر النحاس^١، والزنجشيري^٢، ومحمود بن أبي الحسن النيسابوري^٣، وغيرهم^٤.

لقد رد الإمام أبو حيان الأندلسي على هذا الوجه بقوله: "فلجراً على البدل من "الذين"، أو من الضمير في "عليهم"، وكلاهما ضعيف، لأن غيراً أصل وضعه الوصف، والبدل بالوصف ضعيف"^٥.

ورد عليه العلامة أبو السعود أيضاً بعد ما رجح الوجه الأول، حيث يقول: "وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المَغضُوبِ عَلَيْهِمْ بدلاً من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل أن يُفيد متبوعه مزيد تأكيدٍ وتقريرٍ وفضلٍ إيضاحٍ وتفسيرٍ ولا ريب في أن قصارى أمر ما نحن فيه إن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرفٍ مصححٍ لوقوعه صفةً للموصول وأما استحقاق أن يكون مقصوداً بالنسبة مفيداً لما ذكر من الفوائد فكل"^٦.

الوجه الثالث: أو بدل من الهاء والميم في "عليهم"، والمعنى: "المنعم عليهم سلموا من الغضب والضلال".

ومن ذكر هذا الوجه من المفسرين: أبو البقاء العكبري^٧، والقرطبي^٨، وأبو حيان الأندلسي^٩، وغيرهم^{١٠}.

١ انظر: إعراب القرآن: ٢٧٨.

٢ انظر: الكشاف: ١٦١.

٣ انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٧٧٨.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ١٥٠/٨، وتفسير البيضاوي: ٣٧/٨، وتفسير ابن جزى: ١٦٦/٨، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٥٠/٨، وتفسير أبي السعود: ١٩/٨، وتفسير الشوكاني: ٢٩/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٩٥/٨.

٥ البحر المحييط: ٥٠/٨.

٦ إرشاد العقل السليم: ١٩٨.

٧ انظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري: ٩/٨، المحقق: علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (جزءان في ترقيم مسلسل واحد)، بدون تاريخ الطبع.

٨ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٨.

ومن رد على هذا الوجه: الألوسي، ووهبة الزحيلي^٢.

يقول العلامة الألوسي: "وقيل من ضمير "عليهم" ولا يخلو من الركافة بحسب المعنى وأما أنه يلزم عليه خلو الصلة عن الضمير فلا لأن المبدل منه ليس في نية الطرح حقيقة"^٣.
ويقول العلامة وهبة الزحيلي: "و "غير" مجرور على البدل من ضمير "عليهم"، وهذا ضعيف"^٤.

القول الثاني: قراءة النصب في "غير" على أوجه، منها: الاستثناء من "الذين" أو من "الضمير" في "عليهم". كقولك: "إلا المغضوب عليهم"، أو الحل من "الذين" أو من "الضمير" في "عليهم"، كقولك: "صراط الذين أنعمت عليهم، لا مغضوبا عليهم"، أو بإضمار أعني، كقولك: "أعني غير المغضوب عليهم".
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو إسحاق الزجاج النحوي^٥، وأبو البقاء العكبري^٦، والقرطبي^٧، وغيرهم^٨.

١ انظر: البحر المحيط: ٥٠/٨.

٢ ينظر: تفسير الألوسي: ٩٧/٨. وإعراب القرآن وبيانه لحي الدين درويش: ١٥/٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٥/٨.

٣ ووهبة الزحيلي هو: وهبة بن مصطفى الزحيلي (١٩٣٢م/٢٠١٠م) كان أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو خبير في مجمع الفقه الإسلامي في مكة وجدة والهند وأمريكا والسودان، ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة. حصل على جائزة أفضل شخصية إسلامية. من مؤلفاته: "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، و"الفقه الإسلامي وأدلته"، و"أصول الإيمان والإسلام". (انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، وويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

٤ روح المعاني: ٩٧/٨.

٥ التفسير المنير: ٥٥/٨.

٦ انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٣/٨.

٧ انظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠/٨.

٨ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٧/٨.

٩ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٦/٨، وتفسير ابن جزي: ٦٦/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥١-٥٠/٨، وتفسير الألوسي: ٩٦-٩٧/٨.

وهذا القول أيضا كان موضع النقد، والرد عليه من قبل الأئمة: ابن تيمية، وأبي حيان الأندلسي، والألوسي.

يقول الإمام ابن تيمية: وقوله تعالى: " غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ " صفة لا استثناء، لأنه خفض "غير"؛ كما تقول العرب: إني لأمرّ بالصادق غير الكاذب. فالمغضوب عليهم والضالون لم يدخلوا في المنعم عليهم حتى يخرجوا، بل بين أن هؤلاء مغايرون لأولئك، كمغايرة الصادق للكاذب.

ويقول الإمام أبو حيان الأندلسي: "وَالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي "عَلَيْهِمْ"، أَوْ مِنَ "الَّذِينَ" خَطَأً، لِأَنَّ الْحَالَ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الَّذِينَ لَا مَوْضِعَ لَهُ لَا يَجُوزُ، أَوْ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ. إِذْ لَمْ يَتَنَاوَلْهُ اللَّفْظُ السَّابِقُ، وَمَنَعَهُ الْقِرَاءَةُ مِنْ أَجْلِ لَا فِي قَوْلِهِ وَلَا الضَّالِّينَ، وَنَمْ يَسُوعُ فِي النَّصْبِ غَيْرِ الْحَالِ، لِأَنَّ لَهُ، لَا تَزَادُ إِلَّا إِذَا تَقَدَّمَ النَّفْيُ...".

ويقول العلامة الألوسي: "إن "غير" بالنصب شاذ عن ابن كثير".

وكما تقول الأئمة: ابن كثير، وأبو حيان الأندلسي، والطاهر بن عاشور: "إن "غير" بلخفض قراءة الجمهور".

التعليق: بعد الاستقراء في آراء المفسرين يثبت أن هناك قولين في إعراب كلمة "غير". فالوجهان في القول الأول من أهم الأقوال في المسألة وذكرهما أكثر المفسرين. أما الوجه الثالث (الأخير) من القول الأول فضعيف، والقول الثاني أيضا ضعيف والنقد عليه أكثر. أما الوجه الثاني في القول الأول فضعيف، وهو: أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال. والراجح هو الوجه الأول في القول الأول، وهو: أن تكون "غير" صفة لا بدلا.

١ منهج السنة النبوية: ٣٠٦/٥-٣٠٧.

٢ البحر المحیط: ٥٠٦-٥١ باختصار.

٣ انظر: روح المعاني: ٩٧/١.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ١٤٠/١، والبحر المحیط: ٥٠/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٩٥/١.

١. هو قول الجمهور. يقول الإمام ابن كثير: "قرأ الجمهور: "غير بلجر" على النعت"١.
- ويقول الإمام ابن جزى أثناء كلامه عن وجوه الترجيح قائلا: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"٢.
٢. لأن إعرابها صفة أنسب للمقام وأوفى بالمعنى المراد بحيث يجمع هذا التفسير بين الإنعام الذي تفضل به على عباده، وبين السلامة من الوقوع في الضلال والغضب، أما تفسيرها بالبدل فإنه لا يتميز بهذا المعنى الجامع بين الصفتين، لأنّ البدل والمبدل منه يؤدبان معنى واحدا ولا يحتاجان إلى التغاير فيه؛ لذلك كان تفسيرها بالوصفية أولى وأدق من تفسيرها بالبدل. وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي -رحمه الله- بتفسيره للآية الكريمة٣، حيث قال: "ولا نقصد بالذين أنعمت عليهم من يتنعم بنعمك في حياة الدنيا، ولكنه في حقيقة الأمر مستحق لغضبك، وضلّ عن طريق الفلاح والسعادة. وإنما نقصد بهم من نال شرف الإنعام الحقيقي المتأصل الذي يتأتى عن طريق الهداية، والرضوان، وهو مختلف تماما عن ذلك الإنعام العرضي الذي وهب قديما لأمثال فرعون، وغرود، وقارون، ومُنح حديثا للظالمين، والعصاة، والضّالين". -والله أعلم-.

ويقول الإمام ابن جزى في مقدمة تفسيره أثناء الكلام عن وجوه الترجيح: "أن يشهد بصحة القول ويندّ عليه ما قبله أو ما بعده"٤.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما. إلا بدليل يجب التسليم له"٥.

١ تفسير القرآن العظيم: ١٤٠/١.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٣ وهذا هو ما رجحه الأئمة المفسرون: أمثال: الفراء النحوي، والطبري، وابن تيمية، وابن عطية، وابن كثير، وأبو السعود (انظر على التوالي: معاني القرآن: ٧/١، وجامع البيان: ١٨٤/١، ومنهاج السنة النبوية: ٣٠٦/٥-٣٠٧، والمحرم الوجيز: ٧٦/١، وتفسير القرآن العظيم: ١٤٠/١، وإرشاد العقل السليم: ١٩/١).

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٥/١.

الفصل الثاني:
ترجيحات سورة البقرة

الآية:

﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

مسألة

ما معنى "لا ريب فيه" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "معناها البسيط المباشر: "لا شك أن هذا كتاب الله". لكنها قد تعني أيضا: "هذا هو الكتاب الذي لا شك فيه". فكل الكتب التي تتحدث عن أمور ما بعد الطبيعة وحقائق ما وراء الإدراك فإنها مبنية على التخمين والحدس، ولذلك لا يخلو مصنفوها من الشك فيما صنفوه، وإن أظهروا اليقين الكامل بما فيها. أما القرآن الكريم فإنه كتاب مبني بصورة شاملة وكلية على علم الحقيقة".^١

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في أن معنى "لَا رَيْبَ فِيهِ" في قوله تعالى "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ستة أقوال أخرى للمفسرين في معنى "لَا رَيْبَ فِيهِ" في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: لا ريب ولا شك في كونه منزلاً من الله، ولا ريب (الشك) فيه (في ذاته)، بمعنى أنه الحق والصلق في ذاته، وصفة من صفاته، غير مخلوق ولا محدث، وإن ارتاب فيه الكفار. هذا القول هو المنقول عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعدد من الصحابة، والتابعين^٢.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٣، وابن عطية^٤، وابن الجوزي^٥، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٤٩/١.

٢ انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٢/١.

٣ من هؤلاء: أبو الدرداء وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان والسدي وقتادة وإسماعيل بن أبي خالد. (انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٢/١).

٤ انظر: جامع البيان: ٢٢٨/١.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٨٣/١.

القول الثاني: إن النفي هنا بمعنى النهي، أي: لا ترتابوا فيه. ومثله قوله تعالى: "فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ"^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، وابن كثير^٢.
ولقد ذكر هذا القول القاضي ابن عطية بـ "وقال قوم"^٣، كما ذكره الحافظ ابن كثير بـ "وقال بعضهم"^٤، وذكره الأئمة: السمعاني^٥، والبغوي^٦، والقرطبي^٧، وغيرهم^٨ بصيغة التمريض.

القول الثالث: لا ريب فيه أنه هدى للمتقين.

انفرد بذكر هذا القول: الإمام ابن الجوزي^٩.

القول الرابع: هو عموم يراد به الخصوص، أي لا ريب فيه عند المؤمنين/المتقين.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^{١٠}.

ولقد رد القاضي ابن عطية على هذا القول بقوله: "وهذا ضعيف"^{١١}، والعلامة أبو حيان الأندلسي بقوله: "هذه المقادير لا يُحتاج إليها"^{١٢}.

^١ انظر: زاد المسير: ٢٧٨.

^٢ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٧١، وتفسير القرطبي: ١٥٩٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٣٧، وتفسير ابن كثير: ١٦٢٨، وتفسير الألوسي: ١٠٩٨، وتدبير القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردوية): ٨٧٨.
^٣ سورة البقرة، الآية ١٩٧.

^٤ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٨٣٨، وزاد المسير: ٢٧٨، وتفسير القرآن العظيم: ١٦٢٨.

^٥ المحرر الوجيز: ٨٣٨.

^٦ تفسير القرآن العظيم: ١٦٣٨.

^٧ انظر: تفسير القرآن: ٤٢٨٨.

^٨ انظر: معالم التنزيل: ٨٦.

^٩ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٩٨.

^{١٠} ينظر: تفسير الخازن: ٣٣٨، وتفسير الألوسي: ١٠٩٨.

^{١١} زاد المسير: ٢٧٨.

^{١٢} انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٨٣٨، وأنوار التنزيل: ٣٧٨، والبحر المحيط: ٦٣٨، وروح المعاني: ١٠٩٨.

^{١٣} المحرر الوجيز: ٨٣٨.

كما ذكره القاضي البيضاوي، والعلامة الألوسي بصيغة التمريض^١.

القول الخامس: لا ريب فيه عند المتكلم.

انفرد بذكره العلامة أبو حيان الأندلسي^٢.

القول السادس: على جعل حذف المضاف، أي لا سبب ريب فيه لوضوح آياته وإحكام

معانيه وصلق أخباره.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي^٣، والألوسي^٤.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك أقوالاً متعددة في معنى "لَا رَيْبَ

فِيهِ" في قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ". والقول الأول هو الراجح لقوة

أدلته ولعدم تعرضه للنقد والرد، ولكونه من اختيارات جمهرة المفسرين الكبار حيث رجحه

عدد من المفسرين أمثال: الطبري^٥، والسمعاني^٦، والبغوي^٧، وغيرهم^٨. وهو: "أن هذا الكتاب لا

شك في كونه منزلاً من الله تعالى"، وهذا هو ما رجحه الإمام أبو دؤاد^٩ - رحمه الله - استناداً إلى

أن هذا الكتاب لا شك فيه؛ لأنه مبني بصورة شاملة على الحقيقة، فهو مختلف تماماً عن الكتب

التي تتحدث عن أمور ما بعد الطبيعة؛ لأنها مبنية على التخمين، فيقول: "معناها البسيط

المباشر: "لا شك أن هذا كتاب الله". لكنها قد تعني أيضاً: "هذا هو الكتاب الذي لا شك

فيه". فكل الكتب التي تتحدث عن أمور ما بعد الطبيعة وحقائق ما وراء الإدراك فإنها مبنية

١ البحر المحيط: ٦٣/١.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ٣٦/١، وروح المعاني: ١٠٩/١.

٣ انظر: البحر المحيط: ٦٣/١.

٤ انظر: المصدر نفسه.

٥ انظر: روح المعاني: ١١٠/١.

٦ انظر: جامع البيان: ٢٢٨/١.

٧ انظر: تفسير القرآن: ٤٢/١.

٨ انظر: معالم التنزيل: ٨/١.

٩ ينظر: تفسير ابن عطية: ٨٣/١، وتفسير القرطبي: ١٥٩/١، وتفسير البيضاوي: ٣٧/١، وتفسير الخازن: ٣٣/١.

والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٣/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٢/١، وتفسير الألوسي: ١٠٩/١، وتدبر القرآن

لأمين أحسن إصلاحي: ٨٧/١.

على التخمين والحدس، ولذلك لا يخلو مصنفوها من الشك فيما صنّفوه، وإن أظهروا اليقين الكامل بما فيها. أما القرآن الكريم فإنه كتاب مبني بصورة شاملة وكلية على علم الحقيقة".

الأدلة:

(١) القرآن: يقول الله تعالى: "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرْبَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ويقول أيضا: "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ".

يقول الإمام ابن جزري عن هذا الجانب: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^٢

(٢) هو المنقول عن أكثر الصحابة والتابعين.

يقول الحافظ ابن كثير: وَالرَّيْبُ الشُّكُّ، ثم ساق الأخبار، واستدل بها^٣.

ويقول الإمام ابن جزري أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالحلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لدعاء الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- له: "اللَّهُمَّ فَقهه في الدين وَعَلِّمه التَّوْبِيلَ"^٤.

(٣) وأن القول الأول لا يحتاج فيه إلى الزيادة، ولا إلى التقادير في النص.

١ سورة السجدة، الآية ٢.

٢ سورة النافر، الآية ٢.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٤ تفسير القرآن العظيم: ١٦٢/٨.

^٥ قال الحافظ ابن كثير: "قال السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أَنَسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا رَبِّبَ فِيهِ} لَا شَكَّ فِيهِ. وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو مَالِكٍ وَنَافِعُ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ وَعَطَاءُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَمُقَابِلُ بْنُ حَيَّانَ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ". ثم قال: "وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا خلافاً". (تفسير القرآن العظيم: ١٦٢/٨).

٦ سبق تخرجه.

٧ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "تقديم الاستقلال على الاضمار إلا أن يدلّ دليل على الاضمار"^١.

٤) قوة أدلته وعدم تعرّضه للنقد والردّ.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيّه آيات قرآنية مقدم على ما عُدِم ذلك"^٢.

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجّة على من بعدهم"^٣.

"القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار"^٤.

١ المصدر نفسه.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٢٨.

٣ المصدر السابق: ٢٧٨.

٤ نفس المصدر السابق: ٤٢٧٢.

الآية:

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٢)

في الآية مسألتان:

المسألة ١

ما معنى "الغيب" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "إن المراد بـ "الغيب" هو تلك الحقائق الخفية المختفية عن حواس الإنسان، والتي لا تظهر له بالصورة المباشرة عن طريق التجربة والمشاهدة، مثلاً: ذات الله وصفاته، والملائكة، والوحي، والجنة، وجنهم، فقبول هذه الحقائق بدون رؤيتها، اعتماداً على إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الإيمان بالغيب. ومعنى الآية أن من يؤمن بهذه الحقائق غير المحسوسة هو وحده يستفيد من هداية القرآن وإرشاده. أما من يشترط للإيمان بها الرؤية، والمذاق، والشم، ومن يقول إنه لا يؤمن إلا بما يقاس، ويكال فليس له من هداية القرآن حظاً".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "الغيب" في قوله تعالى "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" مما يدل على أن الرأي الذي ذكره هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تبعمي للتفسير ثلاثة معانٍ للمفسرين في المراد بـ "الغيب" في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بدهة العقل، مما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وأمر بالإيمان به، والذي دلّ عليه دليل بأن يتفكروا ويستدلوا فيؤمنوا به. مثل: ذات الله وصفاته، والملائكة، والشياطين، والنبوات وما يتعلق بها، وأشراط الساعة، ويوم الآخرة وأحواله، وغير ذلك.

وبناء على هذا القول "بالغيب" يتعلق بـ "يؤمنون"، والباء للتعديّة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٠/١.

٢ انظر: الكشاف: ٣٧١.

وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي _رحمه الله_ كما ذكر آنفاً. وذهب إليه معظم المفسرين.

القول الثاني: عدم الحضور، أي: إنهم يؤمنون إيماناً جازماً حتى في حالة غيابهم (ظاهراً وباطناً)، وعدم حضورهم مجالس الإيمان. وبذلك يختلفون عن المناققين الذين يؤمنون حاضرين، ويكفرون غائبين.

وبناء على هذا القول "بالغيب" في موضع الحال، والباء للمصاحبة. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري^١، وابن عطية^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثالث: القلب لأنه مستور، أي: يؤمنون بقلوبهم. وبذلك يختلفون عن من يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

وبناء على هذا القول "الباء" للآلة، أي: بواسطة قلوبهم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الزمخشري^٥.

كما ذكره الأئمة: البيضاوي، والقرطبي، والألوسي بصيغة التمريض^٦.

التعليق: يتبين من القراءة في هذه المعاني المختلفة أن المعنى الذي اختاره معظم المفسرين، ورجحه الإمام المودودي _رحمه الله_ هو القول الأول؛ وذلك استناداً إلى السياق الذي

١ انظر: المحرر الوجيز: ٨٤/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨١.

٣ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٧٣/٢، وتفسير القرطبي: ١٦٣/١، وتفسير البيضاوي: ٣٨١، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥٣-٥٧/١٤، وتفسير ابن جزى: ٦٩/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٥/١-١٦٦، وتفسير أبي السعود: ٣٠/١، وتفسير الألوسي: ١١٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٢٩/١، وتفسير بيان القرآن حكيم الأمة ومجدد الأمة العلامة أشرف علي التهانوي، ص ٣، مكتبة الحسن، لاهور.

٤ انظر: الكشاف: ٣٨١.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٨٤/١.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٣/٢.

٧ ينظر: تفسير القرطبي: ١٦٣/١، وتفسير البيضاوي: ٣٨١، وتفسير ابن جزى: ٦٩، وتفسير الألوسي: ١١٧/١.

٨ انظر: الكشاف: ٣٨١.

٩ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ٣٨١، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٤/١، وروح المعاني: ١١٧/١.

وردت فيها الآية المباركة، وهو: "أَنَّ الْمَرَادَ بِـ" الْعَيْبِ" فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْحَقَائِقَ الْخَفِيَّةَ عَنْ حَوَاسِ الْإِنْسَانِ مِثْلَ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَالْمَلَائِكَةَ، وَالْوَحْيَ، وَالْجَنَّةَ، وَجَهَنَّمَ"، فيقول: "إن المراد بـ" الغيب" هو تلك الحقائق الخفية المختفية عن حواس الإنسان، والتي لا تظهر له بالصورة المباشرة عن طريق التجربة والمشاهدة، مثلاً: ذات الله وصفاته، والملائكة، والوحي، والجنة، وجهنم، فقبول هذه الحقائق بدون رؤيتها، اعتماداً على إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الإيمان بالغيب".

وهذا هو المعنى الذي اجتمعت عليه كلمة المحققين من المفسرين، أمثال: البغوي^١، وابن الجوزي^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

الأدلة:

(١) هو تفسير السلف، إذ لم ينقل عنهم في التفاسير غير هذا القول، وهو قول جمهور المفسرين كذلك.

يقول الإمام الرازي هذا الإجماع بقوله: "وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْعَيْبَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ غَائِبًا عَنِ الْحَاسَةِ ثُمَّ هَذَا الْعَيْبُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَا عَلَيْهِ دَلِيلٌ، وَإِلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ. فَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَدْحُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْعَيْبِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ بِأَنَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وَيَسْتَدِلُّونَ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَعَلَى هَذَا يَدْخُلُ فِيهِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ وَالْعِلْمُ بِالنَّبِيِّ وَالنَّبُوءَةِ وَالْعِلْمُ بِالْحُكْمِ وَالشَّرَائِعِ؛ فَإِنَّ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْعُلُومِ بِالسُّبُلِ الْمَشَقَّةَ فَصَلَحَ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِاسْتِحْقَاقِ الثَّنَاءِ الْعَظِيمِ".

ويقول العلامة الألوسي: "وفسره جمع هنا بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدهة العقل، فمنه ما لم ينصب عليه دليل وتفرد بعلمه اللطيف الخبير سبحانه وتعالى كعلم القدر مثلاً، ومنه

١ انظر: معالم التنزيل: ٨٤/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨٧/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٣/٢.

٤ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٨٧/١، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥١/١٤-٥٣، وتفسير الخازن: ٢٥/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٦-١٦٧/١، وتفسير أبي السعود: ٣٠/١، وتفسير الألوسي: ١١٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٢٩/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٢٠/١، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٣.

٥ التفسير الكبير: ٢٧٣/١.

ما نصب عليه دليل كالحق تعالى وصفاته العلا فإنه غيب يعلمه من أعطاه الله تعالى نورا على حسب ذلك النور".^١

ومن المعروف أن كلمة المحققين من العلماء والمفسرين لا تجتمع إلا على القول الأقرب لمراد النص القرآني، وهم في ذلك يبذلون قصارى جهدهم، وذلك للوصول إلى القول المبين، والحق المتين.

يتكلم ابن جزري في مقدمة تفسيره عن هذا الجانب: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما".^٢ الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له بقوله: "اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ ٤٣". ويقول أيضا: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"^٥.

(٢) الإيمان المطلوب شرعا هو الإيمان بالغيبيات المذكورة في حديث جبريل الطويل، وهو قوله - عليه الصلاة والسلام -: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"^١. وَهَلِيزِ كُلُّهَا مِنْ عَوَالِمِ الْغَيْبِ"^٢.

يقول العلامة الألوسي: "والذي يميل إليه القلب أنه - ما أخبر به - الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - في حديث جبريل - عليه السلام - وهو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله

١ روح المعاني: ١١٧/١.

٢ وقول الصحابة في سبب النزول له حكم المرفوع كما نبه على هذا الإمام الحاكم. (انظر: معرفة علوم الحديث: ٢٠/١، المحقق: السيد معظم حسين، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت).

٣ سبق تخريجه.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٥ المصدر نفسه.

٦ رواه مسلم في صحيحه: ٣٧٨ بطوله، برقم: (٨)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدس، وعلامة الساعة.

٧ التحرير والتنوير: ٢٢٩/١.

واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لأن الإيمان المطلوب شرعا هو ذلك لا سيما وقد انضم إليه الوصفان بعده وكون ذلك مستلزما لإطلاق الغيب عليه سبحانه ضمنا".^١

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور: "وَإِنْ فَسَّرَ الْغَيْبَ بِالْإِسْمِ وَهُوَ مَا غَابَ عَنِ الْجِسِّ مِنْ الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ وَالْأَخْرُويَّةِ، كَانَتْ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةً بِيُؤْمِنُونَ، فَالْمَعْنَى حِينَئِذٍ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِ عَالَمٍ الشَّهَادَةِ كَالْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْبَعْثِ وَالرُّوحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ".

فالإيمان بالغيب في الآية الكريمة ذكر مجملا، فجاء هذا الحديث النبوي الشريف ليفصل هذا الإجمال بصورة واضحة حتى يتضح المراد من الإيمان المطلوب في الآية الكريمة، ومما يقوي هذا القول أن هذا المعنى هو المعنى الاصطلاحي والشرعي للإيمان؛ لكونه قائما على الأسس التي أرسى الله - سبحانه وتعالى - دعائمها، وأقام عليها خيمته الكبيرة التي تمثل فروع الإيمان وأجزاؤه المعتنقة من الإيمان بالله والملائكة و... و... أعمدة هذه الخيمة العملاقة، والصرح الإيماني الشامخ.

(٣) الأصل في الاعتقاد هو الإيمان بما غاب عن الحاسة، وأخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ لذلك خصه بالذكر.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "وَحْصَّ بِالذِّكْرِ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْإِيمَانِ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أَيُّ مَا غَابَ عَنِ الْجِسِّ هُوَ الْأَصْلُ فِي اعْتِقَادِ إِمْكَانٍ مَا تُخْبِرُ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ وُجُودِ اللَّهِ وَالْعَالَمِ الْعُلُويِّ، فِإِذَا آمَنَ بِهِ الْمَرْءُ تَصَلَّى لِسَمَاعِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ وَلِلنَّظَرِ فِيمَا يَبْلُغُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَهَّلَ عَلَيْهِ إِدْرَاكَ الْأَدْلَةِ، وَأَمَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنْ لَيْسَ وَرَاءَ عَالَمِ الْمَادِّيَّاتِ عَالَمٌ آخَرُ وَهُوَ مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ فَقَدْ رَاضَ نَفْسَهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِوُجُودِ اللَّهِ وَعَالَمِ الْآخِرَةِ كَمَا كَانَ حَلُّ الْمَادِّيِّينَ وَهُمْ الْمُسَمَّونَ بِالذَّهْرِيِّينَ الَّذِينَ قَالُوا: مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَقَرِيبٌ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ اعْتِقَادُ الْمُشْرِكِينَ وَلِذَلِكَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ الْمُجَسِّمَةَ وَمُعْظَمُ الْعَرَبِ كَانُوا يُثْبِتُونَ مِنَ الْغَيْبِ وُجُودَ الْخَالِقِ وَبَعْضُهُمْ يَثْبِتُ الْمَلَائِكَةَ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِسِوَى ذَلِكَ".^٢

١ روح المعاني: ١١٧/١.

٢ التحرير والتنوير: ٢٢٩/١.

٣ سورة الجاثية، الآية ٢٤.

٤ المصدر السابق: ٢٣٠/١.

ومن هنا كان الإيمان بالغيب ركنا ركينا، وأصلا متينا في عقيدة المؤمن الحقيقي، ومن مبادئ المسلم الخفيف الذي لا تززع إيمانه مقولات الماديين، ولا خرافات الدهريين، كما لا تغيره محدثات الأمور التي تستجد في حياة الناس اليومية.

٥- استعمال "الغيب" (المصدر) مقام الوصف (غائب) للمبالغة، شائع في القرآن الكريم، كما استعمل "الشهادة" (المصدر) مقام الوصف (شاهد) في قوله تعالى: "عالم الغيب والشهادة" ١. وكالصَّوْمِ يَمَعْنَى الصَّائِمِ، وَالزُّوْرِ يَمَعْنَى الرَّائِرِ ٢. وذلك - والله أعلم بالمراد- ليبدل على معاني الثبوت والدوام والاستمرارية التي لا تقبل التغيرات والتقلبات المتنوعة.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم" ٣.

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شذو" ٤.

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك" ٥.

١ انظر: الكشاف للزخشي: ٣٨/١، وتفسير البيضاوي: ٣٨/١، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥٣٨٤.

٢ انظر: تفسير البيضاوي: ٣٨/١، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٣، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥٢/١٤، وتفسير الألوسي: ١١٧/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٧/١.

٤ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٥ نفس المصدر السابق: ١٧٢/١.

المسألة ٢

ما معنى "يُنْفِقُونَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله- : "والشرط الرابع للاستفادة من الهداية القرآنية هو أن لا يكون الرجل بخيلاً، ولا مغلول اليد إلى عنقه، وأن يكون مستعداً لأداء ما عليه من حقوق الله، وعباده، وأن ينفق من ماله في سبيل الله من أجل ما آمن به".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الآنف الذكر يبدو أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ"الإنفاق المذكور" في قوله تعالى "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" مما يدل على أنه هو الراجح لديه ووقع عليه اختياره، إلا أن التفسير القرآنية ذكرت عدداً آخر من المعاني في المراد بـ"الإنفاق المذكور" في الآية، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: الإنفاق المالي.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: التعليم.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام ابن تيمية^٦، والإمام القرطبي^٧.

القول الثالث: الإنفاق العام الذي يشمل جميع النعم الظاهرة والباطنة، المالية وغيرها.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي، وأبو السعود، والألوسي^٨.

١ تفهيم القرآن: ٥١/٨.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٨٥/٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٢٨/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٢/٢.

٥ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٩/٨، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/٨، وتفسير الألوسي: ١٢١/٨.

٦ وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٤.

٧ انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية: ٢١٢/٤-٢١٣.

٨ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧٩/٨.

٩ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ٣٩/٨، وإرشاد العقل السليم: ٣٢/٨، وروح المعاني: ١٢١/٨.

التعليق: ويبدو والله أعلم أن الشيخ يرجح المعنى الأول الذي يدل على الإنفاق المالي الذي يشمل صورته المتعددة كالإنفاق المفروض، وإنفاق التطوع، وإنفاق الرجل على أهله، والإنفاق في الجهاد، فيقول: "والشرط الرابع للاستفادة من الهداية القرآنية هو أن لا يكون الرجل بحيلة، ولا مغلول اليد إلى عنقه، وأن يكون مستعداً لأداء ما عليه من حقوق الله، وعباده، وأن ينفق من ماله في سبيل الله من أجل ما آمن به"، وهذا ما ذهب إليه معظم المفسرين، أمثال: ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم^١. يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم دأب على استخدام هذا المعنى في الآيات التي تتحدث عن نعمة الرزق على المؤمنين.

الأدلة:

(١) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"^٢.

(٢) لا يتبقى لمعنى الإنفاق إلا معنى واحداً، وهو الإنفاق المالي، وذلك بعد ما ذكرت الآية الكريمة مظان الإيمان من الأعمال القلبية كـ"الإيمان بالغيب"، والأعمال البدنية كـ"الصلاة"، فما بقي إلا أن يراد بالإنفاق هنا هو المعنى الاصطلاحي له وهو إخراج المال وإنفاقه في مصارفه الشرعية المتنوعة.

يقول الإمام ابن الجوزي: "واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما"^٣.

١ انظر: الغرر الوجيز: ٨٥/١

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨٨.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/٢.

٤ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٩٨، وتفسير النفي: ٤٢/١، وتفسير ابن جزري: ٧٠/١، وتفسير الخازن: ٢٥/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/١، وتفسير أبي السعود: ٣٢/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٢١/١.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٣) أسلوب القرآن ومعهود استعماله: يدل على رجحان هذا القول، وذلك أن القرآن يستعمل "الإنفاق" في "الإنفاق المالي" كثيرا.

يقول الإمام الرازي: " يَدْخُلُ فِي الْإِنْفَاقِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ، الْإِنْفَاقُ الْوَاجِبُ، وَالْإِنْفَاقُ الْمُنْدُوبُ، وَالْإِنْفَاقُ الْوَاجِبُ أَقْسَامُ: أَحَدُهَا: الزَّكَاةُ وَهِيَ قَوْلُهُ فِي آيَةِ الْكُنُزِ: وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَثَانِيهَا: الْإِنْفَاقُ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَى مَنْ نَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، وَثَالِثُهَا: الْإِنْفَاقُ فِي الْجِهَادِ. وَأَمَّا الْإِنْفَاقُ الْمُنْدُوبُ فَهُوَ أَيْضًا إِنْفَاقٌ لِقَوْلِهِ: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ وَأَرَادَ بِهِ الصَّدَقَةَ لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: فَأَصْلَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ سورة المنافقون، فَكُلُّ هَذِهِ الْإِنْفَاقَاتِ دَاخِلَةٌ تَحْتَ الْآيَةِ يَأْتِي كُلُّ ذَلِكَ سَبَبًا لِاسْتِحْقَاقِ الْمَدْحِ".^١

٤) الاحتجاج اللغوي: وذلك أن القرآن استعمل كلمة "رَزَقْنَاكُمْ"، ولم يستعمل كلمة "أَعْطَيْنَاهُمْ"، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، يضع كل كلمة في مكانها الأنسب والأليق، فكلمة "الرزق" في اللغة العربية عموما والاستخدام القرآني لها في النصوص المتنوعة خصوصا تدل على المال فقط.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٢

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك".^٣

١ زاد المسير: ٢٧١.

٢ سورة التوبة، الآية ٣٤.

٣ الآية ١٠.

٤ التفسير الكبير: ٢٧٧٢-٢٧٧٣.

٥ المصدر السابق: ٢٨٧١.

الآية:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١٠)

مسألة:

ما معنى "مَرَضٌ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "المقصود بالمرض هو النفاق".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "مَرَضٌ" في قوله تعالى "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَانُوا يَكْذِبُونَ" مما يدل على أن الرأي الذي ذكره الإمام المودودي -رحمه الله- هو الراجح عنده من بين الآراء المختلفة ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي لتفسير قولين لدى المفسرين، في المراد بـ "مَرَضٌ" في الآية المذكورة، أذكرهما هنا على وجه الإجمال:

القول الأول: يراد بـ "مَرَضٌ" المعنى المجازي، والذي يُراد به المرض في الدين والاعتقاد (النفاق)، وهو الفساد في عقائد المنافقين من شك وتردد في أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجحد وتكذيب له، وعداوة النبي -صلى الله عليه وسلم- المؤدية إلى الهلاك الروحاني، والخبائث وغير ذلك من فنون الكفر من سوء الاعتقاد التي أوصلتهم إلى الدرك الأسفل من النار. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وأبو منصور الماتريدي^٣، وابن عطية^٤، وغيرهم.

١ نفس المصدر السابق: ١٧٢/٨.

٢ تفهيم القرآن: ٥٣/٨.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٧٨/٨.

٤ انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي: ٣٨٣/٨، المحقق: د/بجدي باسلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٩٢/٨.

٦ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٣٢/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٧/٢، وتفسير القرطبي: ١٩٧/٨، وتفسير

البيضاوي: ٤٥/٨، وتفسير النسفي: ٤٩/٨، وتفسير ابن جزى: ٧/٨، وتفسير الخازن: ٢٧/٨، وتفسير ابن كثير:

١٧٨/٨، وتفسير الألوسي: ١٥١/٨، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٧.

القول الثاني: يُراد بـ "مَرَضٌ" المعنى الحقيقي، أي: الظلمة، أو الغم والألم، وامتلاء صدورهم بالاكْتئاب النفسي بظهور أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وتقوية شوكة الإسلام بين العرب والعجم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^١، والرازي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

التعليق: كلمة "مَرَضٌ" ليست على حقيقتها في هذا الباب لأن الحديث الذي تشتمل عليه الآيات هو حديث عن المنافقين، وهي لا تتحدث عن أمراض القلوب الحقيقية التي يبحث عنها علم الطب بُغية العلاج المناسب. ومن المعلوم أن النص القرآني يجب أن يفهم في سياقه الذي ورد فيه، والسياق هنا عندنا هو الحديث عن القسم الثالث من أهل المدينة وهم المنافقون، فالأجدر أن يراد بـ "مَرَضٌ" المعنى المجازي الذي عبر عنه القرآن الكريم في كثير من المواضع بـ "مرض النفاق". وهو ما رجّحه الإمام المودودي -رحمه الله- في تفسيره استناداً إلى الجوّ العام الذي وردت فيه الآيات الكريمة، فيقول: "المقصود بالمرض هو النفاق"، وذهب إليه معظم المفسرين، أمثال: الطبري^٥، وأبو منصور الماتريدي^٦، والثعلبي^٧، وغيرهم^٨.

١ انظر: المحرر الوجيز: ٩٢/١.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧٢.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٤٥/١.

٤ ينظر: تفسير ابن جزّي: ٨٧/١، وتفسير الألوسي: ١٥٧/١.

٥ مما يلاحظ أن كلمة "مرض" صريحة في بابها، لا ينطبق عليها معنى الكناية، لأن "الكناية" لفظ يُطلق ويُراد به لازم معناه، وهذا المعنى لا ينطبق -والله أعلم- على كلمة "مرض".

٦ انظر: جامع البيان: ٢٧٧/١.

٧ انظر: تفسير الماتريدي: ٢٨٣/١.

٨ انظر: الكشف والبيان: ١٥٤/١.

٩ ينظر: تفسير السمعاني: ٤٨/١، وزاد السير لابن الجوزي: ٣٢/١، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٧٢، وتفسير القرطبي: ١٩٧/١، وتفسير النسفي: ٤٩/١، وتفسير الحازن: ٢٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٧٧/١، وتفسير أبي السعود: ٤١/١، وتفسير الألوسي: ١٥٧/١، وتفسير القاسمي: ٢٥٠/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٧٩/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٨٠/١، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٧.

(١) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^١

يقول الإمام السمعاني: "أَرَادَ بِالْمَرَضِ الشُّكَّ وَالنَّفْلِقَ، يَجْمَعُ الْمُفَسِّرِينَ. وَيُوصَفُ الْقَلْبُ وَالذِّينَ بِالْمَرَضِ وَالصَّحَّةَ كَمَا يُوصَفُ الْبَدَنُ بِهِ".^٢

(٢) حمل "مرض" في الآية على المعنى المجازي أولى رواية ودراية.

لقد ذهب العلامة الألوسي -رحمه الله- بعد أن عرض لجواز احتمال المعنيين (الحقيقي والمجازي) إلى ترجيح المعنى المجازي مستندا في ذلك إلى عدد من الأدلة المستمدة من علمي الرواية والدراية. فقد استدل بحديث من أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي يرويه البخاري ومسلم "...أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَّحَتْ، صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".^٣ وهو ينصُّ على المعنى المجازي (على صلاح القلب وفساده)، ولا شك أن معاني الصلاح والفساد المستخدمة للقلب مجازية في هذا الحديث، يُضاف إلى ذلك ما ذهب إليه جمع من الصحابة إلى حمل المرض في الآية على المعنى المجازي. أما من علم الدراية فقد استند إلى ما ذكره الأطباء من أن القلب إذا أصابه مرض حقيقي فإنه يعجل بالموت لصاحبه، ويُنحِف جسمه ويُضعِف قواه. أما منافقو المدينة فكانوا صحاحا شحاما، يفرحون ويمرحون ولا تظهر عليهم آثار مرض في الأجسام والأشكال.

(٣) السياق: حمل "مرض" في الآية على المعنى المجازي لاحتمال، لأن السياق يتطلب ذلك إضافة إلى أنها صفة متصلة اتصف به المنافقون، وهو المقصود من مذمتهم. فلو حمل المرض على معنى غير مجازي لما بقيت المناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٢ تفسير القرآن: ٤٨١.

٣ صحيح البخاري: ٢٠/١، برقم: (٥٢)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ، ومسلم: ١٢١٩٣، برقم: (١٥٩٩)، كتاب المساقلة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

٤ انظر: روح المعاني: ١٥١/١.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "والمُرَادُ بِالْمَرَضِ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ هُوَ مَعْنَاهُ الْمَجَازِيُّ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ الْمُتَنَافِقُونَ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ مَذْمَتِهِمْ وَبَيَانِ مَنْشَأِ مُسَاوِي أَعْمَالِهِمْ".^١ ولذلك كله كان وقوع اختيار الإمام المودودي على هذا المعنى المجازي الذي يصل الآيات، ويحافظ على المناسبة بين الآيات في سياق قرآني واحد.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده".^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذ".^٣

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه".^٤

"إدخال الكلام في معني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٥

١ التحرير والتنوير: ٢٧٩/١.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧.

٤ المصدر السابق: ٢٠٦.

٥ نفس المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٤)

مسألة

ما المراد بـ "شَيَاطِينِهِمْ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "الشیطان في العربية يطلق على كل عاتٍ، متمرد مجنون. ويستعمل للإنسان كما يستعمل للجن. وإن كان القرآن قد أكثر من استعماله لشیاطین الجن، فإنه أحياناً يستعمله للبشر الذين يرتضون الصفات الشیطانية، ومن خلال الأسلوب والسياق القرآني نعرف في كل موطن من الذي يعنيه القرآن؛ شیاطین الإنس أو شیاطین الجن. وهنا تعني "الشیاطین" سادة القوم ورؤساءهم الذين كانوا يحملون راية العداوة للدين الخيف".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر معنيين في المراد بكلمة "الشیطان" في "شَيَاطِينِهِمْ" في قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ" حيث رجح معنى منهما، ووجدت أن المفسرين ذكروا هذين القولين في معنى "شیاطین" الوارد في الآية المذكورة أذكرهما هنا على وجه الإجمال:

القول الأول: المراد بـ "شیاطین" هنا شیاطین الإنس، والمعروف أن الشیاطین من الإنس والجن معاً، كقوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ".^٢

أي عتاتهم، ورؤسائهم، وسادتهم، ومردتهم وأهل الشر والخبث والفساد وأصحاب الأمر والتدبير (المنافقين) من اليهود، والمشرکین، المشبهين بـ "الشیاطین" في تمردهم، وصنعهم عن سبيل الحق.

ومن ذكر هذا الوجه من المفسرين: الطبري^٣، وابن عطية^٤، وابن الجوزي^٥، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٤/١.

٢ سورة الأنعام، الآية ١١٢.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٩٦/١.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٩٦/١.

٥ انظر: زاد المسير: ٣٤/١.

أو إخوانهم من المشركين المتمردين والمعاندين المشبهين بالشياطين في التمرد والعناد. وعن ذكر هذا الوجه من المفسرين: ابن الجوزي^١، والبيضاوي^٢، وأبو السعود^٣، وغيرهم^٤. أو قرناؤهم الشياطين من الكهنة كثير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وسموا بذلك لتمردهم.

وعن ذكر هذا الوجه من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والألوسي^٥.

القول الثاني: المراد بـ "شياطين" هنا شياطين الجن.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين ورد عليه: ابن عطية، وابن جزري، والألوسي^٦. يقول الإمام ابن عطية: "وقال ابن الكلبي وغيره: "هم شياطين الجن"، قال القاضي أبو محمد- القائل هو ابن عطية-: وهذا في الموضع بعيد"^٧.

ويقول الإمام ابن جزري: "وقيل: شياطين الجن، وهو بعيد"^٨.

ويقول العلامة الألوسي: "وحمله على شياطين الجن - كما قاله الكلبي - مما لا يختلج بقلبي"^٩.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أنّ الإمام المودودي - رحمه الله - يرى أن المراد بـ "شياطين" هنا هم الرؤساء والسادة في الكفر والنفاق من شياطين الإنس من اليهود والمشركين الذين كانت قلوبهم تمتلأ حقدا ونفاقا، فيقول: "وهنا تعني "الشياطين" سادة القوم ورؤساءهم الذين كانوا يحملون راية العداوة للدين الحنيف". وإن كان بعض المفسرين أمثال:

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٠٩/٢، وتفسير البيضاوي: ٤٧/١، وتفسير القرطبي: ٢٠٧/١، وتفسير ابن جزري: ٧٢/١، وتفسير ابن كثير: ١٨٢/١، وتفسير الألوسي: ١٥٩/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٣٤/١.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٤٧/١.

٤ انظر: إرشاد العقل السليم: ٤٦/١.

٥ ينظر: تفسير القاسمي: ٢٥٣/١، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ١٧/١.

٦ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٦/١، وزاد المسير: ٣٤/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/١، وروح المعاني: ١٥٩/١.

٧ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٦/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٧٢/١، وروح المعاني: ١٥٩/١.

٨ المحرر الوجيز: ٩٦/١.

٩ التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٢/١.

١٠ روح المعاني: ١٥٩/١.

ابن عطية، وابن الجوزي، والألوسي، ذكروا أن المراد بـ "شياطين" شياطين الجنّ. والإمام المودودي -رحمه الله- رجح شياطين الإنس على شياطين الجنّ، لأنه يتناسب مع أسلوب القرآن وسياقه، فهو يتحدث عن المنافقين وصفاتهم بصورة عامة، فيذكر منها أنهم كلما اختلوا إلى أصحابهم الشياطين صرحوا لهم بسرهم الذي كانوا يكتونونه في صدورهم، ومن المعروف تاريخياً أن المنافقين لم تكن لهم صلة بشياطين الجن والأبالسة مثل ما كانت للمشركين من أهل مكة الذين كان إبليس نفسه يشاركهم ندواتهم التي كانوا يتآمرون فيها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ودينه الحنيف الذي أبطل أديانهم كلها. يضاف إلى أن اللغة العربية الفصيحة خير شاهد على هذا المعنى الذي رجحه الإمام المودودي - رحمه الله- ومن أجل ذلك كله اختاره جمهور المفسرين أمثال: الطبري، والماوردي، والسمعاني، وغيرهم.

الأدلة:

- (١) **هو قول الجمهور:** يقول الإمام ابن جزى عن أهمية هذا الجانب قائلاً: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^١
- (٢) **القرآن:** لقد استعمل القرآن كلمة "الشياطين" لـ "شياطين الإنس"، و"شياطين الجن" معاً، كما في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ

١ ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء ردوا على هذا القول (انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٦/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٧٢/١، وروح المعاني: ١٥٩/١).

٢ انظر: جامع البيان: ٢٩٦/١.

٣ انظر: التكت والعيون: ٧٧/١.

٤ انظر: تفسیر القرآن: ٥٠/١.

٥ ينظر: تفسير البغوي: ٨٩/١، وتفسير ابن عطية: ٩٦/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣٤/١، والتفسير الكبير للرازي: ٣٠٩٢، وتفسير البيضاوي: ٤٧/١، وتفسير القرطبي: ٢٠٧/١، وتفسير النسفي: ٥٢/١، وتفسير ابن جزى: ٧٢/١، وتفسير الخازن: ٢٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٨٢/١، وتفسير الجلالين: ٥/١، وتفسير أبي السعود: ٤٢/١، وتفسير الألوسي: ١٥٩/١، وتفسير القاسمي: ٢٥٣/١، وتفسير المراغي: ٥٥/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٣٥/١، والتفسير الواضح لمحمود الحجازي: ١٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٩٠/١، والوسيط لطنطاوي: ٦١/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٣/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٢٧/١.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ"^١.

(٣) **السياق:** هذا المعنى يتناسب مع أسلوب القرآن وسياقه؛ لأن الحديث هنا عن المنافقين وصفاتهم بصورة عامة، فمما تتسم به نفوسهم أنهم يتصارحون بأسرارهم فيما بينهم، وذلك حين ينفرد بعضهم ببعض من دون المؤمنين. يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده"^٢.

(٤) **اللغة العربية:** يطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر. تقول العرب فلان من الشياطين ومن شياطين العرب وذلك استعارة وأصله البعد أن شياطين كل شيء مردته، الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان.^٣ ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"تفسير جمهور السلف مقدّم على كل تفسير شاذ"^٤.
"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"^٥.

١ سورة الأنعام، الآية ١١٢.

٢ تراجع للمزيد من التفصيل: تفسير الطبري: ٢٩٦٨، وتفسير القاسمي: ٢٥٣/١، وتفسير المراغي: ٥٥/١.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٤ تراجع للمزيد من التفصيل: تفسير الطبري: ٢٩٦٨، وتفسير الخازن: ٢٨٨، وتفسير الطاهر بن عاشور:

٢٩٠/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٧/١.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٨/١.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤)

مسألة:

ما معنى "الحجارة" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "وتحتوي هذه الآية على نكتة لطيفة تُخاطب أهل النار قائلة: لستم أنتم وحدكم وقود النار، وإنما تشارككم آفتكم التي كنتم تعبدونها، واليوم تُدركون حقيقتها!".

دراسة النص: من خلال عرض هذا الكلام للإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "الحجارة" في قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"، مما يدل على أنه مال إليه ووقع عليه اختياره. إلا أن المفسرين تناولوا كلمة "الحجارة" في هذه الآية الكريمة بثلاثة أنواع من التفسير والتأويلات. أذكرها هنا على وجه الإجمال:

الأول: أنها حجارة مخصوصة (حجارة الكبريت) خلقها الله وقوداً لجهنم، وتدل على ذلك مواضع أخرى من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^١.

هذا القول صح عن ابن عباس، وابن مسعود، وعدد من الصحابة، وذكره السلف كالضري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٨١.

٢ سورة التحريم، الآية ٦.

٣ انظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٧١-٢٠٢.

٤ انظر: جامع البيان: ٣٨٧١.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ١٠٧١.

٦ انظر: زاد المسير: ٤٥٨.

الثاني: أنها عبارة عن الأصنام والأوثان التي كان المشركون يعبدونها في الدنيا. فيحوّلها ربنا - سبحانه - إلى وقود النار في شكل الأحجار. ويشهد له قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ"^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٢، والرازي^٣، والبيضاوي^٤، وغيرهم^٥.

ومن ذكر هذا القول بصيغة التمرّض: القرطبي^٦، وابن جزّي^٧، والحازن^٨، وغيرهم^٩.

ولقد رد الإمام الخافظ ابن كثير على هذا القول قائلا: "وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا: حِجَارَةُ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا قَالَ: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)"^{١٠}، حكاه القرطبي^{١١} وفخر الدين ورّجحه على الأول؛ قال: لَأَنَّ أَخْذَ النَّارِ فِي حِجَارَةِ الْكِبْرِيَةِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ فَجَعَلَهَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ أَوْلَى، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ لَيْسَ بِقَوِيٍّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّارَ إِذَا أُضْرِمَتْ بِحِجَارَةِ الْكِبْرِيَةِ كَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِحَرِّهَا وَأَقْوَى لِسَعِيرِهَا، وَلَا سِيَّمَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ السَّلْفُ مِنْ أَنَّهَا حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيَةٍ مُعَدَّةٌ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ أَخْذَ النَّارِ فِي هَذِهِ الْحِجَارَةِ - أَيْضًا - مُشَاهِدَةٌ، وَهَذَا الْحِصُّ يَكُونُ أَحْجَارًا فَتَعْمَلُ فِيهِ بِالنَّارِ حَتَّى يَصِيرَ كَذَلِكَ. وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَحْجَارِ

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٥٢/٢، وتفسير القرطبي: ٢٣٥/٨، وتفسير البيضاوي: ٥٨/١، وتفسير ابن جزّي:

٧٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٥/٨، وتفسير ابن كثير: ٢٠١/١-٢٠٢، والتفسير المظهري لثناء الله

المظهري: ٣٧/٨، وتفسير الشوكاني: ٦٣/٨، وتفسير الألوسي: ٢٠٠/٨.

٢ سورة الأنبياء، الآية ٩٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٤٥/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٣٥٢/٢-٣٥٣.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ٥٨١-٥٩.

٦ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٥/٨، وتفسير الشوكاني: ٦٣/٨.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/٨.

٨ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٧١.

٩ انظر: لباب التأويل: ٣٧٨.

١٠ ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٠١/٨-٢٠١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٧/٨، وروح المعاني: ٢٠٠/٨.

١١ سورة الأنبياء، الآية ٩٨.

تَفْخَرُهَا النَّارُ وَتَحْرَقُهَا. وَإِنَّمَا سَبَقَ هَذَا فِي حَرِّ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي وَعِدُوا بِهَا، وَشِدَّةِ ضِرَامِهَا وَقُوَّةَ لَهَبِهَا كَمَا قَالَ: (كُلَّمَا خَبَّتْ زِدَانَهُمْ سَعِيرًا) ١.

الثالث: أنها جميع الأحجار.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: السمعاني والبغوي، وابن جزري، والخازن ٢.

التعليق: الإمام المودودي رجح المعنى الثاني وهو: "أنها عبارة عن الأصنام والأوثان" خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة، حيث ملأ إلى هذا المعنى الثاني من خلال تأويله لمعنى الحجارة في ضوء السياق الذي وردت فيه، فاعتبر أن وقود النار في الحقيقة ليست الناس وحدهم، بل إنه يشمل الأصنام والأوثان والمعبودات الأخرى التي تتخذ في الدنيا ألوانا مختلفة عند المشركين؛ وذلك إبلاغا وزيادة وتشديدا في تحسُّرهم وإيلامهم، حيث رأوا نقيض ما كانوا يتوقعون في الدنيا. لأنهم كانوا يعبدونها اعتقادا، وطمعا في شفاعتهم، جعلها الله عذابا لهم، وهذا يتضح من عبارته التي تقول: "واليوم تدركون حقيقتها". - والله أعلم -، لكنني أرجح المعنى الأول، وهو: "أن المراد به "الحجارة" حجارة الكبريت"، لأن هذا هو ما ذهب إليه جمهرة من المفسرين أمثال: الطبري ٣، والسمرقندي ٤، والبغوي ٥، وغيرهم ٦.

الأدلة: ما صح عن ابن عباس ٧، وابن مسعود ٨، وله حكم المرفوع، وذكره السلف. ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول من يقتلي به من الصحابة كالخلفاء

١ سورة الإسراء، الآية ٩٧.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٢٠٢/١.

٣ انظر: على التوالي: تفسير القرآن: ٥٩/١، ومعالم التنزيل: ٩٤/١، والتسهيل في علوم التنزيل: ٧٧/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٧/١.

٤ انظر: جامع البيان: ٣٨١/١.

٥ انظر: تفسير بحر العلوم: ٣٥/١.

٦ انظر: معالم التنزيل: ٩٤/١.

٧ ينظر: تفسير ابن عطية: ١٠٧/١، وتفسير القرطبي: ٢٣٥/١، وتفسير ابن جزري: ٧٧/١، وتفسير الخازن: ٣٧/١، وتفسير ابن كثير: ٢٠١/١-٢٠٢، والتفسير المظهر لثناء الله: ٣٨١، وتفسير الألوسي: ٢٠٠/١.

٨ أخرج ابن جرير عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} أَمَا الْحِجَارَةُ فَهِيَ حِجَارَةٌ فِي النَّارِ مِنْ كِبْرَيْسٍ أَسْوَدَ يُعَذَّبُونَ بِهَا النَّارَ. (جامع البيان: ٣٨٢/١).

الأربعة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لدعاء الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- له:
"اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ"^{٣٢}.

يقول العلامة الألوسي: "والمراد بها على ما صح عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما، ومثل ذلك حكم الرفع حجارة الكبريت، وفيها- من شدة الحر وكثرة الالتهاب وسرعة الإيقاد ومزيد الالتصاق بالأبدان، وإعداد أهل النار أن يكونوا حطبا مع نتن ريح وكثرة دخان ووفور كثافة- ما نعوذ بالله منه، وفي ذلك تهويل لشأن النار وتنفير عما يجير إليها بما هو معلوم في الشاهد، وإن كان الأمر وراء ذلك فالعالم وراء هذا العالم وعيلم قدرة الجبار سبحانه وتعالى يضمحل فيه هذا العيلم"^{٣٣}.

(١) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"^{٣٤}.

قال البغوي: "قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعنى حجارة الكبريت لأنها أكثر التهباب"^{٣٥}.
ونقل القاضي ثناء الله المظهري عن: "عبد الرزاق- وسعيد بن منصور- وابن جرير- وابن المنذر- والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود وابن جرير عن ابن

١ أخرج ابن جرير عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} قَالَ: هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرَيْتٍ، خَلَقَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي السَّنَةِ الدُّنْيَا يُعِدُّهَا لِلْكَافِرِينَ. (جامع البيان: ٢٨١/١).
وأخرج أيضا عن عبد الله بن مسعود قال: حجارة من الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما شاء. (المصدر السابق: ٢٨٢/١). (هذا الخبر رواه الحاكم في مستدركه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "إنَّ الْحِجَارَةَ الَّتِي سَمَى اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرَيْتٍ، خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ كَيْفَ شَاءَ أَوْ كَمَا شَاءَ"، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، (المستدرک للحاکم: ٢٨٧/٢، برقم: (٣٠٣٤).

٢ سبق تخريجه.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

٤ روح المعاني: ٢٠١/١-٢٠٢.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٦ معالم التنزيل: ٩٤/١.

عباس وأخرج مثله ابن ابي حاتم عن مجاهد وأبى جعفر ولم يحك خلافا في الصدر الاول-
أنها حجارة الكبريت الأسود-".^١

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٢

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ".^٣

١ التفسير المظهرى: ٣٧١.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربى: ٢٧١.

٣ المصدر السابق: ٢٧١.

الآية:

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٧)

مسألة:

ما معنى "عَهْد" في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "العهد في اللغة العربية يطلق على ما يُصَدِّره الملك من أوامر لرعاياه الملزمين باتباعها. وقد استخدم هنا بهذا المعنى نفسه. والمراد بعهد الله هو ذلك القرار الإلهي الذي بموجبه تأتمر البشرية وتنقاد له مُعلنة طاعته المطلقة. والمراد بـ " مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ " إشارة إلى أن الله -عز وجل- قد أخذ ميثاقاً من البشر كلهم على هذا الأمر يوم أن خلق آدم. وقد ورد ذكر هذا في آيات سورة الأعراف بصورة مفصلة".^١

دراسة النص: ومن هنا يتضح أن الإمام المودودي -رحمه الله- ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "عَهْد" في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" ورجحه وذكر الأدلة على ترجيحه، إلا أنني وجدت أن المفسرين اختلفت آراءهم في معنى "العهد" الوارد في الآية الكريمة على عدة أقوال، أذكرها هنا على وجه الإجمال:

الأول: أنه عهد أهل الكتاب الذي عهد إليهم في كتبهم من الإقرار بوحدانيته، والشكر لنعمه، والتصديق بأنبيائه، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- واتباعه، وأن يبينوا له نبوته (صفته)، ولا يكتموا أمره، وما جاء في قوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ".^٢ فنقضوا ذلك بجحد نبوته صلى الله عليه وسلم، وصفته، وتبديل وصفه -صلى الله عليه وسلم- في كتبهم، فالآية على هذا في كفار أهل الكتاب.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي،^٣ وابن عطية، وابن الجوزي.

١ تفهيم القرآن: ٦٠/٨.

٢ سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

٣ انظر: النكت والعيون: ٨٩/١.

إلا أن ابن عطية - رحمه الله - أضاف قائلا: "وظاهر ما قبل وما بعد أنه في جميع الكفار"^١.
الثاني: أن المراد به هو عهد الله إلى أهل الكتاب في القرآن، وكان من مستلزماته أن يقرّوا
لكنهم كالعادة كفروا به ونقضوه. ومن انفرد بذكره الإمام ابن الجوزي^٢.

الثالث: هو عهد الله الذي عُهد إلى اليهود، وأحبارهم في التوراة أن يعملوا بما فيها، ويؤمنوا
بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، ويصدقوه، ويتبعوه، ويؤمنوا ببعثه، لكنهم نقضوا ذلك العهد،
فالآية على هذا في اليهود.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، والحازن، وابن جزى، وابن كثير^٣. إلا أن البغوي
ذكر هذا القول بصيغة التمريض.

الرابع: المراد به العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل أن يقيموا الدين، ويؤيدوا الرسل، وأن
لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ولا يظلم بعضهم بعضا، وقد ذكرهم
القرآن بعهد الله تعالى ونقضهم إياها في كثير من الآيات، فنقضوه بعودهم إلى ما نهوا عنه.
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الإمام أبو حيان الأندلسي^٤، والطاهر بن عاشور^٥، ورجحه،
وذكره بصيغة التمريض: الزخشري^٦.

الخامس: المراد به العهد الذي أخذه الله على سائر الأنبياء وسائر الأمم على ألسنة رسلهم أنه
إذا بعث إليهم رسول مصدق لما معهم بالمعجزات ليؤمننّ به، ولينصرنّه، ولا يكتنوا أمره، ولا
يخالفوا حكمه، فنقضوا ذلك بإنكار نبوته، وتغيير صفته، فنقضوا ذلك حيث نبذوا كل ذلك
ورآء ظهورهم، وبدلوا تبديلا، وإليه أشار بقوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

١ انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/١.

٢ انظر: زاد السير: ٤٨٦.

٣ المحرر الوجيز: ١١٣/١.

٤ انظر: زاد السير: ٤٨٦.

٥ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١٠٠/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٣/١، والتسهيل لعلوم التنزيل:
٧٨١، وتفسير القرآن العظيم: ٢١٠/١.

٦ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/١.

٧ انظر: التحرير والتنوير: ٣٧٠/١-٣٧١.

٨ انظر: الكشاف: ١٢٠/١.

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وأبو حيان الأندلسي^٤، وغيرهم^٥. وذكره: السمعاني، والبلغوي، والطاهر بن عاشور بصيغة التمريض^٦.

ورد عليه الإمام القرطبي، والعلامة الطاهر بن عاشور.

يقول الإمام القرطبي: "قلت: وظاهر ما قبل وما بعد يدل على أنها في الكفار"^٧.

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور: "...في تفاسير أخرى بعينها"^٨.

السادس: هو عهد الله الذي أخذه من ذرية آدم حين أخرجهم من صلب آدم يوم الميثاق المعروف عند المفسرين بـ (عهد ألت) الذي أقرت فيه البتيرة على توحيد الله ومعبوديته وحده لا شريك له، ولكن بعضهم قد رموا ربّ هذه العبودية من أعناقهم فصاروا من الناقضين لهذا العهد الوارد في هذه الآية الكريمة. وهو معنى قوله تعالى: "وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ"^٩.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^{١٠}، وابن الجوزي^{١١}، والرازي^{١٢}، وغيرهم^{١٣}.

١ سورة آل عمران، الآية ٨١

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/١.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٦٤/٨.

٤ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/١.

٥ ينظر: إرشاد العقل السليم: ٧٧/١، وروح المعاني: ٢١٣/٨.

٦ انظر: تفسير القرآن: ٦٢/٨، ومعالم التنزيل: ١٠٠/٨، والتحرير والتنوير: ٣٧٠/٨.

٧ الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/١.

٨ التحرير والتنوير: ٣٧٠/٨.

٩ سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

١٠ انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/٨.

١١ انظر: زاد المسير: ٤٨/١.

١٢ انظر: التفسير الكبير: ٣٧٤/٢.

١٣ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٤٦/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٠٥/٨، وتفسير ابن كثير: ٢١٠/٨.

السابع: هو عهد الله بنصب الأدلة (بجعل الحجّة في عقولهم) على توحيد، ووجوب وجوده، وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم، ونقضهم هو تركهم النظر في ذلك. فكان ذلك عهداً وميثاقاً بالتمسك على التوحيد، فالآية على هذا في جميع أهل الكفر والشرك والنفاق.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي^١، وابن عطية^٢، والرازي^٣.

الثامن: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره لهم بطاعته، ونهيه لهم عن معصيته في كتبه، وعلى السنة رسله، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وابن كثير^٤.

التاسع: هو عهد الله الذي أخذه الله وأمره (أحكمه) على بني آدم بواسطة رسله أن لا يعبدوا غيره، وبإزالة ما في كتابه من الآيات الدالة على توحيد: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"^٥. فنقضوا ذلك العهد بارتكاب الشرك وقد وصف الله المشركين بنقض العهد في قوله: "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ"^٦.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والحازن، والطاهر بن عاشور^٧.

العاشر: هو عهد الله الذي عهد به إلى الناس من الإيمان به، والتصديق برسله، والطاعة له، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -، والعمل بالشرائع، ونقضه هو الكفر بعد الإيمان. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وأبو بكر الجزائري^٨، ومحمد علي الصابوني^٩.

١ انظر: النكت والعيون: ١٩١

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/١

٣ انظر: التفسير الكبير: ٣٧٤/٢

٤ انظر: على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/١، والبحر المحيط: ٢٠٥/١، وتفسير القرآن العظيم: ٣١٠/١

٥ سورة يس، الآية ٦٠.

٦ سورة الرعد، الآية ٢٥.

٧ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١١٣/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٣/١، والتحرير والتنوير: ٣٧٠/١

٨ وأبو بكر الجزائري هو: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد في قرية نيرا في ولاية بسكرة بالجزائر سنة ١٩٢١م، تلقى العلوم الابتدائية في بلده، ثم انتقل إلى بسكرة ودرس على مشائخها العلوم العقلية والنقلية، ثم ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، وقد بدأ الجلوس في حلقات العلماء والمشائخ

الحادي عشر: المراد به الأمانة التي عُرضتْ على السموات والأرض، فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان، ثم نقضها بتركهم القيام بحقوقها. وعن ذكره من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، و ذكره بصيغة التمريض: الألوسي.^٢

الثاني عشر: يقول الزمخشري: "وقيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود: العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم، الإقرار بربوبيته وهو قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ"، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة وقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وهو قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ" وعهد خص به العلماء وهو قوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ"^٣.

الثالث عشر: هو مطلق في العهود.

ومن انفرد بذكر هذا القول الإمام ابن جزى.^٤

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك أقوالا عديدة في المسألة، منها ما يدل على العموم، حيث يخاطب بها كل ناقض للعهد، ومنها يدل على الخصوص، حيث يخاطب بها قوم مخصوص، وهذا الاختلاف في الأقوال مبني على الاختلاف في سبب النزول، والظاهر

في المسجد النبوي الشريف إلى أن حصل على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس، فأصبحت له حلقة لتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف وغير ذلك، عمل مدرسا في بعض مدارس وزارة الأوقاف وفي دار الحديث بالمدينة المنورة، وكان من أوائل أساتذة الجامعة الإسلامية، له جهوده الدعوية في البلاد التي زارها. من مؤلفاته: "أيسر التفاسير"، و"منهاج المسلم"، و"رسائل الجزائري". (الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري، ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

١ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٠٥/٨، وأيسر التفاسير: ٣٧/٨، وصفوة التفاسير: ٢٨/٨.

٢ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨.

٣ انظر: روح المعاني: ٢١٣/٨.

٤ سورة الأعراف، الآية ٧٢.

٥ سورة الأحزاب، الآية ٧.

٦ سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

٧ الكشاف: ١٢٠/٨، والتفسير الكبير: ٣٧٤/٢ نقلا عن الكشاف، واللفظ للكشاف.

٨ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٨/٨.

العموم، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذم يتناول كل ناقض للعهد من مسلم، وكافر، ومنافق، أو مشرك، أو كتابي^١.

ومن الجدير بالذكر أن الأقوال (٧-١٠) لم تذكر بصيغة التمييز، ولم تردّ عليها؛ إضافة إلى أن هناك يمكن الجمع بين الأقوال (٦-١٠)؛ لأن جميعها تتحدث عن طاعة الله المطلقة، وتُخاطب جميع العباد.

أما الأقوال الأخرى فذكرها المفسرون بصيغة التمييز، أو ردوا عليها بالردود.

والإمام المودودي -رحمه الله- رجح المعنى السادس الذي هو عهد طاعة الله المطلقة الذي أخذه من ذرية آدم المعروف عند المفسرين بـ (عهد ألس) الذي أقرت فيه البشرية على توحيد الله ومعبوديته وحد لا شريك له وطاعتها له، ولكن بعضهم قد رموا ريقَ هذه العبودية من أعتقهم فصاروا من الناقضين لهذا العهد الوارد في هذه الآية الكريمة، استنادا إلي وروده في آية ١٧٢ من "سورة الأعراف" الصريحة في هذا الباب، واستنادا أيضا إلى كلمة "الميثاق" الواردة في هذه الآية "من بعد ميثاقه" التي يُراد منها التأكيد والتثبيت بالقوة، وذلك كما هو معروف تاريخياً لم يكن إلا في (عهد ألس) الوارد بالصرحة في "سورة الأعراف".

ولا يخفى ما في هذا من المنهج الواضح الذي اتبعه الإمام المودودي -رحمه الله- في تفسير القرآن بالمأثور (تفسير القرآن بالقرآن). وهذا المعنى هو المعنى العام الشامل لكل من نقض عهد طاعة الله المطلقة. وهذا هو ما ذهب إليه الأئمة المفسرون: السمعاني، والبغوي، وابن عطية، وغيرهم.

١ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥٦-٢٠٦، وتفسير الألوسي: ٢١٣/١.

والآية هي: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

٣ تفسير القرآن: ٦٢/١.

٤ معالم التنزيل: ١٠٠/٨.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/٨.

٦ انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٠٥/١-٢٠٦، وتفسير الألوسي: ٢١٣/٨.

والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٤٥/٨.

(١) العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

يقول الإمام أبو حيان الأندلسي بعد ذكر الأقوال في المسألة: "وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ التَّسْعَةُ مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ فِي كُلِّ نَاقِضٍ لِلْعَهْدِ، وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُخَاطَبَ قَوْمٌ مَخْصُوصُونَ، وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْاِخْتِلَافِ الَّذِي وَقَعَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ، وَالْعُمُومُ هُوَ الظَّاهِرُ. فَكُلُّ مَنْ نَقَضَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ وَمُنَافِقٍ أَوْ مُشْرِكٍ أَوْ كِتَابِيٍّ تَنَاوَلَهُ هَذَا الذَّمُّ".^١ ويقول العلامة الألوسي عقب ذكر الأقوال: "...إلى غير ذلك من الأقوال وهي مبنية على الاختلاف في سبب النزول والظاهر العموم".^٢

(٢) السياق: يقول القاضي ابن عسيرة: "وَضَحِرَ مَا قَبْلَ وَمَا بَعْدَ أَنَّهُ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ".^٣

ويقول الإمام القرطبي: "قلت: "وظاهر ما قبل وما بعد يدل على أنها في الكفار".^٤

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".^٥

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٦

١ البحر المحيط: ٢٠٥/١-٢٠٦.

٢ روح المعاني: ٢١٣/٨.

٣ المحرر الوجيز: ١١٣/١.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٤٥/٢.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/٨.

الآية:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿30﴾

في الآية مسألتان:

المسألة ١:

ما المراد بـ "خليفة" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "الخليفة هو من ينوب صاحب الشيء في إجراء ما فوض إليه المالك من الصلاحيات. فالخليفة ليس هو المالك نفسه، وإنما ينوب عن المالك فيما وكله من الصلاحيات. وهو لا يملك من عند نفسه أية صلاحيات، وإنما كل ما يملكه هو ما وكله إليه المالك من الاختيارات والصلاحيات، ولا يحق له التصرف في الأمور على ما يريد. وإنما واجبه أن يقوم بما وكله إليه المالك. ولا شك بأنه يعدّ خائناً أو طاعناً إن اعتبر نفسه مالكا وتصرف في الملك حسب رغبته وحسب هواه، أو أنه أنكر المالك الحقيقي وخضع لأوامر شخص آخر واعتبره مالكا وأخذ يطبق أوامره ويتصرف حسب رغبته".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "خليفة" في الآية، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت قولين في المراد بـ "خليفة" في الآية، أذكرهما باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد به هنا: آدم -عليه السلام-؛ لأن الله تعالى استخلفه في الأرض بين الكافرين من خلقه لإقامة حدوده وإمضاء أحكامه بين عباده، وكذلك كل نبي بعده خليفة الله تعالى في الأرض. قال تعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

١ تفهيم القرآن: ١٢/٨.

الْهَوَىٰ فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ"١، واقتصر على آدم -عليه السلام-؛ لأنه أبو الخلائف.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١، والقرطبي^٢، وابن جزري^٣، وغيرهم.

القول الثاني: يراد به هنا: ولد آدم -عليه السلام- وذريته؛ لأن بعضهم يخلف بعضاً، قرنا بعد قرن وجيلاً بعد جيل في عمارة الأرض، إذا هلكت أمة خلفتها أخرى، فيكون مفرد أريد به الجمع. أي: خلائف. كما قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ تَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"٤، وقوله تعالى: "أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاً وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ إِيَّاكُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ"٥، وقوله: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا"٦، ونحوها من الآيات.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١، وأبو حيان الأندلسي^٢، وابن كثير^٣، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام ابن جزري والشيخ طنطاوي ذكرا هذا القول بصيغة التمرير.

١ سورة ص، الآية ٢٦.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٣٨٧٢.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٨.

٤ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/١.

٥ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٢٧/٨، وتفسير ابن كثير: ٢١٦/٨، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٨، وأضواء

البيان للشنقيطي: ٢٠/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٤٩/١.

٦ سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

٧ سورة النمل، الآية ٦٢.

٨ سورة مريم، الآية ٥٩.

٩ انظر: التفسير الكبير: ٣٨٩٢.

١٠ انظر: البحر المحيط: ٢٢٧/٨.

١١ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/٨.

١٢ ينظر: تفسير الألوسي: ٢٢٢/٨، وأضواء البيان للشنقيطي: ٢٠/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٤٩/١.

التعليق: يتضح من القراءة في الأسطر السابقة أنّ هناك قولين في المسألة، والإمام المودودي اقتصر بذكر القول الأول منهما، مما يدلّ على أنّه هو الراجح عنده ووقع عليه اختياره، وهو أنّ المراد بـ "خليفة" من ينوب صاحب الشيء في إجراء ما فوّض إليه من الاختيارات والصلاحيات، فيقول: "الخليفة هو من ينوب صاحب الشيء في إجراء ما فوّض إليه المالك من الصلاحيات. فالخليفة ليس هو المالك نفسه، وإنّما ينوب عن المالك فيما وكلّه من الصلاحيات. وهو لا يملك من عند نفسه أية صلاحيات، وإنّما كلّ ما يملكه هو ما وكلّه إليه المالك من الاختيارات والصلاحيات، ولا يحقّ له التصرف في الأمور على ما يريد، وإنّما واجبه أن يقوم بما وكلّه إليه المالك". ولا يخفى أن الشيخ اعتمد في هذا الأمر على الاحتجاج اللغوي، واحتكم فيه إلى أصل اللغة العربية ومدلول الكلمة فيها، كما أنه استند إلى أن ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات هو مسؤوليته الأخلاقية، وأمانته في الصلاحيات التي فوّض إليه أمرها من قبل رب العالمين، وليس نطقه، ولا كونه اجتماعياً، وإليه ذهب معظم المفسرين، أمثال: السمعاني^٢، والبغوي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم^٥.

١ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/١، والتفسير الوسيط: ٩٢/١.

٢ انظر: أعلام ١٠ من سورة الأعراف في تفسير الشيخ " تفهيم القرآن".

٣ انظر: تفسير القرآن: ٦٣٦.

٤ انظر: معالم التنزيل: ١٠٢/١.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/١.

٦ ينظر: تفسير ابن جزى: ٧٩/١، وتفسير الخازن: ٣٥/١، وتفسير الجلالين: ٨١/١، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/١.

والتفسير الواضح محمد محمود الحجازي: ٣٠/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٣٩٩/١، وأضواء البيان للشنقيطي:

٢٠/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٤٩/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٩٢/١، وصفوة التفاسير

لصابوني: ٤٠/١، وأبواب التفاسير للجزائري: ٤٠/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٢٤/١.

(١) القرآن: يراد به آدم -عليه السلام- هنا؛ لأنَّ الله تعالى جعله مستخلفاً عن نفسه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره، وبعضه ويشهد له قوله تعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ".

(٢) السياق: كون المراد به آدم -عليه السلام- هنا، الظاهر المتبادر من سياق الآية.

(٣) مطابقة اللفظ لدلولها: وردت كلمة "خليفة" هنا مفردة من أجل ذلك يراد بها آدم -عليه السلام- بمفرده لا يشاركه فيها غيره من ذريته.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية الثانية:

"القول الذي يؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".

"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية".

١ سورة ص، الآية ٣٦.

٢ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٨٩٢، وصفوة التفسير للصابري: ٤٠٨.

٣ انظر: تفسير الألوسي: ٢٢٢/٨، وأصواء البيان للشنقيطي: ٢٠٨.

٤ انظر: تفسير الألوسي: ٢٢٢/٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٣٦٢/٨.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/٨.

٧ نفس المصدر السابق: ٥١١/٢.

المسألة ٢

ما نوع "الهمزة" في قوله تعالى: "قَالُوا أَتَجْعَلُ...؟"

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "لم يعترض الملائكة على مشيئة الله -عز وجل-، وإنما أرادوا أن يستفسروا. وأتى للملائكة أن يعترضوا على ما يريد الله عز وجل؟! فالملائكة فهموا من لفظ "الخليفة" أن هذا المخلوق الجديد سيتولى بعض الصلاحيات على وجه الأرض، لكنها لم تستوعب؛ كيف يمكن أن يتحمل نظام الكون واستقراره مخلوق يتمتع بالإرادة، وكيف ينجو نظام الكون في الجزء الذي تتم فيه عميلة تفويض الصلاحيات من الخراب والدمار، فالملائكة كانوا يستفسرون عن هذا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة، إلا أنه وردت في كتب التفسير لـ "همزة" في "أَتَجْعَلُ" قولان:

القول الأول: الهمزة على وجه الاستفهام الحقيقي المحض، لرفع الجهل لا الاعتراض. لأنهم منزهون عنه، أي: أنهم قالوه استفهاماً واستخباراً حين قال الله لهم: "إني جاعل في الأرض خليفة"؛ فقالوا: يا ربنا أعلمنا أجاعل أنت في الأرض من يفسد فيها، ويسفك الدماء؟ ومن ذكره من المفسرين: الماوردي، والقرطبي، وابن جزي.^٢

أو الاستفهام على جهة استطلاع واستعلام وجه الحكمة من هذا الأمر ليس على وجه الاعتراض، وإنما على وجه العلم والتثبت. أي قالوا: يا ربنا، أرشدنا إلى الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من يفسد في الأرض، ويسفك الدماء؟ ومن ذكره من المفسرين: ابن كثير، ومؤلفوا التفسير الميسر، وطنطاوي.^٣

أو الاستفهام على وجه التعجب، أي أنهم تعجبوا من استخلاف الله من يعصيه. ومن ذكره من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي.^٤

^١ تفهيم القرآن: ٦٢/١-٦٣.

^٢ انظر على التوالي: النكت والعيون: ٩٦/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩١.

^٣ انظر على التوالي: تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/١، والتفسير الميسر: ٦/١، والتفسير الوسيط: ٩٣/١.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١، والبحر المحيط: ٢٢٨/١-٢٢٩.

أو الاستفهام على وجه الاستعظام والإكبار للاستخلاف، والعصيان. ومن ذكره من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي^١.

أو الاستفهام على وجه التعجب واستطلاع واستعلام الحكمة. أي: أنهم تعجبوا من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، واستعلام واستكشاف عن الحكمة، وإزاحة الشبهة في ذلك كسؤال المتعلم معلمه عما اختلج في صدره، وليس باعتراض على الله، ولا طعن في بني آدم فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك؛ لقوله تعالى: " وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَّا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ". ومن ذكره من المفسرين: ابن الجوزي^٢، والقرطبي^٣، والبيضاوي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: الهمزة على وجه الاستفهام التقريري (الإيجابي)، أي: أنها للتقرير دخلت على الفعل ليفيد العلم على وجه التحقيق. ومعناه الإيجاب وليس الاستفهام، فكأن الملائكة قالت: (ستجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء). ومن ذكره من المفسرين: ابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي^٦.

أو على وجه التعجب، أي أنهم قالوه تعجبًا من استخلاف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، وهو الحكيم الذي لا يجهل. أي: تستخلفهم في الأرض، وقد علمت أنهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. ومن ذكره من المفسرين: الماوردي، والزنجشري، وابن الجوزي، والنسفي^٧.
أو على وجه الاستعظام، أي أنهم قالوه استعظامًا لفعلهم، أي كيف يفسدون فيها، ويسفكون الدماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها. ومن ذكره من المفسرين: الماوردي^٨.

١ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١، والبحر المحيط: ٢٢٩/١.

٢ سورة الأنبياء الآية ٢٦-٢٧.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٠/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ٦٧/١.

٦ ينظر: تفسير أبي السعود: ٨٢/١، وتفسير القاسمي: ٢٨٥/١، وصفرة التفاسير للصابوني: ٤٧/١.

٧ انظر: زاد المسير: ٥٠/١، والبحر المحيط: ٢٢٨/١.

٨ انظر على التوالي: النكت والعيون: ٩٧/١، والكشاف: ١٢٤/١، وزاد المسير: ٥٠/١، ومدارك التنزيل: ٧٧/١.

٩ انظر: النكت والعيون: ٩٦/١.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور المختصة لتفسير قوله تعالى: " قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ" أَنَّ الإمام المودودي -رحمه الله- رأى أَنَّ الهمزة استخدمت في هذه الآية للاستفهام الحقيقي على سبيل استطلاع الحكمة الكامنة في هذا العمل الرباني، والخافية عليهم، وليس فيها معنى الاستنكار والاعتراض من قِبَل الملائكة على هذا الأمر الرباني الجليل. فيقول: "لم يعترض الملائكة على مشيئة الله -عز وجل-، وإنما أرادوا أن أن يستفسروا. وأنى للملائكة أن يعترضوا على ما يريد الله -عز وجل-؟!"، وإن كان بعض المفسرين أمثال: الماوردي، والزمخشري، وابن الجوزي، وغيرهم^١ ذكروا أَنَّ الاستفهام في هذه الآية للتقرير والإيجاب، فكأنَّ الملائكة قالت كذا: (أجعل فيها من يفسد فيها)، ولكن يتضح من استعراض أقوال المفسرين المختلفة أَنَّ الإمام المودودي رجح معنى الاستفهام الحقيقي وفضَّله على المعنى التقريري (الإيجبي). وذلك لأنه يتناسب مع مقام الملائكة في خطابهم لخالق الكائنات وربها، ويتطابق مع الموقف الذي دار فيه الحديث بين الملائكة المخلوقين وبين ربهم الخالق رب العالمين، حيث لا يليق بمخلوق أن يستنكر أمراً أَراده الخالق. ولا يتناسب مع شأن الملائكة المخلصين للعبادة أن يعترضوا على أمر الله -سبحانه وتعالى-، فإنهم مخلوق مجبول على الطاعة ليس لهم اختيار يبعثهم على التردد في الأوامر الإلهية كما قل تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٢، وقوله تعالى: "وَهُمْ لَّا يَسْتَكْبِرُونَ" (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٣، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: البيضاوي^٤، وابن جزري^٥، وابن كثير^٦، وغيرهم^٧.

^١ انظر: المصدر نفسه.

^٢ انظر: الكشاف: ١٢٤/٨.

^٣ انظر: زاد السير: ٥٠/٨.

^٤ ينظر: منار التنزيل: ٧٨١. والبحر الخيط: ٢٢٨/١.

^٥ سورة التحريم، الآية ٦.

^٦ سورة النحل، الآية ٤٩-٥٠.

^٧ انظر: الهامش ٤٨ من سورة الكهف في تفسير الشيخ "فهم القرآن".

^٨ انظر: أنوار التنزيل: ٦٨١.

^٩ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/١.

^{١٠} انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/٨.

- (١) هو قول أكثر المفسرين. يقول الإمام ابن جزى في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"^١.
- (٢) كون هذا التفسير يتناسب مع شأن الملائكة المخلصين المعصومين.
إن جمهور علماء الدين اتفقوا على عصمة جميع الملائكة وتنزيههم عن جميع الذنوب، وقد وصفهم الله في القرآن بأوصاف كثيرة، منها:
(١) اجتنابهم المعاصي، مع قيامهم بامتثال جميع الأوامر الإلهية، كقوله تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٢.
- (٢) قيامهم بامتثال جميع الأوامر الإلهية، مع تركهم المنهيات: كقوله تعالى: "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٣.
- (٣) عدم علمهم بالغيب، وبراءتهم من المعاصي لتوقفهم في جميع الأمور إلا بمقتضى أمر الله عزوجل: كقوله تعالى: "بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ يَعْملُونَ"^٤.
- (٤) تسيحهم بالليل والنهار بأكمل وجه: كقوله تعالى: "يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ امْتَنَّعَ صُدُورُ الْمُعْصِيَةِ مِنْهُ"^٥.
- (٥) طعنهم في البشر بالمعصية من الإفساد وسفك الدماء: كقوله تعالى: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ. يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ طَعَنُوا فِي الْبَشَرِ بِالْمَعْصِيَةِ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْعَصَاةِ لَمَا حَسَنَ مِنْهُمْ ذَلِكَ الطَّعْنُ"^٦.

^١ ينظر: تفسير أبي السعود: ٨٢/٨، وتفسير القاسمي: ٢٨٥/٨، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٣٠/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٧١، والتفسير الوسيط لخصاوي: ٩٣/١، وصفوة التفسير للصابوني: ٤٧٨.

^٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

^٣ سورة التحريم، الآية ٦.

^٤ سورة النحل، الآية ٥٠.

^٥ سورة الأنبياء، الآية ٢٦-٢٧.

^٦ سورة الأنبياء، الآية ٢٠.

^٧ التفسير الكبير للرازي: ٣٨٩٢.

٦) كونهم رسل الله عزوجل: أرسلهم الله بأوامره من الوحي وغيره.^٣

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ"^٤.

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عدّم ذلك"^٥.

١ سورة البقرة، الآية ٣٠.

٢ المصدر نفسه.

٣ يراجع للمزيد من التفصيل: التفسير الكبير للرازي: ٣٨٩٢، وتفسير القرطبي: ٢٧٤/١، وتفسير البيضاوي:

٦٧/١، وتفسير ابن جزّي: ٧٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٢٨٧/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٥ المصدر السابق: ٣١٢/١.

الآية:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١)

صَدِيقِينَ ﴿ (٢١)

مسألة

هل علّم آدم -عليه السلام- أسماء جميع الأشياء أم أسماء بعض الأشياء؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يمكن تصوّر حقيقة العلم الإنساني في أنه يستطيع حفظ علم الأشياء في ذاكرته، ومن ثم فهمهما عن طريق تسميتها. ومن هنا نجد أنّ كلّ العلوم الإنسانية تشتمل في واقعها على أسماء الأشياء. وكان تعليم آدم الأسماء كلها يعني تزويده بعلم الأشياء كلها".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتبين أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة. ولم يلتفت إلى الأقوال الأخرى، مما يدلّ دلالة واضحة على أنّ القول المذكور هو الراجح عنده، إلا أنّ استقراء آراء المفسرين أثبتت لي أنّ هناك أقوالاً متعددة في المسألة أذكرها هنا على وجه الإجمال فيما يلي:

القول الأول: علّمه أسماء جميع الأشياء التي خلقها الله تعالى دقيقها وجليلها، والتي يتعارف بها الناس من إنسان ودابة وأرض، وسهل وبحر وجبل، وقصعة وقصيعة ومغرفة، ونحو ذلك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: علّمه اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري، والألوسي^٦.

١ تفهيم القرآن: ٦٣/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٨٢/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١١٩/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٣/١.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/١، وتفسير ابن جزى: ٧٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٣٥/١، والتفسير

المظهري لثناء الله المظهري: ٥٠/١، وتفسير الشوكاني: ٧/١.

٦ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٣٥/١، والتفسير المظهري: ٥٠/١-٥١، وروح المعاني: ٢٢٦/١.

ومن الجدير بالذكر أنّ القاضي ثناء الله المظهري، والعلامة الألوّسي ذكرا هذا القول بصيغة التمريض.

القول الثالث: علّمه أسماء الملائكة فقط.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، وغيرهم^٤. وذكره الإمام الخازن، والعلامة الألوّسي بصيغة التمريض^٥.

القول الرابع: علّمه أسماء ذرّيته فقط.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٦، وابن عطية^٧، وابن الجوزي^٨، وغيرهم^٩. وذكره الإمام الخازن بصيغة التمريض^{١٠}.

القول الخامس: علّمه أسماء النجوم فقط.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي^{١١}. وذكره الألوّسي بصيغة التمريض^{١٢}.

^١ انظر: جامع البيان: ٤٨٥/٨.

^٢ انظر: المحرر الوجيز: ١١٩/٨.

^٣ انظر: زاد المسير: ٥٣/٨.

^٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/٨، والبحر المحيظ لأبي حيان الأندلسي: ٣٣٥/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٥٧/٨، وتفسير الشوكاني: ٧٧/٨.

^٥ انظر: لبّ التّأويل: ٣٧/٨، وروح المعاني: ٢٢٦/٨.

^٦ انظر: جامع البيان: ٤٨٥/٨.

^٧ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٠/٨.

^٨ انظر: زاد المسير: ٥٣/٨.

^٩ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/٨، والبحر المحيظ لأبي حيان الأندلسي: ٣٣٥/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٥٧/٨.

^{١٠} انظر: لبّ التّأويل: ٣٧/٨.

^{١١} انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١١٩/٨، والبحر المحيظ: ٣٣٥/٨.

^{١٢} انظر: روح المعاني: ٢٢٦/٨.

القول السادس: علّمه أسماء ما خلق في الأرض. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري^١.

القول السابع: علّمه جميع اللغات.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري^١. وذكره بصيغة التمريض: العلامة الخازن، والعلامة الألووسي^٢.

القول الثامن: علّمه أسماءه تعالى.

ومن ذكر هذا القول: العلامة أبو حيان الأندلسي، والقاضي ثناء الله المظهري، والعلامة الألووسي^٣.

القول التاسع: علّمه أسماء ذرّيته وأسماء الملائكة دون سائر أجناس الخلق.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والشوكاني^٤.

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام الشوكاني رد على هذا القول.

يقول الإمام الشوكاني: "وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: إِنَّهَا أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَأَسْمَاءُ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ هَذَا وَهُوَ غَيْرُ رَاجِحٍ"^٥.

القول العاشر: علّمه صنعة كل شيء.

ومن انفرد بذكر هذا القول: العلامة البغوي^٦.

١ انظر على التوالي: زاد المسير: ٥٣/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨، والتفسير المظهري: ٥٠/٨.

٢ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١٠٣/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨، والتفسير المظهري: ٥١/٨.

٣ انظر على التوالي: لباب التأويل: ٣٧/٨، وروح المعاني: ٢٣٧/٨.

٤ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٣٥/٨، التفسير المظهري: ٥١/٨، وروح المعاني: ٢٣٧/٨.

٥ انظر: على التوالي: جامع البيان: ٤٨٥/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨، وفتح القدير: ٧٧/٨.

٦ فتح القدير: ٧٧/٨.

٧ انظر: معالم التنزيل: ١٠٣/٨.

القول الحادي عشر: علّمه أسماء جميع ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام الرازي^١.

القول الثاني عشر: علّمه أسماء الأجناس كلّها.

ومن انفرد بذكر هذا القول: العلامة أبو بكر الجزائري^٢.

القول الثالث عشر: علّمه أسماء الأجناس والأنواع.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام القرطبي^٣. ومن الجدير بالذكر أنه ذكره بصيغة التمريض.

القول الرابع عشر: علّمه أسماء الأجناس دون أنواعها.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام ابن الجوزي^٤.

القول الخامس عشر: علّمه أسماء الأجناس وما يتعلق بها من المنافع.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام القرطبي، والإمام أبو حيان الأندلسي^٥.

القول السادس عشر: علّمه صفات جميع الأشياء ونعوتها وخواصّها.

ومن ذكره من المفسرين: الرازي، والألوسي^٦. وذكره بصيغة التمريض: القاضي ثناء الله المظهري^٧.

القول السابع عشر: علّمه التسميات. ومن ذكره من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ووهبة الزحيلي^٨.

١ انظر: التفسير الكبير: ٣٩٧/٢.

٢ انظر: أيسر التفاسير: ٤٢/١.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٣/١.

٥ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/١، والبحر المحيط: ٢٣٥/١.

٦ انظر على التوالي: التفسير الكبير: ٣٩٧/٢، وروح المعاني: ٢٢٥/١.

٧ انظر: التفسير المظهري: ٥٧/١.

٨ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٣٥/١، والموسوعة القرآنية: ٧٠/٩، والتفسير المنير: ١٢٤/١.

القول الثامن عشر: علّمه جميع أسمائه المخزونة.

ومن انفراد بذكر هذا القول: الإمام أبو حيان الأندلسي^١.

القول التاسع عشر: علّمه الأسماء بلغة ثم وقع الاصطلاح من ذرّيته في سواها.

ومن انفراد بذكر هذا القول: الإمام أبو حيان الأندلسي^٢.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أنّ هناك تسعة عشر قولاً في المسألة، ومن الجدير بالذكر أنّ القول الثاني هو قريب من القول الأول الأول^٣، ووقع اختيار الإمام على القول الأول، حيث اكتفى بذكره خلال تفسيره للآية، مما يدلّ على أنّه هو الراجح عنده بين سائر الأقوال، وهو: "أنّه علّمه أسماء جميع الأشياء"، فيقول: "...وكان تعليم الأدم الأسماء كلها يعني تزويده بعلم الأشياء كلها"، ولا يخفى ما في هذا الأمر من الاستناد إلى أصل اللغة، ودلالة التعبير فيها على المدلول المتعارف عليه، وإليه ذهب المفسرين الكبار، أمثال: السمعاني^٤، والقرطبي^٥، وابن جزري^٦، وغيرهم^٧.

الأدلة:

(١) **الحديث المرفوع:** ويؤيد هذا المعنى الحديث المرفوع الذي رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ:

١ انظر: البحر المحيط: ٢٣٥/١.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه.

٤ انظر: تفسير القرآن: ٦٥/١.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/١.

٦ انظر: تفسير ابن جزري: ٧٩/١.

٧ ينظر: تفسير ابن جزري: ٧٩/١، وتفسير الخازن: ٣٧١، وتفسير الشوكاني: ٧٧/١، وتفسير القاسمي: ٢٨٧/١ وصفوة التفسير للصابوني: ٤١/١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الحرري الشافعي: ٢٩٩/١، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ يَدِيهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ...!

(٢) **الاحتجاج اللفوي**؛ فاقرانه وتأكيده بلفظ "كُلُّهَا" يقتضي أنه علمه جميع الأسماء.

ولم يخرج عن هذا شيء؛ لأنه هو اسم موضوع للإحاطة والعموم.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^١

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".^٢

١ صحيح البخاري: ١٧/٦، برقم (٤٤٧٦)، كتاب التفسير، باب قول الله: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة: ٣٣].

٢ انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/٨، وتفسير الشوكاني: ٧٧/٨، وحدائق الروح والريحان لمحمد أمين المرري: ٢٩٩/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٠٦/١.

٤ المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الآية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤)

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة ١

هل جميع الملائكة مأمورون بالسجود لآدم أو بعضهم؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: أي أن الله عز وجل أمر جميع الملائكة الذين يعملون على الأرض وعلى الكون الذي يتعلق بالأرض أن يسخروا أنفسهم لطاعة الإنسان. فقد كان الإنسان يعد ليكون الخليفة على هذه البقعة من الكون، فصدر الأمر الإلهي بأن يطيع كل من الملائكة في الدائرة التي سُخِّرَ لها في كل ما يريد الإنسان أن يوظف ما نعطيه من الإرادة والصلاحيات سواء في الخير أو في الشر. ونحن بإرادتنا نسمح له بأن يتصرف حسب إرادته...^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة وركز عليه، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت أن للمفسرين قولين في المسألة أذكرهما هنا على النحو التالي:

القول الأول: إن الملائكة المأمورين بالسجود لآدم -عليه السلام- هم جميع الملائكة على هذا كان الخطاب لجميع الملائكة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: إن الملائكة المأمورين بالسجود لآدم -عليه السلام- هم بعض الملائكة، والذين هم ملائكة الأرض. وعلى هذا كان الخطاب لبعض الملائكة.

١ تفهيم القرآن: ٦٤/١-٦٥.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٣٧/٢١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٣/٨.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٤/٨.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٤٧٢، وتفسير البيضاوي: ٢١٠/٣، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٣٤٥/٤، والتفسير

المظهري لثناء الله المظهري: ٣٠١/٥، وتفسير الشوكاني: ٥١٠/٤، وتفسير الألوسي: ٢٨٩٧.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: السمعاني^١، والبغوي^٢، وابن الجوزي^٣، وغيرهم^٤.
وذكره ورد عليه شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية قائلا: "فمن قال: إنه لم يسجد له جميع
الملائكة، بل ملائكة الأرض، فقد رد القرآن بالكذب والبهتان، وهذا القول ونحوه ليس
من أقوال المسلمين واليهود والنصارى..."^٥.
وذكره الإمام الخازن بصيغة التمريض^٦.

التعليق: يتضح من القراءة في المسألة السابقة أن المفسرين ذكروا قولين فيها، وركز
الإمام المودودي على واحد منهما (وهو القول الثاني)، حيث ذكره أثناء تفسيره للآية
الكريمة السابقة، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، وهو: أن الملائكة المأمورين بالسجود
لآدم -عليه السلام- هم بعض الملائكة، وهم ملائكة الأرض، فيقول: "أي أن الله عز
وجل أمر جميع الملائكة الذين يعملون على الأرض وعلى الكون الذي يتعلق بالأرض
أن يسخروا أنفسهم لطاعة الإنسان..."^٧، إلا أنني أرى أن القول الأول هو الأولى بالأخذ
والاتباع، وذلك لأنه رأي أكثر المفسرين أمثال: الطبري^٨، والسمعاني^٩، والبغوي^{١٠}.
وغيرهم^{١١}.

١ انظر: تفسير القرآن: ٦٧/١.

٢ انظر: معالم التنزيل: ١٠٤/١.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٤/١.

٤ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٤٧/٢، وتفسير القاسمي: ٢٩٠/١، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد أمين
المهرري: ٣٠٧/١.

٥ مجموع فتاوى: ٣٤٦/٤.

٦ انظر: لباب التأويل: ٣٧/١.

٧ انظر: جامع البيان: ٢٣٧/٢١.

٨ انظر: تفسير القرآن: ٦٧/١.

٩ انظر: معالم التنزيل: ١٠٤/١.

١٠ ينظر: الكشف للزخشري: ١٠٥/٤، وتفسير ابن عطية: ١٢٣/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤/١، والتفسير
الكبير للرازي: ٤٤٧/٢، وتفسير الفيضوي: ٢١٠/٣، وتفسير النسفي: ٨٧/٢، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٣٤٥/٤،
وتفسير الخازن: ٣٧/١، وتفسير أبي السعود: ٢٣٦/٧، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٠٧/٥، وتفسير

الأدلة:

القرآن: إن الملائكة المأمورين بالسجود هم جميع الملائكة، هذا هو الأصح؛ لأنه هو الظاهر من قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"^١. ففي هذه الآية ثلاث صيغ مقررّة للعموم وللإستغراق. فإنّ لفظ "المَلَائِكَةُ" صيغة الجمع والتي تفيد العموم (جميع الملائكة)، ثمّ "كُلُّهُمْ" من أبلغ العموم، وتوكيد معنوي لـ "المَلَائِكَةُ"، ثمّ "أَجْمَعُونَ" توكيد ثان للعموم^٢.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء رده على سؤال في هذا الصدد: "بل أسجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن في قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"^٣، فهذه ثلاث صيغ مقررّة للعموم وللإستغراق، فإنّ قوله: "المَلَائِكَةُ" يقتضي جميع الملائكة، فإن اسم الجمع المعرف بالألف واللام يقتضي العموم كقوله: (رب الملائكة والروح) فهو رب جميع الملائكة. الثاني: "كُلُّهُمْ"، وفي هذا من أبلغ العموم. الثالث: قوله: "أَجْمَعُونَ" وهذا توكيد للعموم"^٤.

وأضاف الإمام الرازي قائلاً: "الثاني: هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى اسْتَنْتَى إِبْلِيسَ مِنْهُمْ وَأَسْتَيْنَهُ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ عَدَا ذَلِكَ الشَّخْصَ كَانَ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ"^٥.

الشوكاني: ٥١٠/٤، وتفسير الألوسي: ٢٨٩٧، وتفسير السعدي: ٤٣٠/٨، وتفسير القاسمي: ٢٩٠/٨، وصفوة التفسير للصابوني: ١٠١/٣، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد أمين المرري: ٣٠٧/٨، والتفسير المبسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٢٦٣/٨.

١ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٢ انظر للمزيد من التفصيل: تفسير السمعاني: ٦٦٨، وتفسير البغوي: ١٠٤/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٤٤٨/٢، وتفسير البيضاوي: ٢١٠/٣. مجموع فتاوى لابن تيمية: ٣٤٥/٤، والجدول في الإعراب لمحمود بن عبد الرحيم: ٢٢٧/١٤، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد أمين المرري: ٣٠٧/٨.

٣ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٤ مجموع فتاوى: ٣٤٥/٤.

٥ التفسير الكبير: ٤٤٨/٢.

يقول الإمام ابن جزى أثناء كلامه عن قواعد الترجيح في مقدمة تفسيره: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال"^١.
ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"القول الذي تزیده آیات قرآنیة مقدم على ما عُدِم ذلك"^٢.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٦٢/١.

المسألة ٢

ما معنى "السجود" في الآية: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ"؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "..أي يمكن أن الآيات عبّرت عن تسخير الله للملائكة لآدم بالسجود. ولا يمنع هذا من أن الله عز وجل لإبراز هذا الانقياد التام والطاعة المطلقة أمرهم بفعل ظاهري محسوس كذلك - أي السجود - وهذا فيما يبدو هو الأصح".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولين في معنى "السجود" في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ":

القول الأول: أن المراد بـ "السجود" هنا الخضوع والتذلل والانقياد. ولم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة. أي: اخضعوا لآدم وأقروا له بالفضل، كقوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"^٢. وهذا هو الجانب اللغوي للسجود. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، الرازي، القرطبي، وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن الإمام الرازي ردّ على هذا القول فيقول: "وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّالِثُ فَضَعِيفٌ أَيْضًا

١ المصدر السابق: ٦٥/١.

٢ سورة الحج، الآية ١٨.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٤٢٧/٢.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/١.

٦ ينظر: تفسير البيضاوي: ٧١/١، وتفسير الشوكاني: ٧٨/١، وتفسير الراغب: ١٤٨١، وتفسير الألوسي: ٢٣٠/١.

٧ وهو الانقياد والخضوع.

لِأَنَّ السُّجُودَ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ عِبَارَةٌ عَنْ وَضْعِ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ التَّغْيِيرِ".^١

القول الثاني: أن المراد بـ "السجود" هنا وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة كالسجود المعتاد في الصلاة، وعلى هذا هو سجود تحية وتكرمة لأدم وطاعة لله لا سجود عبادة. وهذا هو المعنى الاصطلاحي والشرعي للسجود، كقوله تعالى: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ".^٢ ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.^٣

ومن الجدير بالذكر أن القاضي ابن عطية، والعلامة الخازن ردا عليه.

يقول القاضي ابن عطية: "ولا تدفع الآية أن يكونوا بلغوا غاية السجود".^٤

ويقول العلامة الخازن: "ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض".^٥

وهناك قول ثالث ذكره الإمام ابن العربي، والإمام ابن الجوزي وهو: أن المراد بـ "السجود" هنا الانحناء والميل المساوي للركوع.^٦

١ التفسير الكبير: ٤٢٨٢.

٢ سورة ص، الآية ٧٢.

٣ انظر: جامع البيان: ٥١٢/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٤/١.

٥ انظر: التفسير الكبير: ٤٢٧/٢.

٦ ينظر: تفسير البيضاوي: ٧٧/١، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير

ابن كثير: ١٦٧/٥، وتفسير الشوكاني: ٧٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٣٠/١.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

٨ انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٧/١.

٩ انظر: أحكام القرآن: ٢٧/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤/١.

التعليق:

يتوصل من القراءة في موضوع سجود الملائكة لآدم أن المفسرين فيه ذهبوا إلى ثلاثة آراء:

الأول: أن المراد بهذا السجود هو الخضوع والتذلل. وقد اعتمدوا في ذلك على الجانب اللغوي للسجود.

الثاني: هو وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة تكرامة وتحية لآدم، وطاعة لله لا سجود عبادة. وأصحاب هذا الرأي اعتمدوا على المعنى الاصطلاحي الشرعي للسجود. وهذا هو رأي جمهور المفسرين أمثال: الطبري^١، والماوردي^٢، والسمعاني^٣، وغيرهم^٤. وعليه وقع اختيار الإمام المودودي - رحمه الله - فرجحه على الرأي الأول مستندا في ذلك إلى رأي جمهور المفسرين في هذه المسألة، حيث يقول: "... أن الله عز وجل لإبراز هذا الانقياد التام والطاعة المطلقة أمرهم بفعل ظاهري محسوس كذلك - أي السجود - وهذا فيما يبدو هو الأصح"^٥. ولا شك أن بين المعنيين علاقة وصل، فإن كان الجانب اللغوي يدل على الخضوع والتذلل الذي يُعتبر بدايات حقيقة للسجود الاصطلاحي الشرعي، فإن المعنى الثاني الاصطلاحي والشرعي الذي يعني وضع الجبهة على الأرض هو يُعتبر نهاية هذا الخضوع وغايته التي تتجلى فيه جميع المعاني الدالة على الخضوع والتذلل.

القول الثالث: الانحناء والميل المساوي للركوع. ولا دليل على هذا القول.

١ انظر: جامع البيان: ٥١٢/١.

٢ انظر: النكت والعيون: ١٠٧/١.

٣ انظر: تفسير القرآن: ٦٧/١.

٤ ينظر: الكشاف للزمخشري: ١٢٦/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤/١، والتفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/٢، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١، وتفسير النسفي: ٨٠/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/٥، وتفسير أبي السعود: ٨٧/١، وتفسير الشوكاني: ٧٧/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٥٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٤٢٢/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ٨/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤٣/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٣٢/١.

٥ تفهيم القرآن: ٦٥/١.

(١) **القرآن:** وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^{1 2}.

(٢) **هو قول جمهور المفسرين:** والجمهور على أن السجود كان بوضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة تكرمة وتحية لآدم، وطاعة لله لا سجود عبادة. ولأن وضع الجبهة على الأرض هو الظاهر من السجود في العرف والشرع³.

وفيما يلي عرض موجز لأقوال بعض المفسرين:

يقول الإمام القرطبي: "وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِأَدَمَ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ عِبَادَةٍ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: كَانَ هَذَا أَمْرًا لِلْمَلَائِكَةِ يَوْضَعُ الْجَبْهَةَ عَلَى الْأَرْضِ كَالسُّجُودِ الْمُعْتَادِ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ السُّجُودِ فِي الْعُرْفِ وَالشَّرْعِ، وَعَلَى هَذَا قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ السُّجُودَ تَكْرِيمًا لِأَدَمَ وَإِظْهَارًا لِفَضْلِهِ، وَطَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ أَدَمُ كَالْقَبِيلَةِ لَنَا".

ويقول الإمام النسفي: "والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس".^٤
ويقول الإمام الشوكاني: "وَمَعْنَى السُّجُودِ هُنَا: هُوَ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ"^٥.

وبؤيده القواعد الترجيحية التالية:

١ سورة الحجر، الآية ٢٨-٢٩.

٢ يراجع للمزيد من التفصيل: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/٥.

٣ يراجع للمزيد من التفصيل: التفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/٢، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١، وتفسير النسفي:

٨٠/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير الشوكاني: ٧٨/١.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٣٨.

٥ مدارك التنزيل: ٨٠/١.

٦ فتح القدير: ٧٨/١.

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ".^١

"إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الحقيقة

الشرعية".^٢

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧.

٢ المصدر السابق: ٤٠٧.

المسألة ٣:

(هل إبليس من الجن أو من الملائكة؟)

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ولا ينبغي أن يفهم خطأ فيزعم أنه كان من الملائكة. فقد صرح القرآن الكريم - في الآيات التي سوف تأتي - أنه كان من الجن، وهم خلق آخر من مخلوقات الله عز وجل غير الملائكة".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة. فذكر قولين؛ حيث رجح قولاً ورد على قول آخر. ووجدت من خلال تتبعي للتفسير أن المفسرين ذكروا هذين القولين، أذكرهما على الصورة التالية:

القول الأول: إن إبليس كان من جنس الملائكة. وبناء على هذا القول الاستثناء يكون متصلاً. وهذا القول منسوب إلى الجمهور، وهو اختيار الطبري.^٢

ومن ذكر هذا القول من المفسرين أيضاً: ابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، والبيضاوي^٥، وغيرهم. يرد الإمام ابن كثير على هذا القول قائلاً: "وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ، وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنْقَلُ لِيَنْظَرَ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا. وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَعُ بِكَذِبِهِ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي بَأْيَدِينَا، وَفِي الْقُرْآنِ غُنْبَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحِفَاطِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَنْفُونَ عَنْهَا تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، كَمَا لِهَيْهِ [الْأُمَّةُ مِنْ] الْأَيْمَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالسَّادَةِ الْأَتْقِيَاءِ وَالْأَبْرَارِ وَالنُّجَبَاءِ مِنَ الْجَهَابَةِ الثَّقَاةِ، وَالْحِفَاطِ الْحَيَاةِ الَّذِينَ دَوَّنُوا

١ تفهيم القرآن: ٦٥/١-٦٦.

٢ انظر: جامع البيان: ٥٠٥/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٤/١.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ٧/١.

٦ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٩٤/١، وتفسير ابن جزى: ٧٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير

الشوكاني: ٧٨/١.

الْحَدِيثَ وَحَرَرُوهُ، وَبَيَّنَّا صَحِيحَهُ مِنْ حَسَنِهِ، مِنْ ضَعِيفِهِ، مِنْ مُتَّكِرِهِ وَمَوْضُوعِهِ، وَمَتْرُوكِهِ وَمَكْذُوبِهِ، وَعَرَفُوا الْوَضَّاعِينَ وَالْمَكْذِبِينَ وَالْمَجْهُولِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الرِّجَالِ،^١ .

القول الثاني: إن إبليس ليس من جنس الملائكة قط، بل كان من الجن بالنص، فهو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وبناء على هذا القول يكون الاستثناء منقطعاً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في تفسير هذه الآية أن المفسرين لهم فيها قولان: أحدهما: أن الاستثناء في هذه الآية متصل يُنصَّ على أن إبليس من جنس الملائكة. والآخر: أن الاستثناء ليس متصلاً في الآية، وإنما هو استثناء منقطع يُنصَّ على أن إبليس ليس من جنس الملائكة وإنما هو من جنس الجن، ذلك المخلوق الخاص الذي خلقه الله - سبحانه وتعالى - من النار. وهذا هو الرأي الذي ذهب الإمام المودودي إلى اختياره ووقع عليه ترجيحه، وذلك استناداً إلى مجموعة من الأدلة المستنبطة من الآيات القرآنية التي تشبه هذه الآية وتحدث عن إبليس وأصله. فمثلاً يذكر الإمام المودودي أن إبليس لا يمكن أن يكون من الملائكة بدليل أنه كان مخلوقاً مختاراً، له الاختيار في المال الذي يحدده لنفسه؛ ولذلك اختار العصيان والخروج عن طاعة الرحمن حين أمره ربه بالسجود لآدم - عليه السلام -. أما الملائكة فإنهم مخلوق مجبول على الطاعة ليس له اختيار يبعثهم على التردد في الأوامر الإلهية كما قال تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٥. وقوله تعالى: "وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٦، ولذلك كان منهم السجود فوراً لآدم - عليه السلام - بعد ما أمروا به.

^١ تفسير القرآن العظيم: ١٦٧/٥-١٦٩.

^٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٤/٨.

^٣ انظر: زاد المسير: ٥٤/٨.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/٨.

^٥ ينظر: تفسير ابن جزى: ٧٩/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٨/٨، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/٥، وتفسير الشوكاني: ٧٨/٨.

^٦ سورة التحريم، الآية ٦.

^٧ سورة النحل، الآية ٤٩-٥٠.

كما استند الإمام المودودي في هذه المسألة إلى دليل آخر وهو أصل مادة الخِلقة التي خلق منها إبليس فهو خلق من النار التي وُصِفَتْ في القرآن بَعْدَ صفات، كُلِّها تدلُّ على النار المشتعلة الملتهبة التي لا دخان لها، فهو في هذه الصفة أيضا يختلف عن الملائكة التي خلقهم الله - عز وجل - من النور. وأما ذكر إبليس في الآية الكريمة في شكل الاستثناء عن الملائكة الساجدة لآدم فهو كان من باب الشمول والعموم حتى تشمل الآية المخلوقات الأخرى غير الملائكة التي شملتهم هذه الآية فكان ذكر إبليس فيها من باب هذا الشمول والعموم الذي كان المراد منه أن تندرج تلك المخلوقات الأخرى تحت الطاعة البشرية المتمثلة في قيادتها الأولى في شكل آدم - عليه السلام -^١. وإليه ذهب الأئمة المفسرين: ابن كثير،^٢ وعبد الكريم الخطيب،^٣ والظاهر بن عاشور،^٤ وغيرهم.

الأدلة:

(١) القرآن: إِنَّ إبليسَ كانَ مِنَ الجنِّ كما قال تعالى: "كَانَ مِنَ الْجِنِّ"^٦، والجنُّ خلق من نار، كما قال تعالى: "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"^٧.

^١ انظر: الهوامش: ١٨ من سورة الحجر- و ٤٨ من سورة الكهف، و ٥٣ من سورة الناريات، و ١٥ من سورة الرحمن، في تفسير الشيخ "تفهيم القرآن".

^٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ١٣٠/٨، و ١٦٧/٥.

^٣ انظر: التفسير القرآني للقرآن: ٥٦٨.

وعبد الكريم الخطيب هو: عبد الكريم محمود يونس الخطيب، مجاهد ورجل مقاومة وتحرير ضد الاستخواب الفرنسي للمغرب، ولد بمدينة الجديدة المغربية في سنة ١٩٢٦، وتوفي بالرباط سنة ٢٠٠٨ م. تقلد العديد من الوزارات بعد الإستقلال منها: وزير الشؤون الإفريقية، ووزير التشغيل والشؤون الإجتماعية، كما شغل أيضا منصب وزير الصحة. وكان أول رئيس لأول برلمان في المغرب، وهو أول طبيب جراحي بالمغرب. أسس حزب العدالة والتنمية ثم أسندت إليه رئاسته إلى وفاته. (انظر: الدكتور عبد الكريم الخطيب وتفسيره - ملتقى أهل التفسير -، وويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

^٤ انظر: التحرير والتنوير: ٤٣٨.

^٥ ينظر: أوضح التفاسير لعبد النظيف الخطيب: ٨١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٣٢/٨.

^٦ سورة الكهف، الآية ٥٠.

^٧ سورة الأعراف، الآية ١٢.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".¹

(٢) الحديث: خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، كما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ"².

(3) هو مروى عن التابعي الجليل الإمام الحسن البصري³ بإسناد صحيح، وأما القول الأول فغالب رواياتها من الإسرائيليات، منها ما يقطع بكذبه، ولا تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وفي القرآن غنية عنها.

يقول الإمام ابن كثير: "قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ صُرْفَةً عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لِأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصْلُ الْبَشَرِ". رواه ابن جرير بإسناد صحيح.⁴
ويقول أيضا عن القول الأول: "وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ، وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنْقَلُ لِيَنْظَرَ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا. وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَعُ بِكَذِبِهِ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي يَأْتِيْنَا، وَفِي الْقُرْآنِ غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْتَقَدِمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ"⁵.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ صحيح مسلم: ٢٢٩٤/٤، برقم: (٢٩٩٦)، كتاب الزهد والرفائق، باب في أحاديث متفرقة.

٣ والحسن البصري هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري البصري، الفقيه القارئ الزاهد العابد، إمام عصره، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ في خلافة عمر رضي الله عنه. وكان رأسا في العلم والعمل والقرآن وتفسيره، والحديث، والوعظ، والحلم، والعبادة، والزهد، والصنق، والفضحة، والبلاغة، والأيد، والشجاعة، مات في سنة ١١٠هـ. له: "التفسير" رواه عنه جماعة، و"كتابه إر عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥٦٣/٤ وما بعدها، والوافي بالوفيات للصفدي: ١٩٠/١٢-١٩١، وطبقات المفسرين للداودي: ١٥٠/١-١٥١).

٤ تفسير القرآن العظيم: ١٦٧/٥، وقال الشيخ أحمد شاکر في هامش تفسير الطبري: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن". (جامع البيان: ٥٠٦/١).

٥ المصدر السابق: ١٦٧/٥.

(٤) دخل إبليس في خطابهم وإن لم يكن من عنصرهم؛ لأنه قد تشبه بالملائكة، وتوسم بأفعالهم.

يقول الحافظ ابن كثير: "وَالْعَرَضُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ دَخَلَ إِبْلِيسُ فِي خِطَابِهِمْ؛ لِأَنَّهُ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُنْتَرِهِمْ - إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَتَوَسَّمَ بِأَفْعَالِهِمْ؛ فَلِهَذَا دَخَلَ فِي الْخِطَابِ لَهُمْ، وَدُمَّ فِي مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ".^١

ويقول عبد الكريم الخطيب: "وننظر من جهة أخرى فنجد القرآن الكريم يتحدث عن "إبليس" بأنه كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه.. كما جاء ذلك في الآية الواردة في سورة الكهف!.. فإبليس - على هذا - من عالم الجن، وأنه وحده الذي خرج عن أمر ربه، وأعلن هذا العصيان الوقاح!"^٢.

ويقول الطاهر بن عاشور: "وَاسْتِثْنَاءُ إِبْلِيسَ مِنْ ضَمِيرِ الْمَلَائِكَةِ فِي فَسْجُدُوا اسْتِثْنَاءٌ مُتَقَطِعٌ لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَحْوَالَهُ كَأَحْوَالِ النَّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ بِتَوْفِيقِ غَلَبَ عَلَى حِيلَتِهِ لَتَتَأْتِيَ مُعَاشِرَتُهُ بِهِمْ وَسِيرُهُ عَلَى سِيرَتِهِمْ فَسَاحَ اسْتِثْنَاءُ حَالِهِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي مَطْنَةٍ أَنْ يَكُونَ مُمَازِلًا لِمَنْ هُوَ فِيهِمْ"^٣.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك"^٤.

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على ما خالفه"^٥.

١ نفس المصدر السابق: ٢٣٠/١.

٢ الآية ٥٠.

٣ التفسير القرآني للقرآن: ٥٦/١.

٤ الآية ٥٠.

٥ التحرير والتنوير: ٤٣٣/١.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٢/١.

٧ المصدر السابق: ٢٠٦/١.

الآية:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٦﴾

مسألة

ما المراد بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" في الآية؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "أي؛ الإنسان عدو للشيطان، والشيطان عدو للإنسان. فعداوة الشيطان للإنسان واضحة؛ فهو يسعى دوماً أن يجرّضه على التمرد على أحكام الله - عز وجل -، وأن يزيغه عن طريق الطاعة ويرميه في مهاوي الدمار والهلاك. لكن ماذا تعني عداوة الإنسان للشيطان، تقتضي الإنسانية في حقيقتها عداوة الشيطان، فهي تعبير آخر عن هذه العداوة. لكن قد تطغي الشهوات، وينخدع الإنسان بوساوس العدو اللدود فيتخذ لنفسه صديقا، ولا شك أنّ هذه الصداقة لا تعني بأنّ العداوة قد انتهت وأصبح العدو صديقا، وإنما تعني أنّ أحد الأعداء غلب الآخر، وأنّ المهزوم وقع في فخ المنتصر".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنّه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" في قوله تعالى: " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ"، مما يدل على أنّه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت ستة أقوال أخرى للمفسرين في المراد بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" في الآية المذكورة، أذكرها فيما يلي باختصار:

القول الأول: يعني ذرية آدم أعداء لذرية إبليس، إذ العداوة بين الإنس والجن.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٢، والرازي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم.

^١ تفهيم القرآن: ٦٧/١.

^٢ انظر: زاد المسير: ٥٥/١.

^٣ انظر: التفسير الكبير: ٤٦٣/٣.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٩/١.

القول الثاني: يعني بعض ذرية آدم أعداء لبعض.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^١، والنسفي^٢، وأبو حيان الأندلسي^٣، وغيرهم.
وذكره بصيغة التمريض: الشيخ طنطاوي^٤.

ورد عليه الإمام الرازي قائلا: "وَمَعْنَى: بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ التَّعَادِي وَالتَّبَاغُضِ وَتَضْلِيلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الدَّرِيَّةَ مَا كَانُوا مَوْجُودِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَكَيْفَ يَتَنَاوَلُهُمُ الْخِطَابُ؟ أَمَا مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ فَالسُّؤَالُ زَائِلٌ عَلَى قَوْلِهِ"^٥.

القول الثالث: يعني نفس الإنسان عدو له ولجوارحه.

ومن انفرد بذكره ورده من المفسرين: القرطبي و أبو حيان الأندلسي.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام أبا حيان الأندلسي ذكر هذا القول بصيغة التمريض.

يقول الإمام القرطبي: " قُلْتُ: وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُ تَعَالَى: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ"^٦ عَلَى الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، وَفِيهِ بَعْدٌ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مَعْنَى"^٧.

ويقول الإمام أبو حيان الأندلسي: " وَقِيلَ مَعْنَاهُ: عَدَاوَةُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ لَهُ وَجَوَارِحِهِ، وَهَذَا فِيهِ بَعْدٌ"^٨.

^١ ينظر: تفسير السعدي: ٤٩٨، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٥٨٨، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ٨٨، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤٤٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٣٨٨، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد أمين المرري: ٣٢٠/٨.

^٢ انظر: أنوار التنزيل: ٧٣/٨.

^٣ انظر: مدارك التنزيل: ٨٢/٨.

^٤ انظر: البحر المحيط: ٣٦٤/٨.

^٥ ينظر: تفسير الجلالين: ٩٨، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ٨٨.

^٦ انظر: الوسيط: ١٠٧/٨.

^٧ التفسير الكبير: ٤٦٤/٣.

^٨ سورة البقرة، الآية ٣٦.

^٩ الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٠/٨.

^{١٠} البحر المحيط: ٣٦٤/٨.

القول الرابع: يعني آدم وحواء وإبليس (الموسوس) بعضهم لبعض عدو.
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي^١، وابن الجوزي^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم^٤.

القول الخامس: يعني آدم وحواء وإبليس والحية بعضهم لبعض عدو.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي والقرطبي^٥.

القول السادس: يعني آدم وحواء والحية بعضهم لبعض عدو.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وأبو حيان الأندلسي^٦.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الرازي رد على هذا القول قائلاً: "الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ آدَمَ وَحَوَاءَ وَالْحَيَّةَ وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ ثَبَتَ بِالْإِجْمَاعِ أَنَّ الْمُكَلَّفِينَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ"^٧.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أن المفسرين ذكروا ستة أقوال في المسألة، والإمام المودودي - رحمه الله - اختار القول الأول منها، وهو: أن ذرية آدم أعداء لذرية إبليس، فالعداوة الحقيقية هي بين الإنسان والشیطان، واستندا الإمام في رأيه إلى أن عداوة الشيطان للإنسان واضحة في وظيفته الأساسية المتمثلة في تحريض الإنسان على التمرد والعصيان، وأما عداوة الإنسان للشيطان فهو أن الإنسانية تقتضي في حقيقتها عداوته، إضافة إلى أنه قد ينخدع بوساوسه؛ لكن هذا لا يعني أنه صار صديقا له، بل معناه أن أحد الأعداء غلب على الآخر، فيقول: "أي؛ الإنسان عدو للشيطان، والشيطان عدو للإنسان"^٨، وإليه ذهب المفسرين أمثال: السعدي^٩، والسيد قطب^{١٠}، والصابوني^{١١}، وغيرهم^{١٢}.

١ انظر: التكت والعيون: ١٠٧/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٥٧/١.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٩/١.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٦٤/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٦٦.

٥ انظر: التكت والعيون: ١٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٦٩/١.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٤٦٣/٣، والبحر المحيط: ٢٦٤/١.

٧ التفسير الكبير: ٤٦٣/٣.

٨ انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٩/١.

والسعدي هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، النجدي، الحنبلي، مفسر، محدث، فقيه، اصولي، متكلم واعظ. ولد في عنيزة (نجد) سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها، توفي في عنيزة

القرآن: يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^١. فمعركة العداوة بين الإنسان والشیطان مستمرة إلى آخر الزمان، فإبليس عدو لآدم وحواء وذريتهما، وهم له أعداء.

ويقول السيد قطب في هذه الآية: "وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة في مجالها المقدر لها. بين الشيطان والإنسان. إلى آخر الزمان".^٢

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".^٣

سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، من مؤلفاته الكثيرة: "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن" في ثماني مجلدات، و"طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول"، و"الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين". (انظر: الأعلام للزركلي: ٣٤٠/٣، ومعجم المؤلفين لكحالة: ٣٩٦/١٣-٣٩٧).

١ انظر: في ظلال القرآن: ٥٨/١.

٢ صفوة التفاسير: ٤٤/١.

٣ ينظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٣٧/١، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد أمين الهرري: ٣٢٠/١.

٤ سورة فاطر، الآية ٦.

٥ في ظلال القرآن: ٥٨/١.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣١٢/١.

الآية:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

مسألة:

ما هو مرجع الضمير في "إنَّهَا" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يصعب على من لا يطيع أوامر الله -عز وجل-، ولا يؤمن بالآخرة أن يلتزم بالصلاة، بل إنه يرى فيها معاناة ومشقة لا توصف. أما الذي يضع لأوامر مولاه سبحانه برغبة وشوق منه، ويؤمن بأن الموت يطارده كل حين ليأخذ للمثول بين يديه ربه فيصعب عليه ترك الصلاة، ويرى فيه مشقة ومعاناة لا تقل عن معاناة الآخر".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في مرجع ضمير "إنَّهَا" في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٥﴾﴾، ولم يذكر أقوالاً أخرى، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، إلا أن الدراسة أثبتت لي أن هناك تسعة أقوال للمفسرين في عائد "إنَّهَا" في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال كالتالي:

القول الأول: يعود الضمير إلى الصلاة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: يعود الضمير إلى المصدر وهو الإستعانة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: عطية^٥، وابن الجوزي^٦، والرازي^٧، وغيرهم^٨.

١ تفهيم القرآن: ٧٤/١.

٢ انظر: جامع البيان: ١٥/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٣٧/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٦١/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٩٠/٣، وتفسير القرطبي: ٢٧٣/١، وتفسير البيضاوي: ٧٧/١، وتفسير ابن جزي: ٨٢/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩٩/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٣/١، والتفسير المظهري: ٦٥/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١.

٦ انظر: المحرر الوجيز: ١٣٧/١.

٧ انظر: زاد المسير: ٦١/١.

٨ انظر: التفسير الكبير: ٤٩٠/٣.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^١.

القول الثالث: يعود الضمير إلى العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وابن جزي^٢.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^١.

القول الرابع: يعود الضمير إلى إجابة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ الصبر والصلاة يدعو إليه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، والقرطبي، والألوسي^٣.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^١.

وذكره ورد عليه الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية.

يقول الإمام الطبري: "وقد قال بعضهم: إن قوله: (وإنها) بمعنى: إن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتجعل "الهاء والألف" كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته"^٤.

ويقول القاضي ابن عطية: "وقالت فرقة: على إجابة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله -القائل هو ابن عطية-: "وفي هذا ضعف، لأنه لا دليل له من الآية عليه"^٥.

القول الخامس: يعود الضمير إلى الكعبة والقبلة؛ لأنّ الأمر بالصلاة إليها.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي^٦.

^١ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٧٣/١، وتفسير البيضاوي: ٧٧/١، وتفسير ابن جزي: ٨٢/١، والتفسير المظهري: ٦٥/١، وتفسير الألوسي: ٢٥١/١.

^٢ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

^٣ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١٣٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٨٢/١.

^٤ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

^٥ انظر على التوالي: النكت والعيون: ١١٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/١، وروح المعاني: ٢٥١/١.

^٦ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

^٧ جامع البيان: ١٥/١.

^٨ المحرر الوجيز: ١٣٧/١.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمریض^١.

وذكره ورد عليه القاضي ابن عطية والعلامة الألويسي.

يقول القاضي ابن عطية: "وقيل: يعود الضمير على الكعبة، لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها. قال القاضي أبو محمد رحمه الله - يريد به ابن عطية -: وهذا أضعف من الذي قبله"^٢.

ويقول العلامة الألويسي: "والبعيد بل الأبعد عوده إلى الكعبة المفهومة من ذكر الصلاة"^٣.

القول السادس: يعود الضمير إلى كل واحد من الحصلتين (الصبر والصلاة)، فالعنى على التثنية، واكتفى بعودة الضمير على أغلبهما وهو الصلاة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وثناء الله المظهري، والألويسي^٤.

وذكره بصيغة التمریض: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري^٥.

القول السابع: يعود الضمير إلى كل واحد منهما (الصبر والصلاة)؛ لكن حذف أحدهما اختصاراً. أي؛ استعینوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، والقرطبي، والمظهري^٦.

القول الثامن: يعود الضمير إلى المذكورات المتقدمة المأمور بها والمنهي عنها من قوله: ﴿يُنَبِّئُ

إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِذْنِي فَأَرْهَبُونَ ﴿١٠﴾ وَأَمْسُوا بِمَا
أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِذْنِي فَاتَّقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا
تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكُونُوا الْخَوَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

١ انظر على التوالي: زاد المسير: ٦٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/١.

٢ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

٣ المحرر الوجيز: ١٣٧/١.

٤ روح المعاني: ٢٥١/١.

٥ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/١، والتفسير المظهري: ٦٥/١، وروح المعاني: ٢٥١/١.

٦ انظر: الموسوعة القرآنية: ٧/٩.

٧ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١١٢/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/١، والتفسير المظهري: ٦٥/١.

الرَّكِعِينَ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ إلى

قوله ﴿١٧﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^١، وثناء الله المظهري^٢، والألوسي^٣،

وذكره بصيغة التمریض: العلامة أبو حيان الأندلسي^٤.

القول التاسع: يعود الضمير إلى الصلاة وحدها؛ لكون الصبر داخل فيها، فهو من أسلوب قوله

تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ

﴿٢٠﴾﴾، ولم يقل يرضوهما؛ لأن رضا الرسول - صلى الله عليه وسلم داخل في رضا الله - عز

وجل -.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، والقرطبي، والألوسي^٥.

التعليق: يتضح من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك تسعة أقوال في مرجع ضمير "إنها" في

الآية، والتي ذكرها المفسرون، والإمام المودودي - رحمه الله - اختار القول الأول منها، حيث

اقتصر بذكره، وهو: "أن الضمير عائد إلى الصلاة"، استنادا في رأيه إلى السياق الذي وردت

فيه الآية الكريمة، فيقول: "يصعب على من لا يطيع أوامر الله - عز وجل -، ولا يؤمن بالآخرة

أن يلتزم بالصلاة، بل إنه يرى فيها معاناة ومشقة لا توصف..."، وإليه ذهب المفسرون أمثال:

الطبري^٦، وأبو حيان الأندلسي^٧، وابن كثير^٨، وغيرهم^٩.

١ سورة البقرة، الآيات ٤٠-٤٥.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ٧٨٨.

٣ انظر: التفسير المظهري: ٦٥٨.

٤ انظر: روح المعاني: ٢٥٠/٨.

٥ انظر: البحر المحیط: ٢٩٩/٨.

٦ سورة التوبة، الآية ٦٢.

٧ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١١٢/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٣/٨، وروح المعاني: ٢٥٠/٨.

٨ انظر: جامع البيان: ١٥/٨.

٩ انظر: البحر المحیط: ٢٩٩/٨.

١٠ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٥٣/٨.

- ١) هو قول التابعي الجليل الإمام مجاهد^١.
- ٢) كون عودة الضمير إلى الصلاة، هو ظاهر الكلام^٢. ولا يجوز العدول عن الظاهر المفهوم من الكلام إلى غيره الذي لا دلالة على صحته^٣. وضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل^٤.
- ٣) خصصت الصلاة بردّ الضمير إليها؛ لعظم شأنها واستجماعها ضروريا من الصبر^٥.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

- "تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم"^٦.
- "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٧.
- "الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه"^٨.

١ ينظر: تفسير الجلالين: ١١٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١، وتفسير السعدي: ٥١/١، والتفسير القرآن للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٨٠/١، والواضح لمحمد محمود الحجازي: ٣٧/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٧/٩، والوسيط لطنطاوي: ١١٣/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤٧/١، وحدائق الروح والريحان لمحمد أمين المرري: ٣٦٧/١.

٢ انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٣/١.

٣ انظر: تفسير الطبري: ١٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١.

٤ انظر: تفسير الطبري: ١٥/١.

٥ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩٩/١.

٦ انظر: تفسير البيضاوي: ٧٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧١/١.

٨ المصدر السابق: ١٣٧/١.

٩ نفس المصدر السابق: ٢٢١/٢.

الآية:

﴿ يَبْقَى إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَى آلِيَّ- أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

مسألة:

ما المراد بـ " الْعَالَمِينَ " في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: " هذه إشارة إلى تلك الفترة التي كان بنو إسرائيل هم الذين يحملون الرسالة السماوية والدعوة الصادقة دون غيرهم من أقوام البشر، فقد كانوا أئمة وهداة للعالمين. وقد وكل الله -عز وجل- إليهم مسؤولية دعوة الناس إلى دين الله وتطبيق أحكامه وقوانينه".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ " الْعَالَمِينَ " في قوله تعالى: ﴿ يَبْقَى إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَى آلِيَّ- أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾. واقتصر ذكره على قول واحد يدل على أنه هو الراجح لديه ووقع اختياره عليه، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ثلاثة أقوال للمفسرين في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: فضلكم على عالمي زمانكم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومنح الملك والسيادة ما لم يزل أحدًا من العالمين، وهذه النعم تشير إليها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾، ولا يلزم من الآية تفضيلهم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

١ تفهيم القرآن: ٧٤/١.

٢ سورة المائدة، الآية ٢٠.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٤/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٢٦/١.

القول الثاني: فضلكم على جميع العالمين بوجه ما من التفضيل بما جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين، وهذا لا يقتضي تفضيلهم على جميع العالمين في جميع الأمور.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وأبو حيان الأندلسي، والشوكاني^١.

ذكره بصيغة التمريض من المفسرين: القرطبي، وابن جزري، وابن كثير^٢.

ورد عليه الإمام ابن كثير قائلا: "وَقِيلَ: الْمُرَادُ تَفْضِيلُ يَنْوَعُ مَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَلَا يَلْزَمُ تَفْضِيلُهُمْ مُطْلَقًا، حَكَاهُ فخرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ وَفِيهِ نَظَرٌ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ فَضِّلُوا عَلَى سَائِرِ الْأُمَّمِ لِأَسْتِمَالِ أُمَّتِهِمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ، حَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ {الْعَالَمِينَ} عَامٌ يَشْتَمِلُ مَنْ قَبْلَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ قَبْلَهُمْ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَمُحَمَّدٌ بَعْدَهُمْ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"^٣.

القول الثالث: فضلكم على الجم الغفير من الناس، وعلى هذا يراد به الكثير لا الكل.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري، والشوكاني^٤.

ورد عليه الإمام الرازي قائلا: "قَالَ قَوْمٌ: الْعَالَمُ عِبَارَةٌ عَنِ الْجَمْعِ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ عَالَمًا مِنَ النَّاسِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْكَثِيرُ لَا الْكُلُّ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ لَفْظَ الْعَالَمِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَمِ وَهُوَ الدَّلِيلُ، فَكُلُّ مَا كَانَ دَلِيلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ عَالَمًا، فَكَانَ مِنَ الْعَالَمِ، وَهَذَا

١ انظر: التفسير الكبير: ٤٩٣/٣.

٢ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٧٧، وتفسير البيضاوي: ٧٧١، وتفسير ابن جزري: ٨٢/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٠٦١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٥/١، والتفسير المظهري: ٦٦١، وتفسير الألوسي: ٢٥٢/١.

٣ انظر على التوالي: التفسير الكبير: ٤٩٣/٣، والبحر المحيط: ٣٠٦١، وفتح القدير: ٩٧١.

٤ انظر على التوالي: تفسير القرطبي: ٣٧٧، وتفسير ابن جزري: ٨٢/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٥/١.

٥ تفسير القرآن العظيم: ٢٥٥/١.

٦ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٣٠٦١، والتفسير المظهري: ٦٦١، وفتح القدير: ٩٧١.

تَحْقِيقُ قَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ: الْعَالَمُ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا لَا يُمْكِنُ تَخْصِيسُ لَفْظِ الْعَالَمِ
بِبَعْضِ الْمَحْدَثَاتِ".^١

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أنّ هناك ثلاثة آراء في المسألة، ووقع اختيار الإمام
المودودي على الأول منها، وهو: "أنّ المراد به تفضيلهم على غيرهم في تلك الفترة التي كانوا
يحملون فيها الرسالة السماوية والدعوة الربانية، وكانوا أئمة وهداة"، فيقول: "هذه إشارة إلى
تلك الفترة التي كان بنو إسرائيل هم الذين يحملون الرسالة السماوية والدعوة الصادقة دون
غيرهم من أقوام البشر، فقد كانوا أئمة وهداة للعالمين. وقد وكلّ الله -عز وجل- إليهم
مسؤولية دعوة الناس إلى دين الله وتطبيق أحكامه وقوانينه"، وإليه ذهب جمهور المفسرين سلفاً
وخلفاً من أمثال: الطبري،^٢ والسمعاني،^٣ والبغوي،^٤ وغيرهم.

الأدلة:

(١) **القرآن:** فضلكم على عالمي زمانكم بما منحكم من الملك والرسول والكتب ما لم
يؤت أحدا من العالمين، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ

١ التفسير الكبير: ٤٩٢/٣-٤٩٣.

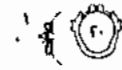
٢ انظر: جامع البيان: ٢٤/١.

٣ انظر: تفسير القرآن: ٧٥/١.

٤ انظر: معالم التنزيل: ١١٢/١.

٥ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٢٦/١، وتفسير البيضاوي: ٧٧/١، وتفسير الخازن: ٤٣/١، وتفسير ابن جزي:
٨٢/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٥/١، وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي: ١٧/١، وتفسير أبي السعود: ٩٧/١،
وتفسير الألوسي: ٢٥٢/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٨٢/١، والتفسير الواضح لمحمد
عمود الحجازي: ٣٦٧/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٧٧/٩، وصفوة التفاسير للصابوني:
٤٨/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٢/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٥٤/١، والتفسير الميسر لنخبة من
أساتذة التفسير: ٧/١، وحدائق الروح والريحان لمحمد أمين الهرري: ٣٦٩/١، والمختصر في تفسير القرآن الكريم
لجماعة من علماء التفسير: ٧/١، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ.

اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ



يقول الحافظ ابن كثير بعد سرد القول الاول: "وَيَجِبُ الْحَمْلُ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى خِطَابًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾".^١

(٢) الحديث؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - أن بني إسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد صلى الله عليه وسلم - . ففي سنن الترمذي عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تَعَالَى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ^١ قال: "أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ".^٢

(٣) هذا القول مروى عن عدد من العلماء والتابعين،^٣ وقال به جمهور المفسرين أيضا. ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".^٤

١ سورة المائدة، الآية ٢٠.

٢ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٣ تفسير القرآن العظيم: ٢٥٥/١.

٤ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٥ يقول الإمام الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ بِهِزِ بْنِ حَكِيمٍ نَحْوَ هَذَا، وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]"، سنن الترمذي: ٢٢٧/٥، برقم (٣٠٠١)، باب: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

٦ هذا الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره وقال عقبه: "وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، وَقَدْ حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ (تفسير القرآن العظيم: ٩٤/٢). ثم قال: "وَالْحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ". (المصدر السابق: ٢٥٥/١).

٧ من هؤلاء: أبو العالية، ومجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة وإسماعيل بن أبي خالد. (انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٥/١).

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^١.
"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم"^٢.
"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^٣.

□

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣١٢/١.

٢ المصدر السابق: ٢٠٦/١.

٣ نفس المصدر السابق: ٢٧١/١.

٤ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

الآية:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١١)

مسألة:

ما المراد بـ "بَلَاءٌ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "فقد كان هذا ابتلاء لكم واختبارا لمعادنكم؛ هل ستخرجون من ناره ذهباً صافياً أم أن لظاه سيحرقكم وتصبحون فحماً أسوداً. والمعجزة كذلك كانت لكم اختباراً؛ هل تصبحون عبيداً شاكرين لله -عز وجل- الذي نجاكم من كيد فرعون وبطشه بهذه المعجزة الفريدة أم أنكم تعصونه وتجدون فضله".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "

بَلَاءٌ" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١١)، إلا أنني وجدت ثلاثة آراء في المسألة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: النعمة والمصيبة والمعنى: وفي سومهم سوء العذاب من التذبيح والإستحياء نعمة من ربكم عظيم.

وذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: النعمة والإحسان، والمعنى: وفي إنجاءكم من آل فرعون نعمة من ربكم عظيم.

وذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ انظر: المحرر الوجيز: ١٤١/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٦٣/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٥٠٧/٣.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٧/١، وتفسير البيضاوي: ٧٩/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/١، والتفسير المظهري لثناء

الله المظهري: ٦٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٥/١، وتفسير الشوكاني: ٩٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٤٩٣/١.

وذكره بصيغة التمريض ورد عليه من المفسرين: الطاهر بن عاشور.
يقول الطاهر بن عاشور: " وَقِيلَ أَرَادَ بِهِ الْإِنجَاءَ وَالْبَلَاءَ بِمَعْنَى اخْتِبَارِ الشُّكْرِ وَهُوَ
بَعِيدٌ هُنَا "°.

القول الثالث: النعمة والنعمة، والمعنى: وفي جملة الأمر من نعمة العذاب ونعمة
الإنجاء إختبار صبركم وشكركم من ربكم عظيم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، والبيضاوي، والألوسي^١.

التعليق: يتوصل من القراءة في السطور السابقة أنّ هناك ثلاثة آراء في المسألة،
والإمام المودودي رجح الرأي الثالث منها مما يتبين من عبارته، وهو: أنّ "بَلَاءٌ"
استخدم هنا بمعنييه؛ لأنّ "البلاء" هو الاختبار والامتحان، والاختبار قد يكون
بالنعمة ليختبر به شكر العبد، وقد يكون بالنقمة ليختبر به صبره، كما قال تعالى:

﴿ وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَمَّا هُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَبَلَوْنَكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾، وهو صحيح من ناحية اللغة
كما ذكره المفسرون، أي: "أنّ في صنيع ال فرعون من سومهم سوء العذاب اختبار
وابتلاء صبركم وفي إنجاءكم من ال فرعون اختبار وابتلاء شكركم"، فيقول: "فقد

١ انظر: جامع البيان: ٤٧٢.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٤١/١.

٣ انظر: زاد المسير: ٦٣/١.

٤ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٠٧/٣، وتفسير القرطبي: ٣٨٧/١، وتفسير البيضاوي: ٧٩/١، وتفسير ابن كثير:

٢٥٩/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٦٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٥/١، وتفسير الشوكاني: ٩٧/١.

٥ التحرير والتنوير: ٤٩٣/١.

٦ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/١، وأنوار التنزيل: ٧٩/١، وروح المعاني: ٢٥٥/١.

٧ سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

٨ سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

٩ انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري: ٤٩٢، وتفسير القرطبي: ٣٨٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:

٣٠٥/١.

كان هذا ابتلاء لكم واختباراً لمعادنكم؛ هل ستخرجون من ناره ذهباً صافياً أم أن لظاه سيحرقكم وتصبحون فحماً أسوداً. والمعجزة كذلك كانت لكم اختباراً؛ هل تصبحون عبداً شاكرين لله -عز وجل- الذي نجاكم من كيد فرعون وبطشه بهذه المعجزة الفريدة أم أنكم تعصونه وتجدون فضله". إلا أنني أرجح الرأي الأول لأدلة أذكرها فيما يلي، وإلى هذا الرأي الأول ذهب المفسرون أمثال: الطاهر بن عاشور، ومحمد عبد اللطيف الخطيب^١، وأبو بكر الجزائري^٢.

الأدلة:

(١) نسب المفسرون أمثال: ابن عطية، والقرطبي، والشوكاني هذا القول إلى الجمهور^٣.

يقول الإمام ابن عطية: "وقال جمهور الناس: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء هنا في الشر، والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان"^٤.

وتابعه في ذلك الإمام القرطبي قائلاً: "وَقَالَ الْجُمْهُورُ: الْإِشَارَةُ إِلَى الذَّبْحِ وَنَحْوِهِ وَالْبَلَاءُ هُنَا فِي الشَّرِّ وَالْمَعْنَى: وَفِي الذَّبْحِ مَكْرُوهٌ وَامْتِحَانٌ"^٥.

ويقول الإمام الشوكاني: "فَرَجَّحَ الْجُمْهُورُ الْأَوَّلَ"^٦.

(٢) هو المعنى المتبادر إلى الذهن.

^١ ومحمد عبد اللطيف الخطيب هو: محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، ولد في القاهرة سنة ١٣٣٨هـ/١٩٠٠م، وتوفي فيها سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، عاش في مصر ولبنان والسعودية، تخرج من مدرسة الحسين فأصبح واحداً من علماء عصره في التفسير وعلوم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الأخرى، وعمل منذ صغره في مطبعة والده (المطبعة المصرية) التي تخصصت في طباعة القرآن الكريم، كان عضواً في الجمعيات والنقابات المختلفة، منها: نقابة الأشراف، وجماعة القرآن الكريم، وجماعة الإخوان المسلمين. من مؤلفاته: "أوضح التفسير"، و"الفرقان في جمع وتدوين القرآن"، و"هذا هو الحق". (انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الإنترنت).

^٢ انظر على التوالي: التحرير والتنوير: ٤٩٣/١، وأوضح التفسير: ١٠/٨، وأيسر التفسير: ٥٤/٨.

^٣ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١٤١/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/٨، وفتح القدير: ٩٧/٨.

^٤ المحرر الوجيز: ١٤١/٨.

^٥ الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/٨.

^٦ فتح القدير: ٩٧/٨.

يقول العلامة الألوسي بعد إيراد الأقوال المختلفة في معنى "بَلَاءٌ": "ويرجح الأول التبادر".^١

(٣) القرينة في السياق: يراد بـ "بَلَاءٌ" هنا المعنى الأول بدليل قوله "عَظِيمٌ".

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وأشهرُ استعمَالِهِ إِذَا أُطْلِقَ أَنْ يَكُونَ لِلشَّرِّ فَإِذَا أَرَادُوا بِهِ الْخَيْرَ احْتَجُّوا إِلَى قَرِينَةٍ أَوْ تَصْرِيحٍ... فَيُطْلَقُ غَالِبًا عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي تَحِلُّ بِالْعَبْدِ لِأَنَّ يَهَا يُخْتَبَرُ مِقْدَارُ الصَّبْرِ وَالْأَنَّةِ وَالْمُرَادُ هُنَا الْمُصِيبَةُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَظِيمٌ".^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٣

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه".^٤

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".^٥

١ روح المعاني: ٢٥٥/١.

٢ التحرير والتنوير: ٤٩٣/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٤ المصدر السابق: ١٣٧/١.

٥ المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الآية

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، يَتَقَوُّوا إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فُتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَفْئَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾ ﴾

مسألة:

من المأمور بقتل نفسه في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي؛ اقتلوا من بينكم كل من اتخذ العجل إلهًا من دون الله وعبده".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- أنه ذكر قولًا واحدًا في المأمور بقتل نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، يَتَقَوُّوا إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فُتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَفْئَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾ ﴾، وهذا هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا الأقوال الثلاثة التالية في هذه المسألة:

القول الأول: المأمور بقتل نفسه الجميع، أي: ليقتل بعضهم بعضًا.

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي.^٢

ورد عليه القاسمي قائلا: "أمر لمن لم يعبد العجل، أعني اللاويين، أن يقتلوا العبد. لا كما فهمه بعضهم من قتل بعضهم بعضًا مطلقًا".^٣

القول الثاني: المأمور بقتل نفسه العابدين من عبدة العجل فحسب،

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي.^٤

١ تفهيم القرآن: ٧٧١.

٢ انظر: على التوالي: زاد المسير: ٦٦١، والجامع لأحكام القرآن: ٤٠٧١، وأنوار التنزيل: ٨١٨، والبحر المحيط: ٣٣٥/١.

٣ محاسن التأويل: ٣٠٧/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٦٦١.

القول الثالث: المأمور بقتل نفسه هم العابدون فقط، أي: ليقتل غير العابدين الأبرياء العابدين المجرمين من إخوانكم ومن أهلكم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك ثلاثة أقوال للمفسرين والإمام المودودي - رحمه الله - رجح القول الثالث حيث ذكره أثناء تفسيره للآية الكريمة، وهو: "أن الله عز وجل أمر أن يقتل غير العابدين (الأبرياء) العابدين للعجل (المجرمين)"، فيقول: "أي؛ اقتلوا من بينكم كل من اتخذ العجل إلهًا من دون الله وعبده"، وإليه ذهب أكثر المفسرين أمثال: البغوي^٥، والخازن^٦، وثناء الله المظهري^٧، وغيرهم^٨.

الأدلة:

- (١) هو قول جمهور المفسرين.
- (٢) **أسلوب القرآن ومعهود استعماله:** استخدم القرآن الكريم كلمة: "نفس" بمعنى الأخوة، والأهل، فلنحو الرجل كأنه نفسه، وأهل الرجل كأنه نفسه، كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وكقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^٩.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^{١٠}.

١ انظر: زاد المسير: ٦٦٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٧٨.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٨٧٨.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣٥٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٧٨.

٥ انظر: معالم التنزيل: ١١٧٨.

٦ انظر: لباب التأويل: ٤٦٨.

٧ انظر: التفسير المظهري: ٧٨.

٨ ينظر: تفسير القاسمي: ٣٠٧٨، وتفسير المراغي: ١٢٠٨، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ١٠٨.

٩ وصفوة التفاسير للصابوني: ٥٠٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٦٠٨، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٧٨.

٩ سورة الحجرات، الآية ١١.

١٠ سورة التوبة، الآية ١٢٨.

ويؤيد هذ القول القواعد الترجيحية التالية:

”تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ“^١.

”حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك“^٢.

١ انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣٥/١، وتفسير المراغي: ١٢٠/١.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٨/١.

٣ المصدر السابق: ١٧٣/١.

الآية:

﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آغْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٦٥)

المسألة:

ما المراد بـ " قِرَدَةً خَاسِئِينَ " في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "وقد اختلف الناس في كيفية انقلابهم إلى القردة. فيرى البعض بأنهم مسخوا وأصبحت أشكالهم وأجسامهم كالقردة تماما. في حين يرى الآخرون بأن صفاتهم تبدلت وأصبحوا كالقردة في الصفات دون الشكل. لكن مما يظهر لي من ألفاظ القرآن وطريقة عرض الصورة أن هذا المسخ لم يكن في الأخلاق وإنما كان في أشكالهم وأجسامهم. فأنا أرى -والله أعلم- أن عقولهم بقيت على ما كانت عليه وأن أجسامهم مسخت قرودا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنهم مسخوا مسخا حقيقيا صوريا يجعل أشكالهم وأجسامهم كالقردة تماما. فذكر قولين؛ حيث رجح قولاً ورد على قول آخر. ووجدت خلال تبعمي للتفاسير أن المفسرين ذكروا هذين القولين في المسألة، اذكرهما هنا بإجمال على النحو التالي:

القول الأول: مسخ الله المعتدين في السبت مسخا حقيقيا صوريا، حيث جعلهم قردة على الحقيقة، وذلك يجعل أشكالهم وأجسامهم قردة صاغرين منبوذين، مع بقاء الإدراك الإنساني. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

^١ تفهيم القرآن: ٨٣/١

^٢ انظر: تفسير ابن عطية: ١٦٠/١.

^٣ انظر: زاد المسير: ٧٤/١.

^٤ انظر: التفسير الكبير: ٥٤١/٣.

^٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٤٤٠/١، وتفسير البيضاوي: ٨٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/١، وتفسير الشوكاني: ١١٣/١، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، وتفسير بيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٢٨/١.

القول الثاني: مسخهم الله مسخاً معنوياً، حيث مسخت قلوبهم فقط وذلك برد قلوبهم أو أفهامهم كقلوب القردة أو أفهامها مع بقاء الهيكل الإنساني فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٢، والبيضاوي^٣، وابن كثير^٤، وغيرهم. ومن ذكره بصيغة التمريض من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي^٥.

كما رد عليه بعض المفسرين مثل: ابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير.

يقول الإمام ابن الجوزي بعد ذكر القول الأول: "وعلى هذا القول العلماء غير ما روي عن مجاهد أنه قال: مسخت قلوبهم ولم تمسخ أبدانهم، وهو قول بعيد"^٦.

ويقول الإمام القرطبي: "وَرَوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ إِنَّمَا مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَطْ، وَرَدَّتْ أَفْهَامُهُمْ كَأَفْهَامِ الْقِرَدَةِ. وَلَمْ يَقْلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِيمَا أَعْلَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"^٧.

ويقول الإمام ابن كثير بعد ذكر قول مجاهد بسند عن أبي حاتم وابن جرير: "وَهَذَا سَنَدٌ جَيِّدٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَوْلٌ غَرِيبٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ مِنَ السِّيَاقِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَفِي غَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ"^٨.

١ سورة الجمعة، الآية ٥.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٥٤٧/٣.

٣ انظر: تفسير البيضاوي: ٨٥/٨.

٤ انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٩/١ وما بعدها.

٥ ينظر: تفسير الشوكاني: ١١٣/١-١١٤، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/١.

٦ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١٦١/٨، وزاد المسير: ٧٤/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٤٤٣/١، والبحر المحيط: ٣٩٧/١.

٧ زاد المسير: ٧٤/١.

٨ الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٣/١.

٩ سورة المائدة، الآية ٦٠.

ثم ذكر أقوال العلماء في كونهم مسخوا صورياً ويقول: "قلت: وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ بَيَانُ خِلَافِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مِنْ أَنَّ مَسْخَهُمْ إِنَّمَا كَانَ مَعْنَوِيًّا لَأَنَّ صُورِيًّا بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَعْنَوِيٌّ صُورِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^١

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة في المراد بقوله تعالى: "قِرَّةٌ خَاسِيَيْنَ" أن الإمام المودودي -رحمه الله- يرى أنهم مسخوا مسخاً حقيقياً صورياً يجعل أشكالهم وأجسامهم كالقروود تماماً، فيقول: "لكن مما يظهر لي من ألفاظ القرآن وطريقة عرض الصورة أن هذا المسخ لم يكن في الأخلاق وإنما في أشكالهم وأجسامهم. فأنا أرى -والله أعلم- أن عقولهم بقيت على ما كانت عليه وأن أجسامهم مسخت قرووداً"، وأما ما روي عن مجاهد فقد ذكره البعض بصيغة التمريض ورد عليه عدد آخر من المفسرين، والإمام المودودي -رحمه الله- رجح أن المسخ كان حقيقياً صورياً؛ لأنه يظهر من ألفاظ القرآن، وطريقة عرضه للصورة عبر السياق القرآني الخاص، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الثعلبي، والبغوي، وابن عطية، وغيرهم.^٢

الأدلة:

(١) **القرآن:** يشهد له قوله تعالى: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ".^٣

١ تفسير القرآن العظيم: ٢٨٩/١ وما بعدها.

٢ انظر: الكشف والبيان: ٢١٢/١.

٣ انظر: معالم التنزيل: ١٢٦٧-١٢٧.

٤ المحرر الوجيز: ١٦٧/١.

٥ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٧٤/١، والتفسير الكبير للرازي: ٥٤١/٣، وتفسير القرطبي: ٤٤٠/١، وتفسير

البيضاوي: ٨٥/١، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/١، وتفسير الشوكاني: ١١٣/١، وتفسير الألوسي:

٢٨٣/١، وتفسير القاسمي: ٣٢٢/١، وبيان القرآن لأشرف على التهانوي: ٣٨/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد

الكريم الخطيب: ٩٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/١، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيع: ٢٤٣/١،

ومعارف القرآن لإدريس كاندهلوي: ١٥٠/١-١٥١، والتفسير الميسر لنخبة من العلماء: ١٠/١، وأيسر التفاسير

للجزائري: ٦٦٧، وصفوة التفاسير للصابوني: ٥٧/١، وتفسير القرآن الكريم للشيخ أبي زكريا عبد السلام

الرستمي، (بلغة البشتو) ص ٤٠، الطبعة الأولى نوفمبر ٢٠٠٢م/رمضان المبارك ١٤٢٣هـ دار السلام.

٦ سورة المائدة، الآية ٦٠.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^١

- (٢) هو قول جمهور المفسرين.^١
- (٣) رد بعض المفسرين الجهابذة على أصحاب غير هذا القول حيث اعتبر هذا من شذوذ الإمام مجاهد كما أشار إليه الإمام القرطبي، حيث يقول ما نصّه: "وَرُوِيَ عَن مُجَاهِدٍ لِي تَفْسِيرٍ هَذِهِ آيَةٌ أَنَّهُ إِنَّمَا مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَطْ، وَرَدَّتْ أَفْهَامُهُمْ كَأَفْهَامِ الْقِرْتَةِ. وَلَمْ يَقْلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِيمَا أَعْلَمُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^٢
- (٤) ولكون جواز المسخ، أمكن إجراء الآية على ظاهرها، ولم تبق حاجة إلى التأويل الذي ذكره الإمام مجاهد.^٣
- (٥) ظاهر القرآن أنهم مسخوا قرّة على الحقيقة.^٤
- (٦) العيش في صور القروذ بمشاعر الإنسان من أبشع الصورة وأخسها. وهو العذاب الأخرى.^٥
- (٧) هذا القول أظهر في العبرة لأن فيه اعتبارهم بأنفسهم واعتبار الناس بهم بخلاف الثاني.^٦

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ".^٧

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية أخرى مقدّم على ما عدّم ذلك".^٨

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٢ انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٧٤/١، وتفسير القرطبي: ٤٤٣/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/١.

وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/١.

٣ الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٣/١.

٤ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٤١/٣.

٥ تفسير الألوسي: ٢٨٣/١.

٦ انظر: التفسير القرآني للقرآن: ٩٤/١ بتصرف.

٧ تفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/١ بتصرف يسير.

٨ قواعد الرجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٨/١.

٩ المصدر السابق: ٣٦٢/١.

الآية:

﴿ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٢)

المسألة:

ما مرجع ضمير "بِبَعْضِهَا" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "عادت الحية إلى المقتول؛ هذا هو المعنى الصريح في الآية، فأصبح الرجل حيا يعي كل شيء وظل كذلك إلى أن دلّ على القاتل. لكن العمل الذي قام به القوم للوصول إلى هذا الهدف، أي "اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" أشكل على بعض الناس. وأرى بأن ما رآه أسلافنا من المفسرين هو الأقرب إلى الصواب. أي أمروا أن يضربوا جسد المقتول بشيء من لحم تلك البقرة التي أمروا بذبحها في الآيات السابقة. وبذلك كأننا صدنا عصفورين بحجر واحد: أحدهما؛ أنهم رأوا آية من آيات الله -عز وجل- . والآخر: وقع الفأس على مفرق تلك العقيدة التي كانت ترى في البقرة شأنا وقدسيتها ترشحها للعبادة والألوهية. فعلم الناس أنها لو كانت آلهة تملك شيئا من القوة لكانت تنزل عليهم الكوارث والمصائب وتسلب عنهم حياتهم، لا أن يجني الناس من ذبحها فوائد، ويستفيدوا من قتلها!"^١.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه رجح واختار رأي الأسلاف من المفسرين؛ ويتبين منه أن مرجع الضمير "بِبَعْضِهَا" في قوله تعالى: "قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" يرجع إلى البقرة، ولقد صرح بذكر القول الذي اختاره، وبين دليله وأشار إلى أن هناك أقوالا أخرى في المسألة أيضا، ووجدت خلال تبعمي للتفاسير أن المفسرين ذكروا القولين في المسألة، أذكرهما هنا بإجمال على النحو التالي:

القول الأول: إن الضمير عائد في "بِبَعْضِهَا" على البقرة، والمعنى: أمرهم أن يضربوا القاتل ببعض أجزاء، أو أعضاء من هذه البقرة المذبوحة، فيبعثه الله حيا، ويخبركم عن قاتله. ثم اختلف العلماء في البعض الذي ضرب به القاتل، فقال بعضهم: إنه ضرب بفخذ البقرة. وقال الآخرون: بالبضعة التي بين الكتفين. وقال الآخرون: بعظم من عظامها. وقال الآخرون: بأذنها. وقال الآخرون: بذنبها. وقال الآخرون: بلسانها.

١ تفهيم القرآن: ٨٧/١

٢ انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩٢-٢٣١، وتفسير الماوردي: ١٤٣/١، وتفسير ابن كثير: ٣٠٣/١.

إلا أن ظاهر الآية لا يدل على تخصيص عضو من أعضائه، ولا فائدة في تخصيصه، ولم يرد به نقل صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم^١.

قال الإمام الطبري بعد ذكر الأقوال المختلفة في القضية: "والصواب من القول في تأويل قوله عندنا: "فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا"، أن يقال: أمرهم الله -جل ثناؤه- أن يضربوا القتل ببعض البقرة ليحيا المضروب. ولا دلالة في الآية، ولا خبر تقوم به حجة، على أي أعضائها التي أمر القوم أن يضربوا القتل به. وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أعضائها. ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله"^٢. وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هَذَا الْبَعْضُ أَي شَيْءٌ كَانَ مِنْ أَعْضَاءِ هَذِهِ الْبَقَرَةِ فَالْمُعْجِزَةُ حَاصِلَةٌ بِهِ. وَخَرَقُ الْعَادَةِ بِهِ كَائِنٌ، وَقَدْ كَانَ مُعَيَّنًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ فِي تَعْيِينِهِ لَنَا فَائِدَةٌ تَعُودُ عَلَيْنَا فِي أَمْرِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا لَبَيَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا، وَلَكِنْ أَبْهَمَهُ، وَلَمْ يَجِئْ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ عَنِ مَعْصُومٍ بَيَانُهُ فَنَحْنُ نُبْهَمُهُ كَمَا أَبْهَمَهُ اللَّهُ"^٣. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٤، وابن عطية^٥، وابن الجوزي^٦، وغيرهم^٧.

١ انظر للمزيد من التفصيل: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢، وتفسير الراغب: ٢٣٠/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.

وتفسير الألوسي: ٢٩٣/٨.

٢ جامع البيان: ٢٣٦/٢.

٣ تفسير القرآن العظيم: ٣٠٢/٨.

^٤ انظر: جامع البيان: ٢٢٩/٢.

^٥ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/٨.

^٦ انظر: زاد المسير: ٧٩/٨.

^٧ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٥٣/٣، وتفسير القرطبي: ٤٥٧/٨، وتفسير البيضاوي: ٨٧/٨، وتفسير ابن جزي:

٨٧/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٢٠/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨، وتفسير الألوسي: ٢٩٣/٨، وتفسير

بيان القرآن لأشرف على التهانوي: ٤٠/٨.

القول الثاني: إن الضمير عائد في "يَبْعُضُهَا" على النفس المقتولة، وعن انفراد بذكر هذا القول من المفسرين: الشيخ عبد السلام الرستمي^١. ولعلّ السبب في ذلك -والله أعلم- أنهم يبتغون بهذا التأويل أن يثبتوا عقيدة التوحيد ولا يترك مجالاً للشبهة في هذا الباب.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أنّ الشيخ المودودي يرى بأنّ مرجع الضمير في قوله تعالى: "يَبْعُضُهَا" في قوله تعالى: "فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ يَبْعُضُهَا" يرجع إلى البقرة، فيقول: "...أي اضْرِبُوهُ يَبْعُضُهَا" أشكل على بعض الناس. وأرى بأن ما رآه أسلافنا من المفسرين هو الأقرب إلى الصواب. أي أمروا أن يضربوا جسد المقتول بشيء من لحم تلك البقرة التي أمروا بذبحها في الآيات السابقة. وبذلك كأننا صدنا عصفورين بحجر واحد: أحدهما؛ أنهم رأوا آية من آيات الله -عز وجل-، والآخر؛ وقع الفأس على مفرق تلك العقيدة التي كانت ترى في البقرة شأنًا وقدسًا ترشحه للعبادة والألوهية. فعلم الناس أنها لو كانت آلهة تملك شيئاً من القوة لكانت تنزل عليهم الكوارث والمصائب وتسلب عنهم حياتهم، لا أن يجني الناس من ذبحها فوائد، ويستفيدوا من قتلها!، واستند في ذلك إلى الاعتماد على رأي الأسلاف المتقدمين، ومستفيداً من الدليل العقلي الذي لطلما كان أحد المستندات الواضحة في منهج الشيخ

١ انظر: تفسير القرآن الكريم، ص ٤٢.

وعبد السلام الرستمي هو: الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام بن الشيخ عبد الرؤوف الرستمي الباكستاني، ولد في أسرة متدينة في قرية رستم من مضافات محافظة مردان بولاية خيبر فختونخوا، تخرج من المدارس الدينية المختلفة، حيث تعلم فيها علم التفسير والحديث والعربية والمنطق والفقه، ثم قام بتدريس ترجمة القرآن الكريم وتفسيره وبعض الكتب الفقهية من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يقوم بإلقاء الخطب والمحاضرات الدعوية والإصلاحية في بعض المناسبات، كما قام بتأسيس مدرسة عظيمة باسم "الجامعة العربية لإشاعة التوحيد والسنة"، حيث درس فيها آلاف، وخاصة في دورة التفسير في شهري شعبان ورمضان كل سنة، وأسس منظمة باسم "إشاعة التوحيد والسنة على منهج السلف"، وأسس مجلة شهرية باسم "سيرة السلف" كذلك، وقد ألف عشرات من الكتب العلمية باللغة العربية، والفارسية، والأردية، والبشتوية، منها: "تفسير القرآن الكريم" بلغة البشتو، و"تنشيط الأذهان في أصول القرآن"، باللغة العربية، و"ترجمة درر منظومات"، باللغة الفارسية، و"إنكار حديث سي إنكار قرآن تك"، باللغة الأردية. توفي سنة ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م بعد معاناة لمرض طويل الأمد. (الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام الرستمي -رحمه الله- ملقأ أهل الحديث -على الإنترنت).

المودودي. وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الطبري^١، والسمعاني^٢، والراغب الأصفهاني^٣، وغيرهم^٤. أمّا القول الثاني فلم يذكره السلف وإنما انفرد به المفسرون المتأخرون أمثال الشيخ عبد السلام الرستمي - رحمه الله - ومن سار مسيرته خلفاً من المفسرين، والله أعلم.

الأدلة:

- (١) هو قول جمهور المفسرين.
- (٢) القول الثاني لم يذكره أحد من السلف فيما أعلم - والله أعلم -.
- (٣) اللغة العربية: القول الثاني ضعيف من حيث اللغة؛ وذلك لأنّ الجملة تحتوي على ضميرين: أحدهما للمذكر والآخر للمؤنث، وعلى أساس هذا القول يرجح الضميران إلى مرجع واحد. وهذا هو جانب الضعف فيه؛ لأنّ الأصل في اللغة العربية أن يتعدّد مرجع الضمائر المختلفة، فيعود كلّ ضمير إلى مرجعه الذي يُناسبه، كما هو الحال مع القول الأول الذي يرى أنّ ضمير المذكر يرجع إلى الميّت وأنّ ضمير المؤنث يرجع إلى البقرة. ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٥
"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذ".^٦

^١ انظر: جامع البيان: ٢٣٦/٢.

^٢ انظر: تفسير القرآن: ٩٤/١.

^٣ انظر: تفسير الراغب: ٢٣٠/١.

^٤ ينظر: تفسير البغوي: ١٣٠/١، وتفسير ابن عطية: ١٦٥/١، والتفسير الكبير للرازي: ٥٥٣/٣، وتفسير القرطبي: ٤٥٧/١، وتفسير البيضاوي: ٨٧/١، وتفسير النسفي: ١٤٥/١، وتفسير الخازن: ٥٣/١، وتفسير ابن جزّي: ٨٧/١، والبحر المحيظ لأبي حيان الأندلسي: ٤٢٠/١، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/١، وتفسير أبي السعود: ١١٤/١، وتفسير الألوسي: ٢٩٣/١، وتفسير القاسمي: ٣٢٨/١، وتفسير بيان القرآن لأشرف على التهانوي: ٤٠/١، وتفسير المراغي: ١٤٥/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٧٩/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٩٧/١، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٤٢/١، ومعارف القرآن لإدريس كاندعلوي: ١٥١-١٥٠/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف بن الخطيب: ١٣/١، والموسوعة القرآنية لعبد الكريم الخطيب: ٩٢/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٧/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٧٧/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٥٩/١، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ١٧/١.

^٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧٧/١.

الآية:

﴿ أَفَنظَّمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

مسألة:

ما المراد بـ "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "فَرِيقٌ مِنْهُمْ": هم علماءهم وأصحاب الشريعة فيهم... وكذلك يطلق "التحريف" على التغيير في الألفاظ وتبديلها. وقد حرف علماء بني إسرائيل معاني كلام الله ومفاهيمه كما حرفوا ألفاظه وكلماته".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" في قوله تعالى: "وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ"، ولم يعرض أقوالاً أخرى للمفسرين، مما يدل على أن القول الذي ذكره، وركز عليه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا أربعة أقوال في المسألة، أذكرها هنا بإجمال على النحو التالي:

القول الأول: يُراد بهم هنا: طائفة من أسلافهم (اليهود)، وهم أحبارهم وعلمائهم الذين كانوا يسمعون كلام الله (التوراة) ثم يحرفونه ويكتمونه ويؤولونه تأويلاً فاسداً باطلاً، كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - في التوراة ونحوه. الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، وأبو حيان الأندلسي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: يُراد بهم هنا: السبعون المختارون من أهل الميقات الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى -عليه السلام- بالطور، وما أمر به ونهى، ثم بدلوه وحرفوه بعد ذلك، حيث قالوا:

١ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٢ تفهيم القرآن: ٨٧/١.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٤٦٢.

٤ انظر: زاد المسير: ٨٠/١.

٥ انظر: البحر المحيط: ٤٣٩/١.

٦ ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٨/١، وتفسير الألوسي: ٢٩٧/١، وتفسير بيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٤٢/١.

سمعنا الله تعالى يقول في آخره: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن الزمخشري، والألوسي ذكر هذا القول بصيغة التمریض^٥.

ورد عليه الأئمة: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي.

يرد القاضي ابن عطية على هذا القول قائلاً: "وفي هذا القول ضعف، ومن قال إن السبعين

سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم"^٦.

ويرد عليه ابن الجوزي قائلاً: "وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي صاحب "النوادر"

هذا القول إنكاراً شديداً، وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة؟ وجعل هذا من

الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً"^٧.

كما يرد عليه القرطبي حيث يقول: "وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ما

سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم"^٨.

ويرد عليه أيضاً أبو حيان الأندلسي، فيقول: "وقد أنكر أن يكونوا سمعوا كلام الله تعالى. قال

ابن الجوزي: أنكر ذلك أهل العلم، منهم الترمذي، صاحب النوادر، وقال: إنما خص موسى

عليه السلام بالكلام وحده"^٩.

١ انظر: الكشاف للزمخشري: ١٥٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٤٧/٢.

٣ انظر: زاد المسير: ٨٠/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٥٦٠/٣.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ١/٧٢، والبحر المحیط لأبي حيان الأندلسي: ٤٣٩/١، وتفسير ابن كثير: ٣٠٧/١، وتفسير

بيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٤٢/١.

٦ انظر: الكشاف: ١٥٦/١، وروح المعاني: ٢٩٩/١.

٧ المحرر الوجيز: ١٦٧/١.

٨ زاد المسير: ٨٠/٨.

٩ الجامع لأحكام القرآن: ٢/٢.

١٠ البحر المحیط: ٤٣٩/١.

ويرد الألوسي عليه قائلا: "ومقتضى هذه الرواية أن هؤلاء سمعوا كلامه تعالى بلا واسطة كما سمعه موسى عليه السلام، والمصحح أنهم لم يسمعوا بغير واسطة، وأن ذلك مخصوص به عليه السلام".^١

القول الثالث: يُراد بهم هنا: جماعة من اليهود الذين عاصروا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا يسمعون الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم - فيحرفونه، وهدفهم من هذا الإدخال في الدين ما ليس فيه، والتضاد في أحكامه.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، والألوسي، وذكره الألوسي بصيغة التمريض.^٢

القول الرابع: يُراد بهم هنا: كل من حرّف في التوراة شيئا حكما أو غيره كفعلهم في آية الرجم ونحوها.^٣

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي.^٤

التعليق: يظهر من القراءة في الدراسة المذكورة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون قولاً واحداً، حيث ركز عليه، ولم يول الأقال الأخرى اهتماماً مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد بهؤلاء "علمائهم وأصحاب الشريعة فيهم... وكذلك يطلق "التحريف" على التغيير في الألفاظ وتبديلها. وقد حرف علماء بني إسرائيل معاني كلام الله ومفاهيمه كما حرفوا ألفاظه وكلماته"، واعتمد في هذا المعنى على السياق العام الذي وردت فيه الآيات التي تتحدث عن التحريف والتغيير اللذين كانا شيمة من شيم علماء بني إسرائيل الواضحة. وإليه ذهب جمهرة من المفسرين أمثال: الزمخشري، وابن الجوزي، والبيضاوي، وغيرهم.^٥

١ روح المعاني: ٢٩٩/١.

٢ انظر: البحر المحيط: ٤٣٩/١، وروح المعاني: ٢٩٧/١.

٣ تفسير ابن عطية: ١٦٧/١.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٧/١، والبحر المحيط: ٤٣٩/١.

٥ انظر: الكشاف: ١٥٦/١.

٦ انظر: زاد المسير: ٨٠/١.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ٨٩/١.

الأدلة:

- (١) هو قول الجمهور. يقول الإمام ابن جزى أثناء حديثه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"^١.
- (٢) السياق.
- (٣) عدم تعرضه للردّ والنقد.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذ"^٢.

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"^٣.

١ ينظر: تفسير النسفي: ١٠٢/١، وتفسير الثعلبي: ٢٢٢/١، وتفسير الجلالين: ١٦١، وتفسير الألوسي: ٢٩٧/١، وتفسير المراغي: ١٤٩/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٨٤/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١١١، والوسيط لطنطاوي: ١٧٩/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٩٦/١، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ١١/١.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٨٧/١.

^٤ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

مسألة:

ما المراد بـ "ما" في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ في الآية؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كان اليهود ينتظرون مبعث رسول ورد ذكره في كتبهم بلهفة وشوق. وكانوا يبالغون في الدعاء والتضرع ليعجل في بعثة هذا الرسول ليخلصهم من غلبة الكفار وليعلمي من شأنهم. وكان أهل المدينة قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يشاهدون لهفة اليهود وشدة شوقهم وانتظارهم لهذا النبي القادم، فقد كان أمل قدومه يهب لهم الحياة، ويبث فيهم الرجاء، وبه كانوا يهددون أعداءهم، فظالما رددوا على مسامح أهل المدينة: "لا بأس! فلنتظلموا علينا كما يجلو لكم، ولما يأتي الرسول الذي وعدنا به فسوف نتقم من كل من ظلمنا". لقد سمع أهل المدينة هذا التهديد منهم مرات وكرات، ولما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل المدينة وعرفوا فيه تلك الصفات التي كان اليهود يتصفون بها قالوا فيما بينهم: هلموا إليه، وإياكم ثم إياكم أن يسبقكم اليهود. هيا نؤمن به قبل اليهود. لكن ظل هذا الأمر موضع استغراب وتعجب منهم أن وجدوا نفس اليهود الذين كانوا في أشد الانتظار لمقدم هذا الرسول انقلبوا عليه جملة واحدة وألوا على أنفسهم أن يجحدوه وأن يعادوه.

وتشهد وقائع كثيرة حدثت في تلك الفترة، على أنهم عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم حق معرفته، ولم يكونوا في شك من أمره أبدا. ولعل من أقوى تلك الأدلة هي تلك الشهادة التي

١ ومن هذه الوقائع ما ذكره ابن هشام في سيرته، حيث يقول: "قال ابن إسحاق: وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل: ويشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة، يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا. فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفوننا لنا بصفته، فقال سلام بن بشكم، أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من

شهدت بها أم المؤمنين صفية رضي الله عنها. فقد كانت صفية بنت أحد علماء اليهود، وكان عمه كذلك من أبرز علماء القوم. فهي تقول: لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، ذهب أبي وعمي للقاءه. وتحدثا معه طويلا، ولما عادا إلى البيت سمعتهما يتحدثان فيما بينهما. فقال عمي: ما رأيك، أحقا هو ذلك النبي الذي ورد ذكره في كتبنا؟ فقال أبي: إيه والله، إنه هو. فقال عمي: هل أنت موقن لما تقول؟ فقال أبي: نعم. فقال عمي: فماذا ستصنع؟ فرد أبي: والله لأعادين دعوته ولأخالفن أمره ما بقي في رمق من الحياة. (انظر: ابن هشام، الجزء الثاني، ص/١٦٥، الطبعة الجديدة) "١".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "مَا" في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٨١) ، إلا أنني وجدت أربعة أقوال للمفسرين في المراد بـ "مَا" في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على الوجه التالي:

قَوْلِهِمْ: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ، ٢: ٨٩". (السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمل الدين: ٥٤٧/١، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر).

١ عبارة السيرة النبوية لابن هشام: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ بِنِ حَزْمٍ قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَحَبُّ وَوَلَدِ أَبِي إِلَيْهِ، وَإِلَى عَمِّي أَبِي يَاسِرٍ، ثُمَّ أَلْفَهُمَا قَطُّ مَعَ وَلَدِهِمَا إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبٍ، مُغْلَسِينَ. قَالَتْ: فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قَالَتْ: فَأَتَيْتَا كَاتِلَيْنِ كَسَلَتَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمُشِيَانِ الْهُوَيَّتِي. قَالَتْ: فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَاللَّهِ مَا تَلَفَّتْ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْعَنَمِ. قَالَتْ: وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ: أَهْوُ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُشِيئُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عَدَاؤُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ". المصدر السابق: ٥١٨-٥١٩.

٢ تفهيم القرآن: ٩٣/٨-٩٤.

القول الأول: يراد به محمد صلى الله عليه وسلم، أي: فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم - الذي عرفوه حق المعرفة بنعته وصفته، كفروا به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: يراد به الكتاب، أي: فلما جاءهم الكتاب الذي عرفوه كفروا به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، والألوسي، والطاهر بن عاشور^٥.

القول الثالث: يراد به الكتاب والنبي أي: فلما جاءهم الكتاب والنبي الذين عرفوهما كفروا بهما.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: السعدي، والطاهر بن عاشور^٦.

القول الرابع: يراد به الحق ويندرج تحته القرآن، والإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم، أي: فلما جاءهم ما عرفوا من القرآن وما تضمنته، والإسلام، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم - كفروا بكل ذلك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جزى، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^٧.

التعليق: يتضح من الدراسة المذكورة أنّ هناك أربعة أقوال في المسألة، والإمام المودودي ذكر واحدا منها وركز عليه مما يدلّ على أنّه هو الراجح لديه، وهو أنّ المراد بـ "مَا" المذكورة في الآية، "نبينا محمد صلى الله عليه وسلم" - حيث أنّهم عرفوه حق معرفته، ولم يكونوا في شك من أمره أبداً، ويستدل على رأيه بأنّ اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم - الذي ورد ذكره في كتبهم في شدة شوق وانتظاره وببالغون في الدعاء ليعجل في بعثته ليخلصهم من

١ انظر: جامع البيان: ٣٣٢/٢ وما بعدها.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٢.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٩٣/١.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٨٧/١، وتفسير ابن كثير: ٣٢٥/١ وما بعدها، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٩٥/١، وتفسير الألوسي: ٣٢٠/١.

٥ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٤٨٧/١، وروح المعاني: ٣٢٠/١، والتحرير والتنوير: ٦٠١/١.

٦ انظر: تيسير الكريم المتان في تفسير كلام المتان: ٥٨/١، والتحرير والتنوير: ٦٠١-٦٠٢.

٧ انظر على التوالي: التسهيل لعلوم التنزيل: ٨٩/١، والبحر المحيط: ٤٨٧/١، وروح المعاني: ٣٢٠/١.

غلبة عدوهم، ويهددون عدوهم بمجنية صلى الله عليه وسلم - وكان أهل المدينة يشاهدون شوقهم وانتظارهم لهذا النبي، ويعضد رأيه بواقعة من وقائع تلك الفترة، ويعتبرها من أقوى الأدلة؛ لأنها الشهادة التي شهدت بها أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها^١، وإليه ذهب جمهور المفسرين: أمثال: الطبري^٢، والبغوي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم^٥.

الأدلة:

(١) هو قول الجمهور.

(٢) الخبر: "قال ابن جرير: حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفيهم - يعني في الأنصار، وفي اليهود = الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة = يعني: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قالوا: كنا قد علوناهم دهرا في الجاهلية - ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب - فكانوا يقولون: إن نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عاد وإرم. فلما بعث الله - تعالى ذكره - رسوله من قريش واتبعناه، كفروا به. يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^٦ ١٧٦".

١ لم أذكر عبارة "تفهيم القرآن" لطوله.

٢ انظر: جامع البيان: ٣٣٢/٢ وما بعدها.

٣ انظر: معالم التنزيل: ١٤٢/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٢.

٥ ينظر: تفسير البيضاوي: ٩٣/١، وتفسير الخازن: ٦٠/١، وتفسير ابن كثير: ٣٢٥/١ وما بعدها، وتفسير الجلالين: ١٩/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٩٥/١، وتفسير المراغي: ١٦٧/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١٠٩/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٦/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٦٧/١، والمنير لوحة الزحيلي: ٢١٩/١.

٦ جامع البيان: ٣٣٢/٢ - ٣٣٣.

٧ يعلق الشيخ أحمد على هذا الخبر في هامش تفسير الطبري، حيث يقول: "الخبر: ١٥١٩ - هذا له حكم الحديث المرفوع، لأنه حكاية عن وقائع في عهد النبوة، كانت سببا لنزول الآية، تشير الآية إليها. الرجاء أن

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ"^١.

"إذا صحّ سبب نزول الصريح فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير"^٢.

يكون موصولاً. لأنّ عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري الظفري المدني: تابعي ثقة، وهو يحكي عن "أشياخ منهم"، فهم آله من الأنصار. وعن هذا رجحنا اتصاله". جامع البيان: ٣٣٣/٢.

١ وقد أورد هذا الخبر الإمام ابن هشام في سيرته والإمام ابن كثير في تفسيره أيضاً. (السيرة النبوية لابن هشام: ٥٤١/١-٥٤٢، وتفسير القرآن العظيم: ٣٣٥/١).

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٣ المصدر السابق: ٢٤١/١.

الآية:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١١٣)

مسألة:

ما المراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي؛ مشركي العرب".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في قوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"، إلا أنني وجدت أن للمفسرين خمسة أقوال في معنى "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" الوارد في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال:

القول الأول: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" كفار العرب ومشركيهم الذين لا كتاب لهم. قالوا في نبيهم محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه: ليسوا على شيء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" أمم كانت قبل اليهود والنصارى.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، وابن عطية^٦، وابن الجوزي^٧، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ١٠٤/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٥١٧/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/١.

٤ انظر: زاد المسير: ١٠٢/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢، وتفسير ابن جزي: ٩٤/١، والبحر المحيط لأبي

حيان الأندلسي: ٥٦٥/١، وتفسير ابن كثير: ٣٨٧/١، وتفسير الشوكاني: ١٥٢/١، وبيان القرآن لأشرف على

التهانوي: ٤٠/١، وتفسير القرآن الكريم لعبد السلام الرستمي، ص ٤٢.

وذكره الإمام الخازن بصيغة التمريض^٥.

القول الثالث: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" عوام اليهود والنصارى الذين لا علم عندهم.

وذكر هذا القول ورد عليه الرازي قائلا: "... ويحمل قوله: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَلَى عَوَامِهِمْ فَصَلًا بَيْنَ خَوَاصِهِمْ وَعَوَامِهِمْ، وَالأَوَّلُ أَقْرَبُ: لِأَنَّ كُلَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى دَخَلُوا فِي آيَةِ فَمَنْ مَيَّزَ عَنْهُمْ يَقُولُهُ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُمْ"^٦.

وذكره بصيغة التمريض: الشوكاني^٧.

القول الرابع: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" اليهود.

وذكر هذا القول ورد عليه القاضي ابن عطية قائلا: "وقال قوم: المراد اليهود، وكأنه أعيد قولهم". قال القاضي أبو محمد- يريد به ابن عطية-: "وهذا ضعيف"^٨. وذكره أبو حيان الأندلسي أيضاً.

القول الخامس: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" كل من مشركي العرب وأمم كانت قبل اليهود والنصارى وغيرهم الذين لا علم عندهم ولا كتاب قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شيء. وعن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه الأئمة: الطبري^٩، والبيضاوي^{١٠}، وابن كثير^{١١}.

١ انظر: جامع البيان: ٥١٧/٢.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/١.

٣ انظر: زاد المسير: ١٠٢/١.

٤ التفسير الكبير: ١٠/٤.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢، وتفسير الخازن: ٧٧/١، وتفسير ابن جزي: ٩٤/١، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٥/١، وتفسير ابن كثير: ٣٨٧/١.

٦ انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/١.

٧ التفسير الكبير: ١٠/٤.

٨ انظر: فتح القدير: ١٥٢/١.

٩ المحرر الوجيز: ١٩٩/١.

١٠ البحر المحييط: ٥٦٥/١.

١١ انظر: جامع البيان: ٥١٧/٢.

١٢ انظر: تفسير البيضاوي: ١٠١/١.

١٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٨٧/١.

التعليق: وهكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون قولاً واحداً، ولم يول الأَقوال الأخرى اهتماماً كبيراً مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، وهو أن يكون المراد بهؤلاء "مشركو العرب"، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

الأدلة:

(١) **القرآن:** **إِطْلُقُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَارِدٌ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ يَدْلِيلُ قَوْلِهِ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ^١ يَعْنِي كَذَلِكَ قَالَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَذَّبُوا الْأَدْيَانَ كُلَّهَا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّشْبِيهِ تَشْوِيهِ الْمُشْبِيهِ بِهِ بِأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِقَوْلِ أَهْلِ الضَّلَالِ الْبَحْتِ. وَهَذَا اسْتِطْرَافٌ لِلانْحَاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِيمَا قَابَلُوا بِهِ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، أَي قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مَقَالَةِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ مَقَالَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ^٢.**

١ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/١.

٢ انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤.

٣ الجامع لأحكام القرآن: ٧٢/٢.

٤ ينظر: تفسير الخازن: ٧٧/١، وتفسير ابن جزى: ٩٤/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٥/١، وتفسير الشوكاني: ١٥٢/١، والتفسير الواضح لمحمود الحجازي: ٦٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٦٧٧/١، والموسوعة القرآنية لعبد الكريم الخطيب: ١١٠/٩، وصفوة التفاسير للصابوني: ٧٧/١.

٥ سورة البقرة، الآية ١١٨.

٦ سورة البقرة، الآية ١١٨.

٧ سورة الأنعام، الآية ٩١.

٨ تفسير الطاهر بن عاشور: ٦٧٧/١ بتصرف يسير.

يقول الإمام ابن جزري عن هذا الجانب: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^١

- (٢) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".
(٣) القرينة في السياق. المراد بهم مشركو العرب وكفارهم؛ لأنهم لا كتاب لهم، فهم لا يعلمون.

يقول الإمام الرازي: "وَالأَوَّلُ أَقْرَبُ: لِأَنَّ كُلَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى دَخَلُوا فِي الْآيَةِ فَمَنْ مَيَّزَ عَنْهُمْ يَقُولُ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُمْ".^٢ قَوْلُهُ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ فَرِيقٍ آخَرَ غَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ هُمْ مُقَابِلُ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ وَأُرِيدُ بِهِمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِأَنَّهُمْ أُمِّيُونَ".
ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

- "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عديم ذلك".^٣
"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ".^٤
"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجّح على ما خالفه".^٥

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٢ انظر: تفسير ابن عطية: ١٩٩/١، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٥/١.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٤ انظر: تفسير ابن عطية: ١٩٩/١، تفسير القرطبي: ٧٢/٢، تفسير ابن جزري: ٩٤/١.

٥ التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤.

٦ تفسير الطاهر بن عاشور: ٦٧٧/١.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣١٢/١.

٨ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٩ نفس المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الآية

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٢١)

المسألة:

ما المراد بـ "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: " هذه إشارة إلى الصالحين من أهل الكتاب حيث يتلون كتاب الله في صدق وصلاح ويؤدون حق تلاوته. فهم يعترفون بكل حق يجدونه في كتاب الله ويقرون ويؤمنون به".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" في قوله تعالى: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" إلا أنني وجدت أن للمفسرين أربعة أقوال في معنى "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" الوارد في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال على النحو التالي:

القول الأول: يراد بهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به من أصحابه وأمنته. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: يراد بهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم - من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) كعبد الله بن السلام وأضرابه. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٦، وابن عطية^٧، والرازي^٨، وغيرهم^٩.

١ تفهيم القرآن: ١٠٧/٨.

٢ انظر: جامع البيان: ٥٦٤/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٢٠٤/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٣٠/٤.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٩٥/٢، وتفسير ابن جزى: ٩٧/١، وتفسير ابن كثير: ٤٠٣/١، وتفسير الشوكاني: ١٥٨/١.

٦ انظر: جامع البيان: ٥٦٤/٢-٥٦٥.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٢٠٤/١.

القول الثالث: يراد بهم الأربعون الذين وردوا مع جعفر بن أبي طالب في السفينة حين قدموا من الحبشة فأسلموا فأثنى الله عليهم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: وابن عطية، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^٣.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الألوسي ذكره بصيغة التمریض.

القول الرابع: يراد بهم مؤمنون من أهل الكتاب والمؤمنون من العرب جميعا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وابن جزى^٤.

التعليق: وهكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون قولا واحدا، ولم يول الأقال الأخرى اهتماما كبيرا مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، وهو أن يكون المراد بهؤلاء "الصلحين من أهل الكتاب"، فيقول: "هذه إشارة إلى الصالحين من أهل الكتاب حيث يتلون كتاب الله في صدق وصلاح ويؤدون حق تلاوته. فهم يعترفون بكل حق يجدونه في كتاب الله ويقرون ويؤمنون به". وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الطبري^٥، والزنجشري^٦، والبيضاوي^٧، وغيرهم^٨.

الأدلة:

(١) قول جمهور المفسرين.

١ انظر: التفسير الكبير: ٣/٤.

٢ ينظر: تفسير القرطبي: ٩٥/٢، وتفسير البيضاوي: ١٠٣/١، وتفسير ابن جزى: ٩٦/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٩١/١، وتفسير ابن كثير: ٤٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٣٧٠/١.

٣ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٠٤/١، والبحر المحيط: ٥٩١/١، وروح المعاني: ٣٧٠/١.

٤ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٠٤/١، والجامع لأحكام القرآن: ٩٥/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٩٦/١.

٥ انظر: جامع البيان: ٥٦٥/٢.

٦ انظر: الكشاف: ١٨٣/١.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ١٠٣/١.

٨ ينظر: تفسير أبي السعود: ١٥٣/١، وتفسير الألوسي: ٣٧٠/١، وتفسير المراغي: ٢٠٥/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف بن الخطيب: ٢٢/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٩/١، وصفوة التفاسير

للصابوني: ٨١/١.

(٢) **السياق:** يقول الإمام الطبري ما معناه: هذا القول أولى بالصواب لأن الآيات التي قبلها عن أحوال أهل الكتاب ولم يكن فيها ذكر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - في الآية التي قبلها ولا في الآية التي بعدها، فيكون قوله: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) ، موجهة إلى الخبر عن أهل الكتاب، فتأويل الآية: الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فأقراوه واتبعوا ما فيه، فصدقوك وآمنوا بك، وبما جئت به من عندي، أولئك يتلونه حق تلاوته".^١

ويقول الإمام الرازي: "إِنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ، هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَمَّا ذَمَّ طَرِيقَتَهُمْ وَحَكَى عَنْهُمْ سُوءَ أفعالِهِمْ، أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمْدَحَ مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتَهُمْ، بَلْ تَأَمَّلِ التَّوْرَةَ وَتَرَكَ تَحْرِيفَهَا وَعَرَفَ مِنْهَا صِحَّةَ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ"^٢.

يقول الإمام ابن جزى أثناء حديثه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"^٣.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^٤.

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"^٥.

١ انظر: جامع البيان: ٥٦٥/٢.

٢ المصدر السابق.

٣ التفسير الكبير: ٣٠/٤.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢٨٧/١.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

ما هو مرجع الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" في الآية؟

قال الإمام المودودي: "هذا أسلوب يستعمله العرب في شيء يعرفه المرء تمام المعرفة، وليس عنده فيه أدنى شك أو ريب، فيقال عنه: بأنه يعرفه كما يعرف أبناءه. أي: كما أنه لا يمكن أن يخطئ في معرفة أبنائه، فكذلك هو يعرف هذا الشيء دون أن يراوده أي شك أو ريب فيه. فقد كان علماء اليهود والنصارى يعرفون جيدا بأن إبراهيم -عليه السلام- بنى الكعبة، وأن بيت المقدس بُني في زمن سيدنا سليمان -عليه السلام- أي بعد ألف وثلاثمائة سنة، وعندها فقط اتخذت قبلة. فقد كانوا يعرفون هذه الحقيقة التاريخية ولا يشكون فيها؛ "يعرفونه كما يعرفون أبناءهم".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي يتبين أنه ذكر قولاً واحداً في عائد الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾، وركز عليه، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، وهو اختياره، إلا أنني وجدت أن للمفسرين أربعة أقوال في مرجع الضمير "يَعْرِفُونَهُ" في الآية المذكورة، أذكرها هنا على النحو التالي:

القول الأول: الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى أمر القبلة، والمعنى أنهم يعرفون أنها هي قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك والتحول إليها بأمر الله حق كما يعرفون أبناءهم. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ١٢٣/١-١٢٤.

٢ انظر: جامع البيان: ١٨٧/٣.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٢٢٣/١.

٤ انظر: زاد المسير: ١٢٢/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١١٢/٤، وتفسير ابن جزى: ١٠٠/١، والتفسير المظهرى: ١٤٥/١، وتفسير

الشوكاني: ١٧/١.

وذكره بصيغة التمريض: الزمخشري^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.
ورد عليه: العلامة الألوسي، والشيخ الطاهر بن عاشور.

يقول العلامة الألوسي: "وقيل: ...الضمير للتحويل لدلالة مضمون الكلام السابق عليه، وفيه أن التشبيه يأبى ذلك لأن المناسب تشبيه الشيء بما هو من جنسه، فكان الواجب في نظر البلاغة حينئذ كما يعرفون الصخرة"^٥.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "...فَالضَّمِيرُ الْمَتَّصِبُ فِي يَعْرِفُونَهُ لَا يَعُودُ إِلَى تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَصَارَتِ الْجُمْلَةُ تَكْرِيرًا لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾"^٦.

القول الثاني: الضمير في "يعرفونهُ" عائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعنى: أنهم يعرفون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم - وصدق رسالته معرفة جلية بنعته في كتبهم كما يعرفون أبناءهم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٧، وابن الجوزي^٨، والرازي^٩، وغيرهم^{١٠}.
وذكره بصيغة التمريض: الزمخشري^{١١}، والقرطبي^{١٢}، والبيضاوي^{١٣}، وغيرهم^{١٤}.

١ انظر: الكشاف: ٢٠٤/٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/١.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١١٢/٨.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣٢/٢، وتفسير الألوسي: ٤١١/٨.

٥ روح المعاني: ٤١١/٨ بتصرف.

٦ سورة البقرة، الآية ١٤٤.

٧ التحرير والتنوير: ٣٩٢/٢.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٢٢٣/٨.

٩ انظر: زاد المسير: ١٢٢/٨.

١٠ انظر: التفسير الكبير: ١١/٤-١١.

١١ ينظر: تفسير القرطبي، وتفسير البيضاوي: ١١٢/٨، وتفسير ابن جزي: ١٠٠/٨، والبحر المحيط لأبي حيان

الأندلسي: ٣٣٢/٢، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢/٨، والتفسير المظهر: ١٤٥/٨، وتفسير الشوكاني: ١٧٧/٨، وتفسير

الألوسي: ٤١١/٨.

القول الثالث: الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى القرآن، والمعنى: أنهم يعرفون القرآن كما يعرفون أبناءهم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الإمام ابن جزى، والقاضي ثناء الله المظهري^١. وذكره بصيغة التمريض من المفسرين: الزمخشري، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي^٢. وذكره بصيغة التمريض ورد عليه الألوسي قائلا: "وقيل: ...الضمير للقرآن بادعاه حضوره في الأذهان، وفيه أن التشبيه يأبى ذلك لأن المناسب تشبيه الشيء بما هو من جنسه، فكان الواجب في نظر البلاغة حينئذ كما يعرفون التوراة"^٣.

القول الرابع: الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى العلم، والمعنى: أنهم يعرفون العلم كما يعرفون أبناءهم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القاضي ثناء الله المظهري، والعلامة الطاهر بن عاشور^٤. وذكره بصيغة التمريض من المفسرين: البيضاوي، وأبو حيان الأندلسي والألوسي^٥.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة والإمام المودودي رجح الأول منها، وهو أن الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى أمر القبلة، والمعنى أنهم يعرفون أنها هي قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء، استنادا إلى السياق الذي وردت فيه الآيات الكريمة، وهو اختيار إمام المفسرين الطبري والإمام الشوكاني أيضا، إلا أنني أرجح القول الثاني، وهو أن الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعنى: أنهم يعرفون

١ انظر: الكشاف: ٢٠٤/٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/٨.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١١٢/٨.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣/٢، وتفسير الألوسي: ٤١١/٨.

٥ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٠/٨، والتفسير المظهري: ٢٤٥/٨.

٦ انظر على التوالي: الكشاف: ٢٠٤/٨، وأنوار التنزيل: ١١٢/٨، والبحر المحيط: ٣٣/٢.

٧ روح المعاني: ٤١١/٨ بتصرف.

٨ انظر: التفسير المظهري: ٢٤٥/٨، والتحرير والتنوير: ٤٠/٢.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ١١٢/٨، والبحر المحيط: ٣٣/٢، روح المعاني: ٤١١/٨.

١٠ انظر: جامع البيان: ١٨٧/٣، وفتح القدير: ١٧٧/٨.

نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم - وصدق رسالته معرفة جلية بنعته في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، وذلك لأدلة أخرى، وإليه ذهب جمهور المفسرين: أمثال: البغوي، والزنجشري، والرازي، وغيرهم.

الأدلة:

(١) الحديث: روي الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام، قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِي مَنِّ انْجَفَلْتُ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ يَوْجُهُ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ "°.

(٢) الاحتجاج اللغوي: وهو أن اللغة العربية دأبت على تشبيه الشيء بما هو من جنسه وهو الأنسب في قوله تعالى: ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾.

١ انظر: معالم التنزيل: ٨٠/٨.

٢ انظر: الكشاف: ٢٠٤/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ١١٢/٤.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ١٦٢/٢، وتفسير البيضاوي: ١١٢/١، وتفسير النسفي: ١٤٧/١، وتفسير الخازن: ٩٠/٨، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢/١، وتفسير الجلالين: ٣٠/١، والتفسير المظهر: ١٤٥/١، وتفسير الألوسي: ٤١١/١، وتفسير القاسمي: ٤٢٨/١، وتفسير السعدي: ٧٢/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ١٢٥/٩، والتفسير الميسر لخبذة من أساتذة التفسير: ٢٣/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٢٨/١.

٥ مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: ٢٠١/٣٩، برقم: (٢٣٧٨٤)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، حديث عبد الله بن سلام، أحاديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمستدرک: ١٤/٣، برقم: (٤٢٨٣)، كتاب الهجرة، كتاب تواريخ المتقدمين من الانبياء والمرسلين، وسنن ابن ماجه لابن ملجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: ٣٩٧/٤، برقم: (٣٢٥١)، أبواب الأطعمة، باب إطعام الطعام، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، و عبد اللطيف حرز الله، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، الناشر دار الرسالة العالمية، واللفظ للإمام أحمد.

٦ انظر: الكشاف للزنجشري: ٢٠٤/١، وتفسير الألوسي: ٤١١/١.

٣) **قريظة السياق**، يقتضي التخصيص بأهل الكتاب في قوله تعالى: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" أن تكون هذه المعرفة مستفادة من الكتاب، وقد

أخبر سبحانه في كتابه (القرآن) عن ذكر نعته صلى الله عليه وسلم - في التوراة

والإنجيل، بخلاف الأقوال المذكورة التي لم يرد ذكرها فيهما.

وأضاف الإمام الرازي قائلا: "إِنَّ الْمُعْجِزَاتِ لَا تَدُلُّ أَوْلَّ دَلَالَتِهَا إِلَّا عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ

السَّلَامُ، فَأَمَّا أَمْرُ الْقِبْلَةِ فَذَلِكَ إِنَّمَا يَثْبُتُ لِأَنَّهُ أَحَدُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ

صَرَفُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى أَمْرِ النَّبِيِّ أَوْلَى".^١

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٢.

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"^٣.

١ انظر: التفسير الكبير للرازي: ١١٢/٤، وتفسير الألوسي: ٤١١/٨.

٢ التفسير الكبير: ١١٢/٤.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

٤ المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الآية:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

﴿ ١٨٥ ﴾

المسألة:

هل الإفطار في السفر عزيمة أو رخصة؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "الصيام في السفر ترك لاختيار الإنسان، إن رأى أن يصوم صام، وإن لم يرد ذلك فله الاختيار. وقد كان يصوم بعض الصحابة الذين يرافقون الرسول صلى الله عليه وسلم في أسفاره ويفطر بعضهم، ولا ينكر فئة منهم على الأخرى. وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه كان يصوم في السفر أحياناً، ويفطر أحياناً. فقد حدث في

١ ولعله يشير إلى حديث أنس بن مالك أنه قال: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْيِبِ الصَّائِمَ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ». (صحيح البخاري: ٣٤٨٣، برقم (١٩٤٧)، باب: لَمْ يَعْيِبِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٨٧/٢، برقم (١١١٨)، باب جَوَازِ الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْمُسَافِرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ إِذَا كَانَ سَفَرَهُ مَرَحَلَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ لِمَنْ أَطَاقَهُ بِلَا ضَرَرٍ أَنْ يَصُومَ، وَلِمَنْ يَشَقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْطِرَ، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري).

٢ من الروايات التي تذكّر عليها رواية أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبْنِ رَوَاحَةَ» (صحيح البخاري: ٣٤٨٣، برقم (١٩٤٥)، باب إِذَا صَامَ أَيَّامًا مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ سَافَرَ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٩٠/٢، برقم (١١٢٢)، باب التَّخْيِيرِ فِي الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي السَّفَرِ، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري). ورواية ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَرَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهِ لِيُرِيَهُ النَّاسَ، فَأَفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، " فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ». (صحيح البخاري: ٣٤٨٣، برقم (١٩٤٨)، باب مَنْ أَفْطَرَ فِي السَّفَرِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٨٥/٢، برقم (١١٣)، باب جَوَازِ الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

إحدى أسفاره صلى الله عليه وسلم أن سقط أحد الصحابة من شدة الإعياء واجتمع الناس حوله فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك واستفسر عن أمره، فقيل له: إنه صائم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس هذا من البر! ١
 وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه أن يفطروا في الغزوات لئلا يضعفوا أمام العدو، وليتقوا في الجهاد ٢.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بقوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ قَعْدَةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ قَعْدَةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، مما يدل على أنه

للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم، ولمن يشق عليه أن يفطر، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري.

١ فيه إشارة إلى حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصُّوْمُ فِي السَّفَرِ» (صحيح البخاري: ٣٤٨٣، برقم (١٩٤٦))، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصُّوْمُ فِي السَّفَرِ»، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٨٧٢، برقم (١١١٥)، بَابُ جَوَازِ الصُّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْمَسَافِرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ إِذَا كَانَ سَفَرُهُ مَرَحَلَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ لِمَنْ أَطَاقَهُ بِلَا ضَرَرٍ أَنْ يَصُومَ، وَلِمَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْطِرَ، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري.

٢ منها ما ذكر أبو سعيد الخدري في حديثه أنه قال (لما سئل عن الصوم في السفر): "سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم» فكانت رخصة، فمينا من صام، ومينا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر، فقال: «إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم، فأفطروا» وكانت عزيمة، فأفطرتنا، ثم قال: لقد رأيتنا نصوم، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، في السفر". (صحيح مسلم: ٧٨٩٢، برقم (١١٢٠))، بَابُ أَجْرِ الْمُفْطِرِ فِي السَّفَرِ إِذَا تَوَلَّى الْعَمَلَ، كتاب الصيام.

٣ تفهيم القرآن: ١٤٢/١.

هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا قولين رئيسين في قوله:

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ في الآية المذكورة، أذكرهما هنا كالتالي:

القول الأول: ذهب جماعة من علماء الصحابة والتابعين إلى أن الإفطار في السفر عزيمة، ومن صام في السفر فعليه القضاء في الحضر، ونسب هذا القول إلى ابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهما-، وهو مذهب الظاهرية.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن عطية^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: ذهب أكثر الفقهاء إلى أن الإفطار في السفر رخصة، فإن شاء المسافر صام وإن شاء أفطر، ومن صام في السفر فلا قضاء عليه في الحضر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، والرازي^٦، وأبو حيان الأندلسي^٧، وغيرهم^٨.

ثم اختلف أصحاب هذا القول في المفاضلة بين الإفطار والصوم في السفر على ستة آراء التالية:

الراي الأول: إن الصيام أحب وأفضل من الإفطار لمن قدر عليه، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، والثوري، والشافعي، ومالك في بعض ما روي عنهما، وقال به أنس بن مالك،

١ انظر: جامع البيان: ٤٦٠/٣ وما بعدها.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٢٥١/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٥/٥.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٥/٢-١٨٦، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١.

٥ وتفسير آيات الأحكام لحمد علي السائيس: ٧٤/١، المحقق: ناجي سويدان، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٥ انظر: جامع البيان: ٤٦٤/٣.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٥/٥.

٧ انظر: البحر المحيط: ١٨٥/٢.

٨ ينظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١، وتفسير آيات الأحكام للسائيس: ٧٤/١.

وعثمان بن أبي العاص الثقفى من الصحابة، وحجتهم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾^١.

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

الرأي الثاني: إن الإفطار أحب وأفضل من الصيام أخذًا بالرخصة، وهو مذهب الأوزاعي، وأحمد، وإسحاق، وقال به ابن عمر وابن عباس من الصحابة، ومن التابعين: ابن المسيب، والشعبي، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد، وقتادة. وحجتهم قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^٢.

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

الرأي الثالث: أفضل الأمرين في حقه أيسرهما، فإن كان الصيام أيسر عليه صام وإن كان الإفطار أيسر أفطر. وحجة أصحاب هذا القول قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^٣.

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: الرازي، ووهبة الزحيلي.

١ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٢ سورة البقرة، الآية ١٨٤.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٢٥٧/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٦/٥.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٢.

٦ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١، وتفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/١.

٧ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٢٥١/١.

٩ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٦/٥.

١٠ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٢.

١١ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١.

١٢ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

الرأي الرابع: إن شقَّ الصيام على المسافر فالإفطار أفضل؛ لحديث جابر أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»^١.

وعمّن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن كثير^٢.

الرأي الخامس: الأمر في ذلك على التخيير، فالمسافر مخير بين الصيام والإفطار، وهو جُلّ مذهب الإمام مالك، والشافعي، وحجتهم حديث أنس بن مالك أنه قال: «كُنَّا نَسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْجَبِ الصَّائِمُ عَلَى الْفِطْرِ، وَلَا الْفِطْرُ عَلَى الصَّائِمِ»^٣.

وعمّن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي^٤.

الرأي السادس: الصيام والإفطار سواء. وحجة أصحاب هذا القول حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أَنَّ حَمْرَةَ بِنَ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ -وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ-، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ»^٥.

وعمّن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن كثير^٦.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أن هناك قولين رئيسين في المسألة، والإمام المودودي -رحمه الله- رجح القول الثاني منها، وهو: "أن الإفطار في السفر رخصة، والمسافر مخير بين الصيام والإفطار، فإن رأى أن يصوم صام وإن رأى أن يفطر فله ذلك"، وذلك استنادا إلى مجموعة من الأدلة وهي مستنبطة من الروايات:

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٦/٥، والتفسير المنير: ١٢٩٢.

٢ سبق تخريجه.

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٠٤/١.

٤ سبق تخريجه.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٢٥١/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٢.

٦ صحيح البخاري: ٣٣٦٣-٣٤، برقم (١٩٤٣)، بَابُ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ وَالْإِفْطَارِ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٨٩٢، برقم (١١٢١)، بَابُ التَّخْيِيرِ فِي الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي السَّفَرِ، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري.

٧ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٠٤/١.

(١) فعل الصحابة -رضي الله عنهم-: حيث كان يصوم بعض الصحابة الذين يرافقون الرسول صلى الله عليه وسلم- في أسفاره ويفطر بعضهم، ولا ينكر أحد منهم على الآخر، ولعله في هذا إشارة لى حديث أنس بن مالك أنه قال: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعِيبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ».

(٢) فعل النبي صلى الله عليه وسلم- نفسه: حيث كان يصوم في السفر أحيانا ويفطر أحيانا، ومن الروايات التي تدل عليها رواية أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِيْنَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبْنِ رَوَاحَةَ». ورواية ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَرَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهِ لِيُرِيَهُ النَّاسَ، فَأَفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، " فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ».

(٣) قول النبي صلى الله عليه وسلم- لمن ظلل عليه واشتد الحر "ليس من البر الصوم في السفر": سقط أحد الصحابة في إحدى أسفاره صلى الله عليه وسلم من شدة الإعياء واجتمع الناس حوله، وراه الرسول صلى الله عليه وسلم واستفسر عن أمره، فقيل له: بأنه صائم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس من البر الصيام في السفر!، يشير الإمام المودودي فيه إلى حديث جابر أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»!

(٤) أمر النبي صلى الله عليه وسلم- بالإفطار في الغزوات للتقوية في الجهاد وعدم الضعف أمام العدو. منها ما ذكر أبو سعيد الخدري في حديثه أنه قال (لما سئل عن

١ سبق تخريجه أنفا.

٢ سبق تخريجه أنفا.

٣ سبق تخريجه أنفا.

٤ سبق تخريجه أنفا.

الصوم في السفر): "سَافِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدْوِكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنَزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدْوِكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطِرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَصُومُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فِي السَّفَرِ".^١

والرأي الثالث والرابع والخامس والسادس من القول الثاني متقارب بعضه من بعض، حيث يدل كل واحد منه على جواز الصيام في السفر، وأما الرأي الأول والثاني من القول الثاني فيدلان على الرخصة أيضا، إلا إن الأول يدل على أفضلية الصيام في السفر، والثاني يدل على أفضلية الإفطار فيه، وإلى هذا القول الثاني ذهب جمهور المفسرين أمثال: الطبري^٢، والزنجشري^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

الأدلة:

(١) إجماع الجميع على أن مريضا لو صام في رمضان اجزا عنه ولا قضاء عليه بعدة من أيام آخر، فكذلك المسافر في حكمه في أن لا قضاء عليه إن صام في سفره.^١

(٢) دلالة النظم الكريم: كتب صوم شهر رمضان على كل مؤمن مسافرا كان أو مقيما لعموم قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^٢.

ثم خفف الله تعالى عن المعذورين بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^٣. أي: ومن كان مريضا أو على سفر فأفطر برخصة الله تعالى فعليه صوم عدة أيام آخر.^٤

١ سبق تحريجه.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٦٤/٣.

٣ انظر: الكشاف: ٢٢٨/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٥/٥.

٥ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الألدلسي: ١٨٥/٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١، وتفسير

آيات الأحكام للسايس: ٧٤/١.

٦ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣.

٧ سورة البقرة، الآية ١٨٣.

ثم قل في نفس الآية: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، فهل فهم من الآية أن الفطر واجب على من لا يضره الصوم من المعذورين أصحاب الرخص؟^١

ثم قال تعالى في الآية التي تليها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. ولا عسر أعظم من أن يلزم من صام في سفره عدة من أيام أخر. فمفهوم الآية: أن الواجب الأصلي على الناس جميعا في رمضان الصيام والتأخر عنه رخصة من الله - عز وجل -^٢.

(٣) إن في الآية إضمرا، تقديره: ومن كان مريضا أو على سفر فأفطر برخصة الله فعليه صيام عدة أيام أخر، والإضمار في كلام الله جائز، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾ والتقدير: فَضْرَبَ فَانْفَجَرَتْ^٣. والقضاء وجب بالإفطار لا بالمرض والسفر، فلما أوجب الله القضاء - والقضاء وجب بالإفطار -، دل على أنه لا بد من إضمار الإفطار^٤.

(٤) ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإفطار في السفر رخصة لا عزم، وأنه صلى الله عليه وسلم صام في السفر وأفطر وخير بعض الصحابة بين الصوم والفطر. ومن الروايات التي تدل على هذا الأمر ما يلي:

١ سورة البقرة، الآية ١٨٤.

٢ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣، وتفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/٨.

٣ انظر: تفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/٨.

٤ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٥ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣.

٦ انظر: تفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/٨.

٧ سورة البقرة، الآية ٦٠.

٨ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣، والتفسير الكبير للرازي: ٢٤٥/٥، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦٢.

٩ التفسير الكبير للرازي: ٢٤٦/٥.

(١) رواية عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أصوم في السفر؟ - وكان كثير الصيام -، فقال: «إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر»^١. □

(٢) رواية حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أجد بي قوة على الصيام في السفر، فهل علي جناح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي رخصة من الله، فمن أخذ بها، فحسن ومن أحب أن يصوم فلما جناح عليه»^٢. □

(٣) رواية أنس بن مالك أنه قال: «كنا نُسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعيب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم»^٣. □

(٤) رواية أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم، وابن رواحة»^٤. □

(٥) رواية ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة، فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليبريه الناس، فأفطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان، فكان ابن عباس يقول: «قد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر»^٥. □

(٦) رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال (لما سئل عن الصوم في السفر): «سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم قد دنوتُم من عدوكم، واليفطر أقوى لكم» فكانت رخصة، فمنا من صام، ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر، فقال: «إنكم مصبحو عدوكم»

١ سبق تخريجه.

٢ صحيح مسلم: ٧٩٠/٢، برقم (١١٢١)، باب التَّخْيِيرِ فِي الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي السَّفَرِ، كتاب الصيام.

٣ سبق تخريجه.

٤ سبق تخريجه.

٥ سبق تخريجه.

وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطِرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتَنَا نَصُومُ، مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فِي السَّفَرِ^١!

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٢.

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٣.

١ سبق تخريجه.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

٣ المصدر السابق: ١٣٧/١.

الآية:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَمَسِّنَهُ اللَّهُ وَسَكَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (١٣٧)

المسألة:

ما المراد بـ "﴿ رَفَثٌ ﴾ في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "لا يمنع العلاقات الزوجية بين المرء وزوجه بعد لبس الإحرام فحسب، وإنما يمنع كذلك أي حديث يرغب في الشهوة أو تثير الغرائز الشهوانية في الإنسان".
دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتجلى أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "﴿ رَفَثٌ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَمَسِّنَهُ اللَّهُ وَسَكَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (١٣٧)، إلا أن التبع في التفسير أثبت لي أن هناك ستة أقوال في المسألة، والتي ذكرها المفسرون، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد به الجماع.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، وغيرهم.

القول الثاني: يراد به الجماع وما دونه من التعريض به.

انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الإمام ابن الجوزي^٤.

١ تفهيم القرآن: ١٥٥/١.

٢ انظر: جامع البيان: ١٢٩/٤.

٣ المحرر الوجيز: ٢٧٢/١.

٤ انظر: زاد المسير: ١٦٥/١.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٤٠٧/٢، وتفسير البيضاوي: ١٣٠/١، وتفسير ابن جزي: ١١٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان

الأندلسي: ٢٨٠/٣، وتفسير ابن كثير: ٥٤٣/١، وتفسير الجلالين: ٤٢/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري:

٢٢٨/١، وتفسير الألوسي: ٤٨٢/١.

٦ انظر: زاد المسير: ١٦٥/١.

القول الثالث: يراد به الإفحاش للمرأة بذكر أمر الجماع.

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن عطية^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم^٤.

القول الرابع: يراد به اللغو من الكلام.

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي^٥.

القول الخامس: يراد به كل ما يريد الرجل من أهله.

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي^٦.

القول السادس: يريد به الجماع وما دونه من قول الفحش.

وعمّن انفراد بذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن كثير^٧.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أنّ هناك ستة أقوال في المراد بـ "رفث" في الآية الكريمة، والإمام المودودي رجح القول السادس منها، وهو: "أنّ المراد به الجماع وما دونه من قول الفحش"، فيقول: "لا يمنع العلاقات الزوجية بين المرء وزوجه بعد لبس الإحرام فحسب، وإنما يمنع كذلك أي حديث يرغب في الشهوة أو تثير الغرائز الشهوانية في الإنسان"، إلا أنّي أرجح أنّ كلمة "رفث" تدل على جميع معانيه من الجماع، والإفحاش في المنطق، وغيره؛ لأنّه لم يأت دليل بتخصيصه على بعض معانيه دون بعض، وذلك استناداً إلى ما رجحه إمام المفسرين الطبري^٨.

الأدلة:

يجب حمل كلمة "رفث" على جميع معانيه؛ إذ لم يأت دليل بتخصيصه.

١ انظر: جامع البيان: ١٢٥/٤.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٨.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٧/٢.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٨٠/٢، وتفسير ابن كثير: ٥٤٤/٨.

٥ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٨، وزاد المسير: ١٦٥/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٤٠٧/٢، والبحر المحيط:

٢٨٠/٣.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٧/٢، والبحر المحيط: ٢٨٠/٢.

٧ انظر: جامع البيان: ١٢٧/٤، وتفسير القرآن العظيم: ٥٤٤/٨.

٨ انظر: جامع البيان: ١٣٣/٤ - ١٣٤.

يقول الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي أن الله جل ثناؤه نهى - من فرض الحج في أشهر الحج - عن الرفث، فقال: " فمن فرض فيهن الحج فلا رثت". و"الرفث" في كلام العرب: أصله الإفحاش في المنطق ...، ثم تستعمله في الكناية عن الجماع. فإذا كان ذلك كذلك، وكان أهل العلم مختلفين في تأويله، وفي هذا النهي من الله عن بعض معاني "الرفث" أم عن جميع معانيه؟ - وجب أن يكون على جميع معانيه...".^١

ويزيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص".^٢

١ جامع البيان: ١٣٣/٤ - ١٣٤.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٢٧/٢.

الآية:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فَلَوْ بَيِّنَاتٌ لَأُخْبِرْتُمْ وَتَأْتُواكُم بَلَدًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

المسألة:

ما المراد بـ"بلغوا اليمين في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي؛ ما يخرج على اللسان من الحلف دون القصد أو العادة. فلا يؤاخذ المرء على مثل هذه الأيمان ولا كفارة لها".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ"بلغوا اليمين" في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فَلَوْ بَيِّنَاتٌ لَأُخْبِرْتُمْ وَتَأْتُواكُم بَلَدًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، إلا أن المتبع في التفاسير يجد أقوالاً أخرى في المراد بـ"بلغوا اليمين" أذكرها هنا على وجه الإجمال على النحو التالي:

القول الأول: هو ما يجري على لسان الخالف في درج كلامه واستعجاله في المحاوراة عادة، كقوله: لا، والله تارة، وبلى، والله تارة من غير قصد الحلف، ولا إبطال حق ولا إحقاق باطل، فلا يؤاخذ الله تعالى به في العاجل بفرض كفارة ولا في الآجل بعقاب. هذا هو قول الإمام الشافعي، وأحد قولي الإمام مالك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن العربي، وابن الجوزي، وغيرهم.

القول الثاني: هو حلف الخالف على يقينه، أو غلبة ظنه، فيكشف الغيب خلاف ذلك. هذا هو قول الإمام أبي حنيفة، وأشهر قولي الإمام مالك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن العربي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ١٧٨.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٣ انظر: أحكام القرآن: ٢٤٧/١.

٤ انظر: زاد المسير: ١٩٤/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/١، وتفسير القرطبي: ٩٩٣، وتفسير ابن جزي: ١٢٧/١، وتفسير ابن كثير:

٦٠١/١، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢، وتفسير الشوكاني: ٢٦٥/١.

القول الثالث: هو حلف الحالف على ترك طاعة أو فعل معصية، كقوله: لأشربن الخمر أو لأقطعن الرحم، فبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه، وأضاف سعيد ابن جبير قائلا: "يكفر".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية وابن الجوزي، وابن جزى.

القول الرابع: هو حلف الحالف في حال الغضب من غير قصد الحلف.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

ورد عليه: ابن العربي قائلا: "وَقَدْ بَيَّنَّ الْمُؤَاخَذَةَ بِالْقَصْدِ وَهُوَ كَسْبُ الْقَلْبِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّغْوَ مَا لَّا فَايِدَةَ فِيهِ، وَخَرَجَ مِنَ اللَّفْظِ يَمِينُ الْغَضَبِ وَيَمِينُ الْمَعْصِيَةِ".

القول الخامس: هو أن يجرم الرجل ما أحل الله تعالى، أو يحلل ما حرم الله تعالى.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وابن كثير.

القول السادس: هو أن يدعو الحالف على نفسه، كقوله: أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا ونحوه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن العربي، وابن عطية، وغيرهم.

١ انظر: جامع البيان: ٤/٤٣٢.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٨/٣٠١.

٣ انظر: أحكام القرآن: ٨/٢٤١.

٤ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٨/١٩٤، والتفسير الكبير للرازي: ٦/٤٢٦، وتفسير القرطبي: ٣/٩٩٣، وتفسير ابن جزى: ٨/١٢٧، وتفسير ابن كثير: ٨/٦٠٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢/٤٤٣.

٥ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٨/٣٠١، وزاد المسير: ٨/١٩٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٨/١٢٧.

٦ انظر: جامع البيان: ٤/٤٣٧-٤٣٨.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٨/٣٠١.

٨ انظر: زاد المسير: ٨/١٩٤.

٩ ينظر: تفسير ابن جزى: ٨/١٢٧، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢/٤٤٣، وتفسير ابن كثير: ٨/٦٠٣.

١٠ أحكام القرآن: ٨/٢٤٢.

١١ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٨/٣٠١، والجامع لأحكام القرآن: ٣/١٠٠٣، والبحر المحيط: ٢/٤٤٣، وتفسير القرآن العظيم: ٨/٦٠٣.

١٢ انظر: جامع البيان: ٤/٤٤٤.

القول السابع: هو اليمين المكفرة، أي إذا كفرت فسقطت وصارت لغوا ولا يؤخذ الله تعالى بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن العربي، والرازي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم^١.

القول الثامن: هو حلف الحالف على شيء ينساه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن العربي^٣، وابن عطية^٤، وغيرهم^٥.

القول التاسع: هو يمين المكره.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي^٦.

القول العاشر: هو يمين المتبايعين، يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله لا أشتريه بكذا.

انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي^٧.

القول الحادي عشر: هو حلف الحالف سهوا، فلا يؤخذ الله تعالى به؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبَكُمْ﴾، أي يؤخذكم إذا تعمدتم.

انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٨.

١ انظر: أحكام القرآن: ٢٤١/١.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٣ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢، وتفسير ابن كثير: ٦٠٣/١.

٤ انظر على التوالي: أحكام القرآن: ٢٤١/١، والتفسير الكبير: ٤٢٨/١، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢.

٥ انظر: جامع البيان: ٤٤٥/٤.

٦ انظر: أحكام القرآن: ٢٤١/١.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٨ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٩٤/١، وتفسير القرطبي: ١٠٠/٣، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢.

وتفسير ابن كثير: ٦٠٣/١.

٩ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٠١/٣، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢.

١٠ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠١/٣، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢.

١١ انظر: التفسير الكبير: ٤٢٨/١.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أنّ هناك أحد عشر قولاً في المسألة، والإمام المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وهو القول الأول، ولم يذكر الأقوال الأخرى مما يدل على أنّ القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو: "أنّ المراد بلغو اليمين: ما يجري على لسان الخالف في درج كلامه واستعجاله في المحاوره، من غير قصد الحلف، ولا إبطال حق ولا إحقاق باطل، فلا يؤاخذ الله تعالى به في العجل ولا في الأجل"، فيقول: "أي؛ ما يخرج على اللسان من الحلف دون القصد أو العادة. فلا يؤاخذ المرء على مثل هذه الأيمان ولا كفارة لها"، وإليه ذهب جمهرة من المفسرين أمثال: السمعاني^١، وابن الجوزي^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

الأدلة

(١) **القرآن:** يقول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ، إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطْمَعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول الإمام الشوكاني: "وفي الآية دليل على أنّ أيمان اللغو لا يؤاخذ الله الخالف بها ولا تجب فيها الكفارة"^٥.

(٢) الأحاديث النبوية:

الرواية ١: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: "أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهُ".

١ انظر: تفسير القرآن: ٢٢٨/١.

٢ انظر: زاد المسير: ١٩٤/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٤٢٧-٤٢٦/١.

٤ ينظر: تفسير الشوكاني: ٣٦٥/١، وتفسير المراغي: ١٦٠/٢، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب:

٢٥٧/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ٤٢/١، وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين المروري:

٢٩٣/٣، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ٣٧/١.

٥ فتح القدير: ٨٧/٢.

الرواية ٢٢: وعنها أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: اللغو في اليمين: " هو كلام الرجل في بيته، كلاً والله، وبلى والله".^١

٢) هو قول الجمهور.

يقول الإمام الشوكاني: " وَقَدْ دَعَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الصُّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى أَنَّهَا قَوْلُ الرَّجُلِ: لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ فِي كَلَامِهِ غَيْرُ مُعْتَقِدٍ لِلْيَمِينِ، وَبِهِ فَسَّرَ الصُّحَابَةُ آيَةَ وَهُمْ أَعْرَفُ بِسَعَائِي الْقُرْآنِ"^٢.

٤) البيان: تفسير لغو اليمين بالمعنى الأول هو المناسب لما قبل الآية.

يقول الرازي: " أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ ذَكَرَ قَبْلَ هَذِهِ آيَةَ: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ [البقرة: ٢٢٤] وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنْ مَعْنَاهُ النَّهْيُ عَنْ كَثْرَةِ الْحَلْفِ وَالْيَمِينِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِيَادِ: لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ يُكْثِرُونَ الْحَلْفَ، فَذَكَرَ تَعَالَى عَقِيبَ قَوْلِهِ: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ حَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ الْحَلْفَ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِيَادِ فِي الْكَلَامِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْقَصْدِ إِلَى الْحَلْفِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا مُوَاخَاةَ عَلَيْهِمْ، وَلَا كُفْرَةَ، لِأَنَّ إِجَابَ الْمُوَاخَاةِ وَالْكَفْرَةَ عَلَيْهِمْ يُفْضِي إِذَا إِلَى أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنِ الْكَلَامِ، أَوْ يَلْزِمَهُمْ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ كُفْرَةَ وَكِلَاهُمَا حَرَجٌ فِي الدِّينِ فَظَهَرَ أَنَّ تَفْسِيرَ اللَّغْوِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا قَبْلَ آيَةِ: فَأَمَّا الَّذِي قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَا يُنَاسِبُ مَا قَبْلَ آيَةِ فَكَانَ تَأْوِيلُ الشَّافِعِيِّ أَوْلَى"^٣.

٥) الاحتجاج اللغوي: مطابقته للمعنى اللغوي؛ وذلك أن قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي﴾

أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوْاكُمْ كَيْدَلًا عَلَى أَنْ لَغَوِ الْيَمِينِ كَلْمَقَابِلِ الْمُضَادِّ لِمَا

١ صحيح البخاري: ٥٢/٦-٥٣، برقم: (٤٦١٣)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، بَابُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ.

٢ سنن أبي داود: ١٥٦/٥، برقم: (٣٢٥٤)، بَابُ لَغْوِ الْيَمِينِ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنَّذْرِ، عُلِقَ عَلَيْهِ: شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطِ وَوَعَدَ كَامِلٌ قَرَأَهُ بِلِغِي بِقَوْلِهِ: صَحِيحٌ مُوقِفًا.

٣ فتح القدير: ٨١/٢، وانظر أيضا: تفسير الطاهر بن عاشور: ٣٨٢/٢.

٤ التفسير الكبير: ٤٢٧/٦.

يُحصل بسبب كسب القلب، ولكن المراد من قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ هو الذي يقصده القلب، فدلّ أنّ بين اللغو ما لا يقصده القلب.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^١

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٢

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شلّ".^٣

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم

له".^٤

١ انظر: تفسير السمعاني: ٢٢٨/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٩٤/١، والتفسير الكبير للرازي: ٤٢٥/٦-٤٢٦.

وتفسير الشوكاني: ٢٦٥/١.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

٣ المصدر السابق: ٢٧١/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٥ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿الَّذِينَ ظَلَقُوا مَرَاتَانٍ فَمَا نَسَاكُم بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِدُ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣٩﴾﴾

مسألة:

ما عدة المختلعة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "عدة الخلع عند الجمهور هي عدة الطلاق نفسها، لكن تظهر من بعض الروايات التي وردت عند أبي داود، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم أن النبي ﷺ جعل عدتها أيضا واحدا، وبه حكم سيدنا عثمان في قضية."^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولين في عدة المختلعة: قول الجمهور وقول بعض أهل العلم، ورجح قول بعض أهل العلم مستدلا ببعض الروايات، ولحكم سيدنا عثمان به، ووجدت أن المفسرين أيضا ذكروا هذين القولين، أذكرهما هنا باختصار كالتالي:

القول الأول: تعتد المختلعة بحیضة واحدة. ويروي هذا القول عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، والربيع بنت معوذ، وعمها وهو صحابي، وهو قول بعض أهل العلم. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي^٢، وابن كثير^٣، والشوكاني^٤، وغيرهم^٥.

١ لقد ذكرت بعض هذه الروايات في الصفحات التالية في "الأدلة (أدلة رجحان القول الأول)".

٢ تفهيم القرآن: ١٧٧/١.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٤/٣-١٤٥.

٤ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٦١٩/١.

٥ انظر: فتح القدير: ٢٧٧-٢٧٧.

٦ ينظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري التتويجي: ٨٧١-٨٩، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، تاريخ النشر: ١٣٠٠/١، ٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، وأضواء البيان للشنقيطي: ١٤٧/١.

القول الثاني: تعتد المختلعة كعنة المطلقة، أي: ثلاثة قراء، وإليه ذهب مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، وإسحاق في الرواية المشهورة عنهما، وهو قول أكثر أهل العلم، وبه قال الجمهور.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وابن كثير، والشوكاني، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أن هناك قولين في عنة المختلعة، والإمام المودودي ذكر هذين القولين، حيث رجح القول الأول منهما، مستدلاً ببعض الروايات وبحكم سيدنا عثمان به، فيقول: "عنة الخلع عند الجمهور هي عنة الطلاق نفسها، لكن تظهر من بعض الروايات التي وردت عند أبي داود، والترمذي، وابن ملجة وغيرهم أن النبي ﷺ جعل عدتها حيضاً واحداً، وبه حكم سيدنا عثمان في قضية"، وإليه ذهب: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، ومحمد صديق خان.

الأدلة:

١) الأحاديث المرفوعة الثابتة في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم - والتي يصدق بعضها بعضاً تدل على رجحان القول الأول، منها: **الأول:** أخرج الترمذي عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، أنها اختلعت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم "فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم، أو أمرت أن تعتد بحيضة". قال الترمذي: الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة^٧.

١ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٤/٣-١٤٥.

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٦١٩/١.

٣ انظر: فتح القدير: ٢٧٧/١.

٤ ينظر: نيل المرام لمحمد صديق خان: ٨٩/١، وتفسير المراغي: ١٧٣/٢، وأضواء البيان للشنقيطي: ١٤٥/١.

٥ لقد ذكرت بعض هذه الروايات في الصفحة نفسها وفي التي تليها في "الأدلة (أدلة رجحان القول الأول)".

٦ انظر: الفتاوى الكبرى: ١٧٧/٣، مسألة نكاح الزانية، باب الرضاع، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار

الكتب العلمية، وزاد المعاد في هدي خير العباد: ١٧٩/٥، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مؤسسة

الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، وفتح القدير: ٢٧٧-٢٧٧/١، ونيل المرام: ٨٩-٨٧/١.

٧ سنن الترمذي: ٤٨٣/٣، برقم: (١١٨٥)، باب ما جاء في الخلع، أبواب الطلاق واللعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: وأخرج الترمذي أيضا عن ابن عباس، أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم «فامرأها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد بحيضها». ثم قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

الثالث: أخرج أبو داود عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - عدتها حيضة.

الرابع: أخرج ابن ماجه عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء أنها قالت: اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان، فسألت: ماذا علي من العدة؟ فقال: لا عدة عليك، إلا أن يكون حديث عهد بك، فتمكثين عنده حتى تحيضين حيضه، قالت: وإنما تبع في ذلك قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مريم المغالبي، وكانت تحت ثابت بن قيس فاختلعت منه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بدلالة الكتاب وصريح السنة وأقوال الصحابة أن المختلعة ليس عليها إلا الاستبراء بحيضها؛ لا عدة كعدة المطلقة، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وقول عثمان بن عفان، وابن عباس، وابن عمر في آخر قوليه.

وذكر مكي: أنه إجماع الصحابة، وهو قول قبيصة بن ذؤيب وإسحاق بن راهويه، وابن المنذر، وغيرهم من فقهاء الحديث. وهذا هو الصحيح".

ويقول الإمام ابن القيم: "وفي أمره صلى الله عليه وسلم المختلعة أن تعتد بحيضة واحدة دليل على حكمين: أحدهما: أنه لا يجب عليها تلك حيض بل تكفيها حيضة واحدة، وهذا كما أنه صريح السنة فهو مذهب أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر بن الخطاب والربيع بنت معوذ وعمها وهو من كبار الصحابة لا يعرف لهم مخالف

١ المصدر السابق: ٤٨٣/٣-٤٨٤، برقم: (١١٨٥). باب ما جاء في الخلع، أبواب الطلاق واللعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ يقول شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل قره بللي: "صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف. (سنن أبي داود: ٥٤٦٣، برقم: (٢٢٢٩)، باب في الخلع، أول كتاب الطلاق).

٣ يقول شعيب الأرناؤوط وآخرون: إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق. (سنن ابن ماجه: ٢٠٩٣، برقم: (٢٠٥٨)، باب عدة المختلعة، أبواب الطلاق).

٤ الفتاوى الكبرى: ١٧٧٣، مسألة نكاح الزانية، باب الرضاع.

مِنْهُمْ... وَدَهَبَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، اخْتَارَهَا شَيْخُ
الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ^١!

يقول الإمام الشوكاني بعد ترجيحه القول الأول وسرد الروايات على ترجيحه: "ولم يرد ما
يعارض هذا من المرفوع..."^٢.

٢) أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخصص عموم القرآن.

إن الخلع طلاق، والمختلعة من جملة المطلقات، فهي داخلة تحت عموم القرآن؛ لكن أحاديث
الرسول - صلى الله عليه وسلم - تخصص عموم القرآن، فهي تعتد بحیضة فحسب^٣.

٣) عدة المختلعة حیضة وعدة المطلقة ثلاثة قرءو للفرقة بين الفراق بعوض وغيره.

يقول الإمام الشنقيطي: "فَإِنْ قِيلَ فَمَا وَجْهُ اعْتِدَادِ الْمُخْتَلِعَةِ بِحَيْضَةٍ؟ قُلْنَا: إِنْ كَانَ ثَابِتًا
عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا أَخْرَجَهُ عَنْهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَالطَّبْرَانِيُّ فَهُوَ
تَقْرِيْبٌ مِنَ الشَّارِعِ بَيْنَ الْفِرَاقِ الْمَبْدُولِ فِيهِ عَوْضٌ، وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي قَدْرِ الْعِدَّةِ، وَلَا إِشْكَالَ
فِي ذَلِكَ. كَمَا فُرِّقَ بَيْنَ الْمَوْتِ قَبْلَ الدُّخُولِ فَأَوْجَبَ فِيهِ عِدَّةَ الْوَفَاةِ، وَبَيْنَ الْعُلُقِ قَبْلَ
الدُّخُولِ فَلَمْ يُوجِبْ فِيهِ عِدَّةَ أَصْلِهِ، مَعَ أَنَّ الْكُلَّ فِرَاقٌ قَبْلَ الدُّخُولِ. وَالْفُرْقُ بَيْنَ الْفِرَاقِ
بِعَوْضٍ، وَالْفِرَاقِ بِغَيْرِ عَوْضٍ ظَاهِرٌ فِي الْجُمْلَةِ، فَلَا رَجْعَةَ فِي الْأَوَّلِ بِخِلَافِ الثَّانِي"^٤.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٥.

١ زاد المعاد: ١٧٩/٥، لأفضل ما يُسْتَنْبَطُ مِنْ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخْتَلِعَةُ أَنْ تَعْتَدُ بِحَيْضَةٍ وَاحِدَةً.

٢ فتح القدير: ٢٧٧/١.

٣ انظر: تفسير الشوكاني: ٢٧٧/١.

٤ أضواء البيان: ١٤٧/١-١٤٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

الآية:

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣)

مسألة:

هل التحليل عقد صحيح أو باطل؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: " تتضح من الأحاديث الصحيحة أنه لا يصح أبداً أن يتفق الطالق مع رجل على أن يتزوج مطلقته ثم يطلقها، ليحل له الزواج منها من جديد. فهذا النكاح فاسد لا يعتد به، وليس زواجا شرعيا وإنما فاحشة ولا تحل الزوجة لزوجها الأول بمثل هذه الحيلة أبداً. وقد اتفقت الروايات التي وردت عن سيدنا علي وابن مسعود وأبي هريرة وعقبة بن عامر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ لعن المجلل، والمحلل له^١ .

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر للقاريء أنه ذكر قولاً واحداً في صحة عقد التحليل وبطلانه، إلا أن التتبع في التفسير أثبت لي أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال كالتالي:

القول الأول: هو عقد باطل غير صحيح سواء بشرط أو اتفاق في العقد أو غيره بالنية، ولا تحل به المرأة للأول الذي طلقها، ولا للثاني الذي زوجها، وهو حرام بالأدلة الواردة في ذمه وذم فاعله، ومعصية لعن الشرع فاعلها. هذا هو رأي مالك وأحمد، والثوري.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^٢، وثناء الله المظهري^٣، والألوسي^٤، وغيرهم^٥.

١ تفهيم القرآن: ١٧٧/١-١٧٧.

٢ ذكرت الروايات المروية عن هذه الصحابة في الأدلة (أدلة رجحان القول الأول).

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١٤٣/١.

٤ انظر: التفسير المظهري: ٣١٤/١.

٥ انظر: روح المعاني: ٥٣٥/١.

٦ ينظر: نيل المرام محمد صديق خان: ٨٩/١، وتفسير آيات الأحكام للسايس: ١٥٩/١، والتفسير المنير للزحيلي:

٣٣٧/٢.

القول الثاني: هو عقد صحيح مع الكراهة ما لم يشترط التحليل في العقد وإن كان في النية. هذا هو رأي أبي حنيفة وأصحابه والشافعي.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: محمد أبو زهرة، وثناء الله المظهري^١.

القول الثالث: هو عقد صحيح مع الكراهة إن اشترط التحليل في العقد؛ لأن النكاح لا يبطل بالشروط. هذا هو رأي أبي حنيفة.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين أيضا: محمد أبو زهرة، وثناء الله المظهري^٢.

التعليق: يتبين من القراءة في موضوع صحة نكاح التحليل وبطلانه أن هناك ثلاثة أقوال فيه، والإمام المودودي رجح القول الأول منها، وهو "أنه عقد باطل سواء بشرط أو اتفاق في العقد أو غيره بالنية"، فيقول: "تتضح من الأحاديث الصحيحة أنه لا يصح أبدا أن يتفق الطالق مع رجل على أن يتزوج مطلقته ثم يطلقها، لتحل له الزواج منها من جديد. هذا النكاح فاسد لا يتعد به، وليس زواجا شرعيا وإنما فاحشة ولا تحل الزجة لزوجها الأول بمثل هذه الحيلة أبدا. وقد اتفقت الروايات التي وردت عن سيدنا علي وابن مسعود وأبي هريرة وعقبة بن عامر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ لَعَنَ الْمُحِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"، وإليه ذهب المفسرون: أمثال: محمد صديق خان^٣، والقاسمي^٤، والمراغي^٥، وغيرهم.

الأدلة: الأحاديث النبوية:

١ انظر: زهرة التفاسير: ٧٩٠/٢، والتفسير المظهري: ٣٦٤/١.

٢ انظر: زهرة التفاسير: ٧٩٠/٢، والتفسير المظهري: ٣٦٤/١.

٣ انظر: نيل المرام: ٨٩/١.

٤ انظر: محاسن التأويل: ١٤١/٢.

٥ انظر: تفسير المراغي: ١٧٥/٢.

٦ ينظر: التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ١٤٧/١، تفسير آيات الأحكام للسايس: ١٦٠/١، وتفسير

الشعراوي: ٩٩٧/٢، والتفسير المنير للزحيلي: ٣٣٧/٢-٣٣٨، والتفسير المبسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٣٧/١.

- روى الإمام أحمد عن عبد الله، قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْوَاشِمَةَ، وَالْمَتَوَشِّمَةَ، وَالْوَاصِلَةَ، وَالْمَوْصُولَةَ، وَالْمُجِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ، وَآكِلَ الرَّبَا، وَمُوكِلَهُ"١.
- وأيضاً عن أبي هريرة، قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُجِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"٢.
- وروى ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"٣.
- وأيضاً عن علي، قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"٤.
- وروى ابو داؤد عن علي قال إسماعيل: وأراه قد رفعه إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "لَعِنَ الْمُجِلُّ وَالْمُحَلَّلُ لَهُ"٥.
- وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُجِلَّ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"٦.

-
- ١ يقول شعيب الأرناؤط وآخرون: "إسناده صحيح على شرط البخاري"، مسند أحمد: ٣٤٧/١، برقم: (٤٢٨٣)، مسند عبد الله ابن مسعود.
 - ٢ يقول شعيب الأرناؤط وآخرون: "إسناده حسن"، المصدر السابق: ٤٢/١٤، برقم: (٨٢٨٧)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه.
 - ٣ يقول شعيب الأرناؤط وآخرون: "صحيح لغيره، وهذا إسناده ضعيف لضعف زَمْعَةَ بن صالح"، سنن ابن ماجه: ١١٧٣-١١٧، برقم: (١٩٣٤)، أبواب النكاح، بَابُ الْمُحَلَّلِ وَالْمُحَلَّلِ لَهُ.
 - ٤ يقول شعيب الأرناؤط وآخرون: "صحيح لغيره، وهذا إسناده ضعيف لضعف الحارث"، المصدر السابق: ١١٧/٣، برقم: (١٩٣٥)، أبواب النكاح، باب اغلّل واغلل له.
 - ٥ يقول شعيب الأرناؤط ومحمد كميل قره بللي: "صحيح لغيره، وهذا إسناده ضعيف، لضعف الحارث - وهو ابن عبد الله الأعور -"، سنن أبي داود: ٤٢٠/٣، برقم: (٢٠٧٦)، المحقق: شعيب الأرناؤط، محمد كميل قره بللي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، باب في التحليل، أول كتاب النكاح.
 - ٦ يقول الإمام الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" ... وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَغَيْرُهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الْفُقَهَاءِ مِنَ التَّابِعِينَ، سنن الترمذي: ٤٢٠/٣-٤٢١، باب ما جاء في المحلل والمحلل له، برقم: (١١٢٠)، أبواب النكاح.

• وروى الطبراني عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المحلل قال: "لَا نِكَاحَ إِلَّا نِكَاحُ رَغْبَةٍ، لَا نِكَاحَ دَلْسَةٍ، وَلَا مُسْتَهْزِئٍ يَكْتَابُ اللَّهُ لِمَ يَذُقِ الْعُسَيْلَةَ"١.

• وروى الحاكم في مستدركه وصححه عن عقبه بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هُوَ الْمُحِلُّ، فَلَعَنَ اللَّهُ الْمُحِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَعَنَ اللَّهُ الْمُحِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"٢.

وأيضاً عن عمر بن نافع، عن أبيه، أنه قال: جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما، فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجها أخ له، من غير مؤامرة منه، ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ قال: "لَا، إِلَّا نِكَاحُ رَغْبَةٍ، كُنَّا نَعُدُّ هَذَا سِفْاحًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"٣.

(١) هو قول أكثر الفقهاء. يقول البيضاوي: "والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر"٤.

ويقول الألوسي: "والنكاح بشرط التحليل فاسد عند مالك، وأحمد، والثوري، والظاهرية، وكثيرين"٥.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"٦.

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"٧.

١ المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: ٢٢٦/١، برقم: (١١٥٦٧)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، عكرمة عن ابن عباس، باب العين.

٢ المستدرک على الصحيحين: ٢١٧/٢، برقم: (٢٨٠٤)، كتاب الطلاق.

٣ المصدر السابق: ٢١٧/٢، برقم: (٢٨٠٦)، كتاب الطلاق.

٤ أنوار التنزيل: ١٤٣/١.

٥ روح المعاني: ٥٣٥/١.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريبي: ٢٠٦/١.

٧ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

الفصل الثالث:
ترجيحات سورة آل عمران

الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢)

مسألة:

ما المراد بـ "عمران" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "عمران هو والد سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- ويسمى في الكتاب المقدس "عمرام".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "عمران" في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا قولين في المراد بـ "عمران" المذكور في الآية المذكورة، أذكرهما هنا إجمالاً على النحو التالي:

القول الأول: المراد بـ "عمران" هنا عمران بن بصهر والد موسى وهارون -عليهما السلام-.
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والمظهري.^١
وذكره بصيغة التمريض: العلامة أبو السعود، وإسماعيل حقي، والعلامة الألوسي.^٢
ورد عليه الزمخشري والطاهر بن عاشور.

فقال الزمخشري: "فإن قلت: كانت لعمران بن بصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون، ولعمران بن ماثان مريم البتول، فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون؟ قلت: كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول، لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد، وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة".^٣، وعلى هذا الأساس يكون زكريا عليه السلام زوج أخت

١ تفهيم القرآن: ٢٤٦/١.

٢ انظر على التوالي: زاد المسير: ٢٧٤/١، والتفسير الكبير: ٢٠٧/٨، وأنوار التنزيل: ١٣٧/٢، والتفسير المظهري: ٣٧٢/١.

٣ انظر: إرشاد العقل السليم: ٢٦٢، وتفسير روح البيان: ٢٥/٢، وروح المعاني: ١٢٧/٢.

٤ الكشاف: ٣٥٥/١.

مريم البتول أم عيسى عليه السلام، وتكون مريم نفسها هي خالة يحيى عليهما السلام، وبالتالي يكون عمران المذكور في الآية الكريمة هو والد مريم البتول أم عيسى عليهما السلام. وأيضا يرد على هذا القول العلامة الطاهر بن عاشور حيث يقول: "وَأَيْسَ السُّرَادُ هُنَا عِمْرَانُ وَالِدَ مُوسَى وَهَارُونَ إِذِ الْمَقْصُودُ هُنَا التَّمْهِيدُ لِذِكْرِ مَرْيَمَ وَأَبْنَيْهَا عَيْسَى بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ". وعلى هذا الأساس لو سلمنا جدلا بأن عمران المذكور في الآية الكريمة هو والد موسى وهارون عليهما السلام لاختل نظام تناسب الآيات والسور القرآنية التي هي واحدة من أهم مفردات الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

القول الثاني: المراد بـ "عمران" هنا عمران بن ماثان والد مريم البتول، أم عيسى -عليهما السلام-.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^١، والرازي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.
التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة، والشيخ المدودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، وهو أن يكون المراد بـ "عمران" هو: والد موسى وهارون -عليهما السلام، فيقول: "عمران هو والد سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام-"، لكنني أرجح القول الثاني الذي يقول: إن المراد بعمران المذكور في الآية الكريمة هو عمران بن ماثان والد مريم البتول العذراء أخت إيشاع، وخالة يحيى عليهما السلام، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الزخشري^٥، والبيضاوي^٦، وابن كثير^٧، وغيرهم^٨.

١ التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٧٤/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٠١/٨.

٤ انظر: أنوار التنزيل: ١٣/٢.

٥ ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٢/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٣٨/٢١، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢.

٦ انظر: الكشاف: ٣٥٥/١.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ١٣/٢.

٨ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢.

(١) هو قول جمهور المفسرين.

(٢) السياق؛ إن قوله تعالى: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ" بيان وشرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه قبله^٢.

يقول العلامة الألوسي: "وأيضاً يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاها بعد ونص عليه وأنه قال سبحانه: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ الْحُ" والظاهر أنه شرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه بقوله تعالى: "وَأَلَّ عِمْرَانٌ فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ تَكْرَارِ الْاسْمِ فِي جَمَلَتَيْنِ فَيَسْبِقُ الذَّهْنَ إِلَى أَنَّ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ نَحْوَ أَكْرَمُ زَيْدًا إِنْ زَيْدًا رَجُلٌ فَاضِلٌ، وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالثَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ كَانَ فِي ذَلِكَ الْبَاسُ عَلَى السَّامِعِ"^١.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده"^٢.

(٣) تعقيبه بقصة مريم -عليها السلام-^١.

(٤) لو أريدَ بالعمران المذكور في الآية الكريمة والد موسى وهارون عليهما السلام؛ لما بقي السياق متناسقا، ولما كانت هناك مناسبة تاريخية بين عمران، وبين زكريا من جهة، وبين

١ ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٦٢، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي: ٢٥/٢، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ق ٣٧٢١، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وفتح البيان محمد صديق خان: ٢٢٧/٢، وتفسير القاسمي: ٣٠٨٢، وحدائق الروح والريحان محمد أمين المرري: ٢٧٥/٤، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٣٦/٣، وزهرة التفاسير محمد أبي زهرة: ١١٩٤/٣، والتفسير الواضح محمد محمود الحجازي: ٢٢٦/١، والوسيط لطنطاوي: ٨٤/٢، وصفوة التفاسير للصابوني: ١٨٠/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣١٠/١.

٢ انظر: التفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ق ٣٩٢١، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وحدائق الروح والريحان محمد الأمين المرري: ٢٧٥/٤.

٣ سورة آل عمران، الآية ٣٥.

٤ روح المعاني: ١٢٧/٢.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٦ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٠١/٨، وتفسير أبي السعود: ٢٦٢، وفتح البيان محمد صديق خان: ٢٢١/٢.

عمران ومريم عليهم السلام من جهة أخرى، خاصة وأنّ بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة من الزمن من الناحية التاريخية^١.

٥) إنّ كفالة زكريا خير شاهد على أنّ المراد بـ "عمران" هنا أبو مريم البتول أم عيسى -

عليه السلام-، لأنّ زكريا بن آذن وعمران بن ماثان عاشا في عصر واحد.

٦) إنّ السورة تسمى آل عمران ولقد شرحت فيها قصة عيسى ومريم ببساطة أكثر من

غيرها من السور. ولم يذكر فيها من قصة موسى، وهارون-عليهما السلام- طرف^٢.

٧) أنّ هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ"^٣.

٨) عدم تعرضه للردّ والنقد كما هو حال القول الأول.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ"^٤.

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلاّ بدليل يجب التسليم

له"^٥.

١ انظر: فتح البيان لمحمد صديق خان: ٢٢١/٢، وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين الهرري: ٢٧٥/٤.

٢ انظر: الكشاف للزخشي: ٣٥٥/١.

٣ انظر: تفسير الألوسي: ١٢٧/٢.

٤ سورة الأنبياء، الآية ٩١.

٥ التفسير الكبير للرازي: ٢٠٧/٨.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٨/١.

٧ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٢٦)

مسألة:

هل: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ" كلام الله تعالى أو كلام أم السيدة مريم -عليها السلام؟ قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يعني أن الولد محرر من مواطن الضعف الفطرية والقيود الاجتماعية التي هي من نصيب البنت فلو كان ولدا لكان أحسن وأصلح للغرض الذي من أجله نذرت لك مولودي".!

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه ذكر قولاً واحداً في: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ" في قوله تعالى: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا قولين في "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ" في الآية، أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يحتمل أن يكون من كلام أم مريم، فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المسجد الأقصى والإقامة فيه والعبادة لقوته وصلاحيته كالأنثى لصيانتها عن التبرج وضعفها وما يعترئها من الحيض والنفاس.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

القول الثاني: يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، فالمعنى: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لك، بل هي أفضل من الذكر.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢١٢.

٢ انظر: جامع البيان: ٣٣٤/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٥/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٢٧٧/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٠٤/١، وتفسير القرطبي: ٦٥/٤، وتفسير البيضاوي: ١٤/٢، وتفسير ابن جزي:

١٥٠/١، وتفسير ابن كثير: ٣٣٢/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٣٧٢/١، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢.

وعمّن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^١، وابن جزّي^٢، والمظهري^٣.
وذكره بصيغة التمريض: العلامة الطاهر بن عاشور^٤.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المراد بقوله تعالى: "وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنثَى"، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده ويختار لديه، وهو أن يكون قوله تعالى: "وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنثَى" من كلام أمّ مريم. فيقول: "يعني أنّ الولد محرر من مواطن الضعف الفطرية والقيود الاجتماعية التي هي من نصيب البنت فلو كان ولدا لكان أحسن وأصلح للغرض الذي من أجله نذرت لك مولودي"، لأنّه يتبادر إلى الذهن، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الطبري^٥، والماوردي^٦، وابن عطية^٧، وغيرهم^٨.

الأدلة:

(١) هو قول جمهور المفسرين.

(٢) هو القول المتبادر إلى الذهن من خلال القراءة في السياق الذي ورد فيه.

يقول الإمام ابن جزّي في تفسيره أثناء الحديث عن وجوه الترجيح: "أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإنّ ذلك دليل على ظهوره ورجحانه".

١ التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٤١/٢١.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ١٤/٢.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٠/١.

٤ انظر: التفسير المظهري: ق ٤١/٢١.

٥ انظر: التحرير والتنوير: ٣٣٣/٣.

٦ انظر: جامع البيان: ٣٣٤/١.

٧ انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/١.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٤٢٥/١.

٩ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٢٧٧/١، وتفسير القرطبي: ٦٥/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٣/٢، وتفسير الألوسي:

١٢٧/٢، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٣٦/٣، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٦٠/١، والتفسير المسر لنخبة من

أساتذة التفسير: ٥٤/١.

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^١.
"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٢.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٢ المصدر السابق: ١٣٧/١.

الآية:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧)

مسألة:

من هو " السيد زكريا" الذي تكفل بتربية "السيدة مريم -عليهما السلام-؟"

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "...وسيدنا زكريا -عليه السلام- الذي تكفل بتربيتها كان -غالبا- في القرابة زوج خالتها..."

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه ركز على قول واحد في المراد بـ "زكريا" في قوله تعالى: " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَتْ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"، إلا أن المفسرين ذكروا قولين في المراد بـ "زكريا" المذكور في الآية السابقة أذكرهما فيما يلي باختصار:

القول الأول: المراد بـ "زكريا" هنا زوج خالتها.

وعمن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وابن جزى، وأبو حيان الأندلسي.

القول الثاني: المراد بـ "زكريا" هنا زوج أختها.

وعمن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير، وطنطاوي^٢. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طنطاوي ذكر هذا القول بصيغة التمريض.

التعليق: يتضح من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة، والشيخ المودودي -رحمه الله- ذكر واحدا منهما ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد بـ "زكريا" هو: زوج خالتها مريم -عليها السلام- في الغالب،

١ تفهيم القرآن: ٢٤٨/١.

٢ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٠/١، والبحر المحيط: ١١١/٣، وتفسير القرآن العظيم: ٣٥٣/٢.

٣ انظر على التوالي: زاد المسير: ٢٧٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٤، وتفسير القرآن العظيم: ٣٥/٢، والوسيط: ٩٠/٢.

فيقول: "...وسيدنا زكريا -عليه السلام- الذي تكفل بتربيتها كان -غالبًا- في القرابة زوج خالتها..."، وهذا ما رجحه الأئمة المفسرون أمثال: السمعاني، والزنجشيري، وابن جزري، وغيرهم.

الأدلة:

(١) هو المقطوع به تاريخياً.

"يقول الشيخ أحمد محمد شاکر في هامش تفسير الطبري تحت هذه الآية: في سنن البيهقي، والدر المنثور: "وكانت أخت مريم تحته"، وهو خطأ لا شك فيه، فإن المقطوع به في التاريخ أن زكريا وعمران أبا مريم، كانا متزوجين بأختين، إحداهما عند زكريا، وهي أم يحيى. والأخرى عند عمران، وهي أم مريم، فمات عمران وأم مريم حامل بمريم.

(٢) في هذا القول توسع.

يقول الإمام ابن كثير: "وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ذَلِكَ أَيْضًا تَوْسَعًا، فَعَلَى هَذَا كَانَتْ فِي حَضَانَةِ خَالَتِهَا. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي عِمَارَةَ بِنْتِ هَمْرَةَ أَنْ تَكُونَ فِي حَضَانَةِ خَالَتِهَا امْرَأَةً جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ: "الْحَالَةَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ"^١.

١ انظر: تفسير القرآن: ٣٦٣/١.

٢ انظر: الكشاف: ٣٥٧/١.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٠/١.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٥/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١١٠/٣، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٢٢٧/١، والوسيط لطنطاوي: ٩٠/٢، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٦٠/١.

٥ السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبي بكر البهوتي: ٤٨٤/١٠، برقم: (٢١٤٠٢)، كتاب العتق، باب إثبات استعمال القرعة، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦ انظر: ١٨٥/٢.

٧ انظر: تاريخ الطبري ٢: ١٣ نقلًا من تفسير الطبري: ٣٤٩/١.

٨ صحيح البخاري: ١٨١/٣، برقم: (٢٦٩٩)، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسب إلى قبيلته أو نسبه، وصحيح مسلم برقم: (١٧٨٣).

الآية:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴾
(٥٥)

في الآية مسالتان:

المسألة ١

ما المراد بـ"الوفاة" التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "معنى "التوفي" في العربية الأخذ والتسلم واستعماله في قبض الروح مجازي، فبنو إسرائيل حين كانوا منغمسين في طغيانهم المتواصل الذي كان قد اتخذ أشكالا متعدّدة وكانوا في الوقت ذاته متعطشين لدم كل رجل صالح يدعوهم إلى الهدى وحين أرسل الله تعالى يحيى وعيسى -عليهما السلام- إليهم إقامة لحجته عليهم فقتلوا يحيى -عليه السلام- عنادا وكفرا. فأراد الله -عز وجل- أن ينجي رسوله الثاني من بطش هؤلاء الجبابرة فتوفاه أي رفعه إليه روحا وجسدا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في معنى "التوفي" في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴾^(٥٥)، ورجحه، وذكر أدلة رجحانه، إلا أنني وجدت أن للمفسرين أقولاً أخرى في معنى "التوفي" في الآية المذكورة، أذكر هنا بعضاً منها باختصار على النحو التالي:

القول الأول: هي وفاة موت، أي: توفاه الله تعالى ثلاث ساعات أو ست ساعات حين رفعه ثم أحياه ورفعه إليه حياً. على هذا القول تجري الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن جزري^٣، وابن كثير^٤، وغيرهم^٥.

١ تفسير القرآن العظيم: ٣٥/٢.

٢ تفهيم القرآن: ٢٥٧/١ بتصرف.

٣ انظر: جامع البيان: ٤٥٦١-٤٥٧.

ومن الجدير بالذكر أن الأئمة المفسرين: القرطبي، والبيضاوي، والشوكاني، والألوسي ردوا على هذا القول:

يقول الإمام القرطبي: "وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ: تَوَفَّى اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَهَذَا فِيهِ بَعْدُ فَإِنَّهُ صَحَّ فِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزُولُهُ وَقَتْلُهُ الدَّجَالَ".^١

ويقول القاضي البيضاوي: "وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى".^٢

ويقول الإمام الشوكاني: "وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ تَوَفَّاهُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ ضَعْفٌ".^٣

ويقول العلامة الألوسي: "وحكاية أن الله تعالى توفاه سبع ساعات ذكر ابن إسحق أنها من زعم النصارى".^٤

القول الثاني: هي وفاة موت؛ لكن في الكلام تقديم وتأخير؛ لأن الواو لا توجب الترتيب، أي: إنني رافعك إلى ومتوفيك بعد إنزالك من السماء إلى الدنيا. كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾^٥، والتقدير: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُسَمًّى لَكَانَ لِزَامًا﴾.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الفراء النحوي، والطبري، وابن الجوزي، وغيرهم.^٦

١ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٤/١.

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٧/٢.

٣ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق٥٧٢٦، وتفسير الألوسي: ١٧٢/٢.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

٥ أنوار التنزيل: ١٩٢.

٦ فتح القدير: ٣٩٥/١.

٧ روح المعاني: ١٧٢/٢.

٨ سورة طه، الآية ١٢٩.

٩ انظر: معاني القرآن: ٢١٩/١.

ورد عليه القاضي ثناء الله المظهري قائلا: "ثانيهما ما قاله الضحاك معناه إني متوفيك بعد إنزالك من السماء ومؤخرتك إلى أجلك المسمى عاصما إياك من قتل اليهود ورافعك إلي قبل ذلك، والواو للجمع المطلق لا للترتيب، وهذا التأويل يأباه قوله تعالى في المائدة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ فإنه يدل على أنه قومه إنما تنصروا بعد توفيه ولا شك أنهم تنصروا بعد رفعه إلى السماء".

القول الثالث: هي وفاة نوم، أي: منيمك ورافعك إلى في نومك، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وكقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَرُزِيقَ الْآخِرَةِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم". ورد عليه العلامة الطاهر بن عاشور قائلا: "وَحَمَلُهَا عَلَى النَّوْمِ

١ انظر: جامع البيان: ٤٥٨/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨٧/١.

٣ ينظر: تفسير القرطبي: ٩٩/٤، وتفسير ابن جزي: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢.

٤ الآية ١١٧.

٥ التفسير المظهري: ق٥٧٢١.

٦ سورة الأنعام، الآية ٦٠.

٧ سورة الزمر، الآية ٤٢.

٨ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/١.

٩ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

١٠ انظر: أنوار التنزيل: ١٩٢.

١١ ينظر: تفسير ابن جزي: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٧٤/١، وتفسير

الألوسي: ١٧٢/٢.

بِالنَّبِيَّةِ لِعَيْسَى لَمْ يَلْزَمَ أَنْ يَتَّامَ وَلِأَنَّ التَّوَمَّ حَيْثُ دِ وَسِيْلَةٌ لِلرَّفْعِ فَلَا يَنْبَغِي الْبَاهْتِمَامُ بِذِكْرِهِ وَتَرْكُ ذِكْرِ الْمَقْصِدِ".^١

القول الرابع: هي قبض جسم وروح وليس بوفة موت، أي: إني قابضك من الأرض وأفيا تاماً ببدنك وروحك من غير موت، ورافعك إلى السماء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة، والإمام المودودي رجح القول الرابع منها، وهو: أن المراد بـ "التوفي" هنا الأخذ والتسلم، وليس المراد قبض الروح والوفة الطبيعية، أي: أن الله - عز وجل - أخذ سيدنا عيسى - عليه السلام - إليه حياً روحاً وجسداً حفاظاً عليه، ولم يقتل ولم يصلب كما زعم اليهود والنصارى، ويستدل الشيخ لهذه الفكرة بعدد من الأدلة: منها: قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾،^٢ حيث يقول في شرحها: إن هذه الآية تصرح بأن المسيح - عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب كما زعم اليهود والنصارى، ولم ينجح اليهود في قتله - عليه السلام، بل رفع إليه وأن هذه العقيدة كانت موجودة عند النصارى من الأول وعلى أساسها كانت إحدى الفرق منهم تعتقد في تأليهه، وأن التعبير القرآني في هذا المعنى واضح وأدل على المراد، فلو كان المراد بذلك هو الانتقال من هذه الدار إلى الدار الآخرة، أو المراد به هو رفع الدرجات مثل ما ورد في حق إدريس - عليه السلام - "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا

١ التحريير والتنوير: ٢٥٨٣.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٥-٤٥٦.

٣ انظر: زاد المسير: ٢٨٧/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

٥ ينظر: تفسير البيضاوي: ١٩٢، وتفسير ابن جزى: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٥٧١، وتفسير الألوسى: ١٧٢/٢.

٦ سورة النساء، الآية ١٥٧-١٥٨.

عَلِيًّا^١ لكان للقرآن تعبير آخر للوصول إلى هذا المعنى ولكانت الفاظه أقوى دلالة وأوضح بياناً في هذا المعنى، يُضاف إلى ذلك أنّ التذييل يحتاج لهذا المعنى (رفعه جسماً وروحاً) حيث يقول الله -عز وجل- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وهو تعبير يُناسب حادثة تدلّ على قوة الله القاهرة وحكمته العالية مما يُستنبط منه أنّ الرفع المذكور في حق عيسى -عليه السلام- كان من الأمور الجسام والحوادث العظام التي حدثت في تاريخ البشرية^٢. وأخيراً لو أن القرآن الكريم لم يكن يقصد رفع عيسى عليه السلام بهذا التعبير؛ وكان المراد بالتفوي هو الموت لذهب عدد كثير من الأحاديث النبوية المتواترة التي وردت في عودة عيسى عليه السلام ونزوله من السماء إلى الأرض، ومحاربه الدجال وجنده هباء منثوراً، وكان بينها وبين التعبير القرآني تصادم، وهو أمر مستحيل الوقوع كما لا يخفى، وإليه ذهب جمهور المفسرين: أمثال: الطبري^٣، والقرطبي^٤، والجلالين^٥، وغيرهم^٦.

الأدلة:

(١) القرآن: والظاهر أنّ المراد بـ "التوفي" القبض والرفع إلى السماء بلا موت، يشهد له قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾.

^١ سورة مريم، الآية ٥٧.

^٢ انظر: الهامش: ١٩٣، و ١٩٥ من سورة النساء في تفسير الشيخ "تفهيم القرآن".

^٣ انظر: جامع البيان: ٤٥٧/٦.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

^٥ انظر: تفسير الجلالين: ٧٤/١.

^٦ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٥٧/١، وتفسير الشوكاني: ٣٩٥/١، وتفسير الألوسي: ١٧٣/٢، والوسيط لطنطاوي: ١٢٣-١٢٢/٢، والتفسير الميسر لخبطة من أساتذة التفسير: ٥٧/١.

^٧ سورة النساء، الآية: ١٥٧-١٥٨.

يقول القاضي ثناء الله المظهري بعد ذكر الأقوال المختلفة في المسألة: "والظاهر عندي أن المراد بالتوفي هو الرفع الى السماء بلا موت يشهد به الوجدان بعد ملاحظة قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ ولولا نفي الموت عنه لما كان من نفي القتل فائدة إذ الغرض من القتل الموت والله أعلم".^١

ويقول الشيخ طنطاوي في أثناء ترجيحه هذا القول: "إن قوله - تعالى - في سورة النساء ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (١٥٧) بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه لأن الإضراب مقابل للقتل والصلب الذي أرادوه وزعموا حصوله، ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما ومادام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح".^٢

(٢) الأحاديث: تواتر الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن عيسى - عليه السلام - في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان قبل يوم القيامة إماما عادلا، فيمكث في الأرض مدة، ثم يموت. ومن هذه الأحاديث:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون الساعة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها".^٣

١ التفسير المظهري: ق ٥٧١.

٢ الوسيط: ١٢٢/٢.

٣ صحيح البخاري: ١٦٧٤، برقم: (٣٤٤٨)، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، كتاب أحاديث الأنبياء، وصحيح مسلم: ١٣٥/١، برقم: (١٥٥)، باب نزول عيسى ابن مريم حكما عدلا، يشريعه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، كتاب الإيمان، ومسند أحمد: ٥٥٠/١٦ - ٥٥١، برقم: (١٠٩٤٤)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، يقول شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون: اسناده صحيح على شرط الشيخين. واللفظ للبخاري.

(٢) وعنه أيضا أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ".^١

(٣) وعنه أيضا أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عَيْسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَنْقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْجَمَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَلَ، فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ".^٢

(٤) وعنه أيضا أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتْ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَنْقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْجَمَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَلَ، ثُمَّ تَفْعُ اللَّامَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ، لَا تُضْرَمُهُمْ، فَيَمُوتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ".^٣

(٥) وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قَالَ: "فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ

١ صحيح البخاري: ١٦٧/٤، برقم: (٣٤٤٩)، بَابُ نَزُولِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ: ١٣٦/١، برقم: (١٥٥)، بَابُ نَزُولِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

٢ سنن أبي داود: ٣٧٨/٦، برقم (٤٣٢٤)، بَابُ خُرُوجِ الدَّجَلِ، كِتَابُ الْمَلَاخِمِ، يَقُولُ شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطُ، وَعَمَدُ كَامِلُ قَرَةَ بَلَلِي: "حَدِيثٌ صَحِيحٌ دُونَ قَوْلِهِ: "فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"، وَهَذَا إِسْنَادٌ مُنْقَطِعٌ".

٣ مسند أحمد: ١٥، ١٥٣-١٥٤، برقم (٩٣٦٨)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، يَقُولُ شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطُ، وَعَمَلُ مُرْشِدٍ، وَأَخْرَجَهُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَالْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ: ٦٤٧/٢، برقم (٤١٥٣)، ذَكَرُ نَبِيَّ اللَّهِ وَرُؤُوحِهِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، كِتَابُ تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَحْحَةُ الْحَاكِمِ، وَاللَّفْظُ لِأَحَدٍ.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلُّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَهُ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ".^١

يقول الإمام الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قول من قال: "معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي"، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه".^٢

ويقول القاضي ابن عطية: "وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعاً وعشرين سنة، وقيل أربعين سنة، ثم يميت الله تعالى".^٣

ويقول الإمام ابن كثير: "وَقَدْ تَوَاتَرَتِ اللَّخَائِدُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أُخْبِرَ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا".^٤

٣) **هو قول الجمهور:** يقول الإمام الشوكاني: "وَأِنَّمَا احتَاجَ الْمُفَسِّرُونَ إِلَى تَأْوِيلِ الْوَقَايَةِ يَمَا ذُكِرَ، لِأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ وَقَاةٍ، كَمَا رَجَحَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ، وَوَجَّهَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُزُولُهُ وَقَتْلُهُ الدَّجَلِ".^٥

ويقول الشيخ طنطاوي: "إن هذا القول هو قول جمهور العلماء، وهو القول الذي يتناسب مع ما أكرم الله - تعالى - به عيسى - عليه السلام - من كرامات ومعجزات".^٦

١ صحيح مسلم: ١٣٧٨، برقم: (١٥٦)، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةٍ نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كتاب الإيمان، ومسنند أحمد: ٣٣٥/٢٣، برقم: (١٥١٢٧)، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون: إسناده صحيح على شرط مسلم. واللفظ لمسلم.

٢ جامع البيان: ٤٥٨/١.

٣ المحرر الوجيز: ٤٤٤/٨.

٤ تفسير القرآن العظيم: ٣٣٧٧.

٥ فتح القدير: ٣٩٥/٨.

٦ الوسيط: ١٢٢/٢.

٤) الاحتجاج اللغوي؛ معنى "التوفي" هو "القبض" و "الأخذ" و "الرفع" من غير موت صحيح عند أهل اللغة.

يقول الفراء النحوي: "وقد يكون الكلام غير مقدم ولا مؤخر فيكون معنى متوفيك: قابضك كما تقول: توفيت مالي من فلان: قبضته من فلان. فيكون التوفي على أخذه ورفعته إليه من غير موت".^١
ويقول الإمام الطبري: "ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن بالذي يميتة ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن شَيْءٌ﴾"^٢

ويقول الإمام القرطبي: "وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ وَفَاةٍ وَلَا نَوْمٍ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَأَبْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ اخْتِيارُ الطَّبْرِيِّ، وَهُوَ الصَّحِيحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ"^٣.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٤.

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٥.

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^٦.

"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية"^٧.

١ انظر: معاني القرآن للفراء النحوي: ٢١٩/١، وتفسير السمعاني: ٢٢٣/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١٢٧/٢.

٢ معاني القرآن: ٢١٩/١.

٣ سورة الروم، الآية ٤٠.

٤ جامع البيان: ٤٦٠/١.

٥ الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

٧ المصدر السابق: ٢٠٦/١.

٨ نفس المصدر السابق: ٢٨٨/١.

٩ المصدر السابق: ٥١٧/٢.

المسألة ٢

ما المراد بـ قوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله -؛ " المراد بالذين كفروا اليهود الذين دعاهم المسيح -عليه السلام- إلى الإيمان فرفضوه وكفروا به".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ركز على قول واحد في المراد بـ " الَّذِينَ كَفَرُوا " في قوله تعالى: " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَإِنَّ كَفْرَ الْبِغْيَانِ لَكُنُوزٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ نُقِضَ لَهُمْ دَعْوَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا خَالِفِينَ " إلا أن للمفسرين قولين في المراد بـ " الَّذِينَ كَفَرُوا " المذكور في الآية المذكورة أذكرهما هنا باختصار على النحو الآتي:

القول الأول: المراد بهم اليهود خاصة؛ لأنهم ما كفروا بالله بل كفروا برسالة سيدنا عيسى -عليه السلام-.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن عطية^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: المراد بهم الكفار عامة من جميع أهل الملل الذين جحدوا نبوة سيدنا عيسى -عليه السلام-.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، وابن عطية^٦، وأبو حيان الأندلسي^٧، وغيرهم^٨.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٢١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٩٣/٦.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٤/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٣٩/٨.

٥ انظر: تفسير البيضاوي: ١٩٢، وتفسير ابن جزى: ١٥٤/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٩٣.

٦ وتفسير الشوكاني: ٣٩٥/١، وتفسير الألوسي: ١٧٧٢.

٧ انظر: جامع البيان: ٤٦٢/٦.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٥/١.

٩ انظر: البحر المحيط: ١٧٩٣.

١٠ ينظر: تفسير الشوكاني: ٣٩٥/١، وتفسير الألوسي: ١٧٧٢.

التعليق: هكذا يتضح بعد الاستقراء في آراء المفسرين أن هناك قولين في المسألة، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد بـ "الذين كفروا" اليهود خاصة، فيقول: "المراد بالذين كفروا اليهود الذين دعاهم المسيح - عليه السلام - إلى الإيمان فرفضوه وكفروا به". وهذا ما رجحه الأئمة المفسرون أمثال: الرازي، والبيضاوي، وابن جزري، وغيرهم.

الأدلة:

(١) **السياق:** إن سيدنا عيسى - عليه السلام - بعث إلى اليهود ودعاهم إلى الإيمان فكفروا به، كما ذكره الإمام المودودي - رحمه الله -. ويقول الإمام ابن جزري في تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده".

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "لأن اليهود ما كفروا بالله بل كفروا برسالة عيسى، ولأن عيسى لم يبعث لغيرهم فتطهيره لا يظن أنه تطهير من المشركين بقربنة السياق".^١ ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٢

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".^٣

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٣٩/٨.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ١٩٢.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٤/٨.

٤ ينظر: تفسير الجلالين: ٧٤/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٥٩/٣، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ٦٦٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٢٣٨/٣.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٦ التحرير والتنوير: ٢٥٩/٣.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٢٥/٨.

٨ المصدر السابق: ٢٩٩/٨.

الآية:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

مسألة:

ما المراد بـ "أهل الكتاب" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "...إلا أن أسلوب السياق الذي يبدأ من هنا يوضح بأن
المخاطبين هنا اليهود لا النصارى".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه ركز على قول
واحد في المراد بـ "يا أهل الكتاب" في قوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"، إلا أن الاستقراء في أقوال المفسرين أثبت لي أنهم
ذكروا ثلاثة أقوال في المخاطبين بـ "يا أهل الكتاب" المذكور في الآية المذكورة، أذكرها على
وجه الإجمال كالآتي:

القول الأول: الخطاب هنا لنصارى نجران؛ لأنهم حَاجُّوا في عيسى -عليه السلام- واتخذوه ربًّا.
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٢، والرازي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم.
وذكره بصيغة التمريض: القاضي البيضاوي، والعلامة أبو السعود.

القول الثاني: الخطاب هنا لأهل الكتابين جميعاً من اليهود والنصارى، وهو الظاهر من النظم
القرآني. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، وابن الجوزي^٦، والقرطبي^٧، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٢٦١/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٩٠/٨.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٥١/٨.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٥/٤.

٥ ينظر: تفسير ابن جزي: ١٥٥/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٩٣/٣، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١،
وتفسير الألوسي: ١٨٧/٢.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ٩١/٢، وإرشاد العقل السليم: ٤٧/٢.

٧ انظر: جامع البيان: ٤٨٣/٦.

القول الثالث: الخطاب هنا لليهود المدينة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.^١
وذكره بصيغة التمييز: القاضي البيضاوي، والإمام ابن جزي، والعلامة أبو السعود، وإبراهيم
بن إسماعيل الأبياري.^٢

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة ذكرها
المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ركز على واحد منها وصرح بأنه هو الراجح عنده،
وهو أن يكون المخاطبين بـ " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ " اليهود، فيقول: "...إلا أن أسلوب السياق الذي
يبدأ من هنا يوضح بأن المخاطبين هنا اليهود لا النصارى"، لكن يبدو لي من خلال القراءة في
كتب التفسير المتعددة أن القول الثاني وهو الراجح، وذلك لأدلة آتية، وإليه ذهب جمهور
المفسرين أمثال: الطبري، والسمعاني، والبيضاوي، وغيرهم.^٣

١ انظر: زاد المسير: ٢٩٠/٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٥/٤-١٠٦.

٣ ينظر: تفسير البيضاوي: ٢١٧/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٩٣/٣، وتفسير ابن كثير: ٥٥/٢، والتفسير
المظهري لثناء الله المظهري: ق ٦٣/٢١، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٨٧/٢.

٤ انظر: زاد المسير: ٢٩٠/٨.

٥ انظر: التفسير الكبير: ٢٥٧/٨.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٥/٤.

٧ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٩٣/٣، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٨٧/٢.

٨ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ٢١٧/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٥٥/٨، وإرشاد العقل السليم: ٤٧٢/٢،
والموسوعة القرآنية: ٢٣٢/٩.

٩ انظر: جامع البيان: ٤٨٣/٦.

١٠ انظر: تفسير القرآن: ٣٦٣/١.

١١ انظر: أنوار التنزيل: ٢١٧/٢.

١٢ ينظر: تفسير ابن كثير: ٥٥/٢، وتفسير أبي السعود: ٤٧/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٦٣/٢١،
وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٨٧/٢، وتفسير السعدي: ٣٣/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد
اللطيف الحطيط: ٦٧/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٢٣٢/٩، وصفوة التفاسير
للصابوني: ١٩٠/١-١٩١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٢٧/١، والتفسير الميسر لنبجة من أساتذة التفسير: ٥٨/١،
والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٢٥٧/٣.

ظاهر النظم القرآني: فلفظ "أهل الكتاب" يعم ليتناول كل من أوتى كتابا، فاليهود عندهم

التوراة والنصارى عندهم الإنجيل، ولا وجه لتخصيصه بالبعض دون بعض.

يقول الإمام الطبري: "وإنما قلنا عنى بقوله: "يا أهل الكتاب"، أهل الكتابين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب، ولم يخص جل ثناؤه بقوله: "يا أهل الكتاب" بعضاً دون بعض. فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة، بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة. وإذا لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح فالواجب أن يكون كل كتابي معنياً به. لأن إفراذ العبادة لله وحده، وإخلاص التوحيد له، واجب على كل مأمور منهي من خلق الله. واسم "أهل الكتاب"، يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً.

ويقول الإمام الشوكاني: "وقيل: لليهود والنصارى جميعاً، وهو ظاهر النظم القرآني، ولأوجه لتخصيصه بالبعض، لأن هذه دعوة عامة لا تختص بأولئك الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم".^٣ ومن هنا يظهر من تعليق هذين المفسرين الجليلين المذكورين أن (أهل الكتاب) ورد بصورة عامة يشمل اليهود والنصارى، ولا وجه لتخصيصه باليهود فقط دون النصارى، خاصة وأن أسلوب القرآن الكريم سار على هذا النهج على مدار السور القرآنية كلها، فما من آية ورد فيها هذا المصطلح إلا وقد أريد به الصنفان معا من اليهود والنصارى.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه".^٤

١ انظر: تفسير الطبري: ٤٨٣/٦، والتفسير الكبير للرازي: ٢٥٧/٨، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي:

٨٦٢، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٣٧/١.

٢ جامع البيان: ٤٨٣/٦.

٣ فتح القدير: ٣٩٩/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٣٧/١.

”حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك“^١.

”يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص“^٢.

١ المصدر السابق: ١٧٢/٨.

٢ نفس المصدر السابق: ٥٢٧/٢.

الآية:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

مسألة:

هل أخذ الله تعالى من الأنبياء ميثاق الإيمان بمحمد-صلى الله عليه وسلم- أو بمن بعده؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يعني أننا قد أخذنا ميثاقا من كل رسول - وكل ميثاق يؤخذ من نبي فهو ملزم لاتباعه أيضا- أن تنصر كل نبي يرسل من عندنا لإقامة الدين الذي أمرناك بإقامته والدعوة إليه، فلا تعصب ولا كبرياء ولا مخالفة للحق بل الانضمام تحت راية كل من قام من البشر ليرفع راية الحق بأمرنا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾، إلا أنني وجدت أن للمفسرين قولين في الآية المذكورة، أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: أخذ الله تعالى ميثاقاً من كل نبي (من آدم - عليه السلام - إلى عيسى - عليه السلام) أن يؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - سيد البشر ويصدقه وينصره إن أدركه. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفلحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٢٨.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٤٦٥/٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٢٩٩٨.

٤ انظر: البحر المحيط: ٢٣٧٣.

٥ ينظر: تفسير ابن كثير: ٦٧/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٨١/٢١.

القول الثاني: أخذ الله تعالى ميثاقا من كل نبي (من آدم-عليه السلام- إلى عيسى-عليه السلام) أن يؤمن بمن بعده ويصدقه وينصره إن أدركه.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، وأبي حيان الأندلسي، وغيرهم.
التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أن هناك قولين في المسألة، والإمام المودودي ذكر واحدا منهما ورحجه وهو: "أن الله تعالى أخذ ميثاقا من كل نبي أن يؤمن بمن بعده وينصره لإقامة الدين والدعوة إليه"، فيقول: "يعني أننا قد أخذنا ميثاقا من كل رسول- وكل ميثاق يؤخذ من نبي فهو ملزم لاتباعه أيضا- أن تنصر كل نبي يرسل من عندنا لإقامة الدين الذي أمرناك بإقامته والدعوة إليه، فلا تعصب ولا كبرياء ولا مخالفة للحق بل الانضمام تحت راية كل من قام من البشر ليرفع راية الحق بأمرنا"، ومن الجدير بالذكر أن الأئمة المفسرين: ابن كثير، والرازي، ومحمد عزة دروزة، وطنطاوي جمعوا بين القولين، ويتراءى لي أن القول الأول أرجح لأدلة، وإليه ذهب أكثر المفسرين من أمثال: السمعاني، والنسفي، وابن جزى، وغيرهم.

الأدلة:

- ١ انظر: المحرر الوجيز: ٤٦٥/١.
- ٢ انظر: زاد المسير: ٢٩٩/١.
- ٣ انظر: البحر المحيط: ٢٣٦/٣.
- ٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٦٧٢، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهري: ق ٨٠/٢١، وتفسير المراغي: ١٩٩٣.
- ٥ انظر على التوالي: تفسير القرآن العظيم: ٦٧٢، والتفسير الكبير: ٢٧٤/٨، والتفسير الحديث: ١٨٠/٧، والوسيط: ١٦٤/٢.
- ٦ انظر: تفسير القرآن: ٣٣٧/١.
- ٧ انظر: مدارك التنزيل: ٢٦٩/١.
- ٨ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٧/١.
- ٩ ينظر: تفسير الجلالين: ٧٧١، وتفسير السعدي: ١٣٦/١، وتفسير الألوسي: ٢٠٧/٢، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٩٧٣، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٢٤٧/١، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخالطوب: ٧٠/١، وصفوة التفاسير للصابونى: ١٩٥/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٦٠/١، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين المرري: ٤٠٢/٤، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ٦٠/١.

(١) هو قول الجمهور. يقول ابن عطية في الآية الكريمة: "وقال كثير من المفسرين: الإشارة بذلك إلى محمد صلى الله عليه وسلم".^١

(٢) السياق: يدور معنى الآية من أولها إلى الآية المدروسة على إثبات رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -. يقول محمد محمود الحجازي: "هذه السورة الكريمة من أولها إلى هنا يدور معناها على إثبات رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي يجب أن يؤمن به الكل. وأن دينه هو الحق وهو الإسلام، وكل من تقدمه من الأنبياء والأمم قد أخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به إذا أدركوه فما يك أهل الكتاب اليوم قد نقضوا العهد والميثاق وأعرضوا عن هذا الدين".^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٣

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٤

١ المحرر الوجيز: ٤٦٥/١.

٢ التفسير الواضح: ٢٤٨/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٨٨/١.

٤ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

قَالَ تَعَالَى: أَشْرُؤُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَآكَثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾

مسألة:

من المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: المراد بأهل الكتاب هنا بنو إسرائيل!

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بأهل الكتاب في
قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَآكَثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠)، إلا أن الدراسة في التفسير أثبتت لي أن هناك قولين في المراد بأهل الكتاب
في الآية الكريمة السابقة، أذكرهما هنا على وجه الإجمال كالآتي:

القول الأول: إنهم أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى معاً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والخازن، وغيرهم!

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٣٦.

٢ انظر: جامع البيان: ١٠٧٧.

٣ انظر: زاد المسير: ٣٥/١.

٤ انظر: لباب التأويل: ٢٨٥/١.

القول الثاني: إنهم أهل التوراة من اليهود خاصة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الشوكاني، والطاهر بن عاشور، ومحمد عزة دروزة^١.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أن هناك قولين في المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة، والإمام المودودي ذكر واحدا منهما مما يدل على أنه هو الراجح عنده ووقع عليه اختياره، وهو: "أن المراد بهم هنا بنو إسرائيل (اليهود خاصة)، فيقول: "المراد بأهل الكتاب هنا بنو إسرائيل"، وإليه ذهب الشوكاني، والطاهر بن عاشور، ومحمد عزة دروزة^٢.

الأدلة:

(١) **الحديث:** روي الشيخان عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن بي اليهود".^٣ إن المقصود الأول بهم هنا اليهود؛ لأنهم كانوا مع المسلمين في المدينة، ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وأسلم منهم نفر قليل، كما يقول الطاهر بن عاشور: "وأهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى، لكن المقصود الأول هنا هم اليهود، لأنهم كانوا مختلطين بالمسلمين في المدينة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاهم إلى الإسلام، وقصد بيت مذراسبهم، ولأنهم قد

١ ينظر: التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة، ٢١٠/٧، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٦٤/١، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين المرري: ٦٢/٥، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ٦٤/١.

٢ انظر على التوالي: فتح القدير: ٤٢٦/١، والتحرير والتنوير: ٥٢/٤، والتفسير الحديث: ٢١٠/٧.

٣ انظر على التوالي: فتح القدير: ٤٢٦/١، والتحرير والتنوير: ٥٢/٤، والتفسير الحديث: ٢١٠/٧.

٤ صحيح البخاري: ٧٠/٥، برقم (٣٩٤١)، باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب مناقب الأنصار، وصحيح مسلم: ٢١٥١/٤، برقم (٢٧٩٣)، باب نزل أهل الجنة، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، واللفظ للبخاري.

أَسْلَمَ مِنْهُمْ نَفَرٌ قَلِيلٌ وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ
الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ كُلُّهُمْ" ١.

(٢) السياق. يدلّ روح الآيات ومضمونها بأنّ الآيات في اليهود، وهو الأوجه.

يقول محمد عزة دروزة: "... وروح الآيات ومضمونها وتطابق الصفات الواردة فيها مع الصفات
الواردة في اليهود صراحة في آيات أخرى وبخاصة في آية سورة البقرة [٦١] تجعل القول بأنّ
الآيات في اليهود هو الأوجه" ٢.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه" ٣.

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجيب التسليم
له" ٤.

١ سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

٢ التحرير والتنوير: ٥٢/٤.

٣ التفسير الحديث: ٢١٠/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٠٦/١.

٥ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٨﴾ وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾

مسألة:

ما سبب نزول الآيات؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "حين جرح النبي صلى الله عليه وسلم - فدعا على الكفار قائلا: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بَيْنَهُمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، وهذه الآيات نزلت في رد هذا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في سبب نزول الآيات، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا ثلاثة أقوال في سبب نزولها، أذكرها هنا كالتالي:

القول الأول: نزلت لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد، فقال: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بَيْنَهُمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: نزلت لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم - على رؤساء المشركين باللعنة، مثل: أبي سفيان وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، وابن عطية^٦، وابن الجوزي^٧، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٢٨٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ١٩٥/٧.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٥/١-٥٠٦.

٤ انظر: زاد المسير: ٣٣٣/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٥٥/٨، وتفسير الشوكاني: ٤٣٥/١، وتفسير الألوسي: ٢٦٤/٢.

٦ انظر: جامع البيان: ١٩٩/٧.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٦/١.

٨ انظر: زاد المسير: ٣٣٣/١.

القول الثالث: نزلت لما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم - على أحياء من أحياء العرب؛ وذلك لأنهم قتلوا سبعين من قرآء أصحابه الذين أرسلهم الرسول صلى الله - إليهم ليعلموهم القرآن والعلم.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن الجوزي^٢، وابن جزي^٣، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أن هناك ثلاثة أقوال في سبب نزول الآيات، والإمام المودودي ذكر واحدا منها مما يدل على أنه هو اختياره وترجيحه، وهو: "أن هذه الآيات نزلت حين جرح النبي صلى الله عليه وسلم في أحد فدعا على الكفار"، فيقول: "حين جرح النبي صلى الله عليه وسلم - فدعا على الكفار قائلا: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، وهذه الآيات نزلت في رد هذا"، وإليه ذهب عدد من المفسرين: أمثال: الجلالين، والصابوني، وأصحاب التفسير الميسر^٤، ومن الجدير بالإشارة إلى أن المفسرين: المراغي، والسعدي، وأبا بكر الجزائري جمعوا بين القول الأول والثاني^٥.

الأدلة:

(١) **الأحاديث النبوية:** روى مسلم عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كُسرَت رِباعيته يوم أُحُدٍ، وشُجَّ في رأسه، فَجَعَلَ يَسْتُلْتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِباعيته، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ١٠٩.

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٥٥/٨، وتفسير الشوكاني: ٤٣٥/١، وتفسير الألوسي: ٢٦٤/٢.

٢ مثل: مضر، وحيان، ورعل، وذكوان، وعصية.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٠٢/٧.

٤ انظر: زاد المسير: ٣٢٤/١.

٥ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٤/١.

٦ ينظر: تفسير الشوكاني: ٤٣٥/١-٤٣٦، وتفسير الألوسي: ٣٦٥/٢.

٧ تفسير الجلالين: ٨٤/١، وصفوة التفاسير: ٢٠٧/١، والتفسير الميسر: ٦٧/١.

٨ انظر على التوالي: تفسير المراغي: ٦٠/٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١٤٦/١، وأسر التفاسير: ٣٧٥/١.

٩ سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

١٠ صحيح مسلم: ١٤١٧/٣، برقم: (١٧٩١)، باب غزوة أحد، كتاب الجهاد والسير.

وروى الترمذي وصححه عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أُحدٍ وشجَّ وجهه شجةً في جبهته حتى سَلَ الدَّمُ على وجهه، فقال: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟" فَتَنَزَّلَتْ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} [آل عمران: ١٢٨] إِلَى آخِرِهَا^١.

وروى أحمد عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أُحدٍ وشجَّ في جبهته، حتى سَلَ الدَّمُ على وجهه فقال: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ" فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}^٢.

٢) هو قول أكثر العلماء.

٣) السياق.

يقول الإمام الرازي أثناء رده على القول الثالث: "وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي قِصَّةِ أُحُدٍ، وَسِيْقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَإِلْقَاءُ قِصَّةِ أُجْتِيْبِيَّةٍ عَنِ أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ غَيْرُ لَائِقٍ"^٣.

ومما يؤيد هذا الترجيح القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير"^٤. و"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^٥. و"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"^٦.

١ سنن الترمذي: ٢٢٧٥-٢٢٧، برقم: (٣٠٠٢)، باب ومن سورة آل عمران، أبواب تفسير القرآن.

^٢ سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

٣ يقول شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومسنده أحمد: ٢٠/١٩، برقم: (١١٩٥٦)، مسند أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه -.

٤ التفسير الكبير: ٣٥٥/٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٥٨/١.

٦ المصدر السابق: ٢٨٨/١.

٧ نفس المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَفْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

مسألة:

ما هو سبب نزول الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "لما رأى الرمة الذين وكَّل إليهم الرسولُ حماية ظهر المسلمين اغتنام جند العدو، وظنوا أن الغنيمة سينالها من اغتنامها فحسب، أما هم فلن يكون لهم نصيب منها، وعلى هذا تركوا مكانهم. فلما رجع الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة بعد انتهاء الحرب دعاهم وسألهم عن سبب عصيانهم ما أمرهم به فتعللوا بأعذار واهية فرد عليهم: "بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم" وهذه الآية تشير إلى هذا الأمر. ومعنى قول الله هذا إنه إذا كان قائد جيشكم هو رسول الله نفسه وكافة الأمور بيديه فكيف تظنون أنه لن يحفظ مصالحكم وهل تنتظرون من رسول الله أن يقسم ما تحت يده من أموال بطريقة أخرى غير الأمانة والإنصاف والتقوى؟".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتبين أنه ذكر قولاً واحداً في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَفْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أربعة أقوال للمفسرين في سبب نزول الآية المذكورة، أذكرها هنا على النحو التالي:

القول الأول: نزلت الآية بسبب تغطية حمراء فقدت من المغنم يوم بدر، فقال البعض: لعل النبي صلى الله عليه وسلم -أخذها، فبرأ الله -عز وجل- نبيه صلى الله عليه وسلم -عماً اتهم به. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والالوسي.^٢

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٤٩.

٢ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٤/٤-٢٥٥، والبحر المحيط: ٤١٢/٣، وروح

المعاني: ٣١١/٢.

القول الثاني: نزلت الآية بسبب الرمة الذين أخلوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة، خشية أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: - من أخذ شيئا فهو له، وأن لا يقسم الغنائم، فلما ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: " بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم"، فبرأ الله - عز وجل - نبيه صلى الله عليه وسلم - على أبلغ وجه مما اتهم به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^١.

القول الثالث: نزلت الآية بسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم - بعث طلائع في بعض الغزوات فغنم قبل مجيئهم وقسم للناس ولم يقسم لهم، فالمراد المبالغة في النهي عن الغلول، أي: ما كان لنبي أن يقسم لبعض ويترك بعضا. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، والألوسي^٢.

القول الرابع: نزلت الآية إعلاما بأن النبي صلى الله عليه وسلم - لم يكتف شيئا من الوحي. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي^٣.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في سبب نزول الآية الكريمة والإمام المودودي ذكر واحدا منها مما يدل على أنه هو الراجح لديه وهو اختياره، وهو: "نزلت الآية لتبرئة نبيه صلى الله عليه وسلم - عما اتهمه به الرمة الذين أخلوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة"، فيقول: "لما رأى الرمة الذين وكل إليهم الرسول حماية ظهر المسلمين اغتنام جند العدو، وظنوا أن الغنيمة سينالها من اغتنامها فحسب، أما هم فلن يكون لهم نصيب منها، وعلى هذا تركوا مكانهم. فلما رجع الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بعد انتهاء الحرب دعاهم وسألهم عن سبب عصيانهم ما أمرهم به فتعللوا بأعذار واهية فرد عليهم: " بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم" وهذه الآية تشير إلى هذا الأمر"، وإليه ذهب من المفسرين: المراغي، ومحمد محمود الحجازي^٤.

١ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٤/٤، والبحر المحيط: ٤١٢/٣، وروح

المعاني: ٣٢١/٢.

٢ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٤٥٤/٤، وروح المعاني: ٣٢١/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والبحر المحيط: ٤١٢/٣.

٤ انظر: تفسير المراغي: ١١٩/٤، والتفسير الواضح: ٣٠٢/١.

(١) **هو قول الجمهور**. يقول محمد أبو زهرة: "وإن المعنى الذي يجري عليه جمهور المفسرين بأن المراد بالغلول المنفي عن الرسول وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو الغلول المادي في شئون المادة".^١

(٢) **السياق**. يدل السياق على أنه في الحرب وما يتعلق بها من الغنائم. يقول محمد أبو زهرة أثناء رده القول الرابع: "ولكن السياق لا يؤيد هذا المعنى؛ لأن السياق كله فيما قبله وما بعده يدل على أنه في الحرب وما يتعلق بها من غنائم أغرت الرمة وأخرجتهم من محارستهم؛ ولما يجيء بعد ذلك من تعميم الحكم لكل من يغفل غير الأنبياء من حيث إنه يأتي بما غل يوم القيامة؛ ولذلك قال تعالى: (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)"^٢.

(٣) **اللغة العربية**؛ أصل الغل أخذ مال الغير خفية، ولذلك استعمل في السرقة، ثم خصص بالسرقة من المغنم قبل القسمة. قال ابن منظور: "وَقَالَ أَبُو عَبِيدٍ: الْغُلُولُ مِنَ الْمَغْنَمِ خَاصَّةٌ وَلَا تَرَاهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَلَا مِنَ الْحِقْدِ، وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ مِنَ الْخِيَانَةِ أَغْلٌ يُغْلُ، وَمِنَ الْحِقْدِ غَلٌّ يُغْلُ، يَالْكَسْرِ، وَمِنَ الْغُلُولِ غَلٌّ يُغْلُ، بِالضَّمِّ"^٥.

(٤) لا يليق بمكانة الأنبياء أن يأخذوا شيئاً من المغنم؛ لأنهم هم المثل الأعلى في الخلق.

يقول محمد محمود الحجازي: "إن الله قد عصم أنبياءه ورفع درجاتهم عن سفاسف الأمور التي يترفع عنها متوسطو الناس، فما يصح ولا يليق بمكانة النبوة التي رفعها الله أن يأخذ نبي شيئاً من الغنائم، وكيف يكون ذلك؟ وهم المثل العليا في الخلق الكامل والأدب العالي، وهم يعرفون أن من يأخذ شيئاً في الدنيا بغير حق يآثم يوم القيامة".^٦

١ زهرة التفاسير: ١٤٨٣/٣.

٢ سورة آل عمران، الآية ١٦٦.

٣ المصدر نفسه.

٤ انظر: مفردات القرآن للراغب: ٩٥٧/٣، ولسان العرب لابن منظور: ٥٠٠/١١، فصل الغين المعجمة، حرف

اللام، وتفسير الألوسي: ٣٢٠/٢.

٥ لسان العرب: ٥٠٠/١١، فصل الغين المعجمة، حرف اللام.

٦ التفسير الواضح: ٣٠٢/١-٣٠٣.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

- "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ" ١.
- "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له" ٢.
- "القول الذي يزيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية" ٣.
- "كل قول طعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم - ومقام الرسالة فهو مردود" ٤.

□

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٢ المصدر السابق: ١٢٥/١.

٣ نفس المصدر السابق: ٥١١/٢.

٤ نفس المصدر السابق: ٣٢٨/١.

الباب الثاني:
**ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في سور النساء، والمائدة،
والأنعام، والأعراف:**

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في سورة النساء
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة المائدة
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة الأنعام
- الفصل الرابع: ترجيحاته في سورة الأعراف

الفصل الأول:
ترجيحات سورة النساء

الآية:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢٣)

مسألة:

هل البنت المولودة من الزنا تعدّ من المحرّمات أم لا؟

يقول الإمام المودودي -رحمه الله- : "الحفيذة في حكم البنت، إلا أنّ هناك اختلافا في البنت المولودة من الروابط المحرّمة (الزنا)، فذهب الإمام أبو حنيفة، ومالك، وأحمد إلى أنها محرّمة على الرجل مثل البنت الحلال، وذهب الإمام الشافعي أنها ليست من المحرّمات. لكن العقل السليم ينافي تصوّرا يعرف فيه الإنسان أنه يتزوّج بنتا خلقت من نطفته".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبيّن أنه ذكر قولين في المسألة، رجع منهما القول النبي يقول: إنّ البنت المولودة من الزنا تعدّ من المحرّمات. ووجدت خلال تتبعي للتفاسير أنّ المفسرين أيضا ذكروا القولين التاليين:

القول الأول: البنت المولودة من ماء الزنا داخله في قوله "بَنَاتُكُمْ"؛ لأنها متخلقة من مائه وبضعة منه، فهي بنته في الحقيقة، فتكون حراما، ولها حرمة البنت الشرعية.

القول الثاني: البنت المولودة من ماء الزنا ليست داخله في قوله "بَنَاتُكُمْ"؛ لأنها لا تكون بنته؛ لعدم ثبوت التوارث لها، ولا غيره من أحكام النسب التي تثبت بالنكاح الشرعي، فلا تكون حراما وليس لها حرمة البنت الشرعية.

وعن ذكر هذين القولين من المفسرين: الرازي، والألوسي، ووهبة الزحيلي، ومحمد علي السائس^١.

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - رجح القول الأول وهو: أن البنت المولودة من الزنا محرمة على الرجل مثل البنت الحلال، وقدم الدليل العقلي وهو: أن العقل السليم لا يقبل أن يتزوج الرجل البنت المخلوقة من نطفته، يقول: "...فذهب الإمام أبو حنيفة، ومالك، وأحمد إلى أنها محرمة على الرجل مثل البنت الحلال، وذهب الإمام الشافعي أنها ليست من المحرمات. لكن العقل السليم يناهني تصورًا يعرف فيه الإنسان أنه يتزوج بنتًا خلقت من نطفته". ورجح الألوسي هذا القول في تفسيره^١.

الأدلة

(١) البنت المولودة من ماء الرجل تحرم عليه؛ لأنها بنته في الحقيقة، وجزء منه، سواء من ماء حلال أو سفاح^٣.

يقول العلامة الألوسي: "ثم ظاهر النص يدل على أنه يحرم للرجل بنته من الزنا لأنها بنته، والخطاب إنما هو باللغة العربية ما لم يثبت نقل - كلفظ الصلاة ونحوه - فيصير منقولاً شرعياً"^٤.

ويقول أيضاً: "...إذ لا خلاف بين أهل اللسان في أن المخلوقة من ماء إنسان بنته سواء كان ذلك الماء حلالاً أو سفاحاً والجزئية ثابتة في صورتين، والظاهر أنها هي مبدأ حرمة النكاح"^٥.

١ انظر على التوالي: التفسير الكبير: ٢٥/١٠، وروح المعاني: ٤٥٦٢، والتفسير المنير: ٣٦٧/٤، وتفسير آيات الأحكام: ٢٥٣/٨.

٢ انظر: روح المعاني: ٤٥٨٢-٤٦٠.

٣ انظر: تفسير الألوسي: ٤٥٨٢، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٣٦٧/٤، وتفسير آيات الأحكام للسائس: ٢٥٣/٨.

٤ روح المعاني: ٤٥٨٢.

٥ المصدر السابق: ٤٥٨٢ بتصرف.

- (١) البنت المولودة من ماء الزنا تحرم على الرجل قياسا على ولد الزنا؛ فإنه تحرم عليه أمه إجماعا، فالولد بعض منها؛ فكذلك البنت بعض منه^١.
- (٢) وعدم ثبوت التوارث مثلا بين المخلوقة من ماء الزنا وصاحب الماء ليس لعدم الجزئية وكونها ليست بنتا حقيقة بل للإجماع على ذلك، ولولاه لورثت كما يرث ولد الزنا أمه^٢.
- (٣) ونفي بعض لوازم البنت عنها للعقوبة لا يقتضي نفي البقية، وجواز نكاحها^٣.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٤.

١ انظر: تفسير الألوسي: ٤٥٨٢، وتفسير آيات الأحكام للسايس: ٢٥٣/١.

٢ تفسير الألوسي: ٤٥٩٢.

٣ تفسير آيات الأحكام للسايس: ٢٥٣/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٣٧/١.

الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْمَضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (٤٣)

مسألة:

بم يجوز التيمم؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله- : " ليس من الضروري في التيمم أن تُضرب الأرض بالأيدي، وإنما يكفي لهذا الهدف كل شيء مغبر أو شيء الذي يشتمل على الأجزاء الأرضية اليابسة".
دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة، ولم يذكر أقوالاً أخرى مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفاسير أن المفسرين ذكروا قولين في المسألة:

القول الأول: يجوز التيمم بكل ما كان من جنس الأرض الطاهر، من تراب أو رمل أو حجارة بلا نقع أو غير ذلك. وإلى هذا ذهب الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الثوري، والإمام الطبري، وغيرهم، والإمام محمد في إحدى الروايتين عنه.
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والجصاص^٢، وابن العربي^٣، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٥٦/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٠٨/٨-٤٠٩.

٣ انظر: أحكام القرآن : لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي: ٢٩٤، المحقق: محمد صادق القمحاوي، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

والجصاص هو: الإمام، العلامة، المفتي، المجتهد، علم العراق، أحمد بن علي أبو بكر، الجصاص، الرازي، الحنفي، صاحب التصانيف. وصاحب أبي الحسن الكرخي، فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، وصنف وجمع ونجح به الأصحاب ببغداد، وإليه انتهت رئاسة الحنفية، مع براعته في العلم، كان مشهوراً بالزهد والدين، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع، مات في ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مائة، وله خمس وستون سنة، من مصنفاته: "أحكام القرآن"، و"أصول الفقه"، و"شرح الجامع الصغير" في الفروع، و"شرح الجامع الكبير"، و"شرح مختصر الطحاوي". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٤١/١٦-٣٤١، وشذرات

القول الثاني: لا يجوز التيمم إلا بالتراب فقط، أي: لا بد أن يعلق باليد شيء من التراب. وإلى هذا ذهب الإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام محمد في الرواية الأخرى عنه. وزاد/ وانضم أبو يوسف إليه الرمل الذي لا تراب عليه.^٢

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الجصاص^٣، والكيالهراسي^٤، وابن العربي^٥، وغيرهم^٦. ولقد رد الأئمة: الزنجشري، والجصاص، والقرطبي، وثناء الله المظهري على هذا القول. يقول الإمام الزنجشري بعد اختيار القول الأول: "فإن قلت: فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) أي بعضه، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه؟ قلت. قالوا إن "من" لا ابتداء الغاية. فإن قلت: قولهم إنها لا ابتداء الغاية قول متعسف، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل: مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب، إلا معنى التبعض. قلت: هو كما تقول. والإذعان للحق أحق من المراء إنَّ اللّهَ كَأَنَّ عَفْوَاً غَفُوراً

الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد المعكري الحنبلي، أبو الفلاح: ٣٧٧/٤. حقه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، والأعلام للزركلي: ١٧٧/١، وهدية العارفين للبغدادي: (٦٧-٦٦).

١ انظر: أحكام القرآن: ٥٦٩/١.

٢ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، وتفسير البيضاوي: ٧٧٢، وتفسير النسفي: ٣١١/١، وتفسير ابن جزي: ١٩٤/١، وتفسير ابن كثير: ٣٦٨/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ١٣٢/٣، وأضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٦/١، والتفسير المنير لوحة الزحيلي: ٩١/٥.

٣ انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٩/٤، وأحكام القرآن للكيالهراسي: ٥٧/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢.

٤ انظر: أحكام القرآن: ٣٠/٤.

٥ انظر: أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبي الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيالهراسي الشافعي: ٥٧/٣، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ انظر: أحكام القرآن: ٥٦٩/١.

٧ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، وتفسير البيضاوي: ٧٧٢، وتفسير ابن جزي: ١٩٤/١، وتفسير ابن كثير: ٣٦٨/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ١٣٢-١٣٣، وأضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٦/١، والتفسير المنير لوحة الزحيلي: ٩١/٥.

٨ الآية ٦.

كناية عن الترخيص والتيسير، لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم، اثر ان يكون ميسرا غير معسر".^١

ويقول الإمام الجصاص: " وَقَالَ الشَّافِعِيُّ يَتِيمٌ بِالثَّرَابِ مِمَّا تَعَلَّقَ يَأْتِدُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لَمَّا قَالَ اللَّهُ فَيَتِيمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا وَكَانَ الصَّعِيدُ اسْمًا لِلْأَرْضِ افْتَضَى ذَلِكَ جَوَازَ التَّيْمِمْ بِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ الْأَرْضِ. وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ غُلَامٌ ثَعْلَبِيٌّ عَنْهُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ الصَّعِيدُ الْأَرْضُ وَالصَّعِيدُ الثَّرَابُ وَالصَّعِيدُ الْقَبْرُ وَالصَّعِيدُ الطَّرِيقُ فَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ صَعِيدٌ فَيَجُوزُ التَّيْمِمْ بِهِ يَظَاهِرُ الْآيَةُ فَإِنْ قِيلَ إِنَّمَا أَبَاحَ التَّيْمِمْ بِالصَّعِيدِ الطَّيِّبِ، وَالْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ هِيَ الَّتِي تَنَبَتْ، وَالْحِصُّ وَالرَّزْيِخُ لَا يَنْبِتُ شَيْئًا فَلَيْسَ إِذَا بِطَيِّبٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ قِيلَ لَهُ: إِنَّمَا أَرَادَ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرَ الْمُبَاحَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَفَادَ بِذَلِكَ إِجَابَ التَّيْمِمْ بِالصَّعِيدِ الطَّاهِرِ دُونَ النَجَسِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ فَإِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ مَا لَيْسَ بِسَبْخَةٍ، لِأَنَّهُ قَالَ: وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا، وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِ التَّيْمِمْ بِالسَّبْخَةِ الَّتِي لَا تُخْرَجُ مِثْلَ مَا يُخْرَجُ غَيْرَهَا، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِالطَّيِّبِ مَا ذَكَرْتَ. وَقَدْ رَوَى أَبُو ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الطَّيِّبُ الصَّعِيدُ الْجُرْزُ أَوْ قَالَ الْأَرْضُ الْجُرْزُ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ قُلْتُ لِعَطَاءٍ فَيَتِيمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا قَالَ أَطْيَبُ مَا حَوْلَكَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَهُوَ يَدُلُّ مِنْ وَجْهَيْنِ عَلَيَّ مَا ذَكَرْنَا أَحَدَهُمَا إِخْبَارًا أَنَّ الْأَرْضَ طَهُورٌ فَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ طَهُورٌ بِمُقْتَضَى الْخَبَرِ وَالْآخَرُ أَنَّ مَا جَعَلَهُ مِنَ الْأَرْضِ مَسْجِدًا هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ طَهُورًا وَسَائِرُ مَا ذَكَرَ هُوَ مِنَ الْأَرْضِ وَهِيَ مَسْجِدٌ فَيَجُوزُ التَّيْمِمْ بِهِ بِحَقِّ الْعُمُومِ وَرَوَى عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابًا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَكُونُ فِي هَذِهِ الرَّمَالِ لَا نَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ

١ الكشاف: ٥١٤/١.

٢ انظر: لسان العرب لابن منظور: ٢٥٤/٣-٢٥٥.

٣ سورة الأعراف، الآية ٥٨.

٤ سورة البقرة، الآية ١٧٢.

٥ سورة الأعراف، الآية ٥٨.

٦ صحيح البخاري: ٧٤/١، برقم: (٣٣٥)، كتاب التيمم، وصحيح مسلم: ٣٧٠/١، برقم: (٥٢١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، واللفظ للبخاري.

ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفِينَا التُّفْسَاءُ وَالْحَائِضُ وَالْجُنُبُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ يَا رِضِيكُمْ فَأَفَادَ بِذَلِكَ جَوَازَهُ يَكُلُ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ... فَإِنْ قِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَيَتَمَمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَمَسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ يَقْتَضِي حُصُولَ شَيْءٍ مِنْهُ فِي الْأَعْضَاءِ الْمَمْسُوحَةِ بِهِ قِيلَ لَهُ إِنَّمَا أَفَادَ بِذَلِكَ تَأْكِيدَ وَجُوبِ النِّيَّةِ فِيهِ لِأَنَّ "مِنْ" قَدْ تَكُونُ لِبَدْوِ الْعَايَةِ كَقَوْلِكَ خَرَجْتَ مِنَ الْكُوفَةِ وَهَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ عَلَى هَذَا لِيَكُنْ ابْتِدَاءُ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْوَجْهِ وَالْيَدِ يَلَا فَاصِلٌ بَيْنَ الْإِخْرَاجِ وَبَيْنَ الْمَسْحِ فَيَنْقَطِعُ حُكْمُ النِّيَّةِ وَيَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِهَا وَهُوَ كَقَوْلِكَ تَوَضَّأَ مِنَ النَّهْرِ يَعْنِي أَنَّ ابْتِدَاءَ أَخْذِهِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَنْ اتَّصَلَ بِأَعْضَاءِ الْوُضُوءِ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أَخَذَهُ مِنَ النَّهْرِ فِي إِنْجَائِهِ وَتَوَضَّأَ مِنْهُ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ تَوَضَّأَ مِنَ النَّهْرِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ فَمَسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ يَعْنِي مِنْ بَعْضِهِ وَأَفَادَ بِهِ أَنْ أَيُّ بَعْضٍ مِنْهُ مَسَحْتُمْ بِهِ عَلَى جِهَةِ الْإِطْلَاقِ وَالتَّوْسِيعَةِ".

ويقول الإمام القرطبي: "وَقَالَ الْكَيَّا الطُّبْرِيُّ وَاشْتَرَطَ الشَّافِعِيُّ أَنْ يَلْتَقِيَ الشَّرَابُ بِالْيَدِ وَيَتِمَّ بِهِ نَقْلًا إِلَى أَعْضَاءِ التِّيمُّمِ، كَالْمَاءِ يَنْقَلُ إِلَى أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ. قَالَ الْكَيَّا: وَلَا شَكَّ أَنَّ لَفْظَ الصَّعِيدِ لَيْسَ نَصًا فِيمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ، إِلَّا أَنْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا) بَيْنَ ذَلِكَ. قُلْتُ: فَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَجُعِلَتْ تُرَابُهَا لَنَا طَهُورًا) وَقَالُوا: هَذَا مِنْ بَابِ الْمَطْلُوقِ وَالْمُقَيَّدِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ عَلَى بَعْضِ أَشْخَاصِ الْعُمُومِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فِيهِمَا فَكَيْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ). وَقَدْ

١ والخديث رواه البيهقي في السنن الكبرى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابًا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَكُونُ فِي هَذِهِ الرَّمْلِ لَا نَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، وَلَا نَرَى الْمَاءَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ - شَكَ أَبُو الرَّبِيعِ - وَفِينَا التُّفْسَاءُ وَالْحَائِضُ وَالْجُنُبُ، قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالْأَرْضِ". (السنن الكبرى للبيهقي: ٣٣٧/١، برقم: (١٠٣٩)، كتاب الطهارة، بَابُ مَا رُوِيَ فِي الْحَائِضِ وَالتُّفْسَاءِ أَيْكْفِيهِمَا التِّيمُّمُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ إِذَا عَمِيتَا الْمَاءَ).

٢ سورة المائدة، الآية ٦.

٣ سورة المائدة، الآية ٦.

٤ أحكام القرآن: ٣٠/٤-٣٦.

٥ سورة الرحمن، الآية ٦٨.

ذَكَرْنَاهُ فِي (الْبَقْرَةِ) عِنْدَ قَوْلِهِ (وَمَلَأْنِيكَ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)١، وَقَدْ حَكَى أَهْلُ اللَّغَةِ أَنَّ الصَّعِيدَ اسْمٌ لَوَجْهِ الْأَرْضِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَهُوَ نَصُّ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَّا، وَلَيْسَ بَعْدَ بَيَانِ اللَّهِ بَيَانٌ٢.

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وقل الشافعي وأحمد لا يجوز إلا بالتراب واحتجوا بحديث حذيفة بلفظ "فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُنَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَحِدِ الْمَاءَ"٣. قالوا هذا خاص فينبغي أن يحمل عليه العام قلنا هذا استدلال بمفهوم اللقب ومفهوم اللقب ليس بحجة عند الجمهور وتخصيص العام بالخاص إنما يتصور عند التعارض ولا تعارض هاهنا فإن جواز التيمم بالتراب لا ينفي جواز التيمم بغيره بل هو ساكت عنه وتخصيص التراب بالذكر لبيان الأفضل"٤.

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ركز على واحد منهما وهو: أنه يجوز التيمم بكل ما كان يشتمل على الأجزاء الأرضية اليابسة مغبرة أو غير مغبرة. فيقول: "ليس من الضروري في التيمم أن تُضْرَبَ الأرض بالأيدي، وإنما يكفي لهذا الهدف كل شيء مغبر أو الشيء الذي يشتمل على الأجزاء الأرضية اليابسة". وإليه ذهب الطبري، والزغشري، والجصاص، وغيرهم٥.

١ سورة البقرة، الآية ٩٨.

٢ الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/٥.

٣ صحيح مسلم: ٣٧٧/١، برقم: (٥٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

٤ التفسير المظهري: ق١٢٧/٢٢ باختصار.

٥ انظر: جامع البيان: ٤٠٨/٨-٤٠٩.

٦ انظر: الكشاف: ٥١٤/١-٥١٥.

٧ انظر: أحكام القرآن: ٣٠/٤.

٨ ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٥٦٩/١، وتفسير القرطبي: ٣٣٧/٥، وتفسير النسفي: ٣٦١/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق١٢٧/٢٢-١٢٧، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ١٠٠/١.

(١) **القرآن واللغة (الاشتقاق):** الصعيد اسم لوجه الأرض، كان عليه تراب أو لم يكن. قاله الخليل وابن الأعرابي والزجاج. يقول الزجاج: "لا أعلم بين أهل اللغة اختلافاً في أن الصعيد وجه الأرض"^١. يعضده الاشتقاق وهو صريح اللغة ونص القرآن الظاهر؛ لذلك يقتضي ظاهر الآية جواز التيمم بكل ما كان من الأرض^٢.
ويقول الإمام ابن جزى في مقدمة تفسيره: "أن يدلّ على صحّة كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف والاشتقاق"^٣.

(٢) **الحديث:** وأيضاً يدلّ على هذا التأويل مجموعة من الأحاديث، منها: ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نَصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأَجَلْتُ لِي الْمَغَائِمَ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأَعْطَيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"^٤.
وهكذا عدّ في الأشياء المعطية الخمسة التي لم تعط قبل النبي صلى الله عليه وسلم:-
"وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا".

١ معاني القرآن: ٥٧٢.

٢ انظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/٨-٤٠٩، والكشاف للزغشري: ٥١٤/١-٥١٥، وأحكام القرآن لابن العربي: ٥٦٩/١، وتفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٦/٢٢، وتفسير الشوكاني: ٥٤٤/١، وتفسير الألوسي: ٤٢٨.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٤ صحيح البخاري: ٧٤/١، برقم: (٣٣٥)، كتاب التيمم، وصحيح مسلم: ٣٧٠/١، برقم: (٥٢١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، واللفظ للبخاري.

ومنها ما رواه مسلم عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ".^١

ومنها ما رواه مسلم أيضا عَنْ حَدِيفَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تَرْتِبَتُنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَحِدِ الْمَاءَ".^٢

فإنَّ الفاظ هذه الأحاديث تدلُّ على أنَّ الأرض بجميع أجزائها جعلت طهورا ومسجدا إجماعا، فيجوز التيمم به.^٣

(٣) إنَّ كلمة "من" في قوله تعالى: "فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ" لا ابتداء الغاية لا للتبويض كما قال به أصحاب القول الثاني؛ لأنَّ قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا"، كناية عن الترخيص والتيسير، ومن عادة الله - عز وجل - العفو والمغفرة؛ لذلك أثر اليسر على العسر. وكذلك قوله تعالى في سورة المائدة: "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ"؛ لأنَّ في إيجاب التراب المنبت حرج على من يسكن بواد غير ذي زرع أو أرض سبخة أو رمل أو جبل لا يجدونه إلا بحرج عظيم.^٤

(٤) إنَّ كلمة "صَعِيدًا" ليست مطلقة أو مجملة أو عامَّة كما قال به أصحاب القول الثاني، هؤلاء يقولون: إن الآية مطلقة، قيدت المسح بـ "من" في آية ٦ من سورة المائدة. ويراد منه التبويض. وقد أجيب عن هذا في الدليل الثالث. وكما يقولون: إن الآية مطلقة أو

١ صحيح مسلم: ٣٧٨، برقم: (٥٢٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

٢ صحيح مسلم: ٣٧٨، برقم: (٥٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

٣ انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٠/٤، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق١٢٧/٢٢.

٤ سورة المائدة، الآية ٦.

٥ سورة المائدة، الآية ٦.

٦ انظر: الكشاف للزمخشري: ٥١٥/١، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق١٢٧/٢٢.

مجملة أو عامة قيدها أو بينها أو خصصها حديث حذيفة -رضى الله عنه- الذي وردت فيها الفاظ: "وَجَعَلْتُ تُرْبَتَهَا لَنَا طَهُورًا"^١. ولقد رد القرطبي والمظهري على هذا.^٢ ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية"^٣.
"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٤.

١ انظر: أحكام القرآن للكيالهراسي: ٥٨٣، وتفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٦٢٢، وتفسير الشوكاني: ٥٤٥/١، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣.
٢ الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/٥.
٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥١٧/٢.
٤ المصدر السابق: ٢٠٦/١.

الآية

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٦٠)

مسألة:

ما المراد بالطاغوت في الآية؟

يقول الإمام المودودي -رحمه الله- : " المراد بالطاغوت هنا هو ذلك الحاكم الذي يحكم بقانون غير القانون الإلهي وذلك النظام القضائي الذي لا يُطِيع الله -عز وجل- المقتدر الأعلى كما لا يعتبر كتابه هو الفيصل الأخير. ومن هنا فإن هذه الآية صريحة في أن التحاكم إلى مثل هذا النظام القضائي المتسم بالطاغوتية هو مناف للإيمان، ومن مقتضيات الإيمان بالله وكتابه أن يكفر الإنسان بمثل هذه الأنظمة القضائية. فالإيمان بالله والكفر بالطاغوت أمران متلازمان في ضوء التعاليم القرآنية، ولا شك أن الانحناء بين يدي الله -عز وجل- والطاغوت في آن واحد هو النفاق نفسه".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ركز على قول واحد في المراد بـ " الطَّاغُوتِ " في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا "، إلا أن الاستقراء في أقوال المفسرين أثبت لي أنهم ذكروا أقوالاً أخرى في المراد بـ " الطَّاغُوتِ " المذكور في الآية المذكورة أذكرها على وجه الإجمال على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ " الطَّاغُوتِ " هاهنا: "كعب بن الأشرف لأنه كثير الطغيان؛ ولأن المنافقين أرادوا أن يتحاكموا إليه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٦٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٥١٧/٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٤٣٧/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٢٠/١٠.

وذكره بصيغة التمريض: الشيخ طنطاوي^١.

القول الثاني: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" هاهنا: "الكاهن" من كهان العرب، وهو جهينة أبو بردة الأسلمي؛ لفرط طغيانه. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، والرازي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثالث: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" هاهنا: "الأصنام".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، والطاهر بن عاشور^٦.

القول الرابع: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" هاهنا: كعب بن الأشرف وكلّ من عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الأحكام البعيدة الباطلة عن الحق في فصل خصوماتهم إلى من يعظموهم ويرضون بحكمه من دون حكم الله.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٧، والبيضاوي^٨، وابن كثير^٩، وغيرهم^{١٠}.

القول الخامس: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" هاهنا كهنة اليهود وسحرتهم.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام أبو السعود^{١١}.

القول السادس: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" هاهنا كلّ رأس في الضلال من ساحر وكاهن ولجوهما.

١ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٦٣/٥، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٧٣، وتفسير ابن كثير: ٣٤٦٢.

والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق١٥٤/٢٢، وتفسير الشوكاني: ٥٥١/١.

٢ انظر: الوسيط: ١٩٦٣.

٣ انظر: جامع البيان: ٥٠٧/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٢٠/١٠.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٥.

٦ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٧٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق١٥٤/٢٢، وتفسير

الشوكاني: ٥٥١/١.

٧ انظر: التفسير الكبير: ١٢٠/١٠، والتحرير والتنوير: ١٠٥/٥.

٨ انظر: جامع البيان: ٥٠٧/٨.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ٨١/٢.

١٠ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦٢.

١١ ينظر: تفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وفي ضلال القرآن للسيد قطب: ٦٩٤/٢.

١٢ إرشاد العقل السليم: ١٩٤/٢.

ومن انفرد بذكره: محمد عبد اللطيف الخطيب^١.

القول السابع: يراد بـ "الطَّاعُوتِ" هاهنا مجمع الباطل والضلال.

ومن انفرد بذكره أيضا: عبد الكريم الخطيب^٢.

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك سبعة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الرابع)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد بـ "الطَّاعُوتِ" هنا: الحاكم الذي يحكم بغير شرع الله، وأيضا النظام القضائي الذي لا يطيع الله - عز وجل - المقتدر الأعلى ولا يعتبر كتابه الفيصل الأخير، فيقول: "المراد بالطاغوت هنا هو ذلك الحاكم الذي يحكم بقانون غير القانون الإلهي وذلك النظام القضائي الذي لا يُطيع الله - عز وجل - المقتدر الأعلى كما لا يعتبر كتابه هو الفيصل الأخير...". وهذا هو المعنى الأعم والأشمل للطاغوت وإليه ذهب الطبري^٣، والبيضاوي^٤، وابن كثير^٥، وغيرهم^٦.

الأدلة

(١) الآية عامة ولا وجه لتخصيصها.

يقول الإمام الطبري: "يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، يعني إلى: من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله"^٧. ويقول القاضي البيضاوي بعد بيان سبب نزول هذه الآية: "والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله، سمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان، أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه"^٨.

١ أوضح التفاسير: ١٠٢/١.

٢ التفسير القرآني للقرآن: ٨٢٤/٣.

٣ انظر: جامع البيان: ٥٠٧/٨.

٤ انظر: أنوار التنزيل: ٨٠/٢.

٥ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦٢.

٦ ينظر: تفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وتفسير السعدي: ١٨٣/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٦٩٤/٢، والتفسير الميسر لنتيجة من أساتذة التفسير: ٥٤/١، والوسيط لطنطاوي: ١٩٦٣، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٣٢/٥.

٧ جامع البيان: ٥٠٧/٨.

ويقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر أسباب النزول المختلفة في الآية: "وَاللَّيْلَةَ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا دَائِمَةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا"^١.

ويقول الشهيد سيد قطب: "لم تر إلى هذا العجب العجاب.. قوم.. يزعمون.. الإيمان.. ثم يهدمون هذا الزعم في أن؟! قوم "يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ". ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر، وإلى منهج آخر، وإلى حكم آخر.. يريدون أن يتحاكموا إلى.. الطاغوت.. الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. ولا ضابط له ولا ميزان، مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.. ومن ثم فهو.. طاغوت.. طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية. وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضاً وهم لا يفعلون هذا عن جهل، ولا عن ظن.. إنما هم يعلمون يقيناً ويعرفون تماماً، أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه: "وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ".. فليس في الأمر جهالة ولا ظن. بل هو العمد والقصد. ومن ثم لا يستقيم ذلك الزعم زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك! إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب.."^٢.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"^٣. وقد عبر عنه بـ:
"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"^٤.

١ أنوار التنزيل: ٨٠/٢.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦/٢.

٣ في ظلال القرآن: ٦٩٤/٢.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٢٧/٢.

٥ المصدر السابق: ٥٤٥/٢.

الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ
مُؤْمِنًا تَبَتُّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَائِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ
قَبْلُ فَمَنْ آتَاكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٩٤)

مسألة:

ما المراد بقوله تعالى: "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ"؟

يقول الإمام المودودي - رحمه الله - : "أي: لقد مرّ عليكم زمان كنتم فيه منتشرين بصورة
انفرادية في قبائل كافرة، وكنتم مضطربين لإخفاء الإسلام خوفا من الظلم والعدوان، ولم تكونوا
تملكون لإثبات إيمانكم سوى الإقرار اللساني. وقد منّ الله - عز وجل - عليكم بمنح الحياة
الاجتماعية، وجعلكم قادرين على حمل لواء الإسلام ضد الكفار. وليس من شكر هذا الإحسان
ألا تعاملوا باللين واللطف مسلما عهده بالإسلام حديث"^١.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتضح أنه ركز على قول واحد
في المراد بـ "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتُّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ
اللَّهِ مَغَائِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آتَاكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"،
إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال أخرى للمفسرين في المراد بـ "كَذَلِكَ كُنْتُمْ
مِنْ قَبْلُ" المذكور في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال فيما يلي:

القول الأول: أي: كذلك كنتم مثلهم/ مثله (الذي قتلتموه) تخفون إيمانكم عن قومكم المشركين
حذرا على أنفسكم منهم، فمنّ الله عليكم بإعزاز دينكم، وإظهار شريعتكم (إسلامكم).
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والرازي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٨٥/١ - ٣٨٦.

٢ انظر: جامع البيان: ٨٢/٩.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٩٧/٢.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٩١/١١.

القول الثاني: أي: كذلك كنتم كفارا/اضللا مثلهم، فمن الله عليكم بالإسلام/فهداكم للإسلام بكلمة الإسلام.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن جزى، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري، وغيرهم^١.

وذكره الإمام الخازن بصيغة التمريض^٢.

القول الثالث: أي: كذلك كنتم مثلهم في الجاهلية لا تثبتون حتى جاء الإسلام.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي^٣.

القول الرابع: أي: كذلك كنتم مثلهم حين دخلتم في الإسلام في بداية الأمر وتفوهتم بالشهادتين، فعصمت بها دماءكم وأموالكم من غير التفحص عن سرائركم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٤، والبيضاوي^٥، وأبو حيان الأندلسي^٦، وغيرهم^٧.

القول الخامس: أي: كذلك كنتم قبل الهجرة تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا إله إلا الله، فسن الله عليكم بالمجرة.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: القاضي ثناء الله المظهري^٨.

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في الأسطر المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما

١ ينظر: تفسير ابن جزى: ٢٠٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣-٣٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٨٤/٢-

٣٨٥، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق٢٠٧/٢٢، وتفسير الشوكاني: ٥٧٩/١، وتفسير الألوسي: ١١٥/٣.

٢ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٧/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٥/١، والبحر المحيط: ٣٣/٤، والتفسير المظهري: ق٢٠٧/٢٢.

٣ انظر: لبياب التأويل: ٤١٤/١.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٩٧/٢، والبحر المحيط: ٣٤/٤.

٥ انظر: التفسير الكبير: ١٩١/١١.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ٩٧/٢.

٧ انظر: البحر المحيط: ٣٣/٤.

٨ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق٢٠٧/٢٢، وتفسير الشوكاني: ٥٧٩/١، وتفسير الألوسي: ١١٥/٣.

٩ التفسير المظهري: ق٢٠٧/٢٢.

يدل على أنه هو الراجع عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ " كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ": "أي: كذلك كنتم مثلهم منتشرين في القبائل الكافرة مضطربين لإخفاء الإسلام خوفاً من الظلم سوى الإقرار اللساني، ومن الله - عز وجل عليكم بإظهار الإسلام وغلبته، فمن شكر هذا الإحسان أن تعاملوا باللين والرفق مع المسلم الحديث"، فيقول: "أي: لقد مرَّ عليكم زمان كنتم فيه منتشرين بصورة انفرادية في قبائل كافرة، وكنتم مضطربين لإخفاء الإسلام خوفاً من الظلم والعدوان، ولم تكونوا تملكون لإثبات إيمانكم سوى الإقرار اللساني. وقد من الله - عز وجل - عليكم بمنح الحياة الاجتماعية، وجعلكم قادرين على حمل لواء الإسلام ضد الكفار. وليس من شكر هذا الإحسان ألا تعاملوا باللين واللفظ مسلماً عهدته بالإسلام حديثاً"، وإليه ذهب من الأئمة: الطبري، والخازن، وابن كثير، وأصحاب التفسير الميسر^١.

الأدلة

- (١) الآية: كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ}.
- (٢) الحديث المرفوع: ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "كَانَ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ لَهُ فَالْحِجَةُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غَنِيمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} تِلْكَ الْغَنِيمَةُ " قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلَامَ.

١ انظر على التوالي: تفسير الطبري: ٨٣/٩، وتفسير الخازن: ٤١٤/١، وتفسير ابن كثير: ٣٨٤/٢-٣٨٥، والتفسير الميسر لنخبة أساتذة التفسير: ٩٣/١.

٢ سورة الأنفل، الآية ٢٦.

٣ سورة النساء، الآية ٩٤.

٤ سورة النساء، الآية ٩٤.

٥ صحيح البخاري: ٤٧/١، برقم: (٤٥٩١)، كتاب تفسير القرآن، باب {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤].

ورواه أيضا عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لِمَقْدَادٍ: "إِذَا كَانَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يُخْفِي إِيمَانَهُ مَعَ قَوْمٍ كُفَّارٍ، فَأَظْهَرَ إِيمَانَهُ فَتَلَّتَهُ؟ فَكَذَلِكَ كُنْتَ أَنْتَ تُخْفِي إِيمَانَكَ بِمَكَّةَ مِنْ قَبْلِ"^١.

(٣) هو مذهب سعيد بن جبير: ويقول الإمام ابن كثير: "وهذا هو مذهب سعيد بن جبير، كما رواه الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير في قوله: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تُخْفُونَ إِيمَانَكُمْ فِي الْمَشْرِكِينَ. ورواه عبد الرزاق، عن ابن جريج، أخبرني عبد الله بن كثير، عن سعيد بن جبير في قوله: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تَسْتَخْفُونَ بِإِيمَانِكُمْ، كَمَا اسْتَخْفَى هَذَا الرَّاعِي بِإِيمَانِهِ"^٢.

(٤) يقول الإمام الطبري بعد ذكر القول الأول والثاني: "وأولى هذين القولين بتأويل الآية هو القول الأول، وهو قول من قال: كذلك كنتم تخفون إيمانكم في قومكم من المشركين وأنتم مقيمون بين أظهرهم، كما كان هذا الذي قتلتموه مقيماً بين أظهر قومه من المشركين مستخفياً بدينه منهم"^٣. وإليه ذهب الطبري أيضا حيث ذكر: وإنما قلنا: "هذا التأويل أولى بالصواب"، لأن الله عز ذكره إنما عاتب الذين قتلوه من أهل الإيمان بعد إلقائه إليهم السلام ولم يُقَدِّ به قاتلوه، للبس الذي كان دخل في أمره على قاتليه بمقامه بين أظهر قومه من المشركين، وظنهم أنه ألقى السلم إلى المؤمنين تعوداً منهم، ولم يعاتبهم على قتلهم إياه مشركاً فيقال: "كما كان كافراً كنتم كافراً"، بل لا وجه لذلك، لأن الله جل ثناؤه لم يعاتب أحداً من خلقه على قتل محاربٍ لله ولرسوله من أهل الشرك، بعد إذنه له بقتله"^٤.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك"^٥.

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٦.

١ صحيح البخاري: ٢/٩، برقم: (٦٨٦٦)، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء: ٩٣].

٢ تفسير القرآن العظيم: ٣٨٥/٢.

٣ جامع البيان: ٨٣/٩.

٤ المصدر السابق: ٨٣/٩-٨٤.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٦٢/١.

الفصل الثاني:
ترجيحات سورة المائة

الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١)

في الآية مسالتان.

المسألة ١:

ما المراد بـ"العُقُودِ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي: التزموا بالحدود والقيود التي تفرض عليكم في هذه السورة، والتي فرضت عليكم في شريعة الرحمن بصورة عامة، بعد هذه الجملة التمهيدية المختصرة يبدأ الحديث عن المنهيات والمحرمات التي أمر بالالتزام بها".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "العُقُودِ" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ستة أقوال للمفسرين في المراد بـ "العُقُودِ" المذكور في الآية السابقة، أذكرها فيما يلي باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "العُقُودِ" العقود التي يتعاقد بها الإنسان مع غيره (مع أخيه) من بيع ونكاح وعتق ونحوها.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، وابن جزي^٤، وغيرهم. وذكره بصيغة التمريض: الزمخشري، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري^٥.

١ تفهيم القرآن: ٤٣٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٣/٩.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٠٥/٨.

٤ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٩/١.

٥ ينظر: تفسير الشوكاني: ٦٨، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣.

٦ انظر: الكشاف: ٦٠٠/٨، والموسوعة القرآنية: ٣٩٤/٩.

القول الثاني: يراد بـ "العُقُودُ" عهود الذين التي عقدها المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة ونحوها. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، وابن الجوزي، والقرطبي^١.

القول الثالث: يراد بـ "العُقُودُ" العقود التي يتعاقد بها العبد على نفسه مع ربه من الطاعات كالحج والصيام والاعتكاف والنذر واليمين ونحوها من طاعات الإسلام. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم^٥.

القول الرابع: يراد بـ "العُقُودُ" العهود الموثقة (عقود الشرع) التي عقدها الرب سبحانه وتعالى على عباده، وألزمها عليهم من يوم الميثاق إلى يومنا هذا من التكليف والأحكام الدينية من التحليل والتحریم، وما عقده مع أهل الكتاب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعتة، وما يعقد الإنسان مع أخيه من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به، وما يعقد الإنسان على نفسه من نذر ويمين ونحوهما.

(الخلاصة: هذا أمر من الله تعالى بإيفاء كل عقد شرعي).

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٦، وابن الجوزي^٧، والرازي^٨، وغيرهم^٩.

القول الخامس: يراد بـ "العُقُودُ" العهود التي أخذها على أهل الكتاب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما في التوراة والإنجيل في تصديقه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله. وعلى هذا الحكم غُتص بأهل الكتاب.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والقرطبي، والألوسي^{١٠}.

١ انظر على التوالي: النكت والعيون: ٥/٢، وزاد المسير: ٥٠٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٢/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٣/٩.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٠٥/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٢/١.

٥ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢١٩/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٣٦٤/٩.

٦ انظر: جامع البيان: ٤٥٢/٩.

٧ انظر: زاد المسير: ٥٠٥/١.

٨ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/١١.

٩ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٢/١، وتفسير البيضاوي: ١١٣/٢، وتفسير ابن جزي: ٢١٩/١، والتفسير المظهري لثناء

الله المظهري: ١٣/٣، وتفسير الشوكاني: ٦٢، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣-٢٢٣.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام القرطبي، والعلامة الألويسي رد على هذا القول.

يقول العلامة القرطبي: "قال ابن جريج: هو خاص بأهل الكتاب وفيهم نزلت. وقيل: هي عامة وهو الصحيح، فإن لفظ المؤمنين يعم مؤمني أهل الكتاب، لأن بينهم وبين الله عقداً في أداء الأمانة فيما في كتابهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم مأمورون بذلك في قوله: "أوفوا بالعقود" وغير موضع".^١

ويقول العلامة الألويسي: "ورابعها العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب بالعمل بما في التوراة والإنجيل مما يقتضيه التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وروي ذلك عن ابن جريج وأبي صالح، وعليه فالمراد من الذين آمنوا مؤمنو أهل الكتاب وهو خلاف الظاهر".^٢

القول السادس: يراد بـ "العقود" عهود الجاهلية التي كانوا يتعاقدونها فيما بينهم على النصره والمؤازرة على من ظلم أو بغا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والألويسي.^٣

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ستة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الرابع)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "العقود" جميع الحدود والقيود التي فرضت عليكم/وجب عليكم التزامها في هذه السورة وفي شريعة الرحمن. فيقول: "أي: التزموا بالحدود والقيود التي تفرض عليكم في هذه السورة، والتي فرضت عليكم في شريعة الرحمن بصورة عامة، بعد هذه الجملة التمهيدية المختصرة يبدأ الحديث عن المنهيات والمحرمات التي أمر بالالتزام بها". وإليه ذهب الأئمة: الطبري، والزخشري، والرازي، وغيرهم.^٤

١ انظر على التوالي: جامع البيان: ٤٥٣/٩، والجامع لأحكام القرآن: ٣٢/٨، وروح المعاني: ٢٢٣/٣.

٢ الجامع لأحكام القرآن: ٣٢/٨.

٣ روح المعاني: ٢٢٣/٣.

٤ انظر على التوالي: جامع البيان: ٤٤٧/٩، وزاد المسير: ٥٠٥/٨، وروح المعاني: ٢٢٣/٣.

٥ انظر: جامع البيان: ٤٥٤/٩.

٦ انظر: الكشاف: ٦٠١-٦٠٠/٨.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/١.

(١) إنها براعة الاستهلال.

يراد بـ "العقود" أحكام التحليل والتحریم وما ألزمت (عقدت) الفرائض على المؤمنین؛ لأنه سترد في هذه السورة بعده أحكام التحليل والتحریم والفرائض إجمالاً وتفصيلاً. وذلك براعة استهلال^٢.

يقول الإمام الطبري بعد ما رجح القول الرابع: "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل وعز أتبع ذلك البيانَ عما أحل لعباده وحرّم عليهم، وما أوجب عليهم من فرائضه. فكان معلوماً بذلك أن قوله: "أوفوا بالعقود"، أمرٌ منه عبادةً بالعمل بما ألزمهم من فرائضه وعقوده عقيب ذلك، ونَهَى منه لهم عن نقض ما عقده عليهم منه"^٣.

(٢) الحكم عام ولا وجه لتخصيصه.

أمر الله بالوفاء بكل عقد شرعي، فالحكم عام وهو الصحيح ولا وجه لتخصيصه^٤. يقول الإمام الطبري: "...مع أن قوله: "أوفوا بالعقود"، أمرٌ منه بالوفاء بكل عقد أذن فيه، فغير جائز أن يخصّ منه شيء حتى تقوم حجةٌ بخصوص شيء منه يجب التسليم لها. فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفنا، فلا معنى لقول من وجّه ذلك إلى معنى الأمر بالوفاء ببعض العقود التي أمر الله بالوفاء بها دون بعض"^٥.

ويقول الإمام الرازي: "وحاصلُ الكلامِ في هذه الآية أنه أمرٌ يأداهُ التكاليفُ فعلاً وتركاً"^٦.

١ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٢/٦، وتفسير البيضاوي: ١١٣/٢، وتفسير النسفي: ٤٢٣/٨، وتفسير أبي السعود: ٢/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١٣/٣-١٤، وتفسير الشوكاني: ٧٢، وتفسير الألوسي: ٢٢٣/٣، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٤٧٤/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٧٤/٦، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٢٤/٨، وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين المرري: ٩٢/٧، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٨٧/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٦٤/٦.

٢ انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٩، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٧٤/٦.

٣ جامع البيان: ٤٥٤/٩.

٤ انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٩، وتفسير القرطبي: ٣٢/٦، وتفسير الشوكاني: ٧٢.

٥ جامع البيان: ٤٥٤/٩.

٦ التفسير الكبير: ٣٧٧/١١.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص".^١

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٥٢٧/٢.

المسألة ٢

ما المراد بـ "بهيمة الأنعام" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "تطلق كلمة (الأنعام) في اللغة العربية على الإبل والبقر، والضأن، والماعز، أما (البهيمة) فإنها تطلق على الحيوانات السوائم، فلو كان الله تعالى يقول: أحلت لكم الأنعام لكان المراد بها تلك الأنواع الأربعة من الحيوانات فقط، ولكن ورد الحكم بهذه الألفاظ: أحل لكم ما مثل الأنعام من الحيوانات السوائم، وبذلك أصبح الحكم واسعا يشمل جميع الحيوانات السوائم التي هي من نوع الأنعام، أي التي لا أنياب لها، وتأكل من الأغذية النباتية وليس الحيوانية، وتشبه أنعام العرب في خصائصها الأخرى. وإشارة يتضح من هذا أن الحيوانات ذوات الأنياب، والجارحة لغيرها من الحيوانات أيضا ليست حلالا، وعلى هذا ورد الحديث النبوي الشريف أيضا أن الحيوانات الجارحة حرام. كما أنه صلى الله عليه وسلم حرّم تلك الطيور الكاسرة التي تصطاد غيرها من الحيوانات... ورد في رواية ابن عباس: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي نابٍ من السباع، وعن كل ذي مخلبٍ من الطير"، كما وردت في تأييد ذلك روايات متعددة أخرى من الصحابة الكرام رضي الله عنهم".^٢

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "بهيمة الأنعام" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أربعة أقوال للمفسرين في المراد بـ "بهيمة الأنعام" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "بهيمة الأنعام" الأزواج المذكورة في سورة الأنعام. وإضافة البهيمة إلى الأنعام من باب إضافة العام إلى الخاص للبيان، والإضافة بمعنى "من" (كخاتم من فضة). أي: بهيمة من الأنعام (بهيمة هي الأنعام)؛ لأن الأنعام تقع على غيرها أيضا.

١ صحيح مسلم: ١٥٣٤/٣، برقم: (١٩٣٤)، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي نابٍ من السباع، وكل ذي مخلبٍ من الطير.

٢ تفهيم القرآن: ٤٣٧/١.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" و بـ "الأنعام" شيء واحد.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والزنجشيري، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام وألحق بها

الظباء وبقر الوحش. والإضافة من باب إضافة العام إلى الخاص.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" شيء و بـ "الأنعام" شيء آخر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي، والألوسي.

القول الثالث: يراد بـ "بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" أجنّة الأنعام التي تخرج ميتة من بطون الأمهات إذا

ذبحت.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" شيء و بـ "الأنعام" شيء آخر أيضا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أنّ العلامة الألوسي ذكر هذا القول بصيغة التمريض.

ورد على هذا القول العلامة القرطبي، والقاضي ثناء الله المظهري.

يقول الإمام القرطبي: "وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: "بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" الْلِحْنَةُ الَّتِي

تَخْرُجُ عِنْدَ الذَّبْحِ مِنْ بَطُونِ الْأُمَّهَاتِ، فَهِيَ تُؤْكَلُ دُونَ ذَكَاةِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَفِيهِ بَعْدُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: "إِلَّا مَا يَنْتَلَى عَلَيْكُمْ" وَلَيْسَ فِي الْلِحْنَةِ مَا يُسْتَشْتَى".

١ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/٩.

٢ انظر: الكشاف: ٦٠١/٨.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/١١ - ٢٧٨.

٤ ينظر: تفسير ابن جزى: ٢١٩/١، تفسير ابن كثير: ٨٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١٤/٣.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ١١٣/٣، وروح المعاني: ٢٢٣/٣ - ٢٢٤.

٦ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/٩.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ١٤٤/٢.

٨ انظر: زاد المسير: ٥٠٦/١.

٩ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٧٧/١١، وتفسير القرطبي: ٣٤/١، وتفسير الألوسي: ٢٢٤/٣، والتفسير المظهري

لثناء الله المظهري: ١٤/٣.

١٠ انظر: تفسير الألوسي: ٢٢٤/٣.

١١ الجامع لأحكام القرآن: ٣٤/١ - ٣٥.

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وتأويل بهيمة الأنعام في هذه الآية بلجنين غير ظاهر ولا يلائمه الاستثناء بقوله تعالى إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ المراد بالموصول الميتة وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب والمنخقة والموقوفة والنطيحة وما أكل السبع وهذه الأشياء كانت داخلة في بهيمة الأنعام والتحریم لما عرض من الموت حتف أنفه ونحو ذلك من العوارض فلاستثناء متصل".^١

القول الرابع: يراد بـ "بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" وحشيتها كالظباء وبقر الوحش ونظائرهما مما يماثل الأنعام ويدانيتها في الاجترار وعدم الأنياب. والمعروف من كلام العرب أَنَّ الأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم فقط، وَأَنَّ البهيمَة تطلق على كلِّ حيوان، فإضافتها إلى الأنعام لملازمة الشبه بينهما.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" شيء و بـ "الأنعام" شيء آخر أيضا. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، والزنجشري^٣، والبيضاوي^٤، وغيرهم^٥.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة والتي ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الرابع)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" جميع الحيوانات السوائم التي هي من نوع الأنعام، فيقول: "...ولكن ورد الحكم بهذه الألفاظ: أحل لكم ما مثل الأنعام من الحيوانات السوائم، وبذلك أصبح الحكم واسعا يشمل جميع الحيوانات السوائم التي هي من نوع الأنعام، أي التي لا أنياب لها، وتأكل من الأغذية النباتية وليس الحيوانات، وتشبه أنعام العرب في خصائصها الأخرى. وإشارة يتضح من هذا أن الحيوانات ذوات الأنياب، والجارحة لغيرها من الحيوانات أيضا ليست حلالا...". ورجح هذا القول شيخ

١ التفسير المظهري: ١٥٣.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/٩.

٣ انظر: الكشاف: ٦٠١/١.

٤ انظر: أنوار التنزيل: ١١٣/٢.

٥ ينظر: تفسير ابن جزى: ٢١٩/١، تفسير الألوسي: ٢٢٣/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١١/٣.

الهند محمود الحسن الديوبندي، ومحمد محمود الحجازي، ومحمد عبد اللطيف الخطيب، والشيخ
جوهر رحمان أيضاً. وذلك للأسباب والأدلة التالية:

(١) عدم تعرضه للرد والتقد.

(٢) يجوز إضافة المشبة إلى المشبه به.

يقول العلامة الألوسي: "وجوز بعض المحققين في إضافة المشبه للمشبه به كونها بمعنى
اللام على جعل ملابسة المشبه اختصاصاً بينهما، أي بمعنى من البيانية على جعل
المشبه نفس المشبه به، وفائدة هذه الإضافة هنا الإشعار بعلّة الحكم المشتركة بين
المتضايين كأنه قيل: أحلت لكم البهيمة المشبهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق
لكم المماثلة لها في مناط الحكم"^٣.

١ انظر: القرآن الكريم وترجمته إلى المعاني الأردوية (ترجمة: شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي، والتفسير:
شيخ الإسلام شبير أحمد عثمان)، ص ٣٨، والتفسير الواضح: ٤٧٤/١، وأوضح التفاسير: ١٢٤/١.
٢ اطلعت على رأيه من خلال cd.
٣ روح المعاني: ٢٢٤/٣.

الآية:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخَبَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

في الآية مسالتان.

المسألة ١

ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: "إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ"؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي: الحيوانات التي لم تمت على الرغم من تعرضها للحوادث السابقة وكانت فيها بقية الحياة وتم ذبحها فيجوز أن تؤكل، ومن هنا يحل لحم الحيوان الحلال عن طريق الذبح الحلال فقط، ولا يصح قتلها بطريقة أخرى. والذبح والذكاة مصطلحان من المصطلحات الشرعية، يقصد بهما قطع جزء من الحلق بحيث يخرج منه دم الجسد. وقتلها عن طريق الكهرباء أو الخنق أو أي طريقة أخرى تضر بالحيوان وذلك لأن معظم الدم يتوقف في داخل الجسد ويتجمد في أماكن متعدّدة ويلتصق باللحم. وعلى عكس ذلك يخرج الدم في الذبح من جميع العروق إلى الخارج وذلك لأن علاقة المخ بالجسم تستمر إلى مدة طويلة وبذلك يتنظف اللحم من الدم بصورة كاملة وقد مرّ فيما سبق أنّ الدم حرام ولذلك من الضروريّ للحم الحلال أن يفصل عنه الدم".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ" في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ

دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أربعة أقوال للمفسرين في المراد بـ "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" هو استثناء من جميع المذكورات قبله من قوله: "وَالْمُنْحَقَّةُ إِلَى وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ". أي: إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة بعد ما أصابته تلك الحوادث فهو حلال، (فذلك يؤكل). وعلى هذا الاستثناء يكون متصلاً. وهذا قول الجمهور من العلماء والفقهاء. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^١، وابن الجوزي^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" هو استثناء من التحريم، وليس باستثناء من المحرمات (لا من المحرمات) التي ذكرها الله تعالى في قوله: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لِبَغْيِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْحَقَّةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ". أي: حرمت عليكم الأشياء المذكورة سابقاً إلا ما ذكيتم قبل أن يموت بالضرب أو السقوط أو النطح أو أكل السبع فهو حلال. وعلى هذا الاستثناء يكون منقطعاً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، والرازي^٦، والقرطبي^٧، وغيرهم^٨. ومن الجدير بالذكر أن العلامة الألوسي ذكر هذا القول بصيغة التمرير^٩.

١ انظر: المحرر الوجيز: ١٥١/٢.

٢ انظر: زاد المسير: ٥١٠/٨.

٣ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٨٤/١١.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٥٠/٦، وتفسير البيضاوي: ١١٤/٣، وتفسير ابن جزي: ٢٢٠/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٧/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٢/٣، وتفسير الشوكاني: ١٢/٢، وتفسير الألوسي: ٢٣٦/٣، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٧٥/٦.

٥ انظر: جامع البيان: ٥٠٥/٩.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٤/١١.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٠/٦.

٨ ينظر: تفسير الشوكاني: ١٢/٢، وتفسير الألوسي: ٢٣٦/٣.

٩ انظر: روح المعاني: ٢٣٦/٣.

القول الثالث: "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" هو استثناء منقطع؛ وذلك إذا أريد بالمنخفة وأخواتها الأشياء المذكورة سابقا، أي ما مات بسبب منها. أي: حرمت عليكم لكن ما ذكيتم من غير هذه فإنه حلال.

وعمن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١.

وذكره بصيغة التمريض: ابن جزى، وأبو حيان الأندلسي^٢.

ومن الجدير بالذكر أن ابن جزى رد عليه أيضا قائلا: "وهذا قول ضعيف، لأنها إن ماتت بهذه الأسباب، فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها"^٣.

القول الرابع: "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" الاستثناء هنا مختص بقوله: "وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ". أي: إلا ما أدركتم حيا بعد أكل السبع فذكيتموه ذكاة شرعية فهو حلال. وعلى هذا الاستثناء يكون متصلا أيضا.

وعمن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي^٤، وابن الجوزي^٥، والرازي^٦.

ومن الجدير بالذكر أن الأئمة: البيضاوي، وأبا حيان الأندلسي، وأبا السعود، وطنطاوي ذكروا هذا القول بصيغة التمريض^٧.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ": ما أدرك ذكاته وفيه حياة بعد ما أصابته الحوادث المذكورة، فيقول: "أي: الحيوانات التي لم تمت على الرغم من

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٤/١.

٢ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٠/١، والبحر المحيط: ١٧٧/٤.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٧/١.

٤ انظر: النكت والعيون: ١١/٢.

٥ انظر: زاد المسير: ٥١٠/١.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٤/١.

٧ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ١١٤/٣، والبحر المحيط: ١٧٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ٦٣، والتفسير الوسيط: ٣٧/٤.

تعرضها للحوادث السابقة وكانت فيها بقية الحياة وتم ذبحها فيجوز أن تؤكل.."، وإليه ذهب الأئمة: الماوردي، والزنجشري، وابن عطية، وغيرهم.^١

الأدلة

(١) هو قول جمهور المفسرين^٥.

يقول القاضي ابن عطية: "وجهور العلماء على أن الاستثناء هو من هذه المذكورات"^١.

(٢) الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا ولا يجعل منقطعا إلا بدليل.

يقول العلامة القرطبي: "(إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) نُصِبَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْمُتَّصِلِ، عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ. وَهُوَ رَاجِعٌ عَلَى كُلِّ مَا أَدْرَكَ ذَكَاتَهُ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ وَفِيهِ حَيَاةٌ، فَإِنَّ الذِّكَاةَ عَامِلَةٌ فِيهِ، لِأَنَّ حَقَّ الْإِسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَا يُجْعَلُ مُنْقَطِعًا إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ"^٢.

ويقول الأستاذ وهبة الزحيلي: "ومنشأ الاختلاف: هل الاستثناء متصل أو منقطع؟ فمن رأى وهم الجمهور أنه متصل أخرج من الجنس بعض ما تناوله اللفظ، فما قبل الاستثناء حرام، وما

١ انظر: النكت والعيون: ١١٢.

٢ انظر: الكشاف: ٦٠٣/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٥١/٢.

٤ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٥١٧/١، وتفسير القرطبي: ٥٠/١، وتفسير البيضاوي: ١١٤/٣، وتفسير النسفي: ٤٢٥/١، وتفسير ابن جزي: ٢٢٠/١، وتفسير الخازن: ٨٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٧/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٢٣، وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي: ١٣٧١، وتفسير أبي السعود: ٦٣، وتفسير الشوكاني: ١٢٢، وتفسير الألوسي: ٣٣٦/٣، وتفسير المراغي: ٥٠/١، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٤٧٩/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٩٢/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأيباري: ٣٦٧/٩، والوسيط لططاوي: ٣٧/٤، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٠٧/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٨٩/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٧٥/١.

٥ انظر: تفسير ابن عطية: ١٥١/٢، وتفسير الماوردي: ١١٢، وتفسير ابن الجوزي: ٥١٧/١، وتفسير القرطبي: ٥٠/١، وتفسير الشوكاني: ١٢٢.

٦ المحرر الوجيز: ١٥١/٢ بتصرف.

٧ الجامع لأحكام القرآن: ٥٠/١.

بعده خرج منه، فيكون حلالاً. ويؤيد كون الاستثناء متصلاً بإجماع العلماء على أن الذكاة تحلل ما يغلب على الظن أنه يعيش، ولا يجعل الاستثناء منقطعاً إلا بدليل يجب التسليم له. ومن رأى أن الاستثناء منقطع، رأى أنه لا تأثير للاستثناء في الجملة المتقدمة، وكأنه قال: ما ذكيتموه من غير الحيوانات المتقدمة فهو حلال لأن التحريم إنما يتعلق بهذه الحيوانات بعد الموت، وهي بعد الموت لا تذكي، فيكون الاستثناء منقطعاً. وأجيب عن ذلك بأن الاستثناء متصل باعتبار ظاهر الحلال، فإن ظاهر هذه الحيوانات أنها تموت بما أصيبت به، فتكون حراماً بحسب الظاهر، إلا ما أدرك حياً وذكي، فإنه يكون حلالاً".^١

(٣) كانت العرب تعتقد أن هذه الحوادث على المأكول كالذكاة؛ لذلك لم يكتف الله بذكر الميتة فقط، وإن كانت هذه الأقسام تدخل في حكم الميتة.

يقول العلامة أبو حيان الأندلسي: "والظاهر أنه استثناء متصل، وإنما نص على هذه الخمسة وإن كان في حكم الميتة، ولم يكتف بذكر الميتة لأن العرب كانت تعتقد أن هذه الحوادث على المأكول كالذكاة، وأن الميتة ما مائت يوجع دون سبب يعرف من هذه الأسباب".^٢

ويقول الشيخ طنطاوي بعد ذكر القولين في المسألة: "والأول أولى، لأن هذه الأنواع الخمسة تشترك في أنها تعلقت بها أحوال قد تفضى بها إلى الهلاك، فإن هلكت بتلك الأحوال لم يبح أكلها لأنها حينئذ ميتة، وإذا أدركت بالذكاة في وقت تنفع فيه الذكاة لها جاز الأكل منها".^٣

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٤

١ التفسير المنير: ٨١/٦.

٢ البحر المحيط: ١٧٢/٤.

٣ التفسير الوسيط: ٣٧/٤.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

المسألة ٢

ما المراد بـ "اليَوْمَ" في قوله تعالى: "اليَوْمَ يَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ" في الآية؟
قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ليس المراد بـ "اليوم" يوماً ولا تاريخاً خاصاً، بل المراد به هو ذلك العهد والزمان الذي نزلت فيه هذه الآيات. ويستخدم (اليوم) في زماننا أيضاً بصورة عامة للزمن الحالي".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "اليَوْمَ" في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ يَسُوءُ الْيَوْمَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، إلا أنني وجدت خلال تبني للتفسير ثلاثة أقوال للمفسرين في المراد بـ "اليَوْمَ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "اليَوْمَ" يوم معين جدير بالامتثال بزمانه، يوم نزول الآية، وقد نزلت بعد العصر من يوم الجمعة، يوم عرفة، عام حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة، والنبي صلى الله عليه وسلم - واقف بعرفات على ناقته العضاء، والألف واللام فيه للعهد والمراد به يوم نزول الآية.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، والزنجشيري^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.
وذكره بصيغة التمريض: القاضي البيضاوي، والعلامة أبو السعود، والقاضي ثناء الله المظهري^٥.

١ تفهيم القرآن: ٤٤٣/٨.

٢ انظر: جامع البيان: ٥١٦/٩.

٣ انظر: الكشاف: ٦٠٥/٨.

٤ انظر: زاد المسير: ٥١٢/٨.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٨٦/١١، تفسير ابن جزري: ٢٢١/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٤/٤.

وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٠٠/٨.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ١١٥/٣، وإرشاد العقل السليم: ٦٣، والتفسير المظهري: ٢٤/٣.

القول الثاني: يراد بـ "اليَوْمَ" الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية، ولم يرد به يوماً بعينه. أي: الآن ينسوا؛ فإنَّ العرب يطلقون (اليوم) على الزمان الحاضر، و (الأمس) على الماضي، و (الغد) على المستقبل^١. ونظيره قوله: "أنا اليومَ قَدْ كَبُرْتُ". تريد الآن^٢. و"كنت بالأمس شاباً وأنت اليوم أشيب، فلا تريد (بالأمس) اليوم الذي قبل يومك ولا (باليوم) يومك^٣. و"كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخاً" لا يريد (بالأمس) اليوم الذي قبل يومك، ولا يريد (باليوم) يومك الذي أنت فيه^٤. والألف واللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الزجاج النحوي^٥، والزنجشري^٦، والرازي^٧، وغيرهم^٨.

القول الثالث: يراد بـ "اليَوْمَ" يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم - مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع للهجرة أو سنة ثمان للهجرة. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي وأبو حيان الأندلسي والألوسي^٩. ومن الجدير بالذكر أن أبا حيان الأندلسي ذكر هذا القول بصيغة التمريض^{١٠}.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الثاني)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "اليَوْمَ" العهد الذي نزلت فيه هذه الآيات، فيقول: "ليس المراد بـ "اليَوْمَ" يوماً ولا تاريخاً خاصاً، بل المراد به هو

١ تفسير الطاهر بن عاشور: ١٠١/٦.

٢ انظر: معاني القرآن للزجاج النحوي: ١٤٧/٢.

٣ الكشاف للزنجشري: ٦٠٤/١.

٤ التفسير الكبير للرازي: ٢٨٧/١١.

٥ معاني القرآن: ١٤٧/٢ - ١٤٨.

٦ انظر: الكشاف: ٦٠٤/١.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٧/١١.

٨ ينظر: تفسير البضاوي: ١١٥/٢، وتفسير ابن جزى: ٢٢١/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٤/٤.

والتفسير المظهرى: ٢٤/٣، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٠١/٦.

٩ انظر على التوالي: تفسير القرطبي: ٦٠/١، والبحر المحيط: ١٧٤/٤، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣.

١٠ انظر: روح المعاني: ٢٢٢/٣.

ذلك العهد والزمان الذي نزلت فيه هذه الآيات. ويستخدم (اليوم) في زماننا أيضا بصورة عامة للزمن الحالي". وإليه ذهب الأئمة: الزجاج النحوي، والزخشي، النسفي، وغيرهم.
الأدلة:

(١) هو كلام خرج على عادة أهل اللسان؛ فإن العرب يطلقون يوما على الزمن الحاضر بمعنى (الآن).

يقول الزجاج النحوي: "وقوله: (الْيَوْمَ يَأْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ). "اليوم" منصوب على الظرف، وَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ - واللّه أعلم - يوماً بعينه. معناه الآن يئس الذين كفروا من دينكم، وهذا كما تقول أنا اليوم قَدْ كَبُرْتُ. وهذا الشأن لا يصلح في اليوم. تريد أنا الآن، وفي هذا الزمان ومعناه: أن قد حَوَّلَ الله الخوفَ الذي كاد يلحقكم منهم اليوم ويئسوا مِنْ بَطْلانِ الإسلام. ويقول الزخشي: "الْيَوْمَ لم يرد به يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شاباً، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك".
ويقول الرازي: "أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ هُوَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَعَيْنِهِ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُمْ مَا يَيْسُوا قَبْلَهُ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ خَارِجٌ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ اللِّسَانِ مَعْنَاهُ لَأَحْجَاجٌ بِكُمْ الْآنَ إِلَى مُدَاهَنَةِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بِأَنَّكُمْ الْآنَ صِرْتُمْ بِحَيْثُ لَأَ يَطْمَعُ أَحَدٌ مِنْ أَعْدَائِكُمْ فِي تَوْهِينِ أَمْرِكُمْ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: كُنْتُ بِالْأَمْسِ شَابًا وَالْيَوْمَ قَدْ صِرْتُ شَيْخًا، وَلَا يُرِيدُ بِالْأَمْسِ الْيَوْمَ الَّذِي قَبْلَ يَوْمِكَ، وَلَا بِالْيَوْمِ يَوْمَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ".

١ معاني القرآن: ١٤٧/٢-١٤٨.

٢ انظر: الكشاف: ٦٠٤/١.

٣ انظر: مدارك التنزيل: ٤٢٧/١.

٤ ينظر: تفسير أبي السعود: ٦٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢٤/٣، وتفسير الألوسي: ٢٣٣/٣.

٥ معاني القرآن: ١٤٧/٢-١٤٨.

٦ الكشاف: ٦٠٤/١.

٧ التفسير الكبير: ٢٨٦/١.

ويقول الطاهر بن عاشور: "وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ (الْيَوْمَ) يَمَعْنَى الْآنَ، أَي زَمَانَ الْحَالِ، الصَّايِقِ بِطَائِفَةٍ مِنَ الزَّمَانِ، رَسَخَ الْيَأْسُ، فِي خِلَالِهَا، فِي قُلُوبِ أَهْلِ الشُّرْكِ بَعْدَ أَنْ خَامَرَ نَفُوسَهُمُ التَّرَدُّدُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ يُطْلِقُونَ (الْيَوْمَ) عَلَى زَمَنِ الْحَالِ، وَ(الْأَمْسَ) عَلَى الْمَاضِي، وَ (الْغَدَ) عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ".^١

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر".^٢

١ التحرير والتنوير: ١٠٧٦.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٦٩٢.

الفصل الثالث:
ترجيحات سورة الأنعام

مسألة:

هل السورة مكية خالصة أو بعضها مكِّي وبعضها مدني؟ وهل السورة نزلت دفعة واحدة أم منجمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ورد في رواية عن ابن عباس قال: " نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً يَمَكَّةً". وتقول أسماء بنت يزيد ابنة عم معاذ ابن جبل: " نَزَلَتْ الْأَنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَنَا أَخِيذَةُ بِيَمَامٍ نَاقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَلِهَا لَتَكْسِيرِ عَظْمِ النَّاقَةِ".^١ وورد في بعض الروايات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كتبها في الليلة التي نزلت فيها".^٢

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الأنف الذكر يتضح أنه يشير في هذا النص إلى المسألتين التاليتين:

الأولى: إن سورة الأنعام مكية خالصة. كما يظهر من عبارته. ويتضح منه أيضا أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، ويستدل على رأيه بروايتين. إلا أن المتبع في التفاسير والكتب المصنفة في علوم القرآن يجد قولين في نزول هذه السورة، وهما بالاختصار على النحو التالي:

القول الأول: إن هذه السورة مكية.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن كثير،^٣ وثناء الله المظهري،^٤ والسيد قطب.^٥

القول الثاني: إن هذه السورة مكية بعضها مدنية لأن هذه السورة مكية ما عدا الآيات القلائل.

١ المعجم الكبير للطبراني: ٢١٥/٢، برقم: (١٢٩٣٠)، ويقول الشيخ أحمد شاکر في عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: "إسناده عند الطبراني إسناده صحيح: ٧٦٧/١، أعده أنور باز، دار الوفاء، المنصورة.

٢ المعجم الكبير للطبراني: ١٧٧/٢٤، برقم: (٤٤٩)، يقول أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١٣٧/٧: "وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق". برقم: (١٠٩٦٠)، سورة المائدة، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ: حسين سليم أسد الداراني، دَارُ الْمُؤْمِنِ لِلتُّرَاثِ. ويقول أحمد محمد شاکر في عمدة التفسير من ابن كثير معلقاً على كلام الطبراني: ٧٦٧/١: "وشهر ثقة عندنا".

٣ تفهيم القرآن: ٥٢٠/١.

٤ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣٧/٣.

٥ انظر: التفسير المظهري: ٢١٢/٣.

٦ انظر: في ظلال القرآن: ١٠٠٤/٢.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^١، والرازي^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم^٤.
ورد عليه الأستاذ السيد قطب والشيخ الطاهر بن عاشور.

يقول الأستاذ السيد قطب بعد ذكر الروایتين اللتين ذكرهما الإمام المودودي لتأييد رأيه:
"وهاتان الروایتان أوثق من الأقوال التي جاء فيها أن بعض الآيات مدنية"^٥.

ويقول أيضا: "والواقع أن سياق السورة في تماسكه وفي تدافعه وفي تدفقه يوقع في القلب أن هذه السورة نهر يتدفق، أو سيل يتدفق، بلا حواجز ولا فواصل وإن بناءها ذاته ليصدق تماما هذه الروايات، أو على الأقل يرجحها ترجيحاً قوياً"^٦.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "لَا يَصِحُّ نَقْلُ فِي شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْأَنْعَامِ فِي الْمَدِينَةِ. وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ وَهُوَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْبَيْهَقِيُّ، وَأَبْنُ مَرْذُوقٍ، وَالطَّبْرَائِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ"^٧.

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما، ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، ووقع عليه اختياره. وهو: "أنها مكبة خالصة"، ويستدل على رأيه برواية عن ابن عباس، فيقول: "ورد في رواية عن ابن عباس، قال: 'نزلت سورة الأنعام جملة بسكة'^٨. وقد وافق بذلك جماعة من الأئمة المفسرين كأمثال: النسفي، وابن كثير، وإسماعيل حقي، وغيرهم^٩.

١ انظر: زاد المسير: ٨٢.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٤٧٧/١٢.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٢/٦.

٤ ينظر: تفسير الفيضوي: ١٥٣/٢، وتفسير الشوكاني: ١١١/٢، وتفسير الألوسي: ٧٢/٤، وتفسير المراغي: ٦٩٧، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٠٤/٢، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد محمد أبي شهبه: ٢٢٢/١.

٥ في ظلال القرآن: ١٠٢٢/٢.

٦ المصدر نفسه.

٧ التحرير والتنوير: ١٢٢/٧.

٨ سبق تخريجه.

٩ انظر: مدارك التنزيل: ٤٨٩/١.

١٠ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٧/٣.

١١ انظر: روح البيان: ٢/٣.

الأدلة:

(١) رواية ابن عباس التي رواها الطبراني عنه بسنده قال: "نزلت سورة الأنعام جملةً يمكةً ليلًا وحولها سبعون ألفَ ملكٍ يجرون حولها بالتسبيح".^١

(٢) ورواية أسماء بنت يزيد التي رواها الطبراني أيضا عنها بسنده قالت: "نزلت الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملةً واحدةً، وأنا آخذةٌ بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم أن كانت من ثقلها لتكسر عظم الناقة".^٢

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٣

الثانية: إن سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً (دفعاً واحدةً) كما يظهر من عبارته. ومما يتضح من كلامه أيضاً أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أنني وجدت خلال تبعمي للتفاسير وكتب علوم القرآن قولين للمفسرين. أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: إن سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً/دفعاً واحدةً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم.^٤

القول الثاني: إن سورة الأنعام نزلت منجمةً.

ومن انفرد بذكره العلامة الألوسي.^٥

١ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢١٢/٣، وتفسير السعدي: ٢٥٠/٨، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٠٤/٢، و١٠٢٠/٢ وما بعدها، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٢١/٨-١٢٢، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٤/٢، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٢٦٧، والمختصر في تفسير القرآن لجماعة من علماء التفسير: ١٢٧/٨.

٢ سبق تخريجه.

٣ سبق تخريجه.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/٨.

٥ انظر: التفسير الكبير: ٤٧/١٢.

٦ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٧/٣.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٢/٨.

٨ ينظر: تفسير الشوكاني: ١١١/٢، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٢٠/٢ وما بعدها.

٩ انظر: روح المعاني: ٧٢/٤.

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما، ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، ووقع عليه اختياره. وهو: "أنها نزلت جملة واحدة"، ويستدل على رأيه برواية عن أسماء بنت يزيد، فيقول: "وتقول أسماء بنت يزيد ابنة عم معاذا بن جبل: "نَزَلَتِ الْأَنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَنَا آخِذَةٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَلِهَا لَتَكْسِيرِ عَظْمِ النَّاقَةِ"^١. وإليه ذهب الأئمة المفسرون: الرازي، وابن كثير، وإسماعيل حقي، وغيرهم.

الأدلة

- (١) رواية ابن عباس التي رواها الطبراني عنه بسنده قال: "نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً يَمَكَّةَ لَيْلًا وَحَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ"^٢.
 - (٢) ورواية أسماء بنت يزيد التي رواها الطبراني أيضا عنها بسنده قالت: "نَزَلَتْ الْأَنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَنَا آخِذَةٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَلِهَا لَتَكْسِيرِ عَظْمِ النَّاقَةِ"^٣.
- يقول الإمام المراغي: "وقد روى كثير من المحدثين عن غير واحد من الصحابة والتابعين أن هذه السورة نزلت جملة واحدة"^٤.

١ سبق تخريجه.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٤٧٧/٢.

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣٧/٣.

٤ انظر: روح البيان: ٨/٢.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٢/٦، وتفسير الشوكاني: ١١٧/٢، وتفسير المراغي: ٦٩٧، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٢٠/٢ وما بعدها، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١١٦٤، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٥٨٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٢٧/٧ وما بعدها، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٢٧٧.

٦ سبق تخريجه.

٧ سبق تخريجه.

٨ تفسير المراغي: ٦٩٧.

ويقول الأستاذ السيد قطب بعد ما رجح القول الأول: وهاتان الروايتان^١ أوثق من الأقوال التي جاء فيها أن بعض الآيات مدنية^٢.

(٣) نزولها دفعة واحدة فضيلة عند الأصوليين.

يقول الإمام الرازي: "قَالَ الْأَصُولِيُّونَ: هَذِهِ السُّورَةُ اخْتَصَّتْ بِتَوْعِينِ مِنَ الْفَضِيلَةِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً. وَالثَّانِي: أَنَّهَا شِيعَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالسَّبَبُ فِيهَا أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ وَإِبْطَالِ مَذَاهِبِ الْمُبْطِلِينَ وَالْمُلْحِدِينَ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْأَصُولِ فِي غَايَةِ الْجَدَالَةِ وَالرُّفْعَةِ، وَأَيْضًا فَإِنْزَالُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْحُكْمِ قَدْ تَكُونُ الْمَصْلَحَةُ أَنْ يُنَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْرَ حَاجَتِهِمْ، وَيَحْسَبُ الْحَوَادِثِ وَالنَّوَازِلِ. وَأَمَّا مَا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ الْأَصُولِ فَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَعَلُّمَ عِلْمِ الْأَصُولِ وَاجِبٌ عَلَى الْفُورِ لَا عَلَى التَّرَاخِي"^٣.

ويبين الأستاذ وهبة الزحيلي سبب نزوله دفعة واحدة قائلا: "والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين. ولكن لا مانع من أن يكون بعض آياتها مدنية، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعه في موضعه من السورة"^٤.

(٤) السياق والبناء يدلان على كونها نزلت دفعة واحدة.

يقول الأستاذ السيد قطب: "والواقع أن سياق السورة في تماسكه وفي تدافعه وفي تدفقه يوقع في القلب أن هذه السورة نهر يتدفق، أو سيل يتدفق، بلا حواجز ولا فواصل وإن بناءها ذاته ليصدق تماما هذه الروايات، أو على الأقل يرجحها ترجيحاً قوياً"^٥.

(٥) نزولها دفعة واحدة يدل على إبطال زعم المشركين.

١ يريد بالروايتان اللتان ذكرتا آنفاً واللتان ذكرهما الإمام المودودي لتأييد رأيه.

٢ في ظلال القرآن: ١٠٢٢/٢.

٣ التفسير الكبير: ٤٧/١٢.

٤ التفسير المنير: ١٢٦٧.

٥ في ظلال القرآن: ١٠٢٢/٢.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "فَلَعَلَّ حِكْمَةَ إِزَالِهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً قَطْعُ تَعَلُّلِ الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً. تَوْهُمًا مِنْهُمْ أَنَّ تَنْجِيمَ نُزُولِهِ يُتَّكَدُّ كَوْنُهُ كِتَابًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ الْأَنْعَامِ"^١.

ويقول أيضا: "واعلم أن نزول هذه السورة جملة واحدة على الصحيح لا يتأكد ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها، لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة فقد تتجمع أسباب كثيرة في مئة قصيرة قبل نزول هذه السورة، فيكون نزول تلك الآيات مسببا على تلك الحوادث، وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مديئة ألحقت بسورة الأنعام لمناسبات. على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارئة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه"^٢.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إذا صح سبب النزول فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير"^٣.

١ سورة الفرقان، الآية ٣٢.

٢ التحرير والتنوير: ١٢٢٧.

٣ المصدر السابق: ١٢٣٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٤٧/١.

الآية:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١)

مسألة:

ما المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "من الجدير بالذكر أن المخاطبين بهذه الآية هم مشركو العرب الذين كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو خالق السموات والأرض، وهو الذي يأتي بالليل والنهار. وهو الذي أوجد الشمس والقمر. ولم يكن أحد منهم يعتقد أن هذه من فعل اللات والهبل والعزى أو غيرها من آلهتهم المزورة. ولذا حوَّط هؤلاء بقوله -أيها الجهلاء إنكم تعتقدون أن الله هو خالق السموات والأرض، وهو الذي بيده اختلاف الليل والنهار فلم تسجدون لغير هذه الذات الإلهية من الآلهة المزورة وتقدمون لهم النذور والقرايين و تدعونهم و تطلبون منهم حوائجكم".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" المشركين، فكلمة "كَفَرُوا" هنا عام في كل مشرك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، وابن عطية، وابن جزري.^٢

القول الثاني: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" الجوس بدليل الظلمات والنور.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جزري، ورد عليه أبو حيان الأندلسي.^٣

يقول أبو حيان الأندلسي ما معناه: "لا دليل لتخصيصه".^٤

١ تفهيم القرآن: ٥٢٣/١.

٢ انظر على التوالي: زاد المسير: ٧٢، والمحرر الوجيز: ٢٦٧٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١، والبحر المحيط: ٤٣٠/٤.

القول الثالث: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" المشركين من عبدة الأصنام من العرب مجاورتهم له. ووقع رد القرآن عليهم أكثر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن جزى، وأبو حيان الأندلسي.^١

القول الرابع: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" جميع الكفار من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان والصابئة والمناوية وغيرهم من سائر أصناف الكفر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.^٢

القول الخامس: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" أهل الكتاب.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وذكره ورد عليه ابن عطية وأبو حيان الأندلسي.^٣

يقول ابن عطية: "وقول ابن أبى إن المراد أهل الكتاب بعيد".^٤

يقول أبو حيان الأندلسي: "أَوْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ كَأَبِي أَبِي أَبَى فَلَا يَظْهَرُ لَهُ دَلِيلٌ عَلَى التَّخْصِيسِ".^٥

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الثالث)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" مشركو العرب، مستندا في ذلك إلى السياق الذي وردت فيها الآية الكريمة، فيقول: "من الجدير بالذكر أن المخاطبين بهذه الآية هم مشركو العرب الذين كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو خالق

١ انظر: البحر المحيط: ٤٣٠/٤.

٢ انظر على التوالي: جامع البيان: ٢٥٤/١١، والمحرم الوجيز: ٣٦٦٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١، والبحر المحيط: ٤٣٠/٤.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٥٤/١١.

٤ انظر: المحرم الوجيز: ٣٦٦٢.

٥ انظر: البحر المحيط: ٤٣٠/٤.

٦ ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا: ٢٤٦٧، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٢٨٧.

٧ انظر: جامع البيان: ٢٥٣/١١، والمحرم الوجيز: ٣٦٦٢، والبحر المحيط: ٤٣٠/٤.

٨ المحرم الوجيز: ٣٦٦٢.

٩ البحر المحيط: ٤٣٠/٤.

السموت والأرض، وهو الذي يأتي بالليل والنهار. وهو الذي أوجد الشمس والقمر. ولم يكن أحد منهم يعتقد أن هذه من فعل اللات والهبل والعزى أو غيرها من آلهتهم المزورة. ولذا خوطب هؤلاء بقوله -أيها الجهلاء إنكم تعتقدون أن الله هو خالق السموت والأرض، وهو الذي بيده اختلاف الليل والنهار فلم تسجدون لغير هذه الذات الإلهية من الآلهة المزورة و تتقدمون لهم النذور والقرايين و تدعونهم و تطلبون منهم حوائجكم".

الأدلة

(١) السياق: كما يتبين من عبارة الإمام المودودي.

(٢) أضف إلى ذلك مجاورتهم له، كما قال به ابن عطية وابن جزى.

(٣) القرآن رد عليهم أكثر كما قال به ابن جزى.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".

١ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٦/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١.

٢ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٥/١.

الآية

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٢)

في الآية مسالتان:

المسألة ١:

ما المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" في الآية؟

يقول الإمام المودودي -رحمه الله-: "يتم جميع أجزاء الجسم الإنساني كلها من الأرض ولا ذرة فيها غير أرضية. ومن هنا قيل "خلقكم من طين"^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تباعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: أي خلق أباكم من طين (بجذ المضاف) وهو أصلكم، وأنتم فرعه، فباعتبار أصلكم أنتم مخلوقون من طين، ويضاف الفرع إلى الأصل، فيرجع خلقكم جميعاً إلى طين، وأخرج مخرج الخطاب للجسيع. (وعلى هذا يراد به آدم -عليه السلام- وهو المعنى المجازي للآية). ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: أي خلق جميع البشر/خلقكم جميعاً من النطفة المخلوقة من الأغذية الحاصلة من الطين (الأرض) على الحقيقة. (وعلى هذا يراد به جميع البشر، وهو المعنى الحقيقي للآية). ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٥، والرازي^٦، والقرطبي^٧، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٢٣/٨.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٦٧.

٣ انظر: زاد المسير: ٨٢.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٤٧٩/١٢-٤٨٠.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٧/٨، وتفسير البيضاوي: ١٥٣/٢، وتفسير ابن جزي: ٢٥٣/٨، وتفسير ابن كثير: ٢٣٩٣، والتفسير المظهر لثناء الله المظهري: ٢١٣/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٩٣/٤.

٦ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٦٧.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٤٨٠/١٢.

القول الثالث: أي ابتداء خلقكم منه لما أنه المادة الأولى ، حيث خلق آدم -عليه السلام- منه، وهو أصل سائر البشر. وعمن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي، وأبو السعود، وتناء الله المظهري، والألوسي^٢.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الثاني)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" خلق جميع البشر من النطفة الحاصلة من الأجزاء الأرضية، أي يذهب إلى المعنى الحقيقي لا المجازي، فيقول: "يتم جميع أجزاء الجسم الإنساني كلها من الأرض ولا ذرة فيها غير أرضية. ومن هنا قيل "خلقكم من طين"^٣، وإليه ذهب الإمام الرازي في تفسيره^٤.

الأدلة:

(١) العمل بالحقيقة أولى من المجاز.

(٢) **إن الإنسان خلق من الأغذية النباتية الحاصلة من الطين.** يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْعَنِيِّ وَمِنْ دَمِ الطَّمْثِ، وَهَذَا يَتَوْلَدَانِ مِنَ الدَّمِ، وَالِدُمُ إِنَّمَا يَتَوْلَدُ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ، وَالْأَغْذِيَّةُ إِمَّا حَيَوَانِيَّةٌ وَإِمَّا نَبَاتِيَّةٌ، فَإِنْ كَانَتْ حَيَوَانِيَّةً كَانَ الْحَلُّ فِي كَيْفِيَّةِ تَوْلَدِ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ كَالْحَلِّ فِي كَيْفِيَّةِ تَوْلَدِ الْإِنْسَانَ، فَبَقِيَ أَنَّ تَكُونَ نَبَاتِيَّةً، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ النَّبَاتِيَّةِ، وَلَمَّا شَكَّ أَنَّهَا مَتَوْلَدَةٌ مِنَ الطِّينِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَتَوْلَدٌ مِنَ الطِّينِ. وَهَذَا الْوَجْهُ عِنْدِي أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ^٥.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة"^٦.

١ انظر: الجامع لاحكام القرآن: ٣٨٧/٦.

٢ ينظر: تفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٣/٤.

٣ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ١٥٣/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٠٧٣، والتفسير المظهري: ٢١٣/٣، وروح المعاني: ٨٤/٤.

٤ التفسير الكبير: ٤٨٠/١٢.

٥ المصدر نفسه.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٨٧/٢.

المسألة ٢

ما المراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي وقت قيام الساعة عند ما يبعث الأولون والآخرين من جديد، ثم يعرضون أمام ربهم للحساب".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" وقت معين للبعث والنشور الذي لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - وهو أجل يوم القيامة (أجل قيام الساعة)، وذلك ليجازيهم على أعمالهم. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والرازي، وغيرهم.^٢

القول الثاني: يراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" وقت معين ما بين الموت إلى البعث من القبور وهو البرزخ.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٣

١ تفهيم القرآن: ٥٢٣/٨.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٥٧/١١.

٣ انظر المحرر الوجيز: ٢٦٧/٢.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٤٨٠/١٢.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٩/٦، وتفسير البيضاوي: ١٥٣/٢، وتفسير ابن جزى: ٢٥٢/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٣٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٣٩٣، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٢١٥/٣، وتفسير الشوكاني:

١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

٦ انظر: جامع البيان: ٢٥٧/١١.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٧-٢٦٧/٢.

٨ انظر: زاد المسير: ٨/٢.

٩ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٨١/١٢، وتفسير البيضاوي: ١٥٣/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٣٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٣٩٣، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٢١٤/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

القول الثالث: يراد بـ "أجلٌ مُسمًى" الحياة في الدنيا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي^١.

القول الرابع: يراد بـ "أجلٌ مُسمًى" أجل موت الإنسان.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم^٢.

وذكره بصيغة التمریض: ابن جزي، ورد عليه ابن كثير وأبو السعود، والألوسي.

يقول الإمام ابن كثير: "وهذا قول غريب"^٣.

ويقول العلامة أبو السعود: "وأما أجلُ الموت فمعلومٌ إجمالاً وتقريباً بناءً على ظهور أماراته أو

على ما هو المعتادُ في أعمار الإنسان... لا وجه له أصلاً"^٤.

ويقول العلامة الألوسي: "أجلُ الموت معلومٌ إجمالاً بناءً على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد

في أعمار الإنسان"^٥.

القول الخامس: مقدار ما بقى من عمر كل إنسان إلى موته/ آجال الباقين من الخلق.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، الرازي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم^٦.

١ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٦٧/٢، وزاد المسير: ٨٢، والبحر المحيط: ٤٣٢/٤.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٥٦/١١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٧/٢.

٤ انظر: زاد المسير: ٨٢.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٨١/١٢، وتفسير القرطبي: ٣٨٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٣٢/٤.

وتفسر ابن كثير: ٢٣٩/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢١٤/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير

الألوسي: ٨٤/٤.

٦ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١.

٧ تفسير القرآن العظيم: ٢٣٩/٣.

٨ أرشاد العقل السليم: ١٠٧/٣.

٩ روح المعاني: ٨٤/٤ بتصرف يسير.

١٠ انظر: زاد المسير: ٩٢.

١١ انظر: التفسير الكبير: ٤٨٠/١٢.

١٢ انظر: البحر المحيط: ٤٣٢/٤.

١٣ ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٩/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

وذكره بصيغة التمريض القاضي البيضاوي^١، ورد عليه العلامة أبو السعود قائلا: "لا وجه له أصلاً"^٢.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، وبما يجدر الإشارة إليه أن القول الأول والثاني قريب، وقد عدّهما الإمام ابن كثير قولاً واحداً في تفسيره^٣، وقال الشوكاني عن القول الثاني: "وهو قريب من الأول"^٤، وكما جمع بين القولين الأولين الشيخ طنطاوي في تفسيره^٥، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "أجل مُسَمَّى" وقت قيام الساعة، فيقول: "أي وقت قيام الساعة عند ما يبعث الأولون والآخرون من جديد، ثم يعرضون أمام ربهم للحساب"^٦، وإليه ذهب جمهور المفسرين كأمثال: الطبري^٧، والزنجشيري^٨، والبيضاوي^٩، وغيرهم^{١٠}.

الأدلة:

(١) هو قول جمهور المفسرين.

هو قول جمهور المفسرين والمأثور عن بعض الصحابة، وقد عزاه ابن كثير في تفسيره إلى عدد من التابعين.

١ انظر: أنوار التنزيل: ١٥٣/٢.

٢ إرشاد العقل السليم: ١٠٧/٣.

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٩٣.

٤ انظر: فتح القدير: ١١٣/٢.

٥ انظر: الوسيط: ٣٣/٥.

٦ انظر: جامع البيان: ٢٥٩/١١.

٧ انظر: الكشاف: ٤/٢.

٨ انظر: أنوار التنزيل: ١٥٣/٢.

٩ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢٥٣/١، وتفسير ابن كثير: ٢٣٩٣، وتفسير أبي السعود: ١٠٦٣-١٠٧، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤، وتفسير المراغي: ٧٢/٧، وتفسير السعدي: ٢٥٠/٨، والتفسير الواضح لمحمد محمود حجازي: ٥٨٦/١، وأرضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٥٠/٨، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٤١٥/٩، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٢٨/١، والوسيط لطنطاوي: ٣٣/٥، وصفوة التفاسير للصابوني: ٣٥١/١.

يقول الإمام ابن كثير: وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ} قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا} يَعْنِي: الْمَوْتَ {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ} يَعْنِي: الْآخِرَةَ. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالضُّحَّاكِ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَعَطِيَّةَ، وَالسُّدِّيَّ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، وَغَيْرِهِمْ^١.

٢) السياق.

قال الطبري: "وأول الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معناه: ثم قضى أجل الحياة الدنيا "وأجل مسمى عنده"، وهو أجل البعث عنده"^٢.

ثم يقول: "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره نبه خلقه على موضع حُجَّتْ عليهم من أنفسهم فقل لهم: أيها الناس، إن الذي يعبدُ به كفاركم الألهة والأنداد، هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء، بعد إذ كنتم طيناً جهاداً، ثم قضى أجل حياتكم لفنائكم وماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم وأجل مسمى عنده لإعادتكم أحياءً وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم. وذلك نظير قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"^٣.

ويقول العلامة أبر السعودي: "والأول هو الأشهر الأليقُ بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسبُ بتحويله المبني على مقارنته للطلعة الكبرى فإن كونَ بعضه معلوماً للخلق ومُضِيَّه من غير أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحملُ على المعنى الثاني مُجِلُّ بذلك قطعاً"^٤.

ويقول أيضاً: "ومن ههنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ما مضى من عمر كلِّ أحدٍ والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له أصلاً لما رأيت من أن مساقَ النظم الكريم استبعاداً امتزانهم في البعث الذي عبر عن وقته بالأجل المسمى فحيث أريد به أحد ما دُكِرَ من الأمور الثلاثة ففي أي شيء يمترون"^٥.

١ تفسير القرآن العظيم: ٢٣٩٣.

٢ جامع البيان: ٢٥٩/١١.

٣ سورة البقرة، الآية ٢٨.

٤ المصدر نفسه.

٥ إرشاد العقل السليم: ١٠٧/٣.

٦ المصدر نفسه.

ويقول الشيخ طنطاوي: "أن الآية الكريمة مسوقة لإثبات وحدانية الله ولتقرير أن البعث حق، فالمناسب أن يكون المراد بالأجل الثاني هو انتهاء عمر الدنيا وبعث الناس من قبورهم".^١

(٣) تقييد عبارة "أجلٌ مُسمى" بـ "عنده" وهو من القرائن في السياق.

يقول العلامة الألوسي: "فالمعنى وأجل أي أجل مستقل بعلمه سبحانه وتعالى لا يقف على وقت حلوله سواء جل شأنه لا إجمالا ولا تفصيلا. وهذا بخلاف أجل الموت فإنه معلوم إجمالا بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان".^٢

ويقول أصحاب التفسير الميسر: "وكتب أجلا آخر محددا لا يعلمه إلا هو جل وعلا وهو يوم القيامة، ثم أنتم بعد هذا تشكون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت".^٣

ويقول محمد محمود الحجازي: "وهناك أجل آخر مسمى عنده هو أجل الدنيا وانتهائها، ومصيرها إلى الخلية الآخرة لا يعلم به إلا هو، ولم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبييا مرسلًا يَسْتَلُونكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرَسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ"^٤.

□ ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

□ "تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٥

□ "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٦

□ "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أول من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٧

□ "القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".^٨

١ الوسيط: ٣٣/٥.

٢ روح المعاني: ٨٤/٤.

٣ التفسير الميسر: ١٢٨/١.

٤ سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

٥ التفسير الواضح: ٥٨٦/١.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٧١/١.

٧ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٨ نفس المصدر السابق: ١٢٥/١.

٩ نفس المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الفصل الرابع:
ترجيحات سورة الأعراف

الآية:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا

لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

مسألة:

ما المراد بـ "فاحِشَةٌ" في الآية؟

يقول الإمام المودودي -رحمه الله-: "هذه إشارة إلى طواف العرب عراة كما أشرنا إليه فيما سبق. يفعلون ذلك اعتقاداً منهم أنه من الطقوس الدينية، وكانوا يزعمون أن الله أمرهم بذلك".^١

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "فاحِشَةٌ" في قوله تعالى: "وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "فاحِشَةٌ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "فاحِشَةٌ" طوافهم (طواف العرب) بالبيت عراة رجالاً ونساء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: يراد بـ "فاحِشَةٌ" كل فعل قبيح شديد القبح المتنافي مع تعاليم الشرع، أو كل معصية كبيرة كالشرك والطواف بالبيت عراة ونحوهما.

١ يريد الأستاذ به الهامش، رقم: (١٥) من نفس السورة.

٢ تفهيم القرآن: ٢١٧/٢.

٣ انظر: جامع البيان ٣٧٧/١٢.

٤ انظر: زاد المسير: ١١٧/٢.

٥ انظر: والتفسير الكبير: ٢٢٥/١٤.

٦ ينظر: تفسير القرطبي: ١٨٧/٧، وتفسير ابن جزي: ٢٨٦/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٥/٥، وتفسير

ابن كثير: ٤٠٢/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٣٩/٣، وتفسير الألوسي: ٣٤٦/٤.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١، والبيضاوي^٢، وابن جزي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثالث: يرد بـ "فَلْحِشَّةٌ" الفعللة المتناهية في القبح، أي: الشرك، وطواف البيت عراة. ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: النسفي، ومحمد محمود الحجازي^٥.

القول الرابع: يراد بـ "فَلْحِشَّةٌ" الشرك والكفر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري^٦.

القول الخامس: يراد بـ "فَلْحِشَّةٌ" حرمة البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، وأبو حيان الأندلسي^٧.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "فَلْحِشَّةٌ"، طواف البيت عراة، فيقول: "هذه إشارة إلى طواف العرب عراة كما أشرنا إليه فيما سبق^٨. يفعلون ذلك اعتقادا منهم أنه من الطقوس الدينية، وكانوا يزعمون أن الله أمر بذلك"، إلا أنني أرجح القول الثاني وهو المراد بـ "فَلْحِشَّةٌ" المعنى الأعم والأشمل لكل فعل قبيح شديد القبح المتنافي مع تعاليم الشرع، أو كل معصية كبيرة كالشرك وطواف البيت عراة ومحوهما. وإليه ذهب عدد من المفسرين مثل: البيضاوي^٩، وأبو حيان الأندلسي^{١٠}، والسيوطي^{١١}، وغيرهم^{١٢}.

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٢٥/١٤.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ١٠/٣.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٨٦/٨.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٤/٥، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٣٩/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٢٦/٢، وتفسير الألوسي: ٣٤٥/٤.

٥ انظر: مدارك التنزيل: ٥٦٣/٨، والتفسير الواضح: ٧٠٥/١.

٦ ينظر: زاد المسير: ١١١/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/٧، والبحر المحيط: ٣٤/٥، والتفسير المظهري: ٣٣٩/٣.

٧ انظر على التوالي: زاد المسير: ١١١/٢، والتفسير الكبير: ٢٢٥/١٤، والبحر المحيط: ٣٤/٥.

٨ يريد الأستاذ به الهامش، رقم: (١٥) من نفس السورة.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ١٠/٣.

الأدلة:

اللغة: الفحشاء عبارة عن كل معصية كبيرة.

يقول الإمام الرازي: "وَالأُولَى أَنْ يَحْكُمَ بِالتَّعْمِيمِ وَالفحشاء عبارة عن كُلِّ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ فَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الكَبَائِرِ".^١

ويقول الإمام البيضاوي: "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فَعَلُوا مَتَنَاهِيَةَ فِي القَبْحِ كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف".^٢

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "والظاهر أنه يعم كل كبيرة".^٣

ويقول الإمام الشوكاني بعد ذكر القول الأول والرابع: "وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا تَصُدِّقُ عَلَى مَا هُوَ أَعْمٌ مِنَ الأَمْرَيْنِ جَمِيعًا".^٤

فبالرجوع إلى اللغة العربية واشتقاقاتها الأصلية يثبت بوضوح أن المعنى الأعم والأشمل هو المعنى الأنسب للمقام، والسياق الذي وردت فيه الكلمة من الآية. ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية".^٥

"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل".^٦

١ انظر: البحر المحيط: ٣٤/٥.

٢ انظر: تفسير الجلالين: ١٩٦/١.

٣ ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٢٣/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٣٩/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٢٦/٢، وتفسير الألوسي: ٣٤٥/٤، وتفسير السعدي: ٢٨٧/١، وتفسير الطاهر ابن عاشور: ٨٢/٨، وحدائق الروح والريحان محمد أمين الهري: ٢٦٥/٩، والوسيط لطنطاوي: ٢٦٢/٥، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٦١/٢، والمنير لوهبة الزحيلي: ١٧٤/٨.

٤ التفسير الكبير: ٢٢٥/١٤.

٥ أنوار التنزيل: ١٠/٣.

٦ التفسير المظهري: ٣٣٩/٣.

٧ فتح القدير: ٢٢٦/٢.

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين للحاربي: ٥١٧/٢.

٩ المصدر السابق: ٥٢٧/٢.

الآية:

﴿ قَالَ أَذْخَلُوا فِي آسَرٍ قَدِ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ لَأَنَّهُنَّ أَخَذْنَ حَتَّىٰ إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِنَهُنَّ لِأَرْسَلَهُنَّ رَبَّنَا مَثَلَهُنَّ فَاتَّبَعْنَاهُنَّ فَاتَّبَعْنَاهُنَّ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنَّ لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨)

مسألة:

ما المراد بـ "ضعف" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "فإن كل جماعة منكم إن كان خلفا لجماعة فهي كذلك سلف لبعضها، وهي إن ورثت عن أسلافها رزمة من خلالات الفكر والعمل فهي ورثت نفس الميراث لخلفها من بعدها. إن حمل وزر ضلال جماعة على سلفها فإنها تتحمل جزاء كبيرا من أوزار ضلال خلفها، من هنا قرر القرآن الكريم أن "لكل ضعف"، عذاب لضلالها وعذاب لإضلال غيرها، جزاء جرائم ارتكبتها بنفسها وجزاء آخر لما ورثت من الجرائم لمن خلفها، لقد ورد ذلك في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالتفصيل التالي: "مَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا". وورد في حديث آخر: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ

١ الرواية رواها مسلم: ٧٠٤/٢، برقم: (١٠١٧)، كتاب الزكوة، باب الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. (الفاظ الرواية: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ")، والمستدرك ٥٦١/٢، تفسير سورة إذا السماء انفطرت، وصححه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه بهذا اللفظ إنما اتفقا على حديث جرير عن عبد الله من سن في الإسلام فقط. وقد تعقبه الذهبي بقوله: "صحيح واتفقا على معناه من حديث جرير". (الفاظ الرواية: "مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتَنَّ بِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَمِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُتَّقِصٍ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ اسْتَنَّ شَرًّا فَاسْتَنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وَزْرُهُ، وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُتَّقِصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا")، والترمذي: ٣٤٢/٤، برقم: (٢٦٧)، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتنب البدع، (الفاظ الرواية: أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ لَيْلَالِ بْنِ الْحَارِثِ: اعْلَمْ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ

مِنْ دَمِيهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ"^١ ثبت بذلك أن كل فرد أو جماعة سن فكرياً سيئاً أو سنة سيئة فإنه لا يتحمل وزر خطئه فقط بل يتحمل جزءاً من أوزار من تأثر به، وأن ذلك يكتب في سجل أعماله السيئة ما دام فكره أو عمله الذي سنه يؤثر في الناس. وثبت من ذلك أيضاً أن الإنسان لا يتحمل مسؤولية نفسه لوحدها بل يتحمل نتائج ما يترتب على أفعاله الحسنة والسيئة من آثار على الخلق"^٢.

دراسة النص من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "ضِعْفٌ" في قوله تعالى: " قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِيُّلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ "، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير قولين للمفسرين في المراد بـ "ضِعْفٌ" المذكور في الآية السابقة أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "ضِعْفٌ" عذاب ضعف /مثلي من النار، وذلك لكل من القادة والأتباع؛ لأن كلا منهما ضالون ومضلون.

قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ يَدْعُهُ ضَلَالَةً لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا. وحسنه بقوله: هذا حديث حسن).

الألفاظ التي أوردها الأستاذ المودودي متشابهة مع رواية الترمذي إلى حد كبير.

١ الرواية أخرجها البخاري في صحيحه: ١٣٣/٤، برقم: (٣٣٣٥)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، ح: ٣٣٣٥، ص: ٥٥٤، ومسلم في صحيحه: ١٣٠٣/٣، برقم: (١٦٧٧)، كتاب القسامة والمخربين والقصاص والديات، باب بيان أنهم من سن القتل، عن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِيهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ". واللفظ للبخاري واللفظ الذي أورده الأستاذ المودودي هو لفظ البخاري.

٢ تفهيم القرآن: ٢٦٧-٢٧.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والزخشي^٢، وابن عطية^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: يراد بـ "ضعف" هنا الأفاعي والحيات.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية والقرطبي وذكره الشوكاني بصيغة التمييز^٥.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "ضعف" عذاب مضاعف، عذاب لضلالها وعذاب لإضلال غيرها، فيقول: "فإن كل جماعة منكم إن كان خلفا لجماعة فهي كذلك سلف لبعضها، وهي إن ورثت عن أسلافها رزمة من خلالات الفكر والعمل فهي ورثت نفس الميراث لخلفها من بعدها. إن حمل وزر ضلال جماعة على سلفها فإنها تتحمل جزاء كبيرا من أوزار ضلال خلفها، من هنا قرر القرآن الكريم أن "لكل ضعف"، عذاب لضلالها وعذاب لإضلال غيرها، جزاء جرائم ارتكبتها بنفسها وجزاء آخر لما ورثت من الجرائم لمن خلفها". ويستدل على رأيه بروايتين فيقول: "لقد ورد ذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم - بالتفصيل التالي: "مَنْ ابْتَدَعَ بِذَعَّةٍ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ بَثْلُ آثَامٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا"^٦. وورد في حديث آخر: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ

١ انظر: جامع البيان: ٤١٨/٢.

٢ انظر: الكشاف: ١٠٣/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/٢.

٤ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١١٨/٢، والتفسير الكبير للرازي: ٢٣٩/١٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٥/٧، وتفسير البيضاوي: ١٢/٣، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٥٠/٥، وتفسير ابن كثير: ٤١٧/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٥٠/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٣٢/٢.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥/٧، وفتح القدير: ٢٣٢/٢.

٦ سبق تخريجه.

ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ"^١، وإليه ذهب من الأئمة المفسرين: الطبري^٢، والماوردي^٣، والزغشري^٤، وغيرهم.

الأدلة:

القرآن: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ}^١.
وَقَالَ تَعَالَى: {وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَقِلَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}^٢.
وَقَالَ: {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}^٣.

اللفظة:

يقول الإمام الطبري: "وأما قوله: (قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ)، فإنه خبر من الله عن جوابه لهم، يقول: قال الله للذين يدعونهم فيقولون: "ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذابًا ضعفاً من النار": لكلكم، أولكم وأخركم، وتابعوكم ومُتبعوكم "ضعف"، يقول: مكرر عليه العذاب. و"ضعف الشيء"، مثله مرة"^٤.

١ سبق تحريجه.

٢ انظر: جامع البيان: ٤١٧/٢.

٣ انظر: النكت والعيون: ٢٢٢/٢.

٤ انظر: الكشاف: ١٠٣/٢.

٥ ينظر: تفسير ابن عطية: ٣٩٩/٢، ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١١٧/٢، والتفسير الكبير للرازي: ٢٣٩/١٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٥/٧، وتفسير البيضاوي: ١٢/٣، وتفسير النسفي: ٥٦٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٠/٥، وتفسير ابن كثير: ٤١١/٣، والجلالين للمحلي والسيوطي: ١٩٧/١، وتفسير أبي السعود: ٢٢٧/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٥٠/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٣٢/٢، وتفسير المراغي: ١٤٩/٨، وتفسير السعدي: ٢٨٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ب ١٢٣/٨، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الحافظ: ١٨٣/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٤٩١/٩، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٥٥/١، والوسيط لطنطاوي: ٢٧٠/٥، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤١٣/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٧٢/٢، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٢٠٠/٨.

٦ سورة النحل، الآية ٨٨.

٧ سورة العنكبوت، الآية ١٣.

٨ سورة النحل، الآية ٢٥.

٩ جامع البيان: ٤١٧/٢-٤١٨.

ويقول الزجاج النحوي: وقوله: (فَأْتِيَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ). أي عذاباً مُضاعَفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء. (قَالَ لِكُلِّ ضِعْفًا). أي للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً أي لكل عذاب مضاعف".^١ وهكذا تبين من خلال الاحتجاج بالقرآن الكريم ولغة العرب أن القول الذي ذهب إليه الإمام هو الأرجح والأقرب إلى الاستعمال القرآني واللغوي عند العرب، وهما من أهم مصادر الاحتجاج لدى العلماء والمفسرين، فبهما يتقوى الاحتجاج، وتثبت الحجة، وتستقر لتكون دامغة.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"^٢.

"يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر"^٣.

"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية"^٤.

١ معاني القرآن: ٣٣٧-٣٣٧٢.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٧٣/١.

٣ المصدر السابق: ٣٦٩٢.

٤ نفس المصدر السابق: ٥١٧٢.

الآية:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا مِنْهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٤٦)

مسألة:

ما المراد بـ"رجال" الذين أخبر الله - سبحانه وتعالى - أنهم على الأعراف؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "أي أصحاب الأعراف هم الذين لا يقوى الجانب الإيجابي في حياتهم ليؤهلهم لدخول الجنة. ولا يكون الفساد يغلب على حياتهم ليلقوا في النار، ومن ثم سيقون على حائل بين الجنة والنار".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "رجال/أصحاب الأعراف" في قوله تعالى: "وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا مِنْهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ستة وعشرين قولاً للمفسرين في المراد بـ "رجال/أصحاب الأعراف" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بهم قوم من مؤحلي بني آدم استوت حسناتهم وسياتهم، فلم يدخلوا الجنة لتقصير حسناتهم ولم يدخلوا النار، فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.
ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٣٢/٢.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٢/١٢.

٣ انظر: زاد المسير: ١٢٣/٢.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٩/١٤.

٥ ينظر: تفسير القرطبي ٢١١/٧، وتفسير البيضاوي: ١٤/٣، وتفسير ابن جزى: ٢٨٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٤١٨/٣، والتفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٣٥٤/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٣٧/٢، وتفسير الألوسي: ٣١٣/٤.

القول الثاني: يراد بهم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن والديهم، فاستشهدوا، فمنعوا من الجنة لعصيان والديهم ومنعوا من النار لاستشهادهم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

القول الثالث: يراد بهم رجال من الأنبياء، أو الأولياء، أو الشهداء فيطلعون على أحوال الفريقين. ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورد عليه القاضي ثناء الله المظهري قائلًا: "وأما ما قال بعضهم إنهم رجال من الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعًا ويطلعون على أحوال الفريقين فيرده ما روينا من الأحاديث وما سيتلى عليك من الآيات".^١

القول الرابع: يراد بهم قوم صالحون فقهاء علماء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني.^٢ ورد عليه الإمام ابن كثير: "وَكَلَّمَا قَوْلٌ مُجَاهِدٌ: إِنَّهُمْ قَوْمٌ صَالِحُونَ عُلَمَاءُ فُقَهَاءُ فِيهِ غُرَابَةٌ أَيْضًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^٣

القول الخامس: يراد بهم فضلاء المؤمنين وعلمائهم.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين الماوردي.^٤

١ انظر: جامع البيان: ٤٥٧/١٢.

٢ انظر: زاد المسير: ١٢٣/٢.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٩/١٤ - ٢٥٠.

٤ ينظر: تفسير القرطبي ٢١١/٧، وتفسير ابن جزي: ٢٨٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٤١٨/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٥٤/٣ - ٣٥٥، وتفسير الشوكاني: ٢٣٦/٢، وتفسير الألوسي: ٣١٣/٤.

٥ انظر: التفسير المظهري: ٣٥٦/٣.

٦ المصدر نفسه.

٧ انظر على التوالي: جامع البيان: ٤٥٨/١٢، وزاد المسير: ١٢٣/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٧/٧، وفتح القدير: ٢٣٦/٢.

٨ تفسير القرآن العظيم: ٤٢١/٣.

٩ النكت والعيون: ٢٢٥/٢.

القول السادس: يراد بهم أفاضل المسلمين.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: النسفي^١.

القول السابع: يراد بهم قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء والأخيار والعلماء من المؤمنين.

ومن انفرد بذكر هذا القول أبو السعود. ومن الجدير بالذكر أنه ذكره بصيغة التمریض^٢.

القول الثامن: يراد بهم قوم علت درجاتهم كالأنبياء أو الشهداء أو أخيار المؤمنين والعلماء.

ومن انفرد بذكره البيضاوي. وذكره بصيغة التمریض^٣.

القول التاسع: يراد بهم الملائكة الذين يرون في صورة الرجال وليسوا ببني آدم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٤، والقرطبي^٥، والبيضاوي^٦، وغيرهم^٧.

ورد عليه: الطبري، والرازي، وابن كثير، والمظهري، ومحمد عبد اللطيف الخطيب.

يقول الطبري: "ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة. فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا

يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن "الرجال" اسم يجمع ذكور بني آدم دون

إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيّناً أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قول لا معنى له،

وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قال بخلافه من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في

ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدنا ما فيها^٨.

ويقول الإمام الرازي: "قال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل له: يقول

الله تعالى: وعلى الأعراف رجال وتزعّم أنهم ملائكة؟ فقال الملائكة ذكور لنا إناث. ولتأبّل أن

١ مدارك التنزيل: ٥٧٠/٨.

٢ إرشاد العقل السليم: ٢٣٠/٣.

٣ أنوار التنزيل: ١٤/٣.

٤ انظر: زاد المسير: ١٢٤/٢.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ١٤/٣.

٧ ينظر: تفسير الشوكاني: ٢٢٧/٢، وتفسير الألوسي: ٣١٣/٤.

٨ جامع البيان: ٢٦٠/١٢-٢٦١.

يَقُولُ: الْوَصْفُ بِالرُّجُولِيَّةِ إِنَّمَا يَحْسُنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْصُلُ فِي مُقَابَلَةِ الرَّجُلِ مَنْ يَكُونُ
أَنْتَى وَلَمَّا امْتَنَعَ كَوْنُ الْمَلَكِ أَنْتَى امْتَنَعَ وَصْفُهُمْ بِالرُّجُولِيَّةِ".^١

ويقول الإمام ابن كثير: "وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَى أَبِي مِجْلَزٍ لِحَقِّ بْنِ حُمَيْدٍ أَحَدِ النَّابِعِينَ، وَهُوَ
غَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ وَخِلَافُ الظَّاهِرِ مِنَ السِّيَاقِ: وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ مُقَدَّمٌ عَلَى قَوْلِهِ، بِدَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى
مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ".^٢

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وأما ما أخرج البيهقي عن أبي مجلز أنه قال الأعراف مكان
مرتفع عليه رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة بسيماهم وأهل النار بسيماهم فليس بشئ إذ
لا يقال للملائكة رجال وقد سماهم الله تعالى برجال وأيضا يرده ما روينا من الأحاديث".^٣
ويقول محمد عبد اللطيف الخطيب: "وزعم بعضهم أن المقصود بأصحاب الأعراف: الملائكة؛
وأنهم يناقشون أهل النار بأسر ربهم؛ وهو قول يتجافى مع الصواب والمنطق؛ فقد عرفهم الله
تعالى بقوله {رِجَالٌ} ولا يطلق هذا التعريف على ملائكة الرحمن".^٤ وذكره بصيغة التمريض:
العلامة أبو السعود.

القول العاشر: يراد بهم قوم كانت لهم صفات لم تكفر عنهم بالمصائب في الدنيا.

ومعنى ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، والقرطبي.^٥

القول الحادي عشر: يراد بهم قوم لم يرض عنهم أحد أبويه.

ومعنى ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والنسفي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي.^٦

القول الثاني عشر: يراد بهم أولاد الزنا.

ومعنى ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي.^٧

١ التفسير الكبير: ٢٤٨/١٤.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٤٢١/٣.

٣ التفسير المظهر: ٣٥٧/٣.

٤ أروض التفسير: ١٨٥/١.

٥ انظر: إرشاد العقل السليم: ٣٣٠/٣.

٦ انظر: النكت والعيون: ٢٦٢/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧.

٧ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، ومدارك التنزيل: ٥٧٠/١، والبحر المحيط: ٥٧/٥، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

القول الثالث عشر: يراد بهم أولاد المشركين.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والنسفي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^١.
ورد عليه القاضي ثناء الله المظهري قائلا: "وأما ما قال بعضهم انهم أطفال المشركين يرده قوله
تعالى رجال وما ذكرنا من الأحاديث"^٢.

القول الرابع عشر: يراد بهم قوم أنبياء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي^٣.
القول الخامس عشر: يراد بهم الشهداء.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، والقرطبي^٤.

القول السادس عشر: يراد بهم فضلاء المؤمنين وشهداؤهم.

ومن انفرد بذكر هذا القول الإمام القرطبي^٥.

القول السابع عشر: يراد بهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل
أمة^٦.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، والشوكاني، والألوسي^٧.

القول الثامن عشر: يراد بهم العباس، وحمزة، وعلي، وجعفر -رضي الله عنهم جميعا-. ومن
انفرد بذكر هذا القول القرطبي، والألوسي^٨.

١ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وفتح القدير: ٢٣٧/٢، وروح المعاني: ٣٦٣/٤.

٢ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، ومدارك التنزيل: ٥٧٠/١، والبحر المحيط: ٥٧/٥، وروح المعاني: ٣٦٣/٤.
٣ التفسير المظهري: ٣٥٧٣.

٤ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، والتفسير الكبير: ٢٤٨/١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وفتح
القدير: ٢٣٧/٢، وروح المعاني: ٣٦٣/٤.

٥ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٨/١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢١١/٧.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١١/٧.

٧ نقلت ألفاظ القرطبي.

٨ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وفتح القدير: ٢٣٧/٢، وروح المعاني: ٣٦٣/٤.

٩ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وروح المعاني: ٢٦٣/٤.

القول التاسع عشر: يراد بهم مساكين أهل الجنة. وممن انفرد بذكر هذا القول الرازي، والألوسي^١.

القول العشرون: يراد بهم الفساق من أهل الصلاة. وممن انفرد بذكر هذا القول الرازي^٢.

القول الحادي والعشرون: يراد بهم قوم كان فيهم عجب. وممن انفرد بذكر هذا القول الألوسي^٣.

القول الثاني والعشرون: يراد بهم قوم كان عليهم دين. وممن انفرد بذكر هذا القول الألوسي أيضاً^٤.

القول الثالث والعشرين: يراد بهم قوم عملوا لله تعالى لكنهم راءوا في أعمالهم. وممن انفرد بذكر هذا القول ابن الجوزي^٥.

القول الرابع والعشرون: يراد بهم العلماء الذين شكوا في أرزاقهم. وممن انفرد بذكر هذا القول أبو حيان الأندلسي^٦.

القول الخامس والعشرون: يراد بهم الذين كانوا في الأسر ولم يبدلوا دينهم. وممن انفرد بذكر هذا القول أبو حيان الأندلسي أيضاً^٧.

القول السادس والعشرون: يراد بهم أهل الفترة والذين لم يبدلوا دينهم. وممن انفرد بذكر هذا القول ابن الجوزي، والألوسي^٨.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ستة وعشرين قولاً في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما

١ التفسير الكبير: ٢٥٠/١٤، وروح المعاني: ٣٦٣/٤.

٢ التفسير الكبير: ٢٥٠/١٤.

٣ روح المعاني: ٣٦٣/٤.

٤ المصدر نفسه..

٥ زاد المسير: ١٢٤/٢.

٦ انظر: البحر المحيط: ٥٧/٥.

٧ المصدر السابق: ٥٧/٥.

٨ انظر: زاد المسير: ١٢٤/٢، وروح المعاني: ٣٦٣/٤.

يدل على أنه هو الراجح عنده، فوقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "رجال أصحاب الأعراف" الذين استوت حسناتهم وسياتهم، فيقول: "أي أصحاب الأعراف هم الذين لا يقوي الجانب الإيجابي في حياتهم ليؤهلهم لدخول الجنة. ولا يكون الفساد يغلب على حياتهم ليلقوا في النار. من ثم سيقون على حائل بين الجنة والنار". وإليه ذهب جمهور المفسرين كأمثال الأئمة: الطبري^١، والزنجشيري^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

الأدلة:

قول جمهور المفسرين سلفا وخلفا، وتؤيده الآثار. وقد روى هذا القول عن حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف.

هذا القول تؤيده الآثار التالية:

الأثر الأول: يقول الحافظ ابن كثير: وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعِ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْذُومٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا الثُّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، حَدَّثَنَا شَيْخٌ لَنَا يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبَّادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، فَقَالَ: "أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ".

ثم يقول: "وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر، عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام، عن محمد بن المنكبر عن رجل من مزيئة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، فقال: "إنهم قوم خرجوا عصاةً يغيرون إذن آبائهم، فقتلوا في سبيل الله".

١ انظر: جامع البيان: ٤٦٠/١٢ - ٤٦١.

٢ انظر: الكشاف: ١٠٧/٢.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١٤/٣.

٤ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢٨٩/١، وتفسير ابن كثير: ٤١٨/٣، والجلالين للمحلي والسيوطي: ١٩٩/١، وتفسير أبي السعود: ٣٣٠/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٥٤/٣، وتفسير الألوسي: ٣٦٣/٤، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٨٥/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٤٩٣/٩، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤١٥/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٨٦/٢، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٢١٣/٨.

٥ تفسير القرآن العظيم: ٤١٨/٣.

الأثر الثاني: ويقول أيضا: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ شَيْبَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَزْنِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ "أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ" فَقَالَ: "هُمُ نَاسٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعْصِيَةُ آبَائِهِمْ وَمَنَعَهُمُ النَّارَ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".

ثم يقول: "هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرَفٍ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ بِهِ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ مَلْجَةَ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ لِرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا".

يقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الروايات: "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ هَذِهِ الْخَبَرِ الْمَرْفُوعَةِ وَقُصَارَاهَا أَنْ تَكُونَ مَوْقُوفَةً وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَا ذُكِرَ".

الأثر الثالث: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ حَدِيثِهِ؛ أَنَّهُ سِئِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، قَالَ: فَقَالَ: هُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، وَخَلَفَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمْ عَنِ النَّارِ. قَالَ: فَوَقَفُوا هُنَاكَ عَلَى السُّورِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ".

الأثر الرابع: ويقول أيضا: "حَدَّثَنَا الْمُشْتَبِيُّ قَالَ، حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ يُحَاسِبُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ يَوَاجِدُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ حَسَنَاتِهِ يَوَاجِدُ دَخَلَ النَّارَ. ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ [] ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْمِيزَانَ يَخْفُ بِمِثْقَالِ حَبَّةٍ وَبِرَجْحٍ، قَالَ: وَمَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، فَوَقَفُوا عَلَى الصُّرَاطِ، ثُمَّ عَرَفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ نَادَوْا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَإِذَا صَرَفُوا أَبْصَارَهُمْ إِلَى بَنَاتِهِمْ نَظَرُوا أَصْحَابَ النَّارِ قَالُوا: رَبَّنَا لَا

١ المصدر السابق: ٤١٨٣-٤١٩

٢ المصدر السابق: ٤١٩٣.

٣ جامع البيان: ٥٣/١٢.

٤ سورة المؤمنون، الآية ١٠٢-١٠٣.

تَجْعَلُنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^١ فَيَتَعَوَّدُونَ بِاللَّهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ. قَالَ: فَأَمَّا أَصْحَابُ الْحَسَنَاتِ، فَإِنَّهُمْ يُعْطَوْنَ نُورًا فَيَسْتَشُونَ بِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، وَيُعْطَى كُلُّ عَبْدٍ يَوْمَئِذٍ نُورًا، وَكُلُّ أُمَّةٍ نُورًا، فَإِذَا أَتَوْا عَلَى الصُّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نُورَ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ. فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْجَنَّةِ مَا لَقِيَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا: {رَبَّنَا أَتَيْمْنَا نُورَنَا}. وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، فَإِنَّ النُّورَ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَنْزِعْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَهَذَا الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} فَكَانَ الطَّمَعُ دُخُولًا. قَالَ: وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرٌ، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ إِلَّا وَاحِدَةٌ. ثُمَّ يَقُولُ: هَلَكَ مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ أَعْشَارَهُ.

الأثر الخامس: ويقول أيضا: حَدَّثَنِي ابْنُ وَكَيْعٍ وَابْنُ حُمَيْدٍ قَالَا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "الْأَعْرَافُ": سُورَةُ الَّتِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَصْحَابُ الْأَعْرَافِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ، حَتَّى إِذَا بَدَأَ اللَّهُ أَنْ يُعَافِيَهُمْ، انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: "الْحَيَاةُ"، حَافَتَاهُ قَصَبُ الذَّهَبِ، مَكْلَلٌ بِاللُّزْلُؤِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، فَأَلْفَقُوا فِيهِ حَتَّى تَصْلَحَ أَلْوَانُهُمْ، وَتَبْدُو فِي نُحُورِهِمْ شَامَةٌ بَيْضَاءُ يُعْرَفُونَ بِهَا، حَتَّى إِذَا صَلَحَتْ أَلْوَانُهُمْ أَتَى بِهِمُ الرَّحْمَنُ فَقَالَ: تَمَنُّوا مَا شِئْتُمْ، فَيَتَمَنُّونَ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُمْ قَالَ لَهُمْ: لَكُمْ الَّذِي تَمَنَيْتُمْ وَمِثْلُهُ سَبْعُونَ مَرَّةً فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَفِي نُحُورِهِمْ شَامَةٌ بَيْضَاءُ يُعْرَفُونَ بِهَا، يُسَمَّوْنَ مَسَاكِينَ الْجَنَّةِ.

يقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر الخبرين -الأثر الرابع والخامس-: "وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، مِنْ قَوْلِهِ وَهَذَا أَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَكَذَا رَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَنْ الضَّحَّاكِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ.

^١ سورة الأعراف، الآية ٤٧.

^٢ سورة التحريم، الآية ٨.

^٣ المصدر السابق: ٤٥٣/١٢-٤٥٤.

^٤ نفس المصدر السابق: ٤٥٥/١٢.

^٥ تفسير القرآن العظيم: ٤٢٠/٣.

يقول الإمام الطبري: "والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة. فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن "الرجال" اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيننا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قول لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدنا ما فيها، وقد حدثني القاسم فل، حدثني الحسين قال، حدثني جرير عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنة، فأنتم عتقائي فأزعوها من الجنة حيث شئتم".

يلق الإمام ابن كثير على هذا الخبر قائلا: "وهذا مرسل حسن".

الأقوال الأخرى تحتاج إلى دليل في التخصيص.

يقول أبو حيان الأندلسي: "والأقوال السابقة تحتاج إلى دليل واضح في التخصيص والجيد منها هو الأول لإحدى جابر ولتفسير جماعة من الصحابة وهذه الأقوال هي على قول من قال أن الأعراف هو بين الجنة والنار".

ويقول الإمام ابن كثير: "واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيناتهم، نص على حديثه، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله".

١ جامع البيان: ٤٦٠/١٢-٤٦١.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٤٢٠/٣.

٣ البحر المحيط: ٥٧/٥.

٤ تفسير القرآن العظيم: ٤١٧٣.

ويقول الألوسي: "وأرجح الأقوال - كما قال القرطبي - الأول وجمع بعضهم بينها بأنه يجوز أن يجلس الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف هناك مع تفاوت مراتبهم على أن من هذه الأقوال ما لا يخفى تداخله. ومن الناس من استظهر القول بأن أصحاب الأعراف قوم علت درجاتهم لأن المقالات الآتية وما تتفرغ هي عليه لا تليق بغيرهم".^١

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "...قلت لعل المراد بهذا الذين قتلوا في سبيل الله الذين هم عصاة لابائهم جمعا بين هذا وبين ما سبق وليعلم ان الذين قتلوا في سبيل الله عصاة لابائهم افراد ممن استوت حسناتهم وسيناتهم فذكرهم على وجه التمثيل لا على وجه الحصر لما مر من الأحاديث ولما اخرج ابن ابي داؤد وابن جرير عن ابن عمر بن حزم بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال هم اخر من يفصل بينهم من العباد فاذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال انتم قوم اخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة وانتم عتقاء فارعوا من الجنة حيث شئتم قال السيوطي مرسل حسن".^٢

وهكذا يتبين مما ذكر في الأسطر السابقة أن جمهور المفسرين ذهبوا إلى ما ذهب إليه الإمام في ترجيح المراد في برجال الأعراف، وذلك استنادا إلى عدد غير قليل من الآثار المروية في كتب السنة والآثار التي تدعو إلى هذا المعنى الذي استقر عليه رأي الإمام المودودي بعدما كان رأي جمهور المفسرين الأجلاء رحمهم الله جميعا.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف ولهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٣

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شذبا".^٤

١ روح المعاني: ٣٦٤/٤.

٢ التفسير المظهري: ٣٥٥/٣.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧٧/١.

٤ المصدر السابق: ٢٨٨/١.

الخاتمة

الختام والنتائج:

لقد توصلت البحث بعد الدراسة في الصفحات السابقة إلى مجموعة من النتائج التالية:

- يشتمل تفسير (تفهم القرآن) للإمام المودودي - رحمه الله - على عدد كبير من الآراء الترجيحية على مدار القرآن الكريم كله، وهي ترد عنده في بعض الأحيان بصورة منصوص عليها، وترد في أخرى بصورة غير مصرح بها.
- يورد المودودي - رحمه الله - عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية عددا من أقوال المفسرين، والفقهاء، ثم يختار من بينها قولاً ويرجحه بصورة صريحة، وذلك استناداً إلى أدلة معينة.
- في معظم الأحيان يكتفي الإمام المودودي بذكر الرأي الراجح عنده في مسألة من المسائل التي يكون هو بصدد تفسيرها.
- عند عدم وقوع اختياره على رأي من الآراء المتعددة يميل إلى ذكر كل الآراء مع أدلتها، ويترك الأمر للقارئ، وفي هذه الحالة لا يتجلى عنده أمر الترجيح إلا عن طريق السياق.
- في معظم الأحيان يقع اختياره على رأي جمهور المفسرين والفقهاء في المسائل اللغوية والفقهية.
- في المسائل المتعلقة بالنصرانية واليهودية ومعتقداتهما يحاول الوصول إلى ترجيح قول من الأقوال عن طريق القراءة في مصادرها الأصلية كالإنجيل عند النصرانية مثلاً.
- بعد أن يرجح قولاً بصورة صريحة، أو يذكر قولاً ما من الأقوال فيحاول تقويته عن طريق الاستشهاد له بعدد من الآيات القرآنية في السور الأخرى، وذلك استناداً إلى تفسير المأثور بالمأثور.
- يعتمد المودودي - رحمه الله - إلى حد كبير في مسألة الترجيح على ملابسات النص، وما يحيط به من أسباب النزول، والظروف التي نزلت فيها الآية المطلوب تفسيرها.

- يعتمد على الجانب اللغوي إلى درجة كبيرة عندما يكون الأمر متعلقا بترجيح قول من الأقوال الواردة في مسألة من المسائل اللغوية المطلوب ترجيح قول فيها.
- عند ترجيحه قولاً من الأقوال التي سبق ذكرها في السور السابقة يحيل عليها وعلى رقم الآية فيها. وخاصة في القضايا المتكررة في القرآن الكريم كقصة موسى -عليه السلام- مثلاً.
- لا يرى ضيراً في مخالفة رأي الجمهور، وذلك حين يعتقد أن هناك دليلاً قوياً يبعثه على ترجيح قول لم يختاره جمهور المفسرين أو الفقهاء.
- في الغالب يقع اختياره على ترجيح القول الذي يرى أنه يدفع الضرر عن أمة الإسلام، ويدر عليها بالفائدة والمنفعة، وذلك خاصة في المسائل الفقهية.
- يستشهد الشيخ عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية بما ورد عند أهل الكتاب من النصوص، ليستنبط منها أنها تصدق ما ورد في القرآن الكريم، وأن هؤلاء من أهل الكتاب لا يؤمنون بما عندهم من التعليمات الدينية.

التوصيات والمقترحات

بعد الدراسة والاستقراء في الصفحات السابقة تتقدم الباحثة بعدد من التوصيات والمقترحات

التالية:

- يعتبر موضوع الترجيح في التفاسير القرآنية موضوعا خصبا وصلحا للدراسة، فمن المستحسن أن يقبل عليه طلاب العلم من الباحثين والباحثات في التفاسير الحديثة على وجه الخصوص.
- ينبغي أن تشجع أقسام التفسير وعلوم القرآن بالجامعات الباكستانية طلابها على دراسة التفاسير المعاصرة المكتوبة بغير اللغة العربية، وذلك للوقوف على ترجيحات مؤلفيها، ومعرفة الأسس والقواعد التي اعتمدوا عليها في ذلك العمل العلمي.
- أرى أن يعرض قسمنا هذا الموضوع نفسه في التفسير نفسه (تفهم القرآن) على طلابه وطالباته، وذلك في السور المتبقية منه؛ حتى تتم هذه المسيرة العلمية، وتكتمل خطواتها.
- فتح دورات تدريبية قصيرة المدى للباحثين والباحثات من أهل العلم الذين يريدون أن يلجوا هذا الميدان العلمي، وذلك ليسيروا في دراستهم على هدى وبصيرة.
- إعداد خطط دراسية من قبل المتخصصين في هذا المجال، ثم تكليف الطلاب والطالبات من أهل البحث النابهين بدراستها والتحقيق فيها.
- القيام بتعريب التفسير كاملا، خاصة وأن بعض السور منه قد تم تعريبه من قبل، كتعريب سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف، ومريم، والنور، والأحزاب.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	المعنى	الرقم المسلسل
١٣٠	١	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١
٦٣	٢	"مالك يوم الدين"	٢
١٥٤	٧	صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	٣
القرة			
١٦٣، ١٦١	٢	ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	٤
١٧٢، ١٦٦	٣	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٥
٦٥	٩	وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ	٦
١٧٥	١٠	فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ	٧
١٨٣	٢٤	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	٨
١٨٨	٢٧	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	٩
٣٩٤، ٨٨	٢٨	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	١٠
١٩٥	٣٠	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	١١
٢٠٤	٣١	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَلْبِسُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	١٢

٢١٠	٣٤	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ	.١٣
٧٥	٣٥	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ	.١٤
٢٢٤	٣٦	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ	.١٥
١٢٢	٤١	وَأٰمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ	.١٦
٣٣	٤٥-٤٠	يٰبَنِي إِسْرٰءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازِهِبُونَ ﴿٤٥﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرِكُوا بِإِِبْنِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأْتُونِ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴿ أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٠﴾	.١٧
٢٣٣	٤٧	يٰبَنِي إِسْرٰءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ	.١٨
٢٣٨	٤٩	وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاةٌ لِمَنْ رَبَّيْكُمْ عَظِيمٌ	.١٩
٢٤٥ ، ٨١	٦٥	وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ	.٢٠
٢٤٢	٥٤	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَمُتُّوهُوَ إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ	.٢١

		بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	
٢٤٩	٧٣	فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢٢
٢٥٣	٧٥	أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	٢٣
٩٨	٨٧	أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ	٢٤
٢٩٠، ٢٥٧	٨٩	وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ	٢٥
٩٩	٩٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا	٢٦
٩٨	١٠٠	أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَدَّلَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	٢٧
٢٦٢	١١٣	وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ	٢٨
١٠٣	١١٤	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ	٢٩
٢٦٦	١٢١	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	٣٠
٢٧٠	١٤٤	وَإِنَّ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ	٣١
٢٦٩	١٤٦	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	٣٢
١١٦	١٥٤	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمواتٌ بَلْ أحيهٗ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ	٣٣
٦٧، ٦٦	١٥٨	فَلَمَّا جَنَّاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا	٣٤

١٠٨، ٨٤	١٧٧	وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ	٣٥
٢٨٠	١٨٣	يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	٣٦
٢٨٠	١٨٤	فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ	٣٧
٢٧٤، ١٠٣	١٨٥	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ	٣٨
٢٨٤	١٩٧	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ رَضِيَ فِيهَا الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسَلِّمُهُ اللَّهُ وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ الْقَوِيُّ وَأَتَّقُوا وَتَأْوَلُوا الْآلِيبِ	٣٩
٩٥	٢١٣	فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ	٤٠
٢٨٧	٢٢٥	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِيَّتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوْبِكُمْ وَاللَّهُ عَمُورٌ حَلِيمٌ	٤١
٢٩٣	٢٢٩	الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَكُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْصِمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعْصِمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	٤٢
٢٩٧	٢٣٠	فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُعْصِمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٤٣
٨٢	٢٥٨	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ	٤٤
١٠٥، ١٠٤	٢٨٢	وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ	٤٥
٦١	٢٨٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكَتَسَتْ	٤٦
٦١	٢٨٧	لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي	٤٧

		أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	
ان عمران			
٨٧	٢٧	وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ	.٤٨
٣٠٢	٣٣	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ	.٤٩
٣٠٦	٣٦	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ	.٥٠
٣٠٩	٣٧	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ	.٥١
٨٦	٣٩	مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ	.٥٢
٣١١	٥٥	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذِهِ وَارْتَقِهَا وَارْتَقِهَا إِلَىٰ مَطْعَمِكِ مِنْ الدِّينِ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا	.٥٣
٣٢٢	٦٤	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا	.٥٤
٣٢٦، ١٨٩	٨١	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ	.٥٥
٣٢٩، ٢٣٦	١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ	.٥٦
٣٣٢	١٢٩، ١٢٨	لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ	.٥٧
٣٣٥	١٦١	وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا عَمِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ نُوْفِي كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	.٥٨

٧٤	٢٧١	إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ	.٥٩
١٨٨	١٨٧	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ	.٦٠
الْبَيْتَاء			
٦٢	٨	وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا	.٦١
٢٤١	٢٣	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ	.٦٢
٢٤٤	٤٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ	.٦٣
٣٥٢	٦٠	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ	.٦٤
٢٥٦	٩٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا	.٦٥
٨١	١٥٣	أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً	.٦٦
٣٦٥، ٣٦٤	١٥٨، ١٥٧	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا	.٦٧
١٠٦	١٥٩	وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا	.٦٨
الْبَيْتَاء			
٣٦١	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ	.٦٩
٩٧	٢	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ	.٧٠

٢٧٠، ٢٧١ ٢٧٥	٣	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْمَيِّتُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَبِقَةُ	٧١
٢٤٧، ٢٤٥ ٢٥٠	٤	فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ	٧٢
٢٣٣، ٢٣٦	٢٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا تُمْتَنُونَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ	٧٣
٨١	٢٤	ادْعَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ	٧٤
٢٤٧، ٢٤٦	٦٧	قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَرَغِصَ عَلَيْهِ	٧٥
٧٠	٨٢	إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ	٧٦
الْأَنْعَامُ			
٢٨٦	١	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ	٧٧
٢٨٩	٢	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تُمْتَرُونَ	٧٨
٢١٣	٦٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٧٩
٧٣	٨٢	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ	٨٠
١٧٩، ١٨١	١١٢	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ	٨١

الأعراف		
٧٧	١٢	٨٢ مَا مَتَّعَكَ إِلَّا تُسْجُدَ
١٠٦	٢٧	٨٣ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ
٣٩٧	٢٨	٨٤ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّ وَاللَّهِ أَمَرْنَا بِهَا
٤٠١	٢٨	٨٥ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ
٤٠٥	٤٦	٨٦ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
٢٣٩	١٦٨	٨٧ وَقَطَمْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءً مِنْهُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
٦٩	١٨٧	٨٨ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً
التوبة		
٩١	٦٠	٨٩ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٣٦	٦٢	٩٠ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ
٧٨	٨٣	٩١ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا
٢٤٣	١٢٨	٩٢ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ
الحجر		
٢١٧	٢٨	٩٣ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَلٍ مَسْنُونٍ
٢١٧، ٢١٥	٢٩	٩٤ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ
الأنعام		
٤٠٣	٢٥	٩٥ وَمِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ
٧٣	٤٤	٩٦ وَانزَّلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

٢٠١، ٢٠٢	٥٠	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	٩٧
٢٢٠			
٤٠٣	٨٨	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ	٩٨
الإسمراء			
١٠١	٧٦	يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِثْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ	٩٩
١٨٥	٩٧	كَلِمًا خَبِيثَةٍ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا	١٠٠
طه			
٣١٢	١٢٩	وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى	١٠١
الأنبياء			
٢٠٢	٢٦	بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ	١٠٢
٢٣٩	٣٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ	١٠٣
٨٥، ٨٤	٨٧	فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ	١٠٤
١٨٤	٩٨	إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ	١٠٥
الحج			
٢١٤	١٨	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ	١٠٦
النور			
٩٦	٤١	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ	١٠٧
المصنعة			
٨٠	٧٦	لَشَوْءٌ بِالْعُصْبَةِ	١٠٨
التكوير			
٤٠٣	١٣	وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٠٩

عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

الزُّمَر

٣٦٩

٤٠

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَذَا مِنْ
شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ

.١١٠

النِّعَمَان

١٠٢

٦

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

.١١١

السَّجْدَةُ

١٦٤

٢

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

.١١٢

فَاطِر

٢٢٧

٦

إِنَّ السَّيِّئِينَ لَكَرُّوا عَدُوًّا فَأَنْجِدُوهُمْ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ
أَصْحَابِ السَّعِيرِ

.١١٣

يَسِينَ

١٠١

١٢

وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ

.١١٤

١٩١

٦٠

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ

.١١٥

الرُّمَر

٣٦٣

٤٢

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَائِمِهَا
فِيمَسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

.١١٦

الْمُؤْمِن

١٦٤

٢

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

.١١٧

الْحَمَلَات

٩٢

٤٤

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي
أَذَانِهِمْ وَقُرْ

.١١٨

النَّجْم

١٠٨	٩	لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا	.١١٩
٧٨، ٧٧	١٥	يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ	.١٢٠
النَّطُور			
٧٢	٤٩	وَإِذْ بَارَ الْجُومِ	.١٢١
النَّجْم			
٧٢	١	وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ	.١٢٢
النَّوَاقِعُ			
٧١	٧٥	فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ	.١٢٣
الْبَيْعَةُ			
٢٤٦	٥	مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوْرَةَ مِمَّن لَمْ يُحْمَلْهَا	.١٢٤
الْمَنَافِقُونَ			
١٧٤	١٠	وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ	.١٢٥
الطَّلَاق			
٨٥	٧	وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ	.١٢٦
التَّحْرِيمُ			
١٨٣	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقْوُدَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ	.١٢٧
.٢٠١، ١٨٣ ٢٢٠، ٢٠٢	٦	لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	.١٢٨
الْحَاقِقَةُ			
١٠١	١٩٢٠	فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرءوا كِتَابِيَةَ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ	.١٢٩
الْمَعَارِجُ			
٧٢	٤٠	فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ	.١٣٠
الْمُنْكَوِبُ			

٧٢	٧	فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ	.١٣١
الجنات			
٩٤	٤	وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَمَلَهُ غَتْلَهُ أَخْوَىٰ	.١٣٢
العلق			
١٤٣، ١٤٠	١	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ	.١٣٣

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	الحديث	الصفحة
١.	مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ	٣
٢.	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.	٧٤
٣.	كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا	٧٦
٤.	اللَّهُمَّ فَهِّمْنَا فِي الدِّينِ وَعَلِّمْنَا التَّوْبِيلَ	١٧٩، ١٦٤، ١٦٩، ١٨٦
٥.	إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ عَابِدٍ لِيَوْمِ	١٠٠
٦.	مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَصَلِّي، فَذَعَانِي فَلَمْ آتِهِ	١٤٩
٧.	لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ	١٢٩
٨.	مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ (كَلَامًا) غَيْرُ تَمَامٍ.	١٢٩
٩.	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيجَةَ إِئِي إِذَا خَلَوْتُ وَخَلِي سَمِعْتُ نِدَاءً	١٢٩
١٠.	نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَّةَ مِنْ كَثْرٍ تَحْتَ الْعَرْشِ	١٣٦
١١.	وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ إِلَى أَنْ قَالَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"	١٤٠
١٢.	الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمَّ الْقُرْآنِ وَأُمَّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي	١٤٩
١٣.	أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ	١٦٩
١٤.	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ	١٧٧

٢٠٨	يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا	١٥.
٢٢٢	خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ	١٦.
٢٣٦	أَنْتُمْ تَتِمُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ	١٧.
٢٦٠	فينا والله وفيهم - يعني في الأنصار، وفي اليهود - الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة	١٨.
٢٧٢	أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ	١٩.
٢٧٩، ٢٧٨	لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ	٢٠.
٢٨٢، ٢٧٩، ٢٧٨	كُنَّا نَسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْجِبِ الصَّائِمِ عَلَى الْمَفْطَرِ، وَلَا الْمَفْطَرُ عَلَى الصَّائِمِ	٢١.
٢٧٨	الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ؟ - وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيَامِ -، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ»	٢٢.
٢٨٢، ٢٧٩	خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعُ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنِ رَوَاحَةَ	٢٣.
٢٨٢، ٢٧٩	قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ	٢٤.
٢٨٢، ٢٨٠	إِنَّكُمْ قَدْ دَتَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ	٢٥.
٢٨٢	هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا، فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ	٢٦.
٢٩٠	أَنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [البقرة: ٢٢٥] فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ	٢٧.
٢٩١	اللغو في اليمين: "هو كلام الرجل في بيته، كلاً والله، وبلى"	٢٨.

	والله	
٢٩٤	فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَمَرَتْ أَنْ تَعْتَدَ بِحَيْضَةٍ	
٢٩٥	أَنَّ امْرَأَةً نَابِتِ بْنِ قَيْسٍ اخْتَلَمَتْ مِنْهُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِدَّتَهَا حَيْضَةً	
٢٩٥	اخْتَلَمْتُ مِنْ زَوْجِي، ثُمَّ جِئْتُ عُثْمَانَ، فَسَأَلْتُ: مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الْعِدَّةِ؟ فَقَالَ: لَا عِدَّةَ عَلَيْكَ	
٢٩٩	لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُحَلَّلَ لَهُ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ	
٢٩٩	لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْوَأَشِيمَةَ، وَالْمَتَوَشَّمَةَ، وَالْوَأَصِلَةَ، وَالْمَوْصُولَةَ، وَالْمُجِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ، وَأَكِلَ الرَّبَا، وَمُوكِلَهُ	
٣٠٠	لَا نِكَاحَ إِلَّا بِنِكَاحِ رَغْبَةٍ، لَا بِنِكَاحِ ذَلْسَةٍ، وَلَا مُسْتَهْزِئٍ بِكِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَذُقِ الْمُسَيْلَةَ	
٣٠٠	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هُوَ الْمَجْلُ"	
٣٠٠	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، فَتَزَوَّجَهَا أَحَدٌ لَهُ، مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ مِنْهُ، لِيُجْلِيَهَا لِأَخِيهِ، هَلْ تَحِلُّ لِلأَوَّلِ؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا بِنِكَاحِ رَغْبَةٍ"	
٣١٠	وكانت أخت مريم لحنه	
٣١٠	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي عِمَارَةَ بِنْتِ هَمْرَةَ أَنْ تَكُونَ فِي حَضَانَةِ خَالَتِهَا	
٣١٦	وَالَّذِي لَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْثَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْمِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السُّجْدَةُ	

	الواحدة غيراً من الدنيا وما فيها	
٣١٧	كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيْكُمْ، وَإِمَامَكُمْ مِنْكُمْ	٤٠
٣١٧	لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ	٤١
٣١٧	الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتْ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ	٤٢
٣١٧	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	٤٣
٣٣٠، ٣٣١	لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ	٤٤
٣٣٣	كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟	٤٥
٣٣٣	كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟	٤٦
٣٤٦	جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا	٤٧
٣٤٦	إِنَّا نَكُونُ فِي هَلِيهِ الرَّمَالِ لَا نَقْدِيرُ عَلَى الْمَاءِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ	٤٨
٣٤٧	جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهْرًا	٤٩
٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١	وَجُعِلَتْ تُرَابُهَا لَنَا طَهْرًا	٥٠
٣٤٨	فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرَابُهَا لَنَا طَهْرًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ	٥١
٣٤٩	أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي	٥٢
٣٥٠	فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ	٥٣
٣٥٨	كَانَ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ	٥٤
٣٥٩	إِذَا كَانَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يُخْفِي إِيمَانَهُ مَعَ قَوْمٍ كُفَّارٍ	٥٥
٣٦٦	نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ	٥٦
٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣	نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً بِمَكَّةَ	٥٧

٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣	نَزَلَتْ الْإِنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَنَا أَحَدُهَا بِزَمَانِ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَلِهَا لَتَكْسِيرِ عَظْمِ النَّاقَةِ	.٥٨
٤١٠	مَنْ اهْتَدَعَ بِدَعَاةِ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا	.٥٩
٤٠٠، ٤٠٢	لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ ذِمَّتِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ	.٦٠
٤١١	أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، نَمَّ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ	.٦١
٤١١	إِنَّهُمْ قَوْمٌ خَرَجُوا عَصَاةَ بَغْيٍ إِذْنِ آبَائِهِمْ	.٦٢
٤١٢	هُمْ نَاسٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ	.٦٣
٤١٢	هُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ	.٦٤
٤١٢	يُحَاسَبُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ يَوَاحِدَةً دَخَلَ الْجَنَّةَ	.٦٥
٤١٣	سُورُ الذِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ	.٦٦
٤١٤، ٤١٥	هُمْ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ	.٦٧

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الرقم	الأعلام	الصفحة
حرف الألف		
١	إبراهيم بن إسماعيل الأبياري	١٢٧
٢	إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، البغدادي	١٤٦
٣	أحمد بن علي أبو بكر، الجصاص، الرازي، الحنفي	٣٤٥
٤	أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي، الشافعي	١٢١
٥	أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي	١١٣
٦	إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء القرشي البصريّ الدمشقي الشافعي	٦٦
٧	إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الحلوتي، المولى أبو الفداء	١١٥
٨	أليف الدين الترابي بن عالم الدين القرشي	١٥
٩	أمين أحسن الإصلاحية	٥٥
١٠	أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار	٦٨
حرف التاء		
١١	تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية	٦٠
حرف الباء		
١٢	جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري	١٩٢
١٣	جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي	١٢٤

حرف الحاء		
١٥٠	الحارث بن نفيح بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري الزرقي، أبو سعيد.	.١٤
٢٢٣	الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري البصري، الفقيه القارئ الزاهد العابد	.١٥
١١٦	حسن بن محمد ابن القمي النيسابوري، نظام الدين	.١٦
١٢٢	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني.	.١٧
٨٤	الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي	.١٨
حرف الخاء		
١٥	خليل بن أحمد الحمادي	.١٩
حرف السين		
٤٦	سيد قطب	.٢٠
١٧	سيدة حميرا	.٢١
حرف العين		
٦٧	عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم	.٢٢
٦٧	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المخاربي الغرناطي القاضي الإمام العلامة شيخ المفسرين	.٢٣
١٥٠	عبد الرحمن بن صخر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بأبي هريرة الدوسي.	.٢٤
٢٢٧	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، النجدي، الحنبلي	.٢٥
٢٥٢	عبد السلام بن الشيخ عبد الرؤوف الرستمي	.٢٦
٢٢٢	عبد الكريم محمود يونس الخطيب	.٢٧
١٦	عبد الله العقيل المستشار أحد قادة الإخوان المسلمين	.٢٨

١٢٤	عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، أبو البركات، النسفي، فقيه حنفي، مفسر	٢٩
١٢٥	عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي	٣٠
١٣٤	علي بن محمد بن إبراهيم علاء الدين البغدادي المعروف بالخازن	٣١
١١٨	علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالموردي	٣٢
١٩	علي سفيان آفاقي	٣٣
١١٦	عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني أبو حفص سراج الدين الإمام العالم الفاضل المفسر	٣٤
حرف الهمزة		
٧٨	مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين	٣٥
٦٤	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الحزرجي المالكي القرطبي	٣٦
٧٠	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزى الكلبي الغرناطي	٣٧
١٥٠	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولا هم البخاري	٣٨
٦٢	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن أبو جعفر الطبري	٣٩
٩٢	محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف	٤٠
١٠٥	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الصنعاني الشوكاني الحنبلي	٤١
٩١	محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي العلامة فخر الدين	٤٢

	أبو عبد الله القرشي البكري الطبرستاني الرازي	
١١٤	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المفسر، المفتي، الشاعر المعروف بأبي السعود	٤٣
٧٩	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدين أبو حيّان الأندلسي الغرناطي	٤٤
١٤١	محمد ثناء الله الهندي الفاني فتي النقشبندي الحنفي المظهري	٤٥
١٦	محمد رجب البيومي	٤٦
١٥٤	محمد سيد طنطاوي	٤٧
١١٧	محمد شفيع بن ياسين الديوبندي العثماني الحنفي	٤٨
١١٥	محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي	٤٩
١٢٠	محمد عزّة بن عبد الهادي دروزة	٥٠
١١٥	محمد علي الصابوني	٥١
٢٤١	محمد محمد عبد اللطيف الخطيب	٥٢
٦٥	محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الشاء	٥٣
٩٤	محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزنجشيري، الخوارزمي	٥٤
١١٨	مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، القيسي القيرواني ثم القرطبي	٥٥
١١٩	منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي	٥٦
حرف النون		
١٧	نعيم صديقي	٥٧
٤٦	نور محمد جمعة	٥٨
حرف الواو		
١٥٨	وهبة بن مصطفى الزحيلي	٥٩

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع العربية:

- ١- أبو الأعلى المودودي، عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
- ٢- أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ أسعد جيلاني، ترجمة: د/ سمير عبد الحميد إبراهيم، الطبعة الرابعة، عام ١٩٧٨م، شركة الفيصل، لاهور.
- ٣- الإلتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٤- أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، المحقق: محمد صادق الفمحاوي، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥- أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا المراسي الشافعي، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦- أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الأشيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطلة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ٨- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد الجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت.

- ١٠- أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، عام النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت.
- ١١- أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، دار الاعتصام.
- ١٢- الأشبه والنظائر لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية.
- ١٣- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤- أصول في التفسير لمحمد الصالح العثيمين، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٧م، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ١٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عام النشر: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان.
- ١٦- إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرازي النحوي وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٧- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، و(دار ابن كثير، دمشق، بيروت).
- ١٨- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

- ١٩- الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، و دعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي،
أكتوبر عام ١٩٨٩م، دار العروبة للدعوة الإسلامية، المنصورة، لاهور، باكستان .
- ٢٠- الانتصار للقرآن لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبي
بكر الباقلائي المالكي، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار
الفتح، عمان، دار ابن حزم، بيروت.
- ٢١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد
الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ دار
إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبي
القاسم، لحم الدين، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ
دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ٢٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر
أبي بكر الجزائري، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة
المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ٢٤- أئمة الفكر الإسلامي الحديث للبروفيسور أليف الدين الترابي، الطبعة الأولى،
جمادى الثانية عام ١٤٣٦هـ / يونيو عام ٢٠١٠م.
- ٢٥- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بدون
تاريخ الطبع ومكان الطبع.
- ٢٦- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن
حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الطبعة: ١٤٢٠هـ دار الفكر،
بيروت.
- ٢٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن
عجبية الحسيني الأحمري الفاسي الصوفي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، عام
١٤١٩هـ الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة.

- ٢٨- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي، المحقق: علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، قام بفهرسته: عبد الرحمن
الشامي.
- ٢٩- البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير
الغرناطي، دراسة وتحقيق: محمد شعباني، عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية، المملكة المغربية.
- ٣٠- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر
الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، دار إحياء
الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان،
وبنفس ترقيم الصفحات).
- ٣١- بيان المعاني لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني، الطبعة
الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٥م، مطبعة الترقى، دمشق.
- ٣٢- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري،
المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (جزءان في ترقيم مسلسل
واحد)، بدون تاريخ الطبع.
- ٣٣- التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٣٤- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير
الكتاب المجيد" محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، سنة النشر
١٩٨٤هـ الدار التونسية للنشر، تونس.
- ٣٥- تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
الذهبي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

- ٣٦- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
- ٣٧- تفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبي عبد الله، المحقق: د حسن المتاعي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس.
- ٣٨- تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.
- ٣٩- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، محمد عزة دروزة، الطبعة: ١٣٨٣هـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ٤٠- تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د/محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كلية الآداب، جامعة طنطا.
- ٤١- تفسير الشعراوي (الخواطر) لمحمد متولي الشعراوي، ليس على الكتاب الأصل (المطبوع) أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م، مطابع أخبار اليوم
- ٤٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، سنة النشر: ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٤٣- تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زنين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

- ٤٤- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٤٥- تفسير القرآن الكريم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ٤٦- تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- ٤٧- تفسير القرآن لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسطان العلماء، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت.
- ٤٨- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.
- ٤٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: دمجدي باسلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٠- تفسير الماوردي - النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥١- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٥٢- التفسير المظهري للقاضي محمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، الطبعة: ١٤١٢هـ مكتبة الرشيدية، باكستان.

- ٥٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ دار الفكر المعاصر، دمشق.
- ٥٤- التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، بإشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.
- ٥٥- التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ دار الجيل الجديد، بيروت.
- ٥٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٧، دار نهضة مصر، النجالة، القاهرة.
- ٥٧- تفسير آيات الأحكام محمد علي السائس، المحقق: ناجي سويدان، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- ٥٨- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المروري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.
- ٥٩- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لعبد الحميد الفراهي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، المطبعة الحميدية.
- ٦٠- تفهيم القرآن للإمام المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران بتصرف يسير، تعريب: أحمد إدريس، ص ٣٣، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار القلم، الكويت.
- ٦١- تناسق الدرر في تناسب السور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطه، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٦٢- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٦٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
- ٦٤- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
- ٦٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ومتن مرتبط بشرح فتح الباري لابن رجب ولابن حجر، مع الكتاب: شرح وتعليق د.مصطفى ديب البغا، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه.
- ٦٦- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ٦٧- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت.
- ٦٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- ٧٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ٧١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: مراقبة/محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند.
- ٧٢- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجري الخراساني، أبي بكر البيهقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٣- دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، المطبعة الحميدية.
- ٧٤- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبي الفداء، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ٧٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٦- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٧٧- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- ٧٨- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع.

- ٧٩- سنن ابن ماجه لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف جرز الله، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية.
- ٨٠- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل قره بللي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م دار الرسالة العالمية.
- ٨١- سنن الترمذي للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- ٨٢- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجيردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٨٣- سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حققه: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة.
- ٨٤- سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار الفكر، بيروت.
- ٨٥- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٨٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبي الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

- ٨٧- شرح الكواكب المنير للتقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة العبيكان.
- ٨٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، لمحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٨٩- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م، دار الصابوني، القاهرة.
- ٩٠- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د/محمود محمد الطناحي، و د/عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ هجر.
- ٩١- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، السعودية.
- ٩٢- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبع. (راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر).
- ٩٣- طبقات علماء الحديث للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٩٤- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير للشيخ أحمد شاكر، أعده أنور باز، دار الوفاء، المنصورة.
- ٩٥- غرائب القرآن و رغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

- ٩٦- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي،
المحقق: محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، مطبعة دائرة المعارف
العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
- ٩٧- الفتاوى الكبرى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد
الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية.
- ٩٨- فتاوى المودودي "رسائل ومسائل" للإمام الجليل أبي الأعلى المودودي، الجزء
الأول، ترجمة وتحقيق: محمد علي غوري، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ عام ١٩٩٤م،
المركز العربي للخدمات، اردوبازار، لاهور، باكستان .
- ٩٩- فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه
وأبوابه وأحاديثه: محمد فزاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: عب
الدين الخطيب، علق عليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عام ١٣٧٩هـ، دار
المعرفة، بيروت.
- ١٠٠- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي
ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن
إبراهيم الأنصاري، عام النشر: ١٤١٢هـ/١٩٩٢، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا،
بيروت.
- ١٠١- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني، الطبعة
الأولى ١٤١٤هـ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.
- ١٠٢- فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، تقديم: محمد بن صالح
الفوزان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ١٠٣- في ظلال القرآن للسيد قطب، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ دار الشروق،
القاهرة.

- ١٠٤- قطف الأزهار في كشف الأسرار لعبد الرحمن بن أبي بكر، لجلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة: د/أحمد بن محمد الحمادي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- ١٠٥- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية لحسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ مناع القطان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ١٠٦- قواعد التفسير للسبت جمعاً ودراسة لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفاان.
- ١٠٧- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- ١٠٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٠٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. المراجعة والتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١١٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١١١- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبي الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٢- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ١١٣- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ دار صادر، بيروت.
- ١١٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، المحقق: محمد فواد سزكين، الطبعة ١٣٨١هـ مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ١١٥- مجلة "الشباب" الصادرة في عام ٢٠٠٧م بمعهد المودودي للدراسات الإسلامية، لاهور.
- ١١٦- مجلة "المجتمع"، العدد: ١٨١٧، ٢٩ من شعبان - ٥ من رمضان عام ١٤٢٩هـ/٣٠ من أغسطس - ٥ من سبتمبر عام ٢٠٠٨م.
- ١١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث.
- ١١٨- مجموع فتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع بأمر الخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، تحت إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ١١٩- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢١- المحصول في علم الأصول لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة.

- ١٢٢- المختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ.
- ١٢٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: عبي الدين ديب مستو، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكلم الطيب، بيروت.
- ١٢٤- المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقاء، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار القلم، دمشق.
- ١٢٥- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شهبه، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة السنة، القاهرة.
- ١٢٦- مراح ليبد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نوي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا، المحقق: محمد أمين الصناوي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٧- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة،
- ١٢٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

- ١٣٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحي السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٣١- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشليبي، الطبعة الأولى، دار المصرية، مصر، بدون تاريخ الطبع.
- ١٣٢- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج المحقق: عبد الجليل عبده شليبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت.
- ١٣٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٣٤- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية، بدون تاريخ الطبع، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ١٣٥- معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، الدمشقي، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ١٣٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- ١٣٧- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين حمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر.
- ١٣٨- معرفة علوم الحديث، المحقق: السيد معظم حسين، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٣٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ١٤٠- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ دار القلم، الدار الشامية/دمشق بيروت.
- ١٤١- مقدمة في أصول التفسير لثقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الطبعة ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ١٤٢- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، الطبعة الثامنة عام ١٤٢٩هـ/عام ٢٠٠٨م، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٤٣- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لثقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
- ١٤٤- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطبع.
- ١٤٥- الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، عام ١٤٠٥هـ مؤسسة سجل العرب.
- ١٤٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- ١٤٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.

١٤٨- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسئوي الشافعي، أبي محمد جمال الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

١٥٠- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت.

١٥١- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيني، تاريخ النشر: ١٣٠٠/٢٠٠٣، دار الكتب العلمية.

١٥٢- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمال من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٧، جامعة الشارقة.

١٥٣- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن سير سليم الباباني البغدادي، عام ١٩٥١م، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

١٥٤- الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث، بيروت.

فهرس المصادر والمراجع الأردنية

١٥٥- الأشجار الوارفة للسيلة حميرا المودودي (بالأردوية)، الطبعة الرابعة، مارس ٢٠٠٦، منشورات، منصوره، لاهور.

- ١٥٦- أم الكتاب (تفسير سورة الفاتحة) لأبي الكلام آزاد (بالأردوية)، يوليو ١٩٧٥م، إسلامي أكاديمي، اردو بازار، لاهور.
- ١٥٧- الإمام أبو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية لعلي سفيان أفاني (بالأردوية)، سنة الطبعة: المحرم ١٤٣٢هـ/ديسمبر ٢٠١٠م، اذان سحر بيلي كيشنز، منصوره، لاهور.
- ١٥٨- الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين للأستاذ محمد يوسف بهته (بالأردوية)، ص ٢٧-٢٨، الطبعة الثانية، مارس ١٩٨٤م، إدارة معارف إسلامي، منصوره، لاهور.
- ١٥٩- الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ أسعد جيلاني (بالأردوية)، الطبعة الخامسة مايو عام ١٩٨٧م، إدارة ترجمان القرآن، منصوره، لاهور.
- ١٦٠- تدبر القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردوية): ٥٣/١، نوفمبر ٢٠٠٩م/ذي قعدة ١٤٣٠هـ فاران فاؤنديشن، لاهور، باكستان.
- ١٦١- تذكرة سيد مودودي في ثلاث مجلدات لخليل أحمد الحامدي، (بالأردوية)، الصادرة من إدارة المعارف الإسلامية، منصوره، لاهور، الطبعة الأولى، إبريل ١٩٨٦م.
- ١٦٢- تفسير بيان القرآن لحكيم الأمة ومجدد الملة للعلامة أشرف علي التهانوي (بالأردوية)، مكتبة الحسن، لاهور.
- ١٦٣- تفضلوا بزيارة الإمام المودودي للأستاذ أسعد جيلاني (بالأردوية)، الطبعة الأولى فبراير عام ١٩٦٢م، آزاد بك دبو، سركودها (مغربي باكستان).
- ١٦٤- تيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردوية)، راجعه: عبد الوكيل علوي، إشراف: د/حبيب الرحمن كيلاني، الطبعة الثالثة، سبتمبر ٢٠٠٢م، مكتبة السلام، لاهور.
- ١٦٥- خدمات نعيم صديقي العلمية والأدبية للدكتور عبد الله شاه هاشمي (بالأردوية)، (الرسالة على درجة الدكتوراه من جامعة العلامة إقبال المفتوحة سنة ٢٠٠٨م)، الطبعة

الأولى، مايو سنة ٢٠١١م، الناشر: حكيم مروة وحيد سليمان، إدارة مطبوعات سليمان،
لاهور.

١٦٦- الرحلة إلى أرض القرآن للأستاذ محمد عاصم الحداد (بالأردوية)، الفيصل، أردو
بازار، لاهور.

١٦٧- العدد الخاص مجلة "الدعوة الشهرية" (بالأردوية)، الصادرة من أكاديمية الدعوة
بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، المجلد ١٠، العدد ٧-٩، الصادرة لشهر ديسمبر عام
٢٠٠٣م.

١٦٨- العدد الخاص مجلة "أئين الأسبوعية" (بالأردوية)، الصادرة من مكتب أئين
الأسبوعية، لاهور، وذلك بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، المجلد ١١، العدد ٧، الصادر بتاريخ
١٥ من ديسمبر عام ١٩٧٢م.

١٦٩- العديدين الخاصين مجلة "ترجمان القرآن الشهرية" لمثوية المودودي (١٩٠٣-٢٠٠٣م)،
(بالأردوية)، الصادرة من إدارة ترجمان القرآن، منصوره، لاهور، المجلد ١٣٠، العدد ١٠،
الصادر بشهر اكتوبر عام ٢٠٠٣م، والمجلد ١٣٦، العدد ٥، الصادر لشهر مايو عام ٢٠٠٤م.

١٧٠- علوم القرآن لمولانا كوهر رحمان (بالأردوية)، يناير عام ٢٠١٠م، مكتبة تفهيم
القرآن، مردان.

١٧١- القرآن الكريم وترجمته إلى المعاني الأردوية (ترجمة: شيخ الهند محمود الحسن
الديوبندي، والتفسير: شيخ الإسلام شبير أحمد عثمان).

١٧٢- القضية الكشميرية للإمام المودودي (بالأردوية)، بدون تاريخ الطبع ومكان
الطبع.

١٧٣- كتاب إحياء الدين والإمام المودودي لخليل الرحمن جشتي (بالأردوية)، الطبعة
الأولى يوليو عام ٢٠٠٤م، منشورات، منصوره، لاهور.

١٧٤- معارف القرآن للمفتي محمد شفيح (بالأردوية)، اشاعت مكرر، ٢٠٠١م، سروسز بك، جي ايچ كيو.

١٧٥- معارف القرآن محمد إدريس كاندهلوي (بالأردوية)، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، مكتبة عثمانية، بيت الحمد، جامعة أشرفية، لاهور.

١٧٦- المودودي لنعيم صديقي (بالأردوية)، الطبعة السادسة عام ٢٠٠٦م، الفيصل، أردوبازار، لاهور.

فهرس المصادر والمراجع البشتوية

١٧٧- تفسير القرآن الكريم للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، (بلغة البشتو) الطبعة الأولى نوفمبر ٢٠٠٢م/رمضان المبارك ١٤٢٣هـ دار السلام.

فهرس المواقع الإلكترونية

١٧٨- تفسير تدبر القرآن "دراسة نقدية" للحافظ افتخار-بزم اردو lib.bazmeurdu.net على الانترنت.

١٧٩- الدكتور عبد الكريم الخطيب وتفسيره -ملتقى أهل التفسير-.

١٨٠- الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام الرستمي-رحمه الله- ملتقى أهل الحديث--على الإنترنت

١٨١- المكتبة الشاملة.

١٨٢- موسوعة الإخوان المسلمين على الانترنت www.IkhwaniWiki.com.

١٨٣- موسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت (بالعربية والأردوية). <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

١٨٤- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

١٨٥- الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الانترنت.

- ١٨٦- موقع المعرفة محمد شفيق الديوبندي [www://marefa.org](http://marefa.org)
- ١٨٧- موقع صيد الفوائد www.saaaid.net/aldawah1326.htm
- ١٨٨- وفاة سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - الجزيرة. نت. www.aljazeera.net

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء.....	٢
كلمة الشكر.....	٣
التعريف بالموضوع.....	٥
أهمية الموضوع وأسباب اختياره.....	٦
الدراسات السابقة.....	٨
إشكالية البحث:.....	١٠
منهج البحث:.....	١٠
خطوات البحث:.....	١٠
خطة البحث.....	١٣
التمهيد:	١٥
نبذة عن الشيخ المودودي:.....	١٥
ترجمة الإمام المودودي.....	١٩
بداية حياته الصحفية.....	٢٣
بداية حياته الدعوية.....	٢٧
الحياة السياسية في عصره.....	٢٩
بداية حياته الحركية وتأسيس "الجماعة الإسلامية".....	٣٠
قيام باكستان وكفاح الإمام.....	٣١
الرحلة إلى أرض القرآن.....	٣٧
عضوية مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.....	٣٨

- ٣٨..... عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي :
- ٤٠..... موقفه الحاسم من قضية كشمير المسلمة
- ٤٣..... إكمال تفسيره (تفهيم القرآن) :
- ٤٤..... المرض والوفاة :
- ٤٨..... ثناء العلماء والمفكرين عليه**
- ٤٨..... شهيد الإسلام سيد قطب
- ٤٨..... العلامة الفيلسوف محمد إقبال
- ٤٨..... الأستاذ عمر التلمساني
- ٤٩..... الشيخ أبو الحسن الندوي
- ٥٠..... الدكتور يوسف القرضاوي
- ٥١..... الشيخ محمد رجب البيومي
- ٥٢..... المستشار عبد الله العقيل
- ٥٢..... العلامة الشيخ بشير الإبراهيمي الجزائري
- ٥٢..... عبد الماجد الدرايا آبادي
- ٥٢..... الأستاذ طفيل محمد:
- ٥٣..... الأستاذ سيد سليمان الندوي:
- ٥٣..... الأستاذ ملك غلام علي:
- ٥٤..... الشيخ أمين أحسن إصلاحي:
- ٥٤..... الأستاذ نعيم صديقي:
- ٥٥..... نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين :

الباب الأول

١١١
ترجيحات أبي الأعلى المودودي في أم الكتاب، والزهاويين: ١١١.....

١١٢ الفصل الأول

١١٢ ترجيحات سورة الفاتحة

١١٣ لماذا سميت سورة الفاتحة بهذا الاسم " الفاتحة "

١٤٦ ما موضوع سورة الفاتحة، وما مدى علاقتها بالقرآن

١٥٢ ما نوع "ال" في قوله تعالى " الْحَمْدُ لِلَّهِ؟"

١٥٥ ما موقع "غير" الإعرابي في الآية الكريمة

١٦١ الفصل الثاني:

١٦١ ترجيحات سورة البقرة

١٦٢ ما معنى "لا رَيْبَ لِيهِ" في الآية

١٦٧ ما معنى "الغَيْبِ" في الآية

١٧٣ ما معنى "يَنْفِقُونَ" في الآية

١٧٦ ما معنى "مَرَضٌ" في الآية

١٨٤ ما معنى "الْحِجَارَةُ" في الآية

١٨٩ ما معنى "عَهْدٌ" في الآية الكريمة؟

٢٠٠ ما نوع "الهمزة" في قوله تعالى: "قَالُوا أَتَجْعَلُ

٢١٥ ما معنى "السجود" في الآية: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ"

٢٢٠ (هل إبليس من الجن أو من الملائكة؟)

٢٤٦ ما المراد بـ " قِرْدَةٌ خَاسِيَةٌ " في الآية

- ٢٥٠..... ما مرجع ضمير "بَعْضِيهَا" في الآية.....
- ٢٥٤..... ما المراد بـ "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" في الآية.....
- ٢٦٣..... ما المراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في الآية.....
- ٢٦٧..... ما المراد بـ "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" في الآية.....
- ٢٧٠..... ما هو مرجع الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" في الآية؟.....
- ٢٧٥..... هل الإفطار في السفر عزيمة أو رخصة؟.....
- ٢٨٥..... ما المراد بـ "رَفَثٌ" في الآية؟.....
- ٢٨٨..... ما المراد بـ "الْيَمِينِ" في الآية الكريمة؟.....
- ٢٩٤..... ما علة المختلعة؟.....
- ٢٩٩..... هل التحليل عقد صحيح أو باطل؟.....
- ٣٠٣..... **الفصل الثالث:**.....
- ٣٠٣..... **ترجيحات سورة آل عمران**.....
- ٣٠٤..... ما المراد بـ "عمران" في الآية.....
- ٣٠٨..... هل: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى" كلام الله تعالى أو كلام أم السيدة مريم -عليها السلام.....
- ٣١١..... من هو "السيد زكريا" الذي تكفل بتربية "السيدة مريم -عليهما السلام- ".....
- ٣١٣..... ما المراد بـ "الوفاء" التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة؟.....
- ٣٢٢..... ما المراد بـ قوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية.....
- ٣٢٤..... ما المراد بـ: "أهل الكتاب" في الآية.....
- ٣٢٨..... هل أخذ الله تعالى من الأنبياء ميثاق الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- أو بمن بعده؟.....
- ٣٣١..... من المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة؟.....
- ٣٣٢..... ما سبب نزول الآيات؟.....

ما هو سبب نزول الآية؟ ٣٣٧

الباب الثاني

٣٤١

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في سور النساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف: ٣٤١

الفصل الأول: ٣٤٢

ترجيحات سورة النساء ٣٤٢

هل البنت المولودة من الزنا تعدّ من المحرّمات أم لا؟ ٣٤٣

يم يجوز التيمم؟ ٣٤٦

ما المراد بالطاغوت في الآية ٣٥٤

ما المراد بقوله تعالى: "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ" ٣٥٨

الفصل الثاني: ٣٦٢

ترجيحات سورة المائدة ٣٦٢

ما المراد "بالمُعقود" في الآية ٣٦٣

ما المراد بـ "بهيمة الأنعام" في الآية ٣٦٨

ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: "إِلَّا مَا دَكَّيْتُمْ" ٣٧٢

ما المراد بـ "اليوم" في قوله تعالى: "الْيَوْمَ يَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ" في الآية ٣٧٧

الفصل الثالث: ٣٨١

ترجيحات سورة الأنعام ٣٨١

هل السورة مكية خالصة أو بعضها مكّي وبعضها مدني؟ وهل السورة نزلت دفعة واحدة أم منجّمة؟ ٣٨٢

٣٨٨ ما المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية
٣٩١ ما المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" في الآية
٣٩٣ ما المراد بـ "أَجَلٌ مُسَمًّى" في الآية
٣٩٨ الفصل الرابع:
٣٩٨ ترجيحات سورة الأعراف
٣٩٩ ما المراد بـ "فَأَحْشَتْ" في الآية؟
٤٠٢ ما المراد بـ "ضِنْفٌ" في الآية؟
٤٠٧ ما المراد بـ "رِجَالٌ" الذين أخبر الله - سبحانه وتعالى - أنهم على الأعراف ؟
٤١٨ الخاتمة
٤١٩ الخاتمة والنتائج:
٤٢١ التوصيات والمقترحات
٤٢٢ الفهارس
٤٢٤ فهرس الآيات القرآنية
٤٣٧ فهرس الأحاديث والآثار
٤٤٣ فهرس الأعلام
٤٤٧ فهرس المصادر والمراجع
٤٧١ فهرس الموضوعات